من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث

ذكريات

امير اللواء الركن المتقاعد
ابراهيم الراوي

الطبعة الثانية المصححة
(بالاوفست)

ثمن النسخة ديناران

مطبعة دار الكتب
بيروت - لبنان



ذكريات ...

مِن الثورة العربيّة الكبرى

الى العراق الحديث

ذكريات

أمير اللواء الركن المتقاعد

ابراهيم الراوي

الطبعة الثانية المصححة

(بالاوفست)

مطبعة دار الكتب

بيروت — لبنان

١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً والصلاة والسلام على خير خلقه بكرةً واصيلا .

ان اعز ما يملكه الانسان في حياته ذكرياته وأفضل الذكريات ما كان متصلاً بالامور العامة . وحين يستعرض الانسان ذكرياته ويميّز بين درجات اسهامه بالحياة العامة يستخلص العبر بما قام به من خير وشر وعندها يدرك معنى قوله تعالى « يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاّ من اتى الله بقلب سليم » ولا شك بأن المقصود بالقلب السليم انما هو الخير الذي يقدمه المرأ لبني جلدته في حياته .

وقد كتب لي ان ارافق النهضة العربية منذ انبثاق فجرها قبيل اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ حتى اتت هذه النهضة اكلها وقد مر عليها ستون حجة على اقل تقدير وشاهدت في بحر هذه المدة اموراً كثيرة وتقلبات عديدة وانتفاضات منوّعة كما اسهمت في نواحٍ كثيرة من نواحي هذه النهضة ووجدت من الحيف ان انتقل من هذه الدنيا الفانية إلى دار الحق الخالدة — وقد تجاوزت السبعين من عمري — دون ان اترك لبني قومي وصف ما شاهدته عيني وأسهمت فيه بنفسي .

كانت فكرة تدوين مذكراتي قد جالت في خلدي منذ زمنٍ ليس بالقصير

وقد شرعت فعلاً في تدوين هذه المذكرات منذ عام ١٩٤٢ يوم كنت في المانيا ايام الحرب العالمية الثانية وجمعت معلومات ووثائق على جانب عظيم من الأهمية ولكن الذي يؤسف له هو أن هذه المذكرات وقعت في أيدي الروس الذين احتلوا فيينا في عام ١٩٤٥ وكانت ضمن اثاثي وما كنت املكه . وقد حاولت عبثاً استرداد ما فقدت ولما عدت الى العراق في عام ١٩٤٥ ، وجدت اصحابي ومعارفي يلحّون علي بوجوب استئناف كتابة المذكرات رغم الكارثة التي تعرضت اليها وكان هؤلاء على حق فيما طلبوا والحوا عليه لأن مثل هذه المذكرات تعد ملك الناس وليس ملكي الخاص وعلى هذا استأنفت الكتابة معتمداً على الذاكرة وهي قوية بحمد الله ، وعلى ما ظهر في البلاد العربية عامة وفي العراق خاصة من مدونات .

وفي عام ١٩٦٧ شرعت في طبع مذكراتي على آلة الطابعة تمهيداً لتقديمها إلى المطبعة مستعيناً على ذلك بأحد الشبان الفلسطينيين ولكن الذي يؤسف له ان هذا الشاب تخلى عن مساعدتي في حزيران من هذه السنة ليسهم في الدفاع عن آله وذويه في الأرض العربية المغتصبة فلسطين الأمر الذي ادّى الى فتور في عزيمتي استغرق نحو العامين حتى اذا وجدت الاصحاب والاخوان يلحون على استئناف تدوين المذكرات وطبعها وجدت نفسي مضطراً بذلك واني لاشكر كل من حرضني على الكتابة وشجعني على مواصلة البحث او مد لي يد العون واخص بالذكر صديقي الاستاذ السيد عبد الرازق الحسني الذي بذل جهداً محموداً وسعياً مبروراً في ملاحظة مواد المذكرات والتثبت من الفصول وصحة التواريخ ونحو ذلك حتى انه صحبني الى لبنان للاشراف على طبع الكتاب . ولولا هذه الجهود وملاحقاته والحاحه لما تيسّر للكتاب ان يبصر النور .

وفي الختام ارجو ممن يعثر على زيغ او اخطاء في مذكراتي هذه ان يرشدني الى ذلك فالانسان من النسيان والعصمة لله ولرسوله وجلّ من لا يخطيء ولا يعثر والانسان صغيرٌ بنفسه كبير باخوانه كما ارجو المعذرة من الذين

تناولتهم في مذكراتي باسلوب قد لا يستسيغونه او لا ينطبق على ما اشتهروا به . فاني والله ما قصدت الاساءة الى احد ولا أردت الاقلال من قيمة احد وانما هي حقائق دونتها كما بدت لنفسي وتحققتها والله من وراء القصد .

حرر ببغداد في الثامن من ربيع الثاني سنة ١٣٨٩ هـ الموافق ٢٣ حزيران سنة ١٩٦٩

اللواء الركن المتقاعد
ابراهيم حمدي الراوي



أمير اللواء الركن * ابراهيم الراوي



تمهيد

ولدت في الرمادي سنة ١٨٩٥ م . من ابوين عربيين الوالد حمدي الراوي الذي نزح جده من حوالي الـ ١٥٠ سنة الى بغداد وتوطن فيها والوالدة عائشة بنت طه البصام جميلية . والرمادي قصبة متوسطة الحجم تبعد عن بغداد ١٠٥ كيلو مترات وعن شاطىء الفرات الايمن نحو كيلو مترين وقد مصرت ايام والي بغداد المصلح الشهير مد حت باشا سنة ١٢٨٦ هجرية ١٨٦٩ ميلادية . ولكنها أهملت بعد سفر الوالي وبقيت قرية منعزلة يتزود منها المسافرون ما يحتاجون اليه في اسفارهم من طعام وشراب ومرافق . فلما كانت سنة ١٣٤٢ هـ – ١٩٢٣ م فتحت طريق للسيارات بين بغداد ودمشق تقطعه في نحو خمس عشرة ساعة مارة بالرمادي فبدأت في هذه القصبة نهضة واسعة شملت كل ناحية من نواحيها العمرانية والاقتصادية والثقافية . ولم تكن في الرمادي يوم ولدت غير الكتاتيب ومدرسة ابتدائية اولية ولذا فقد انهيت دراستي فيها وانتقلت الى بغداد عام ١٩٠٦ م للالتحاق برشديتها العسكرية وبعد دراسة خمس سنوات متواصلة قصدت الاستانة مقر الخلافة الاسلامية للدخول في الكلية العسكرية الملكية وكان ذلك في آب ١٩١١ م . وصلنا الاستانة بعد مضي اربعين يوماً من حركتنا من بغداد وتقطع اليوم هذه المسافة بحوالي ساعتين جوّاً وكان جميع التلامذة من اهالي الاناضول والروميللي

وابناء البلاد العربية الاخرى يذهبون الى اهلهم في ايام عطلة الكلية عدا العراقيين فان مدة العطلة هذه لا تكفي للذهاب والاياب الى العراق .

واستنبول آنذاك مع كونها العاصمة للأمبراطورية العثمانية كانت لا تشبه العواصم الاوربية من الناحية العمرانية فقد كانت عجلات الترام فيها تجرها الخيول في الوقت الذي كان ترام بيروت يسير بالكهرباء وفي ٣٠ تموز ١٩١٤ تخرجت ضابطاً وفي ٣ آب اعلن النفير العام وفي اواسط شهر آب تركت استنبول على باخرة تركية متوجهاً الى « جناق قلعة » فوجدنا مضيق الدردنيل قد أُغلق فقادتنا باخرة صغيرة كدليل لتجنب مواقع الخطر وبينما نحن في عرض البحر اذا بالبارجتين (غوبن وبرسلاو) تطاردهما بوارج الحلفاء فالتجئنا الى استنبول ومنها صار معلوماً ان تركيا ستدخل الحرب الى جانب الالمان فواصلنا السير الى (ازمير) فطرابلس الشام ومنها بالقطار الى (حلب) ومنها ركبت عربة تجرها الخيل بصحبة توفيق الخالدي الذي كان نائباً في المجلس النيابي في الاستانة حيث تعطل المجلس وقفل راجعاً الى بغداد . وعند وصولي بغداد عينت في اللواء المدفعي الثامن والثلاثين الذي كان مرابطاً مع الفرقة الثامنة والثلاثين في البصرة . وحيث كنت بعيداً عن اهلي ثلاث سنوات ابقوني في بغداد قرابة الشهرين في سرية المستودع للمدفعية تحت امرة الملازم الثاني رشيد الشبلي والد حقي الشبلي ومع انه كان (ألايلى) اي ناشيء من الجندية الا انه كان ذو رأي صائب حيث اتى بعمل اختراعي في العبخانة الامر الذي اوجب ترقيته درجتين وفي ٧ تشرين الاول سنة ١٩١٤ اعلنت تركيا الحرب على الحلفاء فتوجهت بباخرة تركية بمعية جاويد باشا الذي كان قائـــد العراق وحواليه اي « نجد » و « الاحساء » و « القطيف » وعند وصولنا الى مدينة « الكوت » سمعنا بسقوط « الفاو » بيد الانكليز وكانت الفاو معدمة من وسائل الدفاع عدا بطرية صحراء قديمة وكان آمرها النقيب وهيب آغا . دخلت تركيا الحرب ضد الحلفاء نزولاً عند رغبة انور باشا وزير الدفاع آنذاك مع ان تركيا كانت متعبة الى آخر

درجة بعد ان خسرت ليبيا في سنة ١٩١١ في حربها مع ايطاليا وفقدت معظم دول البلقان في سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ اذ استقلت كل من رومانيا واليونان والصرب والبلغار وها هي الآن في سنة ١٩١٤ تعلن الحرب على الحلفاء الأمر الذي اوجب ان تحارب في جبهات متعددة : في الدردنيل والقفقاس والعراق ومصر وليبيا وفي رومانيا وأخيراً في الحجاز وكان الوضع الحربي في العراق كما يلي :

العراق بعرضه وبطوله لم يكن فيه غير فرقتان وهما الفرقة الـ٣٦ وكانت في «كركوك» و «الموصل» والفرقة ٣٨ وكانت في «البصرة» اذ في اثناء النفير سحبوا الفرقة ٣٥ من الموصل وارسلوها الى «حلب» وسحبوا الفرقة ٣٧ من «بغداد» وارسلوها الى «ارضروم» مشياً على الاقدام وكان ذلك في عز الحر اي في آب وببدلات صيفية الى اقسى منطقة في البرودة وهي ارضروم وهناك أماتهم القرّ والكرّ والفر ولم يرجع منهم الى بغداد الا القليل مع ان الفرقة كانت غادرت بغداد بـ ١٧٠٠ ضابط وجندي .

نعم دخلت تركيا الحرب برغبة من انور فقط اذ كان الخليفة السلطان محمد رشاد الخامس لا يحل ولا يربط ولا يعني من امور الدنيا شيء اذ عندما اخبروه ان «ارضروم» سقطت قال : «انور اوغلمز بايار» اي ولدنا انور اهل لذلك ظاناً الافندي ان ارضروم بلدة روسية واستولى عليها الاتراك ؛ حتى ان الصدر الاعظم سعيد حليم ومعظم الوزراء كانوا غير راغبين في الحرب .

الوصول إلى البصرة

وصلت البصرة وكانت معظم الوحدات تحارب في الجبهة ما بين «الفاو» و «البصرة» والبطرية التي عينت اليها كانت في «كوت الزين» تحت امرة النقيب حسين عوني – والد العميد الركن سعدون – وفي ثاني يوم وصولي

دعيت الى الغداء في دار أصهاري آل الشواف وبعد الغداء غادرت الدار واذا بي التقي بمزاحم الباجهجي – اذ كان يصدر جريدة النهضة هو وابراهيم حلمي العمر في بغداد – وحيث كانت نزعتهما قومية فبعد صدور احد عشر شهراً عطلت الجريدة من قبل السلطة الاتحادية وخوفاً من العقاب هرب مزاحم الى البصرة واستظل تحت جناح السيد طالب النّقيب – وعند مواجهتي مزاحم سألته عن نوري اركان – وكان هذا اسم نوري السعيد حيث كان يدرس في كلية الاركان في استانبول وكان تركها هرباً مع عبد الله الدملوجي وحلاّ في البصرة وسيأتي البحث عنهما – وعندما سألت مزاحماً عن نوري قال لي : هو بالعشار واني سأدلك عليه عصراً . تركته وذهبت الى العشار واذ بنوري واقف في شرفة فندق قبالة سوق الهنود مع نوري القاضي الذي كان حاكم بداثة في البصرة فرآني نوري وناداني فذهبت اليهما وبعد التحية والاسئلة الاعتيادية كلفني نوري ان اذهب الى جاويد باشا ليستخدمه في الجيش العثماني فذهبت وكلمت مرافقه فوافق الباشا حالاً على استخدام نوري كضابط ركن في الفرقة اذ كانت الفرقة في اشد الحاجة الى ضابط ركن حيث كان ضابط ركنها النقيب سامي قد استشهد في «كوت الزين» فعدت الى نوري واخبرته بموافقة جاويد وعند اخباري اياه بالموافقة بدأ يفكر وقال : ابراهيم أنا محكوم عليّ بالاعدام والاتراك لا يؤمن شرهم ولو كان يس الهاشمي او رشيد الخوجة هنا لكنت التحقت واشتغلت مع احدهما فضلاً عن هذا ان البصرة بعد اسبوع ستسقط بيد الانكليز وعليه عدلت عن فكرتي فتركته وخرجت وبالفعل بعد بضعة ايام سقطت البصرة فانسحبنا منها نحو « القورنة »[1] « فالشطرة » واخذنا خطوطاً دفاعية في « مزيبلة » و « صخيريجه » وبعد ثلاثة اسابيع سقطت « القورنه » بعد دفاع مجيد برز فيه سعيد المدفعي – والد العقيد الركن خالد – الامر الذي اوجب ان يعيد الانكليز الى قائد الفرقة العميد صبحي سيفه وبعد ذلك اي عندما كنت في « مزيبلة » طلبني آمر رتل الحويزة

(١) اسم قرية يقترن فيها دجلة بالفرات ومن ذلك جاء اسمها .

اللواء فاضل باشا الداغستاني ــ والد اللواء الركن غازي ــ لالتحق بوحدتي وكان آمرها الملازم الثاني راسم سردست حيث كان آمرها السابق النقيب حسين عوني جرح في «كوت الزين» وذهب للتداوي إلى بغداد .

أسري وذهابي إلى الهند

في أوائل نيسان سنة ١٩١٥ هجم الانكليز على فرقة دجلة المتمركزة في خطوط دفاعية في «مزيبلة» و «صخيريجة» فانسحبت فلولها الى «العمارة» اتعلم ايها القارىء ان الفرقة كان آمرها ضابط برتبة مقدم اسمه حليم ولم يكن ضابط ركن وكانت الفرقة لا تملك أي مدفع سريع حتى ولا رشاشات جيدة حتى ان العمارة سلمت بما فيها ما ينوف على المائة ضابط وبضعة آلاف جندي بيد ضابط واحد انكليزي تقدم الى العمارة بباخرة صغيرة مسلحة ببضعة رشاشات وهكذا بعد انهيار مقاومة الفرقة وسقوط العمارة كان من الطبيعي ان ينسحب رتل الحويزة الذي كان آمره اللواء الداغستاني الذي يعد آغا من الآغوات اذ كان السلطان عبد الحميد أنعم عليه برتبة امير لواء وابعده الى بغداد ليأمن شره اذ كان من المتنفذين في القفقاس . وفي اواسط نيسان سنة ١٩١٥ وقعت أسيراً بيد الانكليز في العمارة بعد الانسحاب من الحويزة وكانت عشائر بنو لأم التي يرأسها غضبان البنيـّه وكان معنا في الحويزة قد سلبت من الضباط والجنود المنسحبين كل ما كانوا يملكون ومن جملة الضباط الذين وقعوا في الأسر من هذا الرتل : عبد اللطيف نوري وشاكر الشيخلي ورشيد جودت وراسم سردست واما اللواء الداغستاني الذي كان انسحب الى الكوت وكان قد أسمعه القائد التركي نور الدين من قارص الكلام ما يندي له الجبين ولم يرحم شيخوخته وحسن بلائه وهو الشهم المجاهد الذي ذهب من بغداد راكباً حصانه حتى وصل ارضروم وشارك في حروبها ثم عاد على ظهر حصانه إلى بغداد ليلتحق في الحويزة

ويقود رتلها . وماذا يعمل الداغستاني وأمثال الداغستاني ؟ بل ماذا في امكانك أنت يا نور الدين أن تعمل أمام هجوم الانكليز المسلحين بأحدث الأسلحة والمجهزين بأحسن التجهيزات والأعتدة فضلاً عن الأساطيل الجرارة .

ركبنا البواخر من العمارة فوصلنا البصرة وبينما كنا في الباخرة جاءنا مزاحم الباجه جي مع الميجر ايدي وكان مزاحم بدأ بالاشتغال مع الانكليز منذ احتلالها فسألته عن نوري فقال : ذهبوا به الى « داروار » في الهند وبعدها تركنا البصرة في طريقنا الى « بومباي » وفي بومباي اراد الانكليز كما هو شأنهم أن يوسعوا الفرقة بين العرب والأتراك ففرقوا الضباط الأتراك وقرروا ارسالهم الى « تاتميو » في بورما وأبقوا العرب في « سمربور » ومن حسن الصدف أو سوئها جعلوني أنا مع الأتراك وجعلوا الملازم الثاني حكمة المدفعي التركي الذي هو ابن صفيّ مع الضباط العرب فذهبنا الاثنان وقلنا لهم : أنكم جعلتم الضابط العربي مع الأتراك والضابط التركي مع العرب فالرجاء اعملوا العكس وبعد التأكد من قولنا جعلوا الضابط التركي مع الأتراك ولم يجعلوني مع العرب بل أبقوني أنا أيضاً مع الأتراك وكان هذا في صالحي آنذاك اذ أن الانكليز في هذه الآونة قرروا أن يعاملوا الأتراك أحسن من معاملتهم للعرب ، فذهبت مع اخواني الأتراك الى « تاتميو » بطريق بومباي — سيلان — رانكون وفي القرب من رانكون أركبونا في بواخر نهرية بدأت تمخر عباب نهر « الأرواد » المقدس عند الهنود وهو النهر الذي يرمون فيه جثث موتاهم وكان عرضه ضعف عرض شط العرب أي ما يقارب الألف متر وبعد أربعة أيام من تركنا « رانكون » وصلنا الى « تاتميو » في برما وكان فيها الضباط والجنود العرب والأتراك الذين أسروهم عند تقدمهم من الفاو نحو البصرة فالقورنة من مدنيين وعسكريين وعلى رأسهم والي وقائد فرقتها العميد صبحي الذي أصبح فيما بعد أمير لواء وهو في تاتميو وقد توفي وقبر هناك . و « تاتميو » هذه بلدة جوها مرطب للغاية والأمطار فيها كثيرة تنزل وكأنها من أفواه القرب الأمر الذي سبب أن يصاب كل منا بالحمى مع وجود

حوالي العشرة أطباء من الأتراك والانكليز يشرفون علينا ومع هذا كان يومياً تخرج جنازتان من الجنود وكان عدد الأسرى من مدنيين وعسكريين ما يقارب الـ ٣٠٠٠ شخص .

وأورد هنا نبذة من البغض المتأصل في نفوس الأتراك للعرب ـ هنا عندما أقول الأتراك أعني الحكام الأتراك الرسميين ولست أقصد الشعب التركي اذ أن الشعب التركي يقدس العرب ويحبهم حباً جماً باعتبارهم هم الذين هدوهم الى الاسلام ومنهم محمد المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ـ ومثال على ذلك عندما كنا في المدرسة الحربية في أستانبول كان أحد الضباط الأتراك المتعصبين لعنصريتهم ينصحنا بقوله : اذا أردتم أن تمنعوا الجندي التركي الأناضولي يعدل عن عملٍ ما كلموه بذلك متمثلين له بقول عربي . مثلاً فيما اذا أردتم أن تجعلوه يبطل عادة التدخين اذا قلتم له : « جيكاره ايجمك ممنوعدر » أي أمنعك من شرب السيكارة فانه لا يهتم للأمر ولكن اذا قلتم له « شرب السيكارة حرام » يمتنع عن الشرب لمجرد العبارة هذه باللغة العربية .

العداء بين الترك والعرب

نرجع الى النبذة من بغض الأتراك المتأصلة في نفوسهم للعرب . قال العميد صبحي للانكليز نحن نعامل الجنود العرب كمعاملتكم الى الهنود وعدم مساواتهم بالجنود الانكليز البيض وعليه لا تساووا جنود الأتراك بجنود العرب في اعطائكم الأرزاق والملبوسات ، والانكليز مع علمهم أن هذا غير صحيح وقبل أن يتأكدوا من الحكومة العثمانية كونهم يريدون مثل هذا الدس قاموا يعطوا الى الجنود الأتراك السمن واللحم والخضروات ولا يعطون العرب ذلك ويعطون جنود الأتراك ما ينوف على العشر قطع من الالبسة ولا يعطون الى الجندي العربي سوى ثلاث قطع ثوب ولباس وصدرية ولأجل

ان تخلص الجنود من هذه المحنة ـ اذ اتى عليهم شهر رمضان وهم صيام ومحرومون من اللحم مع ان العرب مشهورون بذبح الضحايا من ابل وغنم وفي قراهم مشهورون بتقديمها الى ضيوفهم مع كونهم في اشد الحاجة اليها ؛ حتى ان حاتمهم الطائي نحر اشهر فرس لضيفه حينما تعذر لديه من الغنم ـ اقول لنخلص جنودنا من هذه المحنة وخوفاً من ان تسري هذه الفرية علينا نحن الضباط راجعنا الانكليز وقلنا لهم : ان معاملتكم هذه مغلوطة ومجحفة معاً وعليكم ان تسألوا الحكومة العثمانية اذا كانت هي تفرق في المعاملة بين الجندي العربي والجندي التركي وبالفعل سألوا الحكومة واتاهم الرد بعد بضعة اشهر ان لا فرق في المعاملة بين العربي والتركي وهكذا باشر الانكليز بمعاملة العرب والاتراك سوية وبقي القائد التركي في سواد الوجه اذ ما ضرك يا صبحي بك لو كان الانكليز من اول الامر ظلوا يعاملون العرب والأتراك سواسية هل طالع من كيسك شيء ؟ لا . ولكن قاتل الله الاحقاد وقاتل الله اللؤماء الذين ديدنهم الدس والخبث .

بقينا في « تاتميو » حوالي الستة اشهر وكانت الحياة هادئة وكان يوجد في البلد مسجد تقام فيه الجمعة وفيه يصلي المسلمون هناك . ونحن كنا لا نفارق المعسكر المحاط بالاسلاك الشائكة اذ يسكن الضباط في غرف ويسكن الجنود في قاعات ومعاملة الانكليز ليس عليها شائبة ومراسلاتنا مع عائلاتنا في العراق كانت منظمة وكنا نقضي اوقاتنا في المطالعة والتروض في لعبة كرة القدم . وبعد مضي ستة اشهر فرق الانكليز العرب عن الاتراك وقرروا ان يرسلونا الى « سمربور » للالتحاق باخواننا الضباط والجنود العرب هناك . وهنا اورد نبذة ثانية عن بغض الاتراك للعرب فأقول : عندما بدأ الانكليز بتفريق العرب من الاتراك فان اخواننا ومواطنينا الكركوكيين قالوا الى الانكليز نحن اتراك فالرجاء ابقائنا مع الاتراك فأبقوهم وبعد مغادرتنا « تاتميو » صادف ان قائد الفرقة المقدم حليم مرض فذهبا للملازم الاول الكركوكي محيي الدين لعيادته أتدري أيها القارىء ماذا قال له القائد ؟ بدلاً من ان

يشكره لزيارته اياه قال له : اني لا اريد ان يزورني ضابط عربي . مولانا حليم بك اي ضابط عربي ؟ الرجل الذي اتى ليعودك تلطفاً وانت في مرض موتك – اذ حليم توفي في مرضه هذا – يزعم انه تركي وقد تخلف عن مواطنيه العراقيين وبقي مع من بقي من اخوانه الكركوكيين معكم هنا باعتبار انهم اتراك أمن المجاملة ان تقول الى زائر متلطف يدعي انه تركي : اني لا اريد زيارتك لكونك عربي ؟ اكلها يا اخينا محيي الدين العاق للعراق الذي يعطف على الكردي والتركماني والآشوري والارمني كعطفه على العربي وكذلك يعطف العراق على الطوائف غير المسلمة كما يعطف على الطوائف المسلمة .

العودة إلى « سمربور »

ركبنا البواخر النهرية تاركين « تاتميو » غير آسفين لمفارقتنا اخواننا الاتراك الذين كانوا يودون مفارقتنا من صميم قلوبهم ؛ واقول للمرة الثانية غير آسفين لتركنا البلدة الموبوئة والتي كانت في اقصى بلاد المعمورة . وهنا نكتة اوردها جاءت على لسان اخينا الملازم رشيد خماس – شقيق العميد حمدي حسين – كتب كتاب الى اهله يؤنبهم على الحكايات التي كانوا يحكوها له ولا مثاله عن السندباد واسفاره الى وراء السبعة ابحر والى جزر واق واق وجين الماجين ويقول لهم : اني الآن وراء البحار السبعة ويحسب لهم : دجلة ، شط العرب ، الخليج العربي ، البحر المحيط الهندي ، خليج سيلان ، البحر المحيط الهندي مرة اخرى ، نهر الأرواد وفي جين الماجين اي الهند الصيني . بقينا في الباخرة النهرية اربعة ايام وفي الخامس منه خرجنا الى عرض البحر بالقرب من « رنكون » التي هي على البحر وهناك ركبنا الباخرة البحرية وكان معنا من المدنيين عبد الوهاب الخضيري واخوه وعلي الشواف – والد عبد اللطيف الشواف – وبينما كنا في عرض البحر واذا بنا نرى الضباط الانكليز وجنودهم يضعون الشارة السوداء حول أذرعهم

وقد علمنا السبب لذلك وهو : ان وزير دفاعهم اللورد كيشنر ومن معه وما معهم من اسلحة واعتدة وتجهيزات ونقود يتعرضون الى بطش الالمان فيغرقونهم إلى قعر البحر بينما كانوا ذاهبين لنجدة حليفتهم روسيا القيصرية .

وفي اوائل نيسان عام ١٩١٥ وصلنا « سمربور » والتقينا باخواننا الضباط والجنود العرب هنالك واذكر قسماً من الضباط الذين تحضرني اسمائهم :

جميل الراوي ، جميل المدفعي ، علي جودة الأيوبي . وعبدالحميد الشالجي ، مولود مخلص ، عبد اللطيف نوري ، شاكر الشيخلي ، راسم سردست ، محمد حلمي الحاج ذياب ، سعيد المدفعي ، داود صبري ، عبد الرزاق الخوجة ، حامد الوادي ، وغيرهم . وسمربور هذه تبعد عن بومباي حوالي المائة كيلو متر وتربطها بها سكة حديدية . مناخها جيد . وسكنانا في معسكر محاط بأسلاك شائكة . وكان عدد الضباط حوالي ٣٠٠ — الى ٤٠٠ ضابط والجنود حوالي ٣٠٠٠ — ٤٠٠٠ وكان في كل اسبوع يخرج الضباط الى السوق يوماً واحداً لشراء بعض الحاجيات . وذات يوم خرجنا الى السوق أنا وابن عمي جميل الراوي وصديقي الصدوق محمد حلمي واشترينا لحماً وبعدها رحنا نشتري سكراً وبينما كان البائع يزن السكر فتحنا الكيس الذي في داخله اللحم لنضع السكر معه ولكن صاحبنا الهندوسي ما أن رأى اللحم حتى وضع الميزان على الأرض وأدار رأسه وصرخ لرؤية اللحم لأن الهندوس — كما هو معلوم — لا يحرمون أكل اللحم فحسب بل حتى النظر اليه . وأما البقر عندهم فمعبود يتبركون حتى بالذي يخرج منه ونحن المسلمون نذبح البقر في عيد الأضحى تبركاً وتقرباً الى الله وهكذا بمثل هذه الفوارق وغيرها يستفيد الانكليز ويحكمون هذه القارة ببضع آلاف من الضباط والجنود ويستدرون خيراتها ويعدوها الدرة اللامعة في التاج البريطاني .

« إعلان الثورة العربية الكبرى في الحجاز »

أعلن الحسين بن علي شريف مكة المكرمة وأميرها الثورة على الأتراك في التاسع من شعبان سنة ١٣٣٤ هـ ، العاشر من حزيران ١٩١٦ م ، وقد نقل لنا هذا الخبر السار السيد حسين أفنان الذي كان يشغل منصب مترجم الى الميجر آمر المعسكر ثم أصبح سكرتيراً لمجلس الوزراء العراقي عام ١٩٢٠ اذ كان على صلة حسنة معنا . وبعد بضعة أيام من هذا الحدث الهام جائنا جنرال انكليزي وبدأت معاملة الانكليز تتحسن معنا يوماً بعد يوم . وبعد عودة الجنرال شاع في المعسكر أن : ستحصل مبادلة أسرى للضباط وللجنود بين الحكومتين العثمانية والانكليزية وكانت هذه الاشاعة للتمويه اذ أخبرنا حسين أفنان أن هذه الاشاعة غير صحيحة بل بعد بضعة أيام سيذهب ضباط وجنود عرب من هنا للالتحاق بالثورة وبالفعل بعد اسبوع تقريباً تركنا سمربور وكنا عشرة ضباط وحوالي ١٥٠ جندياًمن العرب وكنا جميعنا من صنف المدفعية اذ كانت الثورة تحتاج بالدرجة الأولى من بدأها الى ضباط وجنود مدفعية وأما الضباط والجنود والمدنيون الموجودون في المعسكر والذين كانوا لا يعرفون الأمر على حقيقته فقد حملونا كتباً ووصايا الى أهليهم في العراق على أساس نحن ذاهبون الى العراق وانه سيأتي بدلاً منا ضباط وجنود من أسرى الانكليز الى الهند . وصار الاتفاق بيننا وبين اخواننا الضباط الذين يعلمون بالأمر وهم من المشتغلين بالقضايا العربية أنه : اذا كان الالتحاق بالثورة العربية فيه خير للعرب نلتحق ونخبرهم ، وعندئذ على أثرنا يطلبون الالتحاق بالثورة وهكذا تركنا « سمربور » وركبنا القطار متجهين الى « بومباي » وابتدأت المعاملة تتحسن أكثر بمجرد ركوبنا القطار وصرنا نقرأ الجرائد ومنها علمنا أن الثورة حقيقية وأنها أُعلنت فعلاً . ومن بومباي ركبنا الباخرة وكانت المعاملة في الباخرة أيضاً لطيفة اذ رفعت الحراسة عنا والباخرة بدلاً من أن تتجه الى الخليج العربي اتجهت صوب عدن فالسويس .

وبقيت تمخر بنا عباب البحر حوالي الأسبوعين وصرنا نتبادل الرأي في حالة تكليفنا الالتحاق بالثورة وهناك صرنا فريقان فريق يقول : « نعم بتحفظ » وفريق يقول : لا قطعاً . أما الفريق الأول وهم :

١ — النقيب رشيد المدفعي ، الذي بقي في الأردن ثم صار وزيراً للدفاع . الملازم الثاني سعيد المدفعي ، والد العقيد الركن خالد المدفعي . ٣ — الملازم الثاني محمد حلمي الحاج ذياب . ٤ — الملازم الثاني راسم سردست . ٥ — الملازم الثاني داود صبري . ٦ — ابراهيم الراوي — صاحب المذكرات .

وأما الفريق الثاني فكان : ١ — الملازم الأول عبد الوهاب — والد جميل عبد الوهاب . ٢ — الملازم الثاني محمد قاسم ، وهو شقيق المقدم احمد قاسم . ٣ — الملازم حسين السامرائي . ٤ — الملازم الثاني الاحتياط عمر شاكر شقيق المتصرف كاظم شاكر . الفريق الأول الذي قرر الالتحاق بتحفظ كان رأيه : بعد الوصول الى القاهرة يتصل بالدرجة الأولى بعزيز علي المصري الذي هو رئيس جمعية العهد المنضم تحت لوائها أقطاب الضباط العرب أمثال ياسين الهاشمي وجعفر العسكري ، نوري السعيد ، طه الهاشمي ، سليم الجزائري ، مصطفى وصفي الشامي وغيرهم . أما الفريق الثاني فقد قر قراره القطعي بالوقوف على التل لأن ذلك أسلم قائلاً : ان في التحاقكم بالثورة مجازفة خطيرة وسيكلفكم مصاعب جمة . نحن سنبقى في الأسر واذا نجحتم أنتم في مخاطرتكم هذه فنحن نلتحق كضباط في الجيش العراقي . واذا فشلت الثورة فنحن ضباط في الجيش العثماني والانكليز يتحتم عليهم أن يرسلونا الى أهلينا بعد الهدنة . نعم كان قولهم هذا صحيحاً ومنطقياً وبالفعل بعد نجاح الثورة انتسبوا الى الجيش وأما الفريق الثاني الذي جازف وخاطر بمستقبله وبحياته وحياة عائلته ومنهم من استشهد ومنهم من بقوا أحياء والتحقوا للجيش العراقي فقد عومل سواسية كما عومل الذي تخلف في الأسر ومن ثم انضم الى الجيش . ان كل من كان من الفريق الأول الذي انضم الى الثورة يعلم حق العلم أن عمله هذا كان مجازفة كبيرة ومخاطرة عظيمة اذ أولاً — انه سيترك حياة آمنة مطمئنة حتى نهاية

الحرب لأن انكلترا ملزمة أن توصله الى أهله بعد الهدنة . ثانياً — سيقطع اتصاله بأهله اذ كانت المراسلة منتظمة بينهما . ثالثاً — عند سماع الأتراك أنه انضم الى الثورة سيعاملون أهله بأشد أنواع العقوبات فقد كانت بغداد لا تزال بيد الأتراك . رابعاً — سيعيش في جو كجو الحجاز تحت الحيم ومعاناة أهوال الحرب . خامساً — وهو الأكثر خطورة — عندما يقع بيد الأتراك سيعدم حالاً بشناعة وبعد التشهير .

وهنا يتضح أن الأمن والطمأنينة والسلام تتوافر وراء عدم الانضمام للثورة . وان الحرمان والتضحية بالنفس والنفيس له ولأهله وذويه في حالة الانضمام . ولكن قل لي بربك أيها القارىء متى تنال المطالب بالتمني ؟ وقد قيل من قبل (ومن يطلب الحسناء لا يغله الأمر) وهكذا قرر الفريق الأول قراره أن ينضم الى الثورة خاصة وأن اخوانهم الضباط ذوي المبادىء القومية الذين ذكرت أسماءهم بعاليه ينتظرون في سمربور لينضموا الينا فيما اذا نحن التحقنا بالثورة . أما وفي حالة عدم انضمامنا فسيبقون هم أيضاً في الأسر ومن هنا يتضح أننا الآن في الطليعة[1] بل في النفيضة[2] ، وفي انضمامنا مبكراً نجاح للثورة وبالعكس فشلها والعياذ بالله — وهكذا انهى الحوار والكل سينتظر ما ستلده الليالي من حبالى وظلت تمخر بنا الباخرة عباب البحر حتى وصلنا السويس في اواسط تموز سنة ١٩١٦ وبينما نحن على ظهر الباخرة جائنا ميجر انكليزي ومعه نوري أركان أي نوري السعيد وكلفونا بالانضمام الى الثورة وهنا قال لنا نوري : « أن شريف مكة الحسين ابن علي قام بالثورة ، وأن مناقشة صحة عمله أو عدمه أمر مفروغ منه ولكن لنناقش هل ان الانضمام اليها أو عدمه هو الصحيح ؟ وفي حالة عدم انضمامنا

(١ و ٢) عندما يتقدم الجيش نحو العدو يسير بثلاثة أقسام وهي : ١ — المقدمة ٢ — القسم الأكبر . ٣ — المؤخرة . والمقدمة تقسم الى قسمين : ١ — الطليعة ٢ — النفيضة هذا وان أول من يصطدم مع العدو هو النفيضة وهنا يتضح أن الضباط الذين سيلتحقون بالثورة هم أول من سينضم وكذلك أول من سيصطدم بالعدو .

نحن ذوي المبادىء القومية من سوريين وعراقيين وغيرهم فان الانكليز سيأتون بضباط من مستعمراتهم كمصريين وهنود والافرنسيين يأتون بضباط من مستعمراتهم كتونسيين أو جزائريين أو مغاربة وحينذاك يكون جيش الثورة تحت قيادة ضباط من المستعمرين بدلاً من أن يكون في حالة انضمامنا تحت قيادتنا نحن ذوي المبادىء القومية وفي امكاننا آنذاك أن نوجه الثورة كما نرغب ونشتهي » . ولما رأينا أن هذا الكلام صحيح ومنطقي قبلنا به مبدئياً نحن الفريق الأول واحتفظنا بقرارنا النهائي حتى نذهب الى القاهرة ونجتمع بعزيز علي المصري واخوانه في الجهاد أمثال رشيد رضا ورفيق العظم وطاهر الجزائري . وهكذا ذهبنا الى القاهرة واستمزجنا رأيهم فوافقوا على انضمامنا الى الثورةورأى عزيز علي الذي كان رئيساً لجمعية العهد ومن أقطاب حزب اللامركزية والقائل بالتعايش مع الأتراك على أساس الحكم الذاتي ان الانضمام الى الثورة ضروري متمثلاً بقول الشاعر : —

اذا لم تكن غير الأسنة مركباً فما حيلة المضطر الا ركوبها

أما اخواننا الضباط الذين بقوا مصرين على رأيهم فقد أخذهم الانكليز الى معتقل قرب القاهرة مع ١٠ — ١٥ جندي من الـ ١٥٠ جندي .

« هل كانت الثورة في صالح العرب ؟ »

رب قائل يقول أن الثورة لم تكن صحيحة وأنها لم تأتِ بنتائج ايجابية للعرب بل بالعكس فانها فرقت كلمة المسلمين وكانت طعنة للأتراك من الخلف ولكن اذا رجعنا الى حوادث تلك الأيام وما سبقها وحللنا الحوادث والمسببات كما كانت آنذاك لظهر لنا جلياً أن الثورة كانت حتمية وصحيحة واليكَ البرهان : —

على أثر الحركة التي قام بها الفريق محمود شوكت باشا واحتـــلاله دار الخلافة اضطر السلطان عبد الحميد الثاني ان يجاري الاتحاديين ويماشيهم فأعلن

الدستور العثماني عام ١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٨ م ليصبح الناس في الامبراطورية العثمانية سواسية أمام القانون لا فضل لأحد على آخر إلا بما يقدمه للسلطنة من جليل الخدمات وصادق الولاء . ولكن لم يكد الاتحاديون يرسخون أقدامهم في الحكم حتى خلعوا السلطان عبد الحميد ونفوه الى سلانيك وأخذوا يتبعون السياسة الطورانية ، التي أدت الى تفكك أواصر الشعوب والقوميات التي التي كانت الامبراطورية تحتضنها احتضان الأم لولدها البار . أجل اختط الزعماء الاتحاديون الجدد سياسة طورانية بحتة وولوا وجوههم شطر أتراك القوقاس وتناسوا القوميات الموجودة في الامبراطورية العثمانية من عرب وكرد وألبان وأرمن وأروام وغيرهم وشرعوا في تتريك هذه العناصر بطرق مختلفة متناسين الدوافع الدينية والملية التي كانت تحملهم على قبول الرعوية العثمانية وكانت سياسة التتريك هذه والمعاملة الشاذة غير العادلة التي صاروا يعاملون بها من كان غير تركي حملت هذه القوميات المختلفة على التفكير في مصائرها . وكان العرب أول من فكروا في مستقبلهم وقرروا بذل الغالي والرخيص لحفظ كيانهم فشكلوا الجمعيات وفتحوا النوادي لتوعية الأفكار والعمل على ما فيه الخلاص . وهكذا بدأت القومية العربية تبصر النور وأخذت تنمو وتترعرع في العاصمة العثمانية خاصة والبلاد العربية عامة وظهرت فكرتان رأس إحداهما عزيز علي المصري ورفيق العظم وعبدالحميد الزهراوي ورشيد رضا وغيرهم وهي تريد : بقاء العرب مع الأتراك متحدين في حكم لامركزي كاتحاد النمسا والمجر آنذاك . وتقول الفكرة الثانية بوجوب انفصال العرب عن الأتراك بأية طريقة كانت وهي فكرة الشبان المتحمسين . وفي سنة ١٩١١ م بدأ العرب يعملون في دمشق وبيروت وبغداد والبصرة والموصل وحلب والنجف الأشرف والقاهرة وفي الأستانة نفسها للدعاية لاحدى تلك الفكرتين ، وانا عندما وصلت عاصمة الخلافة الاسلامية في سنة ١٩١١ للالتحاق بالكلية العسكرية الملكية ؛ وجدت دار الخلافة تعج برواد القومية العربية كخلية النحل . اذ كان فيها العراقي والشامي والحجازي واليمني والمصري

والليبي والجزائري وغيرهم من أبناء العروبة عسكريين ومدنيين وكان في طليعة العسكريين الهاشميان ياسين وطه، وجعفر ونوري – وهم من العراقيين– كما كان بينهم سليم الجزائري ومصطفى وصفي الشامي وكان المنتدى الأدبي يضم السادة عبد الكريم الخليل وأحمد عزت الأعظمي وثابت عبد النور وعاصم الجلبي وغيرهم كثيرون وكنا نحن الطلاب العرب نراقب حركات رواد القومية العربية عن كثب فنفخر بهذا الاحساس ونشارك العاملين نشاطهم ولا غرو في ذلك فقد كنا من أشد المتحمسين للقومية العربية . وكنا رهط يؤمن بكيان أمته . ومن أسماء الطلاب العرب الذين تحضرني أسماؤهم – صاحب هذه المذكرات وأولاد عمه جميل وفائق وصبيح نجيب ونوري فتاح وعبد المجيد الأنكرلي واسماعيل نامق وحامد الوادي وشاكر الوادي وقاسم العلوي وعبد الغفور البدري وصادق الحوجة وشفيق البزركان وعبد القادر جمعة – شقيق حسام الدين جمعة – والدكاترة اسماعيل الصفار وعبد الله الدملوجي وجلال العزاوي وفائق شاكر وحسين حسني وداود الدبوني وعلي رضا الغزالي وضباط آخرين مثل سعيد التكريتي ويوسف نجم العزاوي وغيرهم . أجل تأسست الجمعيات والنوادي لتضم شبان العرب المؤمنين بقوميتهم وهاك اسماءها :

الجمعيات العربية [1]

« لم يكن للجمعيات العربية – اذا استثنينا جمعية النهضة اللبنانية – من أثر في المملكة العثمانية قبل انقلاب سنة ١٩٠٨ وهي لم تؤسس الا بعد ذلك الانقلاب العتيد الذي هدّ صياصي حكومة عبد الحميد وقوض أركانها .

كان معظم العرب القاطنون في الاستانة آمنين مطمئنين يأتيهم رزقهم رغداً في عهد عبد الحميد . وعندما دار الفلك دورته ، وقبضت الجمعية الاتحادية على زمام الحكم وأخذت تبسط نفوذها في أنحاء المملكة وتستغل السلطة لعنصرها ليتفرد بالسيادة ويسيطر على بقية العناصر التي تؤلف الشعب العثماني ، رأى المفكرون من أبناء العرب أن الخطر أضحى يهدد تلك السعادة الباسطة عليهم جناحها فوقفوا أمام الجمعية وقفة المهدد الذائد عن حماه لكي لا تجرأ على أن تمسهم بأذى وشرع الذين يعرفون اتجاه الريح باتخاذ الوسائل التي تجعلهم في نجوى من المكاره والضعة . فقر رأيهم على أن يؤسسوا جمعية يعتصمون بها من سوء ما تبيته لهم الجمعية الاتحادية فأسسوا جمعية الاخاء العربي العثماني .

(١) الجزء الثاني من كتاب القضية العربية للمرحوم الأستاذ أحمد عزت الأعظمي ص ٩٧ – ١٠٢.

«كانت دار شكري الحسيني دار ندوة يجتمع بها فضلاء العرب وكرامهم وهي واقعة في جزيرة الأمراء – بيوك أطه – تطل على بحر مرمرة الذي تلاعب أمواجه ضفاف الجزيرة من جوانبها الأربع . اجتمع يوماً في تلك الدار شفيق المؤيد ونـدرة مطران وأشخاص آخرون وأخذوا يتجاذبون أطراف الحديث الممتع فأفضى بهم الحديث – والحديث ذو شجون – الى الانقلاب العثماني وجمعية الاتحاد والأخطار التي أصبحت على قاب قوسين من الأمة العربية من جراء ما تعمله الجمعية الاتحادية من أعمال النزق والطيش ، وبعد مذاكرة طويلة اتفق رأيهم على تأسيس جمعية يدرأون بها ما يتراآى لهم من الاخطار ، وشرعوا فوراً بطبـع أوراق الدعوة وتوزيعهـا على أبناء العرب الموجودين في الأستانة ثم أعلنوا في الصحف أن يوم الاجتماع سيكون نهار الاربعاء ٦ شعبان من سنة ١٣٢٦ هالموافق ٥ آب من سنة ١٩٠٨ م في مسرح « واريته » الواقع في حي « بك أوغلو » وقد هرع أبناء العرب في ذلك اليوم من موظفين وتجار وطلبة مدارس وغيرهم الى مسرح واريته فاكتظ بهم المسرح على وسعه ، وفي هذا الاجتماع ألقى كل من شفيق المؤيد وندرة مطران خطاباً بحثا فيه عن الحاجة الماسة لتأسيس جمعية باسم « الاخاء العربي العثماني » لأجل المحافظة على حقوق العرب والنهوض بهم بنسبة معارفهم ، وصرحا باسميهما وباسم الرجال الآخرين طالبين من الجمهور انتخابهم بصفة أعضاء فصادف هذا الطلب حسن القبول ومع ذلك لم يخل ذلك الاجتماع من نزاع تعاكست به الأصوات وتداخل به الحرص والغرض وقد انبعث النزاع من قول عبد الوهاب الانكليزي بأن الصواب انتخابه عضواً لأنه أحق من الذين ذكرت أسماؤهم ، وأحب ناجي السويدي أن يكون عضواً في الجمعية فصعد على المسرح الذي كان واقفاً فيه المؤسسون فاعترض حمدي الباجه‌جي – وكان حينذاك قد أنهى دروسه في المدرسة الملكية ونال شهادتها قبل شهرين – قائلاً : – لا يجوز أن ينتخب ناجي

السويدي عضواً في الجمعية لأنه تعين رئيساً لمحكمة التجارة في البصرة ، وهو على وشك السفر . وبعد أن هدأت عاصفة الضوضاء وساد السكون ، شرع في انتخاب الأعضاء فنال الذوات الآتية أسماءهم على ترتيب حروف الهجاء — أكثرية الأصوات :

أحمد بك ظافر ، الياس أفندي رسام ، الشريف جعفر باشا ، زكي بك مغامز ، شاكر أفندي الألوسي ، شبيب باشا الأسعد ، شفيق بك المؤيد ، شكري بك الحسيني ، صادق باشا المؤيد ، عارف بك المارديني ، عبد الله أفندي الحيدري ، عمر أفندي أشرف ، محمد أفندي عبود ، محمد باشا المخزومي ، محيى الدين باشا الجزائري ، مسعود أفندي الكواكبي ، منشي أفندي ، ندرة بك مطران ، الدكتور يوسف رامي بك ، يوسف شتوان .

وبعد أن تم الانتخاب وقف عزيز سليم أفندي صعب البيروتي وأنشد هذه القصيدة بين الحماس الشديد والهتاف المتواصل بحياة الأمة العربية .

دع سعاداً وحب دعد ومية — وانظم الشعر في هوى الحرية
بنت أمس أتت تجر ذيــولا — ضافيات من الصفا عسجدية
كل عين قرّت بها فهي روح — لوجود الورى وجسم الرعية
ذات قدٍّ اذا تخطر بانــا — واذا اهتز دونه السمهرية
ولحاظ يفعلن في كل قلب — وطني ما تفعل المشرفية
نعم حــرية نمتع فيهــا — اليوم رغماً عن أنف كل خفية
نعم حرية بها الترك والأ — عراب والروم واليهود سوية
يا بني الترك إن رعيتم اخانا — نحن أولى الورى وأوفى البرية
يا بني الترك ان أمضى سيوف — في الأعادي الصوارم الهاشمية
نحن منكم وأنتم اليوم منــا — باجتماع ككتلة دريــة
إن تشظّت شانت وكل غلاها — بائتلاف الجواهر الفردية
يا بني العرب جدّدوا ما حفظتم — من عهود للرايــة التركية
وانبذوا الفرق في اللسان وكونوا — واحداً في العبــادة الوطنية

فلنقف كلنا بكل وقار ونحيي العساكر المليّــة
ونحيي عبد الحميد بقول فليعش للحكومة الشورية

ولما اتسع نطاق جمعية الاخاء العربي العثماني في الاستانة نالت معاضدة كبيرة في الخارج فتأسست لها شعب كثيرة وأخذت الاعلانات تتوارد اليها من أنحاء شتى. وقد اتخذت مقر أعمالها في شارع « جغال أوغلي » ولما حضر النواب العرب من الولايات العربية أقامت لهم الجمعية إحتفالاً مهيباً على رصيف غلطة وسارت بهم رأساً الى مقر الجمعية وهناك أُلقيت القصائد الحماسية والخطب الرنانة وقد انتسب منهم قسم كبير الى الجمعية،وآلوا على أنفسهم معاضدتها والأخذ بيدها الى ما فيه خير العرب ...

« المنتدى الأدبي »[١]

« المنتدى الأدبي– هو الجمعية الوحيدة التي أحيت الروح القومي،وبثت المبادىء السامية بين طبقات الشبيبة العربية في الأستانة وخارجها وكانت خطته الوحيدة نشر الدعوة للقضية القومية،وكان معظم الشباب العربي الذين في مدارس الاستانة من حربية وطبية وملكية وبيطرة وهندسة وحقوق وزراعة ومدرسة القضاة والمدارس الثانوية أعضاء في المنتدى الأدبي،وهناك تحت ذلك السقف المحبوب،وبين تلك الجدران العزيزة كنت ترى السوري والعراقي واليمني والحجازي والطرابلسي والبرقاوي والفلسطيني يترنمون بذكر أمجاد العرب،ويتحدثون بتلك الأحاديث الطيبة . أحاديث الوطنية الصادقة التي كانت تخفق بذكراها أفئدتهم المفعمة بالاخلاص وقد كانوا يلتهبون حماساً عندما كانت تتلى على مسامعهم تلك القصائد الخالدة التي تثير كوامن النفوس فمن تلك الغرر التي كانت تكهربهم قصيدة الاستاذ معروف الرصافي التي يقول فيها :

---

(١) الجزء الثالث من كتاب القضية العربية لأحمد عزت الأعظمي ص ٣وما بعدها الى ص ٥٣ .

ومن يكن قال شعراً عن مفاخرة ... فلست والله في شعرٍ بمفتخر
وانما هي أنفاس مصعّدة ... ترمي بها حسراتي طائر الشرر
وهنّ إن شئت مني أدمع غزر ... أبكي بهن على أيامنا الغـــرر
أبكي على أمة دار الزمان لهـــا ... قبلاً ودار عليها بعد بالغير
كم خلد الدهر من أيامهم خبرا ... زان الطروس وليس الخبر كالخبر
ولست أذكر الماضين مفتخراً ... لكن أقيم بهم ذكرى لمذّكر
وكيف يفتخر الباقون في عمهٍ ... بدارس من هدى الماضين مندثر
لهفي على العرب أمست من جمودهم ... حتى الجمادات تشكو وهي في ضجر
أين الجحاجح ممن ينتمون الى ... ذؤابة الشرف الوضاح من مضر
قوم هم الشمس كانوا والورى قمر ... ولا كرامة لولا الشمس للقمر
راحوا وقد أعقبوا من بعدهم عقباً ... ناموا عن الأمر تفويضاً الى القدر
أقول والبرق يسري في مراقدهم ... يا ساهر البرق أيقظ راقد السمر
يا أيها العرب هبوا من رقادكم ... فقد بدا الصبح وانجابت دجى الخطر
كيف النجاح وأنتم لا اتفاق لكم ... والعود ليس له صوت بلا وتر
مالي أراكم أقل الناس مقـــدرة ... يا أكثر الناس عداً غير منحصر

ومن تلك الروائع التي تستفز الشعور قصيدة الأستاذ الياس أفندي طعمة التي يقول فيها : —

صليل الظبى وصرير القلم ... لفك القيود وشق الظلم
بدونهما لا فلاح لنـــا ... فهذا وذاك حياة الأمم
سأبكي على مجد أجدادنا ... فعند البكاء يخف الألم
وأبقى أذكر أبناءهم ... فقد هيج الشوق ذكر الأمم
سلام على العرب الخالديـــن ... سلام العلى وسلام الكرم
واني لأقـــرأ تاريخهم ... وقد كتبوه بحبر ودم
فبين السطور ضياء الهدى ... وبين الجفون دموع الندم
بني أمٍ هل من نهوض لنا ... وهل من هيام بتلك الشيم

وهل من رجوع الى عزنا فبين عظام العظام عظم
لقد فقد العرب أخلاقهم فسادت عليهم جموع العجم
فمنهم عداة ومنهم قضاة فبئس الخصوم وبئس الحكم

* * *

فقل يـــا أخي العربي اذا مشيت معي قدماً بقدم
أحب الجمال أحب الشباب أحب الضيـــاء أحب النغم
أحب الجياد أحب السيوف أحب النفير أحب العلم
أحب بلادي وأصبو الى هدير المياه وثلج القمم
سأبرز مع اخوتي للجهاد فنأخذ بالثأر ممن ظلم
اذا انكسر السيف في راحتي لقد بقيت في الضلوع الهمم

« كيفية تأسيس المنتدى الأدبي »

كان عبد الكريم أفندي قاسم الخليل من أخلص شباب العرب للقضية القومية، وكان ذا مبدأ قويم رضع أفاويقه منذ الصغر فشب على حب العروبة وتمسك بأهدابها فتراه وهو لا ينفك عن السعي دائماً على تحقيق أماني الأمة العربية حيث لم تكن أمانيها الا الاستقلال الذي تعتز به الأمم التي أدركتها العناية الإلهية . وهو ليس من أولئك الناس الذين يقنعون أنفسهم بخدمة الغير طوال حياتهم ويطرحون خدمة أمتهم جانباً ، ولا نغالي الآن اذا قلنا ــ ونحن نسجل قضايا تاريخ النهضة العربية ــ ان ما نراه اليوم من هذه النهضة يعود القسم الأوفر الى سعي ذلك الشاب النبيل الذي لفظ نفسه الأخير على أعواد المشانق وهو يقول : « لا بد من ضحايا للاستقلال ، واني أفتخر باراقة دمي في سبيل وطني المفدى ، ألا فليسقط الغاصب وليحيا الوطن » . نعم فان لعبد الكريم قاسم الخليل فضل كبير على الأمة العربية لأنه كان من أخلص خدامها الأمناء الأبرار .

عندما تأسست جمعية الاخاء العربي العثماني ، شرع عبد الكريم في بث فكرة التآخي بين الشباب العربي ودعوتهم بين آونة وأخرى الى بناية الجمعية وهنالك يعرّف بعضهم ببعض ، ويشرح لهم فرائد الاتحاد والوفاق مع ذكر نبذ من تاريخ أجدادهم العرب وما عملوه من الأعمال الخالدة على صفحات الدهر . ولما أخفقت جمعية الاخاء العربي العثماني وانطوى خبرها ، وجه عبد الكريم عزيمته لتأسيس (نادي علمي) يضم شباب العرب ويؤلفون بين مناحيهم وأفكارهم ، وقد استفاد عبرة وحنكة من مصير جمعية الاخاء لأنه علم أن الجمعية التي تؤسس على وضع ناقص لا تلبث أن تظهر عليها عوامل الضعف والانحلال ثم تصبح بعد حين من تراث التاريخ ولا تبقى غير الحسرة في أيدي القائمين بها والندامة . كما أنه علم أن العمل الذي تباشره أيد غير مخلوقة له مقضي عليه بالفشل إن عاجلاً أو آجلاً .

فكر عبد الكريم بالأمر من جميع نواحيه ثم وضع للنادي منهاجاً مفصلاً وعرضه على الاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا لاصلاح لغته ، فارتأى الشيخ الأستاذ أن يعرضه على خليل حمادة باشا وزير الأوقاف لاشتغاله في مثل هذه المؤسسات وسعة اطلاعه وخبرته الكامنة . فذهب عبد الكريم اليه وعرض عليه المنهاج ، فلم يكن من خليل حمادة باشا إلا أن رحب بهذا العمل الجليل فشجع عبد الكريم على المضي في هذا المشروع حيث قوى فيه روح الأمل ثم درس المنهاج فعدل بعض بنوده وصحح منه ما صححه ووضع له اسم « المنتدى الأدبي » ووعد بأن يخصص له سنوياً ٥٠٠ ليرة عثمانية من الأوقاف بناء على أن يكون المنتدى كمعهد علمي للشباب العربي فتلقى محاضرات علمية في الليل ، وتؤسس فيه مكتبة قيمة مع اتخاذ البعض من غرفه مأوى لأبناء العرب الذين لم تساعدهم حالتهم المالية على السكنى في الفنادق والخانات . ولما علم شكري بك الحسيني لما يسعى اليه عبد الكريم ، دعاه وأخبره بأن عنده ستين ليرة عثمانية كانت باقية في صندوق جمعية الاخاء فأعطاها اليه كمساعدة على القيام بالمشروع ثم سلمه كل ما كان للجمعية من أثاث فرأى عبد الكريم

أن المشروع يتطلب الزيادة وأن هذه الدراهم ليست بكافية للقيام بالعمل فسعى مع رفاقه في تمثيل رواية صلاح الدين الأيوبي في مسرح دار الفرح الواقع في حي الشاهزادة. فاجتمع من الدراهم مبلغ لا يستهان به فأضافوه الى الدراهم التي عندهم. ولما رأى عبد الكريم أنه قد توفر له من الأسباب ما يكفل له النجاح، استأجر داراً كبيرة في قسم «بارماق قبو» في شارع «ديوان يولى» وافتتح المنتدى الأدبي بحفلة مهيبة حضرها وجهاء العرب وكبارهم على اختلاف طبقاتهم فألقيت الخطب المستفيضة بالشعور النبيل والقصائد الملتهبة حماسة ووطنية. وكان المؤسسون: عبد الكريم أفندي قاسم الخليل من جبل عامل، يوسف سليمان أفندي حيدر من بعلبك. سيف الدين أفندي الخطيب من دمشق الشام. أحمد جميل بك الحسيني من القدس، وقد كان تأسيسه في سنة ١٩٠٩.

«الأخطار التي أحاقت بالمنتدى الأدبي وقت تأسيسه»

لقد أحاقت بالمنتدى الأدبي في ابان تأسيسه أخطار ثلاثة كان كل واحد منها يكفي للقضاء عليه وهو بعد في مبدأ تكوينه. أما الخطر الأول: فكان في اجتماع الأعضاء المنتسبين اليه لانتخاب هيئة الادارة لأول مرة فقام فريق من الشبان وقوامهم: الأمير عبد القادر[1] الجزائري والدكتور عزت بك

---

(١) عبد القادر الجزائري – هو حفيد الأمير عبد القادر الجزائري – وكان والده الأمير علي باشا نائباً عن دمشق في مجلس النواب العثماني وقد أنهى الأمير المشار اليه تحصيله في المدرسة الملكية في الأستانه ونال شهادتها. وعندما وقعت الحرب الطرابلسية اشترك بها مع والده وأبلى فيها بلاء حسناً. وفي أوائل الحرب العالمية لما أمعن جمال باشا في العائلات العربية نفياً وتشريداً كانت العائلات الجزائرية إحدى العوائل التي نفيت من دمشق وأجبرت على الإقامة في مدينة بروسة. ثم فر الأمير من منفاه ووصل إلى الحجاز. وعندما دخل الجيش العربي عاصمة الأمويين وخفق العلم العربي فوق ربوعها، عاد إلى دمشق ثم قتل في طريق جادة المهاجرين وهو على ظهر جواده وبصحبته عدد من أتباعه المغاربة وقد كثرت الروايات حول مقتله.

الجندي[1] أحمد بك قدري[2] يناوؤون عبد الكريم قاسم الخليل، طالبين تغيير المنهاج وحذف أسماء المؤسسين ... لينفردوا وحدهم بالعمل وقد اشتد الخصام بين مؤيدي عبد الكريم وبين مناوئيه وكاد أن يستعر لهيب الفتنة ويتطاير شرره فيؤدي إلى خذلان المشروع وضياع الجهود لولا أن تراكض بعض الشباب الى دار السيد عبد الحميد أفندي الزهراوي فأوقفه على جلية الأمر فحضر الزهراوي مسرعاً وترأس الجلسة وأدارها بما فطر عليه من الروية والحكمة، فأطفأ نيران الخصام والنزاع بايعازه بانتخاب رجل محايد للرئاسة يرضى به الفريقان المتخاصمان فانتخب مصطفى[3] عادل أفندي رئيساً للهيئة الادارية الأولى، فكان انتخابه أحسن طريقة لايقاف الشغب الذي كاد يستفحل أمره. والخطر الثاني: هو عندما كلف يوسف شتوان بك نائب طرابلس الغرب تخصيص ٥٠ ليرة عثمانية في الشهر للمنتدى الأدبي اعانة من ميزانية المعارف لأنه يحتوي على اعطاء دروس ليلية فأوفدت وزارة المعارف أحد مفتشيها ليرى فيما اذا كان البناء والغرف المخصصة للدروس صالحة لذلك أم لا فرفض الذين يعز عليهم بقاء المنتدى الأدبي هذه الاعانة لكي لا يدخل في المستقبل تحت تفتيش المعارف وبالنتيجة تحت مداخلة الحكومة. ثم الخطر الثالث: وهو عندما كلف آل الصلح ـ بتأثير مختار بك الصلح مرافق ولي العهد يوسف عز الدين أفندي ـ أن يكون المنتدى الأدبي تحت رئاسة ولي

---

(١) الدكتور عزت بك الجندي – من بيت كبير له وجاهته ونفوذه في مدينة حمص بسورية وكان في الصف الرابع من المدرسة الطبية وعلى وشك أن ينهي دراسته وينال الشهادة فوشى به أحد الجواسيس فهرب إلى أوربا وبعد أن حدث الانقلاب في سنة ١٩٠٨ وأعلن الحكم الدستوري في الامبراطورية العثمانية رجع الجندي إلى الأستانة ودخل مدرسته فأكمل تحصيله ونال الشهادة. ثم انغمر في ميدان العمل السياسي وأخذ يخطب ويكتب دفاعاً عن حقوق العرب المهضومة. وفي أوائل الحرب العالمية الأولى أمر جمال باشا بألقاء القبض عليه ونفيه إلى الأناضول فأراد الجندي وهو في طريقه إلى منفاه أن يهرب فقتله المحافظون الذين برفقته وقيل أن المحافظين قتلوه بناء على الأمر المعطى اليهم سراً.

(٢) الدكتور أحمد قدري – هو شقيق تحسين قدري.

(٣) مصطفى عادل هو مدير الوقف في طرابلس الشام.

العهد الفخرية . فقاوم الذين يأنفون الذل والعبودية هذه الفكرة لأن هذا ينافي الغاية التي نشأ المنتدى من أجلها،وهي تربية النشيء العربي على الحياة الاستقلالية،وجعل المنتدى الأدبي تحت رئاسة ولي العهد يصيره ميداناً للسباق في العبودية الى من يشغل أريكة السلطنة . وقد حسم الأمر بارضاء المكلفين بهذا التكليف في تمثيل رواية « امرىء القيس » تحت رعاية رئاسة ولي العهد فمثل المنتدى الأدبي في « بك أوغلي » تحت رئاسة المشار اليه وقد حضرها جمع غـير قليل من أعيـان المملكة وأركان الوزارة والنواب العرب ووجهائهم . وبعد أن تلاشت هذه الأخطار وأصبح المنتدى في نجوة منها نهض عبد الكريم للعمل المثمر المفيد ـ وكانت قد انتهت رئاسة مصطفى عادل أفندي وضعف شأن المناوئين ـ فجرى الانتخاب في جو هادىء فانتخب عبد الكريم رئيساً للمنتدى، وبقي محافظاً على الرئاسة الى أن أُغلقت الحكومة المنتدى الأدبي في أول سنة من سني الحرب العالمية الأولى .

« المنتدى الأدبي في ميدان العمل »

لم تمض سوى أشهر معدودات على تأسيس المنتدى الأدبي الا وقد أحدث ذكره رجة عظيمة في البلاد العربية، وكان لا يفتأ عن اقامة الحفلات في بهوه الكبير من آونة لأخرى . فتؤمه رجالات العرب على اختلاف طبقاتهم ومراكزهم،وتلقى حينئذ الخطب الحماسية الموقظة للهمم والقصائد الوطنية المثيرة لكوامن النفوس . وكان أكثر تلك الحفلات الفخمة تقام يوم مولد سيد العرب الأكبر ومنقذهم الأعظم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) وكان الخطيب يستعرض في ذلك اليوم ماضي العرب الزاهر،وما كان في ذلك الماضي من المجد الوضاء ، ويحث العرب فيه على التمسك بتعاليم سيدهم القوية ليتمكنوا من ارجاع ما كان لاجدادهم من السطوة الباهرة التي غطت عليها ستائر الأجيال المتقادمة باهمال وصاياه وتعاليمه . وكان المنتدى الأدبي

دائباً في ما أخذه على نفسه من توخي الأسباب الموجبة لتسهيل أمر التعليم الصحيح والتربية القومية للناشئة العربية . وقد فكر في السنة الثانية من تأسيسه – بمناسبة شخوص النواب العرب إلى بلادهم – أن يقترح عليهم اقتراحاً يتعلق باصلاح المدارس الابتدائية في البلاد العربية حرصاً على ترقية عقول الناشئة فأقام في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الأحد من حزيران من السنة ١٩١١ حفلة شائقة دعى اليها النواب العرب وعلية القوم .

وبعد أن اكتمل الجمع وفرغ من تناول الحلوى، نهض رئيس المنتدى المحامي عبد الكريم قاسم الخليل وخطب خطبة ذكر فيها حالة التربية الأدبية في البلاد العربية وبين نقائصها وأشار إلى وجوب سد النقص وتدارك الخلل وعرض على الحاضرين لائحة كان أعدها لهذه الغاية في اصلاح المدارس الابتدائية وتعميم التعليم الابتدائي،وطلب اليهم النظر فيها والاهتمام بتنفيذها في بلادهم اذا صادفت منهم قبولاً . ثم تعاقب الخطباء على منبر الخطابة فخطب السيد عبد الحميد أفندي الزهراوي نائب حمص ، والشيخ أسعد أفندي شقير نائب عكا ، وعمر منصور باشا نائب بنغازي ، وفرهاد بك نائب طرابلس الغرب ، وشكري بك العسلي نائب دمشق ، وعبد القادر أفندي الكيلاني نائب حماه ، والمقدم الركن سليم بك الجزائري،وكلهم أثنى على الاقتراح وقال بتصويبه وتعهدوا بالقيام على تنفيذة فشكرهم المنتدى وشكروه ثم قام الاستاذ معروف أفندي الرصافي وأنشد قصيدة رائعة كانت مسك الختام وهذا نص خطبة عبد الكريم قاسم الخليل :

أحيي بمزيد الاحترام حضرات الزائرين الكرام من نواب الأمة وأعيانها وفضلائها ، وأشكرهم جزيل الشكر على ما تفضلوا به من اجابة الدعوة التي شرفوا بها هذا النادي وأعلوا شأنه ، ولا غرو فما هو الا ثمرة من ثمرات سعيهم وأثر من آثار عنايتهم . ثم لما كان الموضوع الذي سنلقيه على مسامعكم الشريفة يتعلق بأمس حوائج هذه الأمة ؛ رأينا من الواجب أن نجهر بالثناء على جميع القائمين بالاصلاح في هذه الأمة ، والمحبين له ، والمروجين لدعوته

والصارخين باسمه، ونخص بالذكر منهم الصارخ[1] المكتوم . ومن جرى مجراه ممن تفتخر الأمة العربية بأمثاله . وبعد فنحن معشر الأمة العربية جزء من مملكة عظيمة مختلفة النزعات ومتعددة الغايات من عناصر كثيرة كلها يسعى سعياً حثيثاً إلى الفوز بالنصيب الأوفر من ثمرات هذه المملكة أو على الأقل الى الفوز بما يقتضيه وجوده من الخطر بحيث يكون مساوياً لسائر العناصر في التمتع بحقوقه . والأمة العربية من أكثر هذه العناصر عدداً، وأوفرها قسطاً من الذكاء الفطري والثروة الطبيعية ، لكنها الى الآن لم تتعارف تعارفاً يليق بأمة حية حساسة . فترى العراقي لا يعرف من شأن السوري الا قليلاً ، والحجازي لا يحس بألم اليمني ، والمغربي لا يهتم بأمر المشرقي ، وهكذا أهل القطر الواحد منهم قلما أحس بعضهم بألم الآخرين، أو شعر بحاجته فضلاً عن نهوضه الى سواها . وحاجات الحياة الاجتماعية كثيرة الأنواع يتوقف أكثرها على اجتماع الأيدي واتجاه القلوب والعواطف الى غاية واحدة حتى يتسنى لهذه الهمم المتحدة غاية ووجهة أن تنال بعض ما تريد . وإذا لم يتيسر للأمة العربية أن تجري بمجموعها الى غاية معينة وهي أن تكون ذات مقام معلوم ومنزلة لائقة بها بهذه المملكة فلا شك أنها تبقى متأخرة عن أدنى العناصر أهمية، وهذا ما لا يرضاه لها نوابها الكرام ولا المفكرون من رجالها بل لا بد أن يكونوا فكروا طويلاً وسيفكرون أيضاً في انقاذها من هذه الورطة، والنهوض بها الى المقام اللائق بها . وأرى أنهم سيسرون اذا علموا أن ادارة المنتدى الأدبي انما دعتهم لتشريفه لعرض هذا الموضوع على أنظارهم . نعم هي ترى أن عرض هذا الموضوع من أعظم واجباتها

---

(١) يعني بالصارخ المكتوم – عبد الله أفندي بيهم عميد الطائفة الإسلامية في بيروت وقد كان يساعد المشاريع العلمية مساعدات تذكر وتشكر وهو أول من سعى في كتابه الإعلانات المتضمنة الحث على طلب العلم وألصقها على جدران بيروت بعد إعلان الدستور وكانت هذه الإعلانات مائلة أمام أبصار الذين يسيرون في أزقة بيروت وهي مكتوبة بأحرف كبيرة . أطلبوا العلم من المهد إلى اللحد – العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . تعلم يا فتى فالجهل عار . الى غير ذلك من الحكم الخالدة .

وان البحث فيه بحث في مسألة حيوية لهذه الأمة تتوقف عليه حياتها ويحفظ بها وجودها المفدى ولذا ترجوهم أن يعيروه طرفاً من عنايتهم ويخصوه بنصيب من اهتمامهم اذا صادف منهم قبولاً وتصويباً .

سادتي : ان دواعي الاتحاد التي تجمع الأيدي على العمل الواحد متعددة : منها وحدة اللسان، ووحدة التاريخ، ووحدة المنفعة، ووحدة الوطن . وكل هذه الروابط موجودة في هذه الأمة ولكن هذه الروابط وحدها قلما تفيد في توجيه جميع الأمة الى غاية واحدة كما هو مشاهد ومعروف . وذلك أن كل فرد أو جماعة من هذه الأمة نراه مع وجود هذه الروابط الكثيرة يرجع في سعيه وعمله الى رأي خاص قام بنفسه بتأثيرات مختلفة . ومع جواز أن يكون رأيه مصيباً فيما يذهب اليه ، نرى أنه قلما يوافقه عليه جميع من يعتد به من اخوانه وبني جلدته . وما نرى ذلك الا من اختلاف مناهج التربية والتعليم في المدارس ، ومن اختلاف منازع المعلمين والوعاظ والمدرسين ذوي النفوذ الأدبي . فنشأ عن ذلك ان اختلفت التربية الأدبية اختلافاً كبيراً باعدت بين هذه الأفراد أبعاداً يتعسر بعده ارتباطهم على رأي واحد واتفاقهم على الجري الى غاية واحدة على كثرة ما بينهم من الروابط المار ذكرها . نشأ بعضهم على التدين ، وبعضهم على الالحاد ، وبعضهم على التفرنج والتفاني في ترجيح الحرية الواسعة ، وبعضهم على المحافظة والجمود على القديم ، وألف بعضهم عادات الافرنسيس، وبعضهم عادات الأميركان والانكليز، وبعضهم عادات الطليان، وآخرون عادات الروس، ومال بعضهم الى غير ذلك فأصبحوا أفذاذاً متخالفين وأفراداً متنابذين حتى أصبح مبتغى جمعهم على مبدأ واحد كمبتغى الجمع بين الماء والنار ... فما هي الوسيلة لتوحيدهم على مبدأ واحد يا ترى؟ وهل تكون نتيجة هذه الفوضى في التربية والانحلال والفناء؟ واذا كان الحصول على هذه الغاية متعسراً الآن أفليس من الواجب أن نسعى في تدارك الممكن من ذلك وان قل غناؤه وضعف تأثيره؟ بل ولا شك يجب السعي في تدارك الممكن اليسير والاعتماد على

الله في تيسير العسير .

سادتي : اذا بحثنا في أسباب هذا التشتت والافتراق نجدها كثيرة، ونجد أن معظمها يرجع الى سبب واحد هو الجهل ، وان علاج الجهل هو شيوع العلم الصحيح في البلاد بكثرة المدارس . ونحن معشر هذه الأمة ليس لدينا من ذلك ما يقوم بعشر معشار عشر الحاجة على أن الموجود منها بسوء خطته، وعقم تعليمه، ربما يأتي بعكس المطلوب . وغير خاف انني أريد بالمدارس « المدارس الأهلية » التي تحيا بمثلها عقول الناشئة بالشعور القومي المفيد لهذه الأمة، والتي يمكن باصلاحها أن تكون مفيدة فيما هو المطلوب من توحيد قوى الأمة وتوجيه ميولها الى جهة واحدة هي التي أشرنا اليها آنفاً . أما المدارس الرسمية فهي على قلتها جداً – بالنسبة الى الحاجة – قليلة الفائدة بالنسبة للغرض المطلوب اذ أنها تنحصر فائدتها في تربية للشعور.. بواجب الغاية بانماء قوى الاعتماد على النفس والتعويل عليها . أما المدارس الأجنبية فحاضرها معلوم ، وغايتها واضحة ، ولذلك لا نطيل بذكرها الآن .

فموضوع بحثنا الآن هو التماس وسيلة لاصلاح المدارس الأهلية الموجودة في البلاد . ولايجاد العدد الكافي منها . ولما كان لا بد لكل بناء من أساس كان ما يجب النظر فيه الآن هو المدارس الابتدائية . لأن اصلاحها أساس لكل اصلاح، وتعميم التحصيل الابتدائي هو أس النجاح لهذه الأمة . التعليم الابتدائي هو الذي ينشيء الأخلاق والتربية الأساسية في نفوس الناشئة، وبهذه الأخلاق الأساسية تتكيف الملكات والغرائز التي تحصل من التعليم الثانوي والعالي وهذه لائحة صغيرة فيما ارتأينا من مبادىء العمل نعرضها على أنظاركم الكريمة :

١ – أن يقسم كل نائب دائرة انتخابه الى أقسام حسب المواقع الطبيعية، ويؤلف في كل قسم منها لجنة من ذوي الغيرة والبصيرة يعهد اليها النظر في تعميم التعليم الابتدائي .

٢ — يؤلف في كل دائرة لجنة من ذوي الاختصاص يعهد اليها ترتيب برنامج لاصلاح المدارس الابتدائية وسير التعليم فيها، متخذة جهة التوحيد وما يتوقف عليه من الأسباب أساساً لهذا البرنامج .

٣ — ينتخب من كل لجنة مرخصون لمؤتمر يعقده النواب الكرام حيث يشاؤون في الزمن الذي يعينونه للبحث في جميع البرامج الموضوعة من قبل اللجان، واستخلاص برنامج منها يكون دستور العمل في سائر البلاد العربية .

٤ — يبحث هذا المؤتمر عما يلزم من الكتب التدريسية المطابقة لروح البرنامج وانتخاب الموجود منها في سائر الأقطار العربية، وتعيين ما هو أشد موافقة لتوحيد التعليم بحيث تكون الروح الحاصلة من دراستها واحدة ومؤدية الى احداث شعور واحد في نفوس الطلاب .

٥ — يعين المؤتمر العام لجنة من ذوي الاختصاص لوضع ما لا يوجد من الكتب المحتاج إليها . الى آخر اللائحة التي كانت حاوية الى عشرة فقرات ..

وهذه قصيدة الأستاذ معروف الرصافي التي كانت مسك ختام الحفلة :

« في سـبيل العلم والأدب »

أدب العلم وعلم الأدب ... شرف النفس ونفس الشرف
بهما يبلغ أعلى الرتب ... كل رام منهما في هدف

* * *

أيها السابح في بحر الفنون ... غائصاً في لجها الملتطم
أنت والله على رغم المنون ... ذو وجود قاتل للعدم
قرنك الحاضر من أرقى القرون ... خضع السيف به للقلم

* * *

فاذا شئت بلوغ الأرب ... فاغترف من بحره وارتشف
فالمعالي أودعت في الكتب ... كاللآليء أودعت في الصدف
أنت يا جاهل من قبل الممات ... مت موتاً غير مغن عنه قوت
أو ما تعلم في هذه الحياة ... أن رب العلم حي لا يموت

ومنهـــا :

يا رعى الله زماناً لو يدوم　　كان للدهر كأيام الصبا
أشرقت فيه من العلم نجوم　　ظن كل الناس أن لن تغربا
زمن قد ضحكت فيه العيون　　ونراها اليوم تبكي العربا

ومنهـــا :

هل أتاك الدهر فيما قد أتى　　بحديث العــرب في الأندلس
حيث بالعلم أزالوا العنتا　　وبنور العلم حجب الغلس

ومنهـــا :

سل ربى بغداد عما قد مضى　　لبني العباس في تلك الديـــار
واسألن الشام عما قد أضـــاء　　للمعاويين فيهـــا من فخـــار

ومنهـــا :

يا أباة الضيم من عليا نـــزار　　أين منكم ذهبت تلك الطباع
كنتم كالسيف مشحوذ الغرار　　والذي حل حماكم لن يراع

ومنهـــا :

يا بني يعرب ما هذا المقـــام　　أو ما أسفر صبح النوم
أين من كان منكم يرعى الذمام　　فيلبي دعوة المهتضم

ومنهـــا :

يا شباب القوم هبوا للبراز　　فيكم يبسم ثغر الوطن
وارفلوا إما بثوب الاعتزاز　　أو بثوب غير ثوب الكفن
وأعدوا العلم لا السيف الجزار　　انه عدة هذا الـــزمن
بسواء العزم لم يكتسب　　وهو المنصف للمنتصف
انه والله لا عن كذب　　شرف النفس ونفس الشرف

ولقد صادف هذا المشروع العلمي الذي قام به المنتدى الأدبي ارتياحاً في معظم البلاد العربية . وأول من رحب به ونهض لمساعدته القطر المصري . فقد تألفت لجنة في مصر للقيام بهذا المشروع وكان أعضاؤها سبعة عشر رجلاً وهم : أحمد تيمور باشا ، محمد باشا الشريعي . رفيق بك العظم ، عبد الخالق بك مذكور ، حسن باشا عبد الرازق ، أتناسيوس أفندي مطران السريان ، سامي أفندي جريديني المحامي ، الدكتور شبلي شميل ، الشيخ طنطاوي جوهري ، عبد الحميد أفندي حمدي . عبد الستار بك الباسل ، الشيخ محمد المهدي . المحامي محمد علي أفندي كامل ، المحامي محمود بك سالم ، نيقولا أفندي شحاذة ، يوسف دريان أفندي مطران السريان ..!

وصفوة القول فقد كان المنتدى الأدبي أنقى صحيفة في تاريخ القضية العربية ، وكان أكبر مدرسة يكتسب فيها الشباب العربي فضائل الصدق والاخلاص لقومه ووطنه فينقلب الى أهله حاملاً بين جنبيه قلباً أبياً متشبعاً بالمبادىء السامية فيبث في بيئته ما اكتسبه من السجايا الحسنة في تلك المدرسة الطيبة ...

وقد بلغ المنتدى الأدبي شأواً عظيماً في ميدان العمل السياسي لم تبلغه جمعية من الجمعيات العربية ،وصار زعماء جمعية الاتحاد والترقي يزورونهم كما أنهم كانوا يحضرون تمثيل الرواية التي يمثلها أعضاؤه كل سنة وقد احتفل أعضاء المنتدى الأدبي في سنة ١٩١٣ بذكرى المولد النبوي الشريف فحضر احتفالهم فيه كثير من زعماء الاتحاديين ،وكان بينهم طلعت باشا وهويومئذ وزير الداخلية ،وجمال باشا وزير البحرية وأنور باشا وزير الحربية .

« الجمعية القحطانية »

أخذت الفكرة القومية بالنمو والانتشار بواسطة الدعايات التي كانت تبثها الدعاة بأنحاء المملكة العثمانية ويردد صداها الذين هم في الخارج من

أبناء العرب القاطنين في مصر وأوروبا وأميركا . كانت الجمعية القحطانية جمعية سرية وقد تضاربت الأقوال في مؤسسيها . فمن قائل يقول أن خليل حمادة باشا عندما كان وزيراً للأوقاف اسسها ، الى قائل أن عبد الحميد أفندي الزهراوي هو الذي أسسها ، الى مدع أن تأسيسها كان باشتراك كل من خليل حمادة باشا وعبد الحميد أفندي الزهراوي وعزيز بك علي المصري وسليم بك الجزائري . ولكن الخبر اليقين أن سليم بك الجزائري[1] كان يتألم كثيراً من جمود العرب عندما يرى أن جمعية الاتحاد تريد القضاء على العرب أو ادماجهم في العنصر التركي حتى ينسى العالم تاريخهم وتقاليدهم . أما لغتهم فلا بد من محوها واحلال اللغة التركية محلها،وقد أخذ كتاب الترك ينشرون المقالات الضافية حول هذا الموضوع فمن ذلك ما كتبه الكاتب التركي الشهير جلال نوري بك في احدى مؤلفاته ما نصه :

ان بلاد العرب ولا سيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات

---

(١) سليم بك الجزائري – هو من أحفاد عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليه . وقد فر مع كثيرين من الأشراف إلى الغرب عندما ضايقهم هارون الرشيد. وقد أتى جده السيد محمد صادق بن السيد أحمد مهاجراً إلى الشام عندما كان الإفرنسويين يحاربون الأمير عبد القـــادر الجزائري فصار مفتي المالكية بالجزائريين في دمشق . وقد عنى بتربية الشهيد وتهذيبه عمه المرحوم الشيخ طاهر الجزائري الشهير . وبعد أن أكمل دروسه الابتدائية والثانوية أحب أن يكون جندياً لما فطر عليه من الشجاعة والإقدام اللذين هما من خصائص الجندي . وقد كان جميع معلميه معجبين بمواهبه الفطرية وذكائه وأدبه الغزير وقد تخرج ضابط ركن من الكلية الحربية في الأستانة متفوقاً على جميع أقرانه في الكلية وكان يحلم أحلاماً ذهبية بما كان للأمة العربية من الحول والطول وكان يفكر دائماً في أيجاد الطرق التي توصل هذه الأمة إلى قمة مجدها التي سقطت منها وتستعيد منزلتها السامية التي كانت لها بين أمم الأرض . ومذ كان يدرس تعبئة الجيش في الكلية الحربية في الأستانة كان يأتي للطلاب بأمثلة عربية ويذكر قواد العرب العظام معرضاً عن ذكر قواد الأمم الأوروبية مثلا – بدلا مـــن أن يأتي بذكر أسماء أمثال نابليون وفردريك ومولتكه كان يأتي بأسماء خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبا عبيدة بن الجراح . ولما أراد جمال باشا أن يفتك برجالات العرب كان المرحوم ضابط ركن للفرقة المرابطة في أزمير فسيق من هناك إلى الديوان العرفي في عاليه وبعد المحاكمة شنق في دمشق فراح ضحية المبدأ والإخلاص رحمة الله عليه رحمة واسعة .

تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين ، ومما لا مندورحة لنا عنه للدفاع عن كياننا أن نحوّل جميع الأقطار العربية الى أقطار تركية لأن الجيل العربي الحديث قد صار يشعر الآن بعصبية وهو يتهددنا بنكبة عظيمة فيجب أن نحتاط للأمر من الآن .

وكتب أحمد شريف بك أحد محرري جريدة طنين مقالة طويلة جـاء فيها ما يأتي : —

لا يزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلاً تاماً كأنهم ليسوا تحت حكم الأتراك فمن واجبات الباب العالي أن يجعلهم ينسون لغتهم ويجبرهم على تعلم لغة الأمة التي تحكمهم فاذا أهمل الباب العالي هذا الواجب كان كمن يحفر قبره بيديه . لأن العرب لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم بل سيسعون لاسترجاع ممتلكاتهم واعادة ترميمها على أنقاض دولة الأتراك .

فرأى سليم بك بعد التفكير العميق أن لا مندوحة للعرب من تأسيس الجمعيات السرية الوطنية لتبث المبادىء الصحيحة بين أبناء الأمة،وتحثهم على التضامن الذي لا حياة لهم بدونه من جهة،ومن جهة أخرى تبذل هذه الجمعيات قصارى جهدها لانتشالهم من الخمول الذي ألفوه منذ مئات السنين . فأسس الجمعية القحطانية في أواخر سنة ١٩٠٩ . وكان من أهم أعضاء الجمعية القحطانية : الأمير عادل ارسلان (من لبنان) . الدكتور عزت بك الجندي (من حمص) . حسن بك حمادة (من لبنان) . عبد الكريم أفندي قاسم الخليل (من جبل عامل) . الأمير عارف الشهابي (من دمشق الشام) . أمين لطفي بك الحافظ (من دمشق الشام) . علي أفندي النشاشيبي (من القدس الشريف) . وقد انتظم كثير من الضباط العرب في سلكها فأصبحوا اليد العاملة في الجمعية . وكان لهم المسعى الحسن في ابان فجر النهضة القومية . والضباط في كل زمان ومكان هم أهل الانقلابات وأصحاب الثورات لأن

من اعتادت أذناه على دوي المدافع وطلقات الرصاص،وألفت عيناه رؤية الدم والنار لا يتهيب الأخطار ولا يحجم عن المجازفة بل يخوض غمرات القوارع غير هياب ولا وجل... وقد برهن سليم بك في ديوان الحرب العرفي المنعقد في عاليه على أن الرجل الأبي الضيم المخلص لوطنه ولقومه يجب أن يكون محترماً عند العدو قبل الصديق وقد كان رحمه الله يلقي دروساً في الوطنية على أعضاء الديوان العرفي بما كان يظهره من العزم والثبات وصلابة الرأي. وقد كان للشهيد المرحوم رفيق آخر وهو الشهيد المرحوم علي أفندي النشاشيبي أحد أعضاء الجمعية القحطانية ومن أقطابها المخلصين لأمتهم فقد كان في السجن أشبه بالأسد الهصور عند تفاقم الأخطار. وقد كانت العلامة بين أعضاء الجمعية هي ضغط أحد الأصابع على يد المسلّم عليه بوضع اصبعين الشهادة والوسطى على الذراع الأيسر واخفاء بقية الأصابع وبتهجئة كلمة (هلال) عند المحادثة فاذا قال الأول (هاء) قال الثاني (لام) ثم قال الأول (ألفاً) فألحقه الثاني بحرف (اللام) وكان من برنامجها أن كل عضو يدخل عضواً غيره دون استئذان من المركز العام. وقد انتشرت هذه الجمعية انتشاراً غريباً في زمن قصير. وامتدت حياتها الى يوم نشوب الحرب العالمية فاسدل عليها الستار.

« جمعية العَلَم الأخضر »

كان شاب من أنبه شباب العرب وأشدهم حماساً للقومية العربية يدرس الطب في الأستانة،وكان أكثر حرفة ونشاطاً من سائر رفاقه،وكان يحذو حذو الشهيد المرحوم سليم الجزائري في تشكيل الجمعيات السرية وتكثيرها لنشر الفكرة العربية،وكان عزيز علي بك كثيراً ما يعترض على صديقه سليم بك وينصحه بأن يكتفي بجمعية واحدة فيجيبه سليم قائلاً بما أن الغاية واحدة فلا لزوم لأن يبقى السعي محصوراً ضمن نطاق جمعية واحدة،وأنه يريد أن

يقابل الترك بأعمالهم لتكثير الجمعيات . وكان داود أفندي الدبوني الموصلي الشاب الذي نوهنا بذكره أسير هذه العادة فتراه لا يفكر الا بتأسيس الجمعيات وتكثيرها ، وكان يكره الاتحاديين كرهاً لا مثيل له . اجتمع داود الدبوني مع بعض رفاقه في يوم من أيام شهر أيلول من سنة ١٩١٢ وبعد مذاكرات طويلة قرّ رأيهم على تأسيس جمعية سرية دعوها (جمعية العلم الأخضر) أما المؤسسون لها فهم : الدكتور اسماعيل[١] الصفار ، الدكتور فائق شاكر[٢] ، الدكتور داود الدبوني[٣] . الملازم علي رضاالغزالي[٤] ، الملازم عبد الغفور البدري[٥] ، الملازم مدحت[٦] ، ثم التحق بهم الملازم صالح[٧] من بغداد ، عاصم بسيسو[٨] من غزة ، مسلم العطار[٩] من دمشق ، مصطفى الحسني[١٠] من غزة ، الدكتور شكري غوشة[١١] من بيت المقدس ، وكثير من طلبة المدارس العليا . وأهم عمل قامت به « جمعية العلم الأخضر » هو اصدار مجلة

---

(١) لقد أدرك الدكتور اسماعيل الصفار — بما فطر عليه من بعد النظر — ما ستجره من الويلات على الأمة العربية أعمال المخدوعين بالسياسة من أبنائها فلم ينغمر في ميدان تلك الألاعيب الخداعة بل جعل كل همه محصوراً في تهوين آلام بني وطنه ضمن مقدرته الطبية .

(٢) مدير البرق والبريد العام .

(٣) مرض في أوائل سني الحرب العالمية بالتيفوئيد « وكان في الجيش المحارب في الأناضول ضد الروس » فانتقل إلى رحمة الله .

(٤) طبيب أسنان .

(٥) صاحب جريدة الاستقلال الذي لم تخلب بصره المظاهر الوهاجة التي افترست مبادىء الكثيرين ممن كانت تظن بهم الأمة خيراً فجعلتهم شراً لها . وقد استعذب كل عذاب في سبيل هذا المبدأ القويم الذي يجب أن يتمسك بأهدابه كل شاب مخلص للأمة والقضية بلاده .

(٦) استشهد في حرب الكوت رحمه الله .

(٧) أحد ضباط الجيش العراقي .

(٨) كان مديراً للأمن العام في شرق الأردن حوالي سنة ١٩٢٦ .

(٩) كان متصرف لواء عجلون في إمارة شرق الأردن .

(١٠) لقد أعدمته الحكومة في أوائل سني الحرب رمياً بالرصاص هو ووالده المرحوم أحمد عارف الحسيني مفتي مدينة غزة .

(١١) توفي بمرض التيفوئيد في بيت المقدس أثناء الحرب رحمه الله .

(لسان العرب) وقررت أن تناط ادارتها وتحريرها بأحد أعضائها المؤسسين للجمعية وهو أحمد عزت الأعظمي فصدرت المجلة وقد صادفت صدوراً رحبة من العرب القاطنين في الاستانة فساعدوها مساعدة تذكر وتشكر. ولم تمض عليها بضعة أشهر حتى انتشرت إنتشاراً هائلاً في كل بلد يقطنه الناطقون بالضاد .

« جمعية اليد السوداء »

هي جمعية سرية كان داود الدبوني أحد مؤسسيها، وكان معظم أعضائها من طلبة المدارس العليا، وقد دخلها كثيرة من طلبة الكلية الحربية، وكانت الغاية من تأسيسها الفتك برجال العرب الذين يناوؤون الفكرة العربية ...

« حزب اللامركزية »

... قلقت الجالية السورية في مصر وتحقق لديها أن ما تبيته الدول الغربية من السوء للدولة العثمانية اضحى قريب الوقوع ثم اشتد بها الخوف عندما رأت صحف باريس أضحت تخوض بذكر سوريا وتدعي أن فرانسا لها الحق فيها ... وقد قويت في نفوسها فكرة وجوب الاستعداد للدفاع الوطني وعقدت عدة إجتماعات للمذاكرة في ذلك استطردت فيها من مسألة الدفاع ومسألة المال الذي يتوقف عليه كل شيء، الى الجزم بوجوب ترقية كل قطر بأهله وتوقف ذلك على الادارة اللامركزية فوضعوا البرنامج وأسسوا الحزب اللامركزي في سنة ١٩١٢ . وكان المؤسسون للحزب :

رفيق بك العظم ، السيد محمد رشيد رضا ، الدكتور شبلي شميل ، اسكندر بك عمون ، المحامي سامي جريديني ، حقي بك العظم ، محب الدين أفندي الخطيب وغيرهم .

ثم انتخب رفيق بك العظم رئيساً ، واسكندر عمون نائباً للرئيس ، وحقي العظم سكرتيراً ،ومحب الدين الخطيب نائباً للسكرتير . وكان القصد من تأسيسه هو بيان محسنات الادارة اللامركزية في المملكة العثمانية والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تؤسس على قواعد اللامركزية الادارية في ولايات الدولة العثمانية بأجمعها كما هو مبين في المادة الثانية والثالثة من قانونه وهي : ان الغرض الذي من أجله أنشيء هذا الحزب هو تبيان الفائدة من الأصول اللامركزية للشعب العثماني الذي هو مؤلف من عناصر متعددة ولغات مختلفة وأديان متفرقة وعادات وأخلاق متباينة ،والسعي بالطرق القانونية للحصول على حكومة مشكلة على أصول الادارة اللامركزية في جميع أنحاء المملكة العثمانية .

المادة الثالثة : لهذا الحزب أسرار مكتومة وهو يعلن مطالبه الاصلاحية في الادارات لأنه يعتقد اعتقاداً جازماً أن المملكة العثمانية لا تستطيع أن تحتفظ بحياتها السياسية الا اذا تمشت في جميع اداراتها على الأصول اللامركزية وكان رئيس الحزب رفيق بك العظم[1] من أفاضل الرجال الذين أنجبتهم الأمة العربية،وكان يغار على الأمة الاسلامية غيرة لا حد لها ، ويرى من الضروري أن تتحد وجهتهم . وتتساير أهواءهم واذا تطرق الخلف بينهم

---

(١) كان رفيق بك العظم خادماً أميناً لأمته . خدمها بدافع الإخلاص والواجب دون أن ينتظر ثواباً على تلك الخدمة . وعندما ثار الملك حسين على الدولة العثمانية كان المرحوم رفيق بك في القاهرة القاهرة وكان أحق من كل عربي ليكون مفوضاً فيها عن الملك حسين لسابق خدمته وجهاده في هذا السبيل . ولما تقوضت أركان الدولة العثمانية في سوريا وتألفت على أنقاضها الدولة العربية عاد رفيق بك العظم إلى دمشق الشام قرير العين ناعم البال غير أنه رأى من سخريات القدر أن المسلمين من العرب أمثال محمد فوزي باشا العظم ، وعبد الرحمن بك اليوسف، وعلاء الدين بك الدروبي،وغيرهم من الدين كانوا أشد الناس عداوة للفكرة العربية أصبحوا أصحاب الكلمة النافذة في سوريا . فودع آماله ورجع إلى القاهرة وهو يكرر كلمة هرقل التي ودع بها سوريا . وقد بقي في القاهرة إلى أن انتقل إلى جواربه الكريم في منتصف سنة ١٩٢٧ .

يصبحون طعمة للدول الاستعمارية الواقفة لهم بالمرصاد ، وقبل برئاسة الحزب المركزي أملاً في أن يقف حائلاً في أوجه الطامعين فيحفظ بنـــاء الامبراطورية العثمانية الذي أخذت معالم الدسائس والفتن تعمل به . وقد كان رحمه الله على جانب كبير من الاخلاص وأكبر دليل على اخلاصه أن الحكومة الاتحادية عرضت عليه بعد عقد المؤتمر في باريس وزارة الأوقاف فأجابها اني أطلب اصلاحاً لا وظيفة .

« الجمعية الإصلاحية »

كانت بيروت في عهد الدولة العثمانية غرّة في جبين تلك الامبراطورية المترامية الأطراف ، ودرة في تاج آل عثمان كما قال غليوم الثاني عندما مر بها في زيارته لفلسطين في العهد الحميدي . كانت بيروت أرقى بلاد العرب ، بل أرقى كل البلاد التي كان يخفق عليها العلم العثماني تمدناً وحضارة ،وكانت غنية بمدارسها وكلياتها ومطابعها ومكتباتها وصحفها وبكل ما لديها من وسائل التمدن الحديث . وقصارى القول أنها دماغ الوطن العربي المفكر . وكانت في نهضتها الأدبية العلمية تجاري مصر وتسير سيرها في مضمار التقدم العلمي . وقد أنجبت رجالاً إرتوت أدمغتهم من معين العلم الصحيح ،وامتازوا بمبادئهم السامية . فكانوا نبراس الوطنية الصادقة الذي تأتم به الهداة من أبناء جميع الأقطار العربية . وهم أول من نادى بوجوب تمسك العرب بقوميتهم عندما حاول الاتحاديون أن يقضوا على الجامعات القومية ويدغموها في الوحدة التركية . ولما تأسس حزب اللامركزية في مصر نهضت رجال بيروت فأسست الجمعية الاصلاحية بتعضيده وشد أزره ...

وقد انتخبت الجمعية سليم بك ، علي سلام ، مختار بيك بيهم ، الشيخ أحمد أفندي طبارة لينوبوا عنها في مطالبة الحكومة بقبول ما جاء في لائحة الاصلاح غير أن وزارة كامل باشا لم يطل عهدها اذ سقطت بدسائس جمعية

الاتحاد في أثناء الحرب البلقانية بعد أن قتل وزير الحربية ناظم باشا فتولت وزارة الاتحاديين مقاليد الحكم ... واستبدلت الوالي أدهم بك ، الذي كان يميل الى جماعة المصلحين ، بالوالي حازم بك ، وهو من صناديد الاتحاد ، فأقفل نادي الجمعية وأصدر أمراً بالغائها ، وعطل الصحف التي كانت تعاضدها وتنطق بلسانها ، وأخذ يطارد جماعة الاصلاح أشد مطاردة ... ولم تثمر أعمال الجمعية الاصلاحية الثمرة المرجوة لتقلب الأمور السياسية ولكن ظهر لتلك البذرات الصالحة التي بذرتها فوائـــد لا نشك بها مطلقاً وقد أفادت المجتمع العربي خاصة ، وعلمته كيفية الدخول في معترك الحياة والمطالبة بحقه المغتصب بأن يصرخ دائماً في وجه من يريد سلب ما أنعم الله عليه به من الحقوق . وقد ذهب أحد مؤسسيها الشيخ أحمد أفندي طبارة ومروّج فكرتها عمر أفندي حمد ضحية اخلاصهما للوطن في ديوان الحرب العرفي في عاليه فصعدا المشنقة وهما يبتسمان ابتسامة الازدراء بالموت ، ويهتفان بقولهما فليحي الوطن العربي .

« عقد المؤتمر العربي في باريس »

« بينما كان حزب اللامركزية في وادي النيل يعالج شؤون القضية العربية ويضع الخطط اللازمة للسير على مقتضاها ، إذ هبط عليه في نيسان سنة ١٩١٣ كتاب يحمله البريد الافرنسي هذا هو نصه : —

الى رئاسة حزب اللامركزية وأعضائه الكرام

نحن الجالية العربية في باريس نقدم اليكم عواطف الشكر والمنة لتأليفكم حزب اللامركزية فقد جمعتم في برنامجكم الأماني التي يرتادها أبناء العرب لسعادتهم وترقيتهم في كل حين . أما وقد عهدنا فيكم خيرة المواطنين خبرة وغيرة واقداماً فقد أوقفنا أنفسنا لخدمة غايتكم النبيلة واعتبرناكم مصدراً لما نتوقع أن نقوم به في هذه الديار .. ذلك ما حمل الجالية العربية ويزيد عددها على الثلثمائة في

هذه المدينة على الاجتماع والبحث عن التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الوطن المحبوب من الطوارىء ، واصلاح أمور بلادنا على قاعدة اللامركزية . وبعد المناقشات ارتأت الجالية أن تعقد مؤتمراً للعرب ، تظهر فيه للأجانب أن العرب يدرأون عادية الاحتلال من أية دولة كانت ، ويحتفظون بحياتهم الوطنية وتصارح الدولة العثمانية بوجوب تطبيق الاصلاحات المركزية في بلاد العرب . وقد اجتمعت اللجنة الادارية التي انتخبتها الجالية العربية وقررت أن ترتبط واياكم بالعمل ، وأن تنفذ ما يوعزه اليها مركزكم في مصر خدمة للمصالح العربية . وان المؤتمر ستجتمع فيه وفود من البلاد الأميركية الشمالية والجنوبية ومن المقيمين في البلاد الأوربية ومن بلادنا العربية وأخصها سوريا . فنتقدم إليكم طالبين أن توفدوا من قبلكم من ينوب عن السوريين المقيمين في مصر ولرئاسة المؤتمر بصفتكم مصدراً لأعمالنا واليكم ما تدور حوله مباحث المؤتمر : —

١ — الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال .

٢ — حقوق العرب في المملكة العثمانية .

٣ — ضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية .

٤ — المهاجرة من سوريا واليها .

وسيعهد بهذه الموضوعات الى خطباء يبحثون فيها بحثاً مدققاً بحضور المواطنين وممثلي الصحف الأوربية وبعض كبار الأوربيين حتى اذا انتهى المؤتمر ، قررت اللجنة مع الوفد حمل الطلب الى مؤتمر السفراء في لندن وهو الاعتراف بحياة العرب الوطنية ، ودرء احتـلال الأجانب ، ووجوب الاصلاحات المركزية في البلاد العربية أو حمله الى سفراء باريس فيما اذا انفرط عقد مؤتمر لندن ، أو الاكتفاء بعقد مؤتمرنا العام . أمام الأجانب دون حمل قراراته الى السفراء وذلك راجع الى ما يقرره مركزكم العام فتكرموا علينا بالمؤازرة برأيكم حتى اذا كانت فكرة المؤتمر صالحة في نظركم ، بعثتم ممثلاً عن مركزكم لنبوءه المكانة الرفيعة ونعضده على الغاية المنشودة وحسبنا

الله أن يأخذ بأيديكم وأيدينا لوقاية الأمة والبلاد من فساد البداية والمعاد والسلام عليكم .

وبعد هذا الكتاب أرسلت اللجنة هذه الدعوة الى الأقطار العربية : —

دعوة إلى أبناء الأمة العربية

« نحن الجالية العربية في باريس قد أوقفتنا مناظرات الجرائد الأوربية ومغامز الساسة في الأندية العمومية على استقراء ما يجري من المخابرات الدولية بشأن البلاد العربية وأخصها زهرة الوطن سوريا ولم يبقَ بين جمهور الناطقين بالضاد من لا يعلم أن ذلك نتيجة سوء الادارة المركزية . فحدا بنا الأمر الى الاجتماع ، وعددنا ينوف على الثلثمائة ، في هذه المدينة فجرى البحث عن التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الأرض المترعة بدم الآباء العظام ورفاة الأباة من عادية الأجانب ، وبعد المداولة تقرر عقد مؤتمر للعرب يقوم به السوريون فتفد اليه وفود أكابر من البلاد العربية وعقلاء أفاضل من السوريين المهاجرين في أميركا الجنوبية والشمالية والبلاد الأوربية فتتمثل فيه الأمة العربية المنتشرة في أقطار الأرض وتحقق كلمة التضامن الاجتماعي والسياسي لهذه الأمة في هذا المؤتمر ، حيث نبسط للأمم الأوربية أننا أمة مستمسكة ذات وجود حيّ لا ينحل ، ومقام عزيز لا ينال ، وخصائص قومية لا تنزع ، ومنزلة سياسية لا تقرع ، ونصارح الدولة العثمانية بأن اللامركزية قاعدة حياتنا وأن حياتنا أقدس حق من حقوقنا وأن العرب شركاء في هذه المملكة شركاء في الحربية . شركاء في الادارة . شركاء في السياسة . وأما في داخلية بلادهم فهم شركاء أنفسهم . ثم انتخبت الجالية لجنة ادارية لتقوم بالعمل فوضعت خطة المؤتمر وما سيجري فيه من المباحث على مشهد من أبناء الوطن المجيد وبعض من كبار الأوربيين وممثلي الصحف الأوربية والأميركية وهذه هي المسائل التي ستكون أساس المذكرات :

١ ـ الحياة الوطنية وما هضمه الاحتلال .
٢ ـ حقوق العرب في المملكة العثمانية .
٣ ـ ضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية .
٤ ـ المهاجرة من سوريا والى سوريا .....

لجنة المؤتمر العربي

عوني عبد الهادي ، ندرة مطران ، عبد الغني العريسي ، شكري غانم ، جميل المعلوف ، محمد المحمصاني ، شارل دباس ، جميل مردم .

أما العراق فقد أناب عنه توفيق السويدي ، وكان حينذاك يدرس الحقوق في كلية باريس ، فأشرك الموما اليه معه سليمان عنبر ، الذي كان رفيقه في الكلية ....

« جمعية العهد »[1]

« هي جمعية سرية أسسها عزيز علي في الاستانة في ٢٨ تشرين أول سنة ١٩١٣ وقد جاء في منهاجها السياسي ما يأتي :

١ ـ ان جمعية العهد جمعية سياسية سرية انشئت في الاستانة وغايتها السعي وراء الاستقلال الداخلي للبلاد العربية على أن تكون متحدة مع حكومة الاستانة اتحاد المجر مع النمسا .

٢ ـ ترى جمعية العهد ضرورة بقاء الخلافة الاسلامية وديعة مقدسة بأيدي آل عثمان .

٣ ـ تهتم هذه الجمعية بأمر سلامة الأستانة من مطامع الدول الأجنبية اهتماماً خاصاً لاعتقادها أن الاستانة رأس الشرق فلا يمكن أن يعيش اذا اقتطعتها احدى الدول الغربية الاستعمارية منه .

---

(١) راجع كتاب « القضية العربية » للأستاذ المرحوم أحمد عزت الأعظمي ص ٥٣ من الجزء الرابع فما بعدها .

٤ ــ الأتراك منذ ستمائة سنة وهم يشغلون المخافر الشرقية أمام الغرب فيجب أن تجهد الأمة العربية نفسها للحصول على ما يؤهلها لأن تكون القوة الاحتياطية الصالحة لهذه المخافر .

٥ ــ على رجال العهد أن يفرغوا قصارى جهدهم في انماء المزايا المحمودة ، وبث الدعوة للتمسك بالأخلاق الفاضلة لأن الأمة لا تحتفظ بكيانها السياسي القومي ما لم تكن مجهزة بالأخلاق المهذبة الصالحة .

وقد أملى المومأ اليه بنود المنهاج على طه الهاشمي ليلة تأسيسه الجمعية ثم توظف الهاشمي في الجيش المرابط في اليمن فغادر الأستانة عن طريق سورية فالعراق وأسس للجمعية فروعاً في البلاد التي مرّ عليها في طريقه الى اليمن . وكان معظم الذين اعتنقوا مبادىء الجمعية وانضموا تحت رايتها هم من الضباط الذين أنجبتهم الأمة العربية وعلقت عليهم آمالها وأحسنت بهم ظنها نخص بالذكر منهم : سليم الجزائري ، عوني القضماني ، محمد بك اسماعيل ، مصطفى وصفي ، يحيى كاظم أبو الخير ، محيي الدين الجبّان ، علي النشاشبي ، أمين لطفي الحافظ (من السوريين) . ياسين الهاشمي ، نوري السعيد ، مولود مخلص ، علي جودت ، جميل المدفعي ، عبد الله الدليمي ، تحسين علي ، محمد حلمي ، علي رضا الغزالي ، موفق كامل ، عبد الغفور البدري (من العراقيين) ....

« جمعية النهضة اللبنانية » ...

« في سنة ١٩١٠ تأسست هذه الجمعية في لبنان وكانت امتيازات الجبل تجعلها في ملجأ حصين حيث أن الجريدة التي كانت تعطل في بيروت ، تصدر في فرن الشباك البعيدة عن بيروت عشر دقائق . وكانت الحكومة تحجم أمام كل ذلك ولا تنبس ببنت شفة وان لهذه الجمعية خدمات عظيمة للبنان ولهذه الجمعية شعب في الخارج . ففي بيروت كان من أعضاء شعبتها : خليل زينية ،

رزق الله أرقش ، عيسى المر ، يوسف الغلبوني ، سعيد عقل . وفي مصر اسكندر عمون ، داود عمون ، داود بركات . وفي باريس : شكري غانم ، شارل دباس ، خير الله خير الله ، زويني الخوري .

« الجمعية الإصلاحية البصرية »

« تأسست هذه الجمعية في البصرة على أثر تأسيس الحزب اللامركزي في مصر ، والجمعية الاصلاحية في بيروت . وكان المؤسس لها السيد طالب النقيب الذي اشتد به ساعد الاصلاحيين عندما انضم الى فكرتهم وتعلقوا بأهداب الخيال الفسيح الأرجاء معللين النفس بأنهم أصبحوا قاب قوسين من الوصول الى امنيتهم العظمى بانضمام هذه الشخصية التي لها الحول والطول في جنوب العراق ولكن الحقائق الرائعة حطمت بعد قليل من الزمن بنيان تلك الآمال ، وكذبتهم الأيام بتقلباتها .

كان السيد طالب النقيب عضواً في مجلس شورى الدولة حين اعلان الحكم الدستوري في المملكة العثمانية فغادر الأستانة فوراً لأنه خشي أن تلحق به اهانة من الاتحاديين الذين يعلمون أنه يمت بصلة الى السيد أبي الهدى الصيادي الرفاعي . وبعد أن انتخب نائباً ، أتى الى الأستانة وكان أكبر همه أن يشغل احدى الوزارات التي يعتقد أنه أهلاً لها فلما تحقق لديه أن ما تحدثه به نفسه هو قريب من المحال لأن الاتحاديين لا يرغبون فيه ولا يميلون اليه ، أخذ في كل ما من شأنه أن يحدث شغباً في جو الأستانة .

« جمعية العربية الفتاة »

« تألفت هذه الجمعة في باريس ١٩٠٩ . كان من أعضائها : عوني عبد الهادي ، محمد المحمصاني ، عبدالغني العريسي ، جميل مردم . فانضم اليهم نخبة من كبار العرب وضباطهم وشبابهم في سوريا ومصر والأستانة وهذه الجمعية هي

التي وجهت عزيمتها ووطنت نفسها على أن تضع على بساط البحث القضية العربية لتجعل لهذه الأمة مكانة تستحقها بين الأمم التي أدركت معنى الحياة ، فعقدت النية على المضي في هذه السبيل وأرسلت النشرات إلى سائر أنحاء المعمورة تدعو فيها الطبقة الناهضة لعقد مؤتمر في باريس يدرس المسألة من جميع وجوهها فيضع لها خططاً تسير الأمة على نهجها. وقد اشتركت فيه جميع الجاليات العربية في أوربا وأميركا والأحزاب السياسية في الأستانة ومصر وسوريا ، ومن قعدت به العزيمة عن الاشتراك ، أرسل برقية يؤيد فيها هذا الشعور الوطني الصادق ، ويحبذ هذه الفكرة السامية.... ولما أعلنت الحرب العالمية كانت جمعية (العربية الفتاة) في جانب القائلين بعدم دخول الدولة العثمانية في الحرب احتفاظاً بقوة العنصرين التركي والعربي لأن برنامجها كان قائماً على إعداد الأمة إلى النهوض القومي الصحيح قبل الجهر بالمبادىء — المتطرفة حتى إذا زج الاتحاديون الدولة في أتون الحرب العامة وأصبح العرب أمام الأمر الواقع ، واتخذت دمشق قاعدة للحملة العسكرية التي يقودها جمال باشا ، انتقل المركز العام للجمعية إلى دمشق وسعى إلى تنظيم فروعه في كافة البلدان السورية وتأمين المخابرات مع البلاد العربية والعالم الخارجي ، وانضم إلى الجمعية في دمشق عدد من كبار رجال العرب فأصبحوا من أصحاب الرأي النافذ في إدارة حركتها أشهرهم — رضا باشا الركابي — ياسين باشا الهاشمي — والشيخ كامل القصاب — ثم انتسب اليها عدد عظيم من رجالات العرب وأصحاب النفوذ في المدن والجبال والبادية منهم : الشيخ نواف الشعلان (حاكم الجوف) والشيخ محمد الملحم (زعيم الأحسنة) الذي أعدمه جمال باشا شنقاً دون محاكمة . وأرسلت الجمعية في تلك الأثناء مندوباً خاصاً هو يوسف حيدر إلى الحجاز فاستدعت الأمير فيصل إلى سوريا لتشوّق الأشراف على وجهة قومية صحيحة . وبينما كان الأمير عبد الله يفاوض بريطانيا في مصر والأحزاب العربية الأخرى ، كان الأمير فيصل يفاوض الوطنيين في سوريا وقد عقد اجتماع خاص في دار السادة البكرية في دمشق أقسم فيه الأمير فيصل يمين الإخلاص لجمعية (العربية الفتاة) وتلى بحضوره بعد ذلك

في وفد خاص أحد الأعضاء ــ وهو محمد الشريقي ــ خطاباً قومياً وقصيدة حماسية حضه فيهما على المناداة بحقوق الأمة العربية بعد اتفاق أمرائها . وقد صرح الأمير فيصل أن التفاهم تام وأنه سيشجع والده على العمل، وأن ابن سعود سيكون في جانب النهضة العربية، وأن الاتفاق قدتم مبدئياً بين الحجاز ونجد . وسافر بعد ذلك الأمير فيصل إلى الأستانة بصحبة يوسف شتوان بك ليتجسس أحواله من قبل الاتحاديين فاستماله الأمير ضمناً اليه، وتمكن من استمالة أنور باشا في الأستانة وعاد إلى جمال باشا مكلفاً بالتفاهم معه ، وأن يدعو والده للعمل المشترك مع الترك في مهاجمة القتال . فاستقبله جمال باشا حسب التعليمات التي تلقاها استقبالا حسناً ظاهرياً وكان الاتحاديون يضمرون شراً للشريف حسين وأولاده، ويحاولون الاستيلاء على الحجاز عسكرياً لاستلام سلطته وهذا لم يكن مجهولاً لدى الشريف . ولما اشتدت وطأة جمال باشا على العرب انتقاماً من معارضة الاتحاديين قبل الحرب مغتنماً فرصة التجمع العسكري الذي يقوده، رأت الجمعية بأن لابد من القيام بالثورة الاستقلالية احتفاظاً بكيان العرب حسب الطاقة سيما بعد أن علمت أن ــ الاتحاديين قرروا تشتيت شمل العرب كما فعلوا بالأرمن واضطهاد الفئة الراقية ، وإعداد البلاد لمجاعة هائلة ، فضاعفت جهودها وأرادت أن تبدأ الثورة في دمشق بواسطة الجيش الأهلي المتطوع في الوقت الذي يأتي الأمير فيصل بجيش الحجاز المتطوع معسكراً في تبوك وتنقض العشار الموالية والمرتبطة بالجمعية في البوادي والجبال، وتقلب الحكومة في دمشق بقوة هذه الثورة وبتحريض الضباط والشبان المرتبطين بعهد الجمعية . غير أن بطش جمال باشا وتفريقه كلمة الضباط العرب ، ونقل القوة العربية إلى جهات بعيدة ، واضطراره الحجاز بالانقضاض على الحكومة بسوء تصرفاته مع نفرة الشعب العامة من اضطهاده ، ومحاولته أخذ الأمير فيصل بعد رجوعه من الحجاز رهينة ، كل ذلك عجل بظهور الثورة في الحجاز ، واضطر أعضاء المركز العام إلى الالتحاق بها بحكم الأمر الواقع ، وإدارة اتجاهها واستثمارها لمصلحة القضية العربية إلى أن كان ما كان من أمر الفتح وقيام الشعب العربي السوري بإعلان الاستقلال الوطني في جميع

المدن الساحلية ... وقد تأسس في المنطقة الشرقية من سوريا حكومة عربية فنية تديرها (الفتاة العربية) وقد رأسها للمرة الأولى رضا باشا الركابي ، وظلت قابضة على زمام الأمور على خلاف حكوماتها وعظمت أعمالها داخلاً وخارجاً فوضعت مناهج الدفاع الملي والجيش العربي الفني والاستخبارات السياسية الخارجية وإدارة المؤتمر السوري وكان لها أكثريته .... وقد دخل هذه الجمعية بعد الفتح أكثر رجالات العرب وشبانهم على اختلاف درجاتهم في إيمانهم القومي فسمي الأعضاء قبل الحرب بمجموعهم المؤسسين — ومنهم كثير من السواد الأعظم — والآخرون (أي الذين دخلوا بعد الفتح) كانوا بمثابة أعضاء السواد الأعظم قبل الفتح ، وأصبح المركز العام ينتخب من هيئة المؤسسين المتعارفين مؤلفاً من سبعة أعضاء وكان مظهر الجمعية الخارجي (حزب الاستقلال العربي) وقد سعت الجمعية في الوقت نفسه لتمشية النوادي العربية طبق برنامجها . ولما تفرقت كلمة الجمعية على أثر وقعة (ميسلون) قامت في شرق الأردن فئة من السواد الأعظم الذين دخلوا بعد الفتح ، واستأنفوا العمل غير أنهم خرجوا في كثير من تصرفاتهم عن أغراض الجمعية العامة ، وزعموا أنهم ورثتها في حين أنهم كانوا يجهلون تماماً شؤون الجمعية الحقيقية ، وبعضهم لم يدخلها إلا حكومياً . فكان عملهم في شرق الأردن حسناً فقط من جهة المثابرة على العمل الوطني رغم خطيئاتهم ، وسيئاً من جهة الاستئثار وحب السيطرة بينما أكثرهم لا سابقة له في الشؤون العربية البتة .

« الجمعية الثورية »

«كانت الحكومة الاتحادية تعتقد أن عزيز علي هو الذي أسس هذه الجمعية فأضحت تعض بنان الندم على تفريطها في افلاته من قبضة يدها لعلمها بأن الرجل قدير على تدوير دفة العمل الذي يجعله نصب عينيه فيرهف له غرار عزمه لا سيما وان جل أنصاره من الضباط الذين بإمكانهم إثارة المعارك الدموية وخوض ميادينها . والحال أن عزيز علي ليس له أدنى علاقة بهذه

الجمعية اذ مبدأ عزيز علي كما قلنا فيما مضى هو النهوض بالعرب من العبودية الى السيادة ، واشراكهم في شؤون المملكة العثمانيـــة مع الترك مشاركة فعلية وان مؤسس هذه الجمعية (الثورية) هو حقي العظم .

* * *

ذكرنا كيفية تأليف هذه الجمعيات في دار الخلافة الإسلامية وغيرها من البلاد العربية وعلى عين وملاء أساطين الاتحاديين كتشكيل المنتدى الأدبي ومنتسبه من مدنيين وعسكريين ، وجمعية العهد ومنتسبيها العسكريين ، وفي بيروت الجمعية الإصلاحية، وفي دمشق جمعية الفتاة، وفي القاهرة الجمعية اللامركزية، وفي البصرة الجمعية الإصلاحية، وفي باريس مؤتمر الزهراوي . كل هذه المؤسسات التي تدين بالقومية العربية . قرر الاتحاديون الحد من نشاطهم وتفريق شملهم قبـــل أن يستفحل أمرهم وأخذوا يساومونهم بارسال سكرتير جمعيتهـــم إلى باريس ليفاوض الزهراوي ورفاقه ويمنّيهم بقبول طلباتهم من جهة ، ومن جهة أخرى كان يريد إغراءهم في مناصب الدولة وهو يريد بذلك الإغراء والخداع لا الخدمة ورتق الفتق وبالفعل تمكنوا من إغراء الزهراوي بجعله عيناً في مجلس الأعيان – مع الأسف – مع أنه كان هو ورفاقه قد قرروا أن لا يقبل أحد منهم أي منصب قبل أن تتحقق المطاليب التي تؤمن للعرب ما يرغبون بإعطائهم الحكم الذاتي على الأقل . أما بطل العروبة عزيز علي فعندما أخذوا يساومونه في بد سنة ١٩١٤م، صارحهم بقوله – أنا من الذين لا تغريهم المناصب وأنا من القائلين بوجوب التآخي بين العنصرين المهمين العربي والتركي والرائد لا يكذب أهلـــه فخير للعرب والأتراك أن يعيشوا في وفاق ووئام في ظل نوع من الحكم الذاتي يحفظ لكلا الجانبين حظه في الحياة . لقد بهت أقطاب الاتحاديين من هـــذه الصراحة وجن جنونهم فشرعوا يبيتون الشر لأحرار العرب ولا سيما لعزيزنا ولكنهم في الوقت نفسه بدأوا باستمالة السياسيين المدنيين الذين كانت تعوزهم الجرأة والصراحة ، واتفقوا معهم على شروط كتبت في مذكرات ونشرت في كتب معروفة فلا لزوم لإعادة ذكرها هنا . وهكذا عينوا الزهراوي عضواً في

مجلس الأعيان تمهيداً للفتك به وبأخوانه العرب الذين ظنوا الخير في هذه المفاوضات والمكاتبات فقبلوا بعض المناصب الزائلة عن طيبة خاطر وسلامة قلب أما الدماغ المفكر ورأس القوميين العرب عزيز علي فقد أبى أن يخدع بمثل هذه الأضاليل فبقي صامداً على مبدأه وعقيدته صمود الجبل الشامخ . فقرر أنور وطلعت سحق هذا الرأس الذي أخلص لهم النصح وبدأوا يدبرون الخطط الجهنمية للإيقاع به ومن ثم الحاق رفاقه به وكانوا يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن الانقلابات والثورات لا يمكن أن تتم إلا عن طريق الجيش والجيش بقادته وبأدمغته المفكرة ولذا عليهم أن يقضوا على هذه الأدمغة المفكرة وهكذا دبروا محاكمة صورية لعزيز علي وحكموا عليه بالإعدام ، وإذ بالمظاهرات تقام والاحتجاجات تنهال على الباب العالي من كل فج عميق ، مستنكرةً هذا الحكم الجائر ، وإذ بالوساطات الخفية تعمل عملها لتصحيح هذا الخطأ . ولم تر المقامات العليا مناصاً من الأذعان فأبدلت حكم الإعدام بالسجن المؤبد وهكذا استطاع العرب أن يخلصوا رقبة عزيزهم من الشنق . ومع أن تبديل عقوبة الإعدام إلى السجن المؤبد قد تمت بصعوبة فإن أحرار العرب لم يكونوا ليأمنوا على مصير هذا البطل إذ لا يبعد أن يدبر الأتراك أمر اغتياله في السجن ولذا استمرت احتجاجات العرب ولا سيما من دمشق وبغداد وبيروت والبصرة والقاهرة واسطنبول وحتى من المؤتمر الزهراوي في باريس وكذلك قيل أن الانكليز بتحريض من الخديوي عباس حلمي أنذروا الأتراك بضرب سواحلهم إن لم يطلقوا سراح عزيز خلال ثمانية وأربعين ساعة وهكذا لم ير صناديد الاتحاديين مناصاً من تحقيق طلب الجماهير الصاخبة فأخلوا سبيله إلا أنهم أصدروا أمراً بنفيه وحقق العرب انتصاراً ملموساً نتيجة لوقوفهم صفاً واحداً وبعزم ثابت . أما الاتحاديون فأخذوا يشتتون شمل بقية الضباط العرب فنقلوهم إلى الأناضول والروملي والأماكن النائية . حينذاك اضطر كل من نوري وعبدالله الدملوجي أن يختفيا عن الأنظار حذراً من بطش السلطة إذ كانا أكثر الناس اتصالاً بعزيز عندما كان في السجن وما لبثا أن توجها بباخرة يونانية إلى القاهرة والتقيا هناك بعزيز علي ثم رحلا

منها إلى العراق بعدما زودهما بتعليمات عن كيفية مواصلة العمل في المستقبل .
وأما نوري فقد وصل إلى بغداد متخفياً . ينام يوماً في دار الشيخ سعيد النقشبندي، ويوماً في دار عبد المجيد الأنكورلي وآخر في دار عبدالحميد الشالجي وأخيراً ذهب إلى البصرة ليكون تحت حماية السيد طالب النقيب الذي كان ذو سلطة واسعة فلم تجرؤ الحكومة على النيل منهما . كما كان كل من مزاحم الباجه جي وابراهيم حلمي العمر اللذين تركا بغداد، إذ كانا يصدران جريدة النهضة، وبعد إصدار أحد عشر عدداً عطلت الجريدة لنشرها مقالات تستنهض هم العرب القومية ولجآ إلى البصرة أيضاً تحت حماية طالب النقيب . أما نوري والدملوجي فقد صدر الحكم عليهما بالإعدام غيابا على أثر هربهما من الأستانة حيث نقلت الجرائد في اسطنبول خبراً مؤداه : أن نوري وعبد الله الدملوجي هربا من الأستانة وفي حالة عدم تسليم نفسيهما خلال عشرة أيام يحكم عليهما بالاعدام غيابياً وقد صدر هذا الحكم فعلاً . بعد هذا قر رأيهما أن يذهبا إلى الرياض حيث عبد العزيز آل سعود لمتابعة جهودهما ، وليأمنا في الوقت نفسه شر السلطة التركية ولكن حيث أن نوري كان مصاباً بمرض التدرن فقد ظل يتداوى في المستشفى الأمريكي ، وذهب الدملوجي إلى الرياض وبقي فيها ما يقارب الـ ١٥ سنة حيث أصبح وزيراً للخارجية ولم يعد إلى العراق إلا في سنة ١٩٢٩م وبقي نوري في البصرة إلى أن احتلها الانكليز فنقلوه منها إلى داروار في الهند حيث تفاهم مع الانكليز من يومها إلى أن لاقى وجه ربه الكريم أثر ثورة تموز ١٩٥٨ وسنرى فيما بعد كيف أن نوري عامل رئيسه عزيز علي وحاميه طالب النقيب والذي يعطف عليه عبد العزيز سعود معاملة لا تليق بالوفاء العربي وهنا يرد على البال الحديث الشريف « اتق شر من أحسنت اليه » صدق رسول الله العظيم .

« عبرة وتذكرة » :

لماذا يا أبا صباح أنهيت جهادك على هذه الطريقة المؤلمة وأنت ذو الماضي اللامع في الجهاد من أجل القومية العربية ؟ حكم عليك بالإعدام من قبل الأتراك من أجل اشتغالك لتشييد العز والسؤدد للعرب . وسرى فيما بعد كيف كنت في الحجاز بعد التحاقك بالثورة في طليعة من التحقوا فصرت رئيساً لأركان الجيش، أي الرجل الثاني بعد عزيز علي الذي كان وزيراً للدفاع . نعم ومع ما كان بك عالقاً من مرض التدرن الخبيث ، كنت متنكباً بندقيتك – أي والله – متنكباً بندقيتك تتسلق جبال الحجاز في حالتي الاستطلاع والحرب ، ورأيتك رأي العين إذ كنت معك جنباً إلى جنب تتسلق تلك الجبال – أي ورب الكعبة رأيتك بأم عيني – وأنت على قمة جبل في أثناء أول اشتباك في حربنا مع الأتراك في موقعة (بئر درويش) بعد انبثاق فجر اليوم الخامس من نيسان عام ١٩١٧ م جمادى الأولى ١٣٣٥ هـ حينما كنت أحاول أخذ الموضع بالمدفعيين الصحراويين اللذان كانا تحت قيادتي ، وحينما انفلقت في تلك اللحظة قنابل المنثار لمدفعية العدو فوق رؤوسنا الأمر الذي أربكني وأدهش الفصيل وأرهبه إذ أن هـذا الموقف يعد من أصعب المواقف الحربية . أي حينما يحاول الفصيل أخذ موضعه ويباغت بانفلاق القنابل فوق رأسه . أقول عندما حصلت لحظة تباطؤ في أخذ الموضع وأنت كنت على الرابية بالقرب مني إلى درجة كنت تسمعني صوتك

وقدرت الموقف فناديت بأعلى صوتك – ابراهيم – قلت نعم . قلتَ افتح النار – قلت حاضر . ففتحت النار في التو واللحظة وانتصرنا في المعركة .

نعم أعود وأقول نوري أنت الذي جاهدت ليل نهار بمعية الحسين ثم بمعية أنجاله : علي وعبدالله وفيصل . عبد الله الذي أنعم عليك بلقب الباشوية بقيت تجاهد بمعيته حتى سقطت صريعاً إذ عاودك مرض التدرن فذهبت إلى القاهرة للتداوي ، وبعدما شفيت رجعت منها إلى العقبة للاشتغال بمعية فيصل ، وجاهدت جهاد الأبطال أنت وأخوانك آنذاك أمثال – جعفر العسكري ، وعلي جودت ، وجميل المدفعي ، ومولود مخلص ، وتحسين علي ، وراسم سردست ، وعبدالله الدليمي ، وعبدالوهاب عبدالرزاق ، وعبدالحميد الشالجي ، وناجي شركة ، وحمدي صدر الدين ، ورشيد الهاشمي وغيرهم ... وغيرهم من النخبة المؤمنة الممتازة حتى دخولك الشام ظافراً وما تبع ذلك من جهود في سوريا وأخيراً في العراق وأصبحت رجل دولة عالمي يشار اليك بالبنان . لماذا يا نوري ختمت حياتك هذه الطافحة بالجهاد الأول من نوعه وكانت كلها مغامرات وبطولات ؟ لماذا أنهيتها بطريقة كهذه غير مشرفة الأمر الذي الجأت مواطنيك أن يسحلوك ؟ نعم أنا شخصياً ما كنت – والله – لأرضي لك بهذه النتيجة المخزية ولكن اسمح لي أن أقول « جنت على نفسها براقش » نعم أنت الذي جنيت على نفسك هذه النتيجة إذ أنك قبل كل شيء .

١ – بقيت مصراً على مماشاة سياسة الغرب عامة والإنكليزية خاصة ، تلك السياسة التي قلبت لنا ظهر المجن ، وظلت تخاصمنا وتساند الصهيونية العالمية ومن والاها . إذ جزأت البلاد العربية إلى دويلات وضعوها تحت الانتدابات ، وأخرجوك بل طردوك من دمشق طرداً مع الملك فيصل في ليلة ليلاء ذليلين مهانين ثم سلموا الحجاز إلى حليفهم الجديد عبدالعزيز آل سعود ، وأنهوا حياة الحسين بن علي ، الذي غامر وخاطر مخاطرة عظيمة بموأزرته إياهم في أحلك أيامهم السود إذ كانوا مقهورين في « الدردنيل » ومخذولين في « كوت العمارة » وبمحاربته لمتبوعه خليفة المسلمين صار عرضة لانتقاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها .

نعم في مصر يلعنون الحسين لأنه حالف الإنكليز الذين كانوا طردوا الخديوى عباس حلمي وأتوا بعمه السلطان حسين كامل بعد إعلانهم الحماية على مصر . الهنود غاضبون ولا سيما جمعية الخلافة التي كان رئيسها مولاي شوكت علي . كذلك رجالات العرب أمثال الأمير شكيب أرسلان وأسعد الشقيري — والد أحمد الشقيري — وعبد العزيز شاويش ومحمد كرد علي — وعبد الرحمن النقيب وغيرهم وهم كثر كانوا يشنعون ويندون بالحسين لمحالفته الإنكليز ولمحاربته الخليفة . ومع كل هذه المغامرة والمخاطرة من قبل الحسين فإنهم جازوه جزاء سنمار إذ سجنوه في قبرص مخلوعاً عن عرشه وبعيداً عن بلاده ، بعد أن كان أميرها وشريفها منذ ١٩٠٨م، وحين حضرته الوفاة تكرموا وفكوا أسره ليدفن في القدس الشريف . كل هذا عملوه معه لأنه رحمه الله لم يوافقهم على توقيعه إتفاقية أرسلوها اليه وفيها اعتراف بواقع الأمر . أي الانتدابات وخاصة الموافقة على وعد بلفور المشؤوم وإني أجزم وأشهد أن الحسين ذهب ضحية وعد بلفور .

٢ — بقيت مصراً على مناصرتك للغرب بصورة عامة ، وللانكليز بصورة خاصة ، مع علمك اليقين أنهم قسمونا إلى دويلات ، ووضعونا تحت انتدابات ووصايات، وأعلنوا وعد بلفور المشؤوم في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ثم رعايتهم لهذا المولود المدلل إلى يومنا هذا، وسيبقون كذلك حتى قيام الساعة .

٣ — ناصرت الغرب بصورة عامة ، وإنكلترا بصورة خاصة ، في قطعك العلاقات بين العراق وألمانيا ابان الحرب العالمية الثانية في سنة ١٩٣٩ ثم أردفتها مع الطليان مع إعلانك الحرب على ألمانية في عام ١٩٤٢ .

٤ — شجعت الأمير عبد الله على أن يرسل كلوب وقواته الأردنية الهاشمية لمساعدة القوات الإنكليزية لتحتل بغداد ثانية في مايس ١٩٤١ وما تلا ذلك من ويلات ، وانتهاك للحرمات ، وقتل وتدمير في طول البلاد وعرضها ، فضلاً عن ما لحق الجيش العراقي المحبوب — ذلك الجيش الذي أتشرف متباهياً

وأقول أني كنت أحد مؤسسيه البارزين ولا فخر ـ أقول لما لحق الجيش من إهانة وتقليص قواه، ثم شنق قواده الأبطال أمثال: صلاح الدين الصباح، ومحمود سلمان، وفهمي سعيد، وكامل شبيب، وزميلهم في الجهاد يونس السبعاوي، ذلك البطل المغوار الذي عجزت الأمهات عن أن يلدن مثله.

٥ ـ عندما أسندت اليك الوزارة في سنة ١٩٤١ كانت باكورة أعمالك ـ كما ذكر تلميذك خليل كنة ـ انك سارعت إلى إعلان الحرب على ألمانيا، وسلمت رعايا دول المحور إلى بريطانيا، وقمت باعتقال المئات من العراقيين الوطنيين، ووافقت على محاكمة الضباط والمدنيين المعتقلين في روديسيا، ومهدت لمحاكمة القادة والوزراء. وهكذا تآمرت أنت والوصي عبد الإله والإنكليز بهذه المحاكمة الصورية على شنق من شنقوا، وسجن من سجنوا، ومن ثم ذهبت إلى تركيا مع سيدك الوصي، وأقنعت حكومتها ليسلموكما اللاجىء السياسي صلاح الدين الصباغ خلافاً للعرف الدولي لتحاكموه وتعلقوه على بوابة وزارة الدفاع.

٦ ـ أدخلت العراق في حلف بغداد، ذلك الحلف الذي صيغت بنوده بمعرفة «تل أبيب» عاصمة اللقيطة إسرائيل وبدخولك في هذا الحلف، مزّقت شمل العرب، وفرّقت كلمتهم، وحصلت الفجوة والهوة العميقة بينك وبين رائد العرب وزعيمهم الأوحد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة.

٧ ـ شجعت وزير خارجية إنكلترا ايدن (حسبما ذكر ذلك إيدن نفسه في مذكراته) ليهاجم مصر، وليبعد عبدالناصر عن الحكم) ولكن الله سلم الكنانة وزعيمها غير المنازع مع أن الهجوم الذي وقع في سنة ١٩٥٦ على مصر الشقيقة من قبل حكومتين عظيمتين هما (إنكلترا وفرنسا واللقيطة إسرائيل) كان أعنف هجوم وقد جرى بقواتهم البرية والبحرية والجوية. أتعلم يا نوري أنك بتشجيعك هذا لايدن شاركت بل نفذت رغبة «بن غوريون» إذ بعد الاعتداء على مصر وانسحاب القوات المعتدية عن بور سعيد ومن غزة وسيناء، وجهت

المعارضة سؤالاً إلى بن غوريون ــ لماذا لم تهجموا على الضفة الغربية الأردنية وتحتلوها وهذه أنفع لنا وأسهل فهاجمتم صحاري سيناء القاحلة ؟. فأجاب « بن غوريون » كانت الغاية العظمى من الهجوم أن نبعد عبد الناصر من الحكم فقد أصبح عبد الناصر أسطورة ، والقضاء واضح على شخصه ، قضاء على العرب أجمع . هذا وليس من حاجة لذكر ذهابك إلى إيران أثناء الاعتداء الأثيم والأغنية واليستات التشفية التي كانت تذاع من راديو عاصمة الرشيد . أليس هذا الاعتداء الأثيم من قبل حليفك إيدن على الشقيقة مصر كاف لتخرج من حلف بغداد المشؤوم ؟ وهل اكتفيت بأن وزير خارجيتك برهان الدين باش أعيان أبدي أسفه للحليفة لهجومها على مصر التي يربطها وإياك الضمان الجماعي العربي ؟

٨ ــ عملك « الاتحاد العربي » بين العراق والأردن لتحارب وحدة الجمهورية العربية المتحدة مع سوريا .

٩ ــ وأخيراً وليس آخر التآمر على سوريا الشقيقة لتقدمها هدية إلى سيدك الوصي عبد الإله الذي تعرف أنت أكثر من أي شخص آخر أن الرجل فيه كل عيوب الشرع من بخلٍ وحقد ولؤم وسوء خلق. وقضية تآمرك وإياه على قتل غازي ما تزال تلوكها الأفواه حتى اليوم والعلم عند الله .

* * *

نعود الآن إلى موضوعنا عن ذكر المبررات التي جعلت العرب يثورون على الأتراك فأقول: أن محمود شوكت باشا ، الذي أنقذ الحكومة العثمانية من طغيان السلطان عبد الحميد ، وأصبح رئيساً للوزراء ووزيراً للدفاع ، قتل شر قتلة لمجرد كونه عربي الأصل عراقي المنبت ، وعزيز علي الذي كانت جهوده تماثل جهود أنور ونيازي في الانقلاب العثماني تنكر له الترك وحكموه بالإعدام لمجرد أنه عربي الأصل مصري المنبت ، وكانت سجلات وزارة الدفاع في الأستانة مؤشر فيها بحرف (ع) تجاه اسم كل ضابط عربي ليبعدوه عن بلادهم وأن

الاتحاديين بجهلهم السياسة نفرّوا العناصر غير التركية منهم، وكانوا ينسبون كل شيء إلى تركيا. فمثلاً — في الأستانة نفسها إذا صدرت جريدة قالوا عنها (ترك غزه ته سي) أي جريدة تركية، وإذا فتحوا مقهى قالوا عنه (ترك قراءت خانة سي) أي مقهى تركي، وإذا فتحوا جمعية أو نادي كتبوا على بابه (ترك يوردي) أي الوطن التركي، وعلى البقال (تركي بقالي) وعلى المطعم (ترك لوقنطة سي) حتى أن أحد عقلائهم انتقدوهم وقالوا لهم إذا فتحنا في بلد أجنبي مطعماً فيجب أن نكتب عليه (ترك لوقنطة سي) أو تصدر جريدة نقول عنها (ترك غزة سي) لا في عاصمة تركيا المفروض أن كل شيء فيها تركي ولا حاجة للتخصيص وهكذا أيها القارىء بدأ الاتحاديون أعمالهم الاستفزازية وكشفوا القناع عن وجوههم للعناصر غير التركية. قتلوا الأرمن بالجملة، وعملوا مثل ذلك بالأروام، وقتلوا من الأكراد العديد، وأضاعوا الألبان، وأرادوا أن يذلّوا العرب ويقضوا على قوميتهم، وهم الأغلبية العظمى في الحكومة العثمانية وذوو الماضي المجيد، فباشروا بقتل خيرة رجالهم المثقفين من مدنيين وعسكريين أمثال شكري العسلي، وسليم الجزائري، وعبد الوهاب الإنكليزي، والأمير الشهابي، والمحمصاني محمد وأخيه، وعبد الكريم الخليل، والزهراوي وغيرهم من الذين شنقوهم في بيروت ودمشق وحاكموا الكثيرين غيرهم في مجلسهم العرفي في عاليه أمثال يوسف السويدي، وأحمد عزت الأعظمي، وثابت عبد النور، وغيرهم من سوريين وعراقيين ولبنانيين. وهكذا أرادوا السوء بالعرب الأمر الذي جعل الألمان حلفاؤهم ينصحوهم، إذ كانوا يعرفون جيداً أن هذه الخطة الفاشلة تجلب عليهم وعلى حلفائهم الدمار، ولكن الاتحاديين لم يقبلوا النصح ولم يرعووا عن غيهم، وأن جمال باشا السفاح بعد ان شنق الأحرار من العرب، نقل الفرق العربية من بلاد الشام إلى الأناضول والروميلي، وأتى إلى محالها بفرق تركية ولما نصحه الأمير فيصل بأن لايسترسل في شنق الأحرار العرب وأن يعاملهم بالحسنى ولا سيما في هذه الأيام العصيبة والحكومة تحارب في عدة جهات؛ لم يسمع النصح منه بل أسمعه بأن الحساب

سيلحق الآخرين الأمر الذي فهم منه ضمناً أنه يريده هو ووالده وأهل بيته ليحاسبون حساباً عسيراً فخرج من الشام خائفاًيترقب بعد أن خدع جمال باشا بقوله له (دعني أذهب إلى المدينة المنورة لأهيىء حملة أكون على رأسها فتساهم في القتال مع الحملة التي ستتوجه إلى القناة) وهكذا ترك دمشق وتوجه الى المدينة وأعلم والده الحسين بالأمر ليعجل بالثورة، ولا سيما وأن الاتحاديين كانوا يعدون العدة لخلعه من إمارة مكة . وهو ما حققوه فعلاً بنصبهم الشريف حيدر فأحبط مساعيهم وأبطل خططهم الجهنمية التي كانوا يريدون تنفيذها في البلاد العربية. فقد اثار عليهم الحسين ثورته التي أوقفت ظلم الاتحاديين ، وحددت طغيان جمال باشا ، وأبدلت شدته ليناً ، وكان الحسين منذ عينه الاتحاديون سنة١٩٠٨ أميراً لشرافة مكة بدأ يعمل في الخفاء للانفصال عن الأتراك ، وكان قد عاش وأولاده قرابة ١٥ سنة في الأستانة فعجم عودهم، وعلم بنياتهم السيئة ومع أنه كان يتظاهر بالولاء لهم حتى أرسل سنة ١٩١٣ ولده فيصل إلى (أبها عاصمة الأدريسي) لكنه كان يعد العدة في الخفاء فأوعز إلى نجله الأمير عبدالله أثناء ذهابه إلى اسطنبول - إذ كان نائباً في مجلسها بل نائباً لرئيس المجلس النيابي- وأمره أن يجس نبض الإنكليز فاتصل عبد الله باللورد كشنر المقيم البريطاني في القاهرة لهذا الغرض .

وكان الحسين بادىء ذى بدء يطمع في استعادة الخلافة من الأتراك ، وكان يقوي هذا الاعتقاد عند الأتراك أن الحسين كان يعارض مد السكة الحديدية بين المدينة ومكة لئلا يزيد سيطرتهم في الحجاز ولذا عين الاتحاديون وهيب باشا قائداً ووالياً على الحجاز ليقلل من نفوذ الحسين، وليوقفه عند حده . ولكن الحسين كان حذراً ويقظاً لما كان يدبر له في السر والعلن ، وكان يطلع على جميع المخابرات التي تجري بين الوالي ووزارتي الداخلية والدفاع في الأستانة خلسة ، وكان يعمل جاهداً لإحباط مساعي وهيب باشا . وعلى أثر إعلان الحرب في سنة ١٩١٤ أعلن الأتراك الجهاد على الحلفاء . ووزعوا المنشورات في طول البلاد وعرضها كما أرسلوها إلى بعض الجهات الخاضعة للحلفاء ظانين أن

المسلمين سيساندوهم فيخلقون المشكلات للحلفاء . وكان الأتراك يجهلون كل الجهل حالة الإسلام والمسلمين المادية منها والمعنوية يومئذ ، وقد غرّهم بعض الزعماء المتزلفين بأن أية حركة يقوم بها الأتراك ضد إنكلترا وفرنسا لا تلبث أن توقد النار في المستعمرات البريطانية والفرنسية ، ولكن الأحداث كشفت خطأ الأتراك فيما تخيلوه فإن فتاوي الجهاد لم تعمل عملها حتى في الأقطارالعربية. ولسنا ننكر ما حدث من الإثر بسبب دخول تركيا في الحرب ضد الحلفاء ولكن هذا الأثر لم يكن عظيماً بقدر ما كانوا يأملون ولا سيما بعد أن ساء الوضع الحلفاء في الغرب وفي الدردنيل وفي الكوت .

دخل البريطانيون في مفاوضات مع الحسين فوصلوا ما انقطع مع اللورد كشنر ، وبدأت المراسلات تأخذ طابع الجد بين الحسين ومكماهون فشم الرائحة بصرى باشا — وكان محافظ المدينة المنورة حينذاك — فكتب إلى الأستانة بذلك فأرسلوا فخري باشا مع فرقته التي كانت في الموصل إلى المدينة المنورة، وفي نفس الوقت كان الأمير فيصل قد عاد إلى المدينة هرباً وكان أوهم جمالاً السفاح بأنه يجمع في الحجاز قوة بدوية سيارة من خيالة وهجانة لمعاونة الحملة التي ستذهب إلى السويس لفتح مصر ، وهكذا شائت الأقدار أن بطل الثورة فيصل الذي كان الأتراك يعتقدون بأنه سيجمع الجموع لمعاونتهم لمصر مع أنه كان يعد العدّة لحشد هذه الجموع ليضربهم بها الضربة القاضية عندما يحين الوقت . كما أن أكبر أنجال الحسين « الأمير علي » كان في المدينة حينذاك فبدأ الأميران علي وفيصل يتبادلان مع فخري باشا الزيارات والولائم والهدايا حتى إذا دنت الساعة الرهيبة — الساعة التي وثب فيها العرب وثبتهم الكبرى تحت راية الحسين لاسترداد حقهم المسلوب منذ مئات السنين أي منذ مااغتصبها السلطان سليم العثماني وانتصاره في « مرج دابق » على جيش الخليفة العباسي وها أنهم ما كاد يبزغ يوم ٩ شعبان ١٣٣٤ هـ المصادف ١٠ حزيران ١٩١٦ م حتى دوت الطلقة الأولى من البلد المقدس عاصمة الحسين تتبعها الطلقات على حامية المدينة المنورة من الأمير علي وفيصل ، وعلى حامية الطائف من الأمير

عبد الله ، وعلى حامية جدة من الأمير زيد . وهكذا اندلع لهيب الثورة العربية الكبري وذاع خبرها في جميع أنحاء المعمورة، وطرق سمعنا وكنا حينذاك « في سمربور بالهند »كأسرى حرب ، هذا الخبر السار الذي كنا نتشوق إلى سماعه فسرّنا غاية السرور وأفرحنا غاية الفرح لا لأن الحسين بن علي قام به بل لأنا كنا نترقب بشوق نداء أي أمـــير عربي سواءً أكان من المشرق العربي أو من مغربه ، وسواء كان ذلك الأمير حجازياً أو سعودياً أوعراقياً أو مصرياً، شامياً أو يمنياً فكيف وأن نيران الثورة العربية اندلعت من الحجاز مهبط الوحي؟ وهذا يبشرنا بخير ويجعلنا نتفائل تفائلاً حسناً ويذكرنا أن الحجاز كما كان في صدر الإسلام لم يزل حاملاً لواء النهضة .

رأيي في الثورة العربية

هنا أسجل رأيي بصراحة ما وراءها صراحة وأقول: أن الثورة التي فجرها الحسين بن علي كانت هي « الثورة العربية الكبرى » لا لأن الحسين مفجرها بالذات ، بل لأن الصدف شائت أن يفجرها هذا الزعيم العربي . فالعرب كما ذكرت آنفاً كانوا يعدون العدة لها منذ عام ١٩٠٨ – أي بعد خلع السلطان عبد الحميد مباشرة ، وسيطرة « جمعية الاتحاد والترقي »على مقاليد الأمور،وتنكرهم للعناصر غير التركية عامة ، وللعرب خاصة – إن لم أقل أنه بدأت تباشير القومية قبل هذا التاريخ عندما تغنى بها ابراهيم اليازجي في أشعاره ، وعبد الرحمـــن الكواكبي في مقالاته ، وبعد أن شعر العرب بالخطر المحيق بقوميتهم ، وعلموا بسوء نوايا الاتحاديين تجاه قوميتهم فعقدوا العزم ، وشكلوا المنتديات والجمعيات. السرية منها والعلنية ، في دمشق وبيروت وبغداد والقاهرة والنجف والبصرة حتى في الأستانة ، حاضرة الأمبراطورية العثمانية ، وبدأوا يتكتلون ويعدون العدة . وإذا قلنا أن الحسين عندما كان شريف مكة وأميرها يعاكس الأتراك ويمنعهم من مد السكة الحديدية من المدينة إلى مكة ويشاكس الذي يريد الحد من نفوذه ، فما كان يدور في خلد الحسين أنه سيفجر ثورة باسم العرب أجمع

ولكن عندما شعر أن الخطر أصبح يتفاقم، أوعز إلى ولده فيصل أن يمر بدمشق عند عودته من الأستانة إلى الحجاز ويجسّ النبض هناك. فاتصل بدوره بجمعية الفتاة الدمشقية التي كان من أساطينها نسيب البكري، وكان الأمير قد نزل ضيفاً في داره. وأنا لا أشارك الأستاذ أنيس الصائغ وتهجمه على الهاشميين في كتابه (الهاشميون) لأن ظواهر الحقد بادية على كتابته إذ بلغ به حداً أنه جعلهم أبناء زنا ... وأنهم وأنهم .... الخ.

التحاقي بالثورة

في أواسط حزيران ١٩١٦ المصادف أواسط شعبان ١٣٣٤ هـ وعلى أثر إعلان «الثورة العربية الكبرى» زارنا في المعتقل أحد جنرالات الجيش البريطاني وصافح كلاً منا نحن الضباط العرب، ثم أخذ يلاطفنا مع أن أصحابه إلى ما قبل نصف شهر، كانوا يعاملون الأتراك أحسن من معاملتهم للعرب، وبعد بضعة أيام من هذه الزيارة قال لنا الإنكليز لدينا معاملة تبادل أسرى للضباط والجنود المدفعية فتهيأنا للحركة وكنا حينذاك عشرة ضباط و١٥٠ جندياً وكان الذي يجلب النظر أننا كنا جميعاً من ضباط وجنود من العرب فقط - أي لم يدخلوا أي شخص معنا من أخواننا الكرد أو التركمان - فكتب الكثير من الأسرى الذين كان عددهم ينوف على الـ ٣٠٠ ضابط و ٤٠٠٠ جندي «عدا المدنيين» كتبوا الكتب والرسائل وسلموها لنا لإيصالها إلى أهلهم وذويهم مع العلم أن البعض منا كان يعلم أننا سوف نذهب إلى الحجاز للالتحاق بالثورة إذ كان أخبرنا حسين أفنان بذلك، وكان هذا يشغل منصب رئيس المترجمين لآمر المعتقل ثم أصبح سكرتيراً لمجلس الوزراء في العراق إلى أن (شلفه)[1] ياسين الهاشمي في عام ١٩٢٤ إذ كان موضع ثقة الدولة المنتدبة والمدلل عندهم.

تركنا المعتقل في أواخر حزيران ١٩١٦ واستقلينا القطار نحو بومباي، وبينما

---

(١) شلفه - تعبير عراقي يعني أخرجه من وظيفته وخلص البلاد منه.

نحن فيه، قرأنا الصحف – وكانت قرائتها محرمة علينا من قبـــل – فعلمنا أن نيران « الثورة العربية الكبرى » قد اندلعت في الحجاز، وأن الحسين يستصرخ أبناء جلدته لشد أزره فيؤدي الرسالة التي قام من أجلها للعرب والإسلام .

ويجدر بي هنا أن أسجل حقيقة واقعية وهي « أن عز الإسلام بعز العرب » إذ هم أهله ، ومنهم نبيه ، وبهم انتصروا ، وعندما تهاونوا في اتباع مبادئـــه القويمة ذهب سلطانهم ، وتبدّل عزهم ذلاً ، ونصرهم خذلاناً ، واستكانوا مدة طويلة تحت حكم الأعاجم والمماليك الذين شروهم بدراهم معـــدودات ليكونوا جنداً لهم . وليتهم اكتفوا بذلك لكنهم كانوا يسملون عيون الخلفاء ويعذبونهم شر عذاب ويقتلونهم شر قتل وكانت الحالة كما وصفها شاعرنـــا العربي – :

خليفـــة في قفص بين وصيف وبغا
يقول مـــا قالا له كمـــا تقول الببغا

وبعد المماليك تقلد الحكم الأتراك العثمانيون، حفدة جنكيز وهولاكو الذين عفوا على كل أثر تاريخي ومحوا معالم المدنية الزاهرة في عروس الشرق عاصمة الخلفاء (بغداد) الأمر الـــذي جعل العظماء يشيدن بفضل العرب وقد شهد بذلك الفيلسوف الإفرنسي العظيم غوستاف لوبون الذي قال : – ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب .

نعم نهض الحسين بن علي وأطلق رصاصته الأولى في بطاح « أم القرى » معلناً انتهاء ذلك السبات وتلك الاستكانة . وصل بنا القطار إلى « بومبـــاي » وركبنا الباخرة فكانت تمخر عباب البحر ميممةً شطر « قناة السويس » فتأكد لدينا حينذاك أننا في طريقنا إلى الحجاز . إذا لو كانت هناك مبادلـــة أسرى لذهبنا إلى الخليج العربي تواً حيث هناك الفاو فالبصرة. وكنا نعامل في الباخرة معاملة كريمة وصرنا نتجاذب أطراف الحديث بيننا نحن الضباط .

بقينا في القاهرة حوالي الأسبوع قبل أن نغادرها إلى الحجاز وأود أن أذكر

شيئاً مما جرى خلال ذلك .

١ ــ كلفنا نوري أن نتوسط لدى عزيز علي المصري لينضم إلى الثورة فقبل العزيز وساطتنا ونفذ وعده بالالتحاق الفعلي .

٢ ــ كلفنا حسن خالد أبو الهدى أن نتوسط لدى رئيس المكتب العربي « كورنواليس » أن يأتي بطالب النقيب من الهند إلى القاهرة فقبل هذا وساطتنا ونفذ وعده إذ كان النقيب يعاني الشدائد في الهند .

٣ ــ كان أحد أخواننا الستة (رشيد المدفعي) وهو المجرّب إذ كان أكبرنا سناً ورتبة عندما قال لنا « أيها الأخوان نحن سنذهب إلى الحجاز ، وسنحارب الأتراك الذين إذا وقع أحدنا أسيراً بينهم فسيقتلونه شر قتلة ، وإذا بقينا أحياء ولم نقع أسرى بيدهم . وحيث أن بغداد والموصل ودمشق لا تزال بأيديهم ففي أول نبأ يصل اليهم بأننا من جملة من يحاربهم فإنهم سيصادرون أموال أهالينا، ويسجنونهم ويعذبونهم أنواع العذاب. أما إذا انتهت الحرب في صالحهم ــ لا سمح الله ــ فسوف لا يستخدموننا بل سيطاردوننا حيثما كنا وعليه : علينا أن نطلب من الإنكليز أن يضعوا في أحد بنوكهم مقداراً كافياً من المال لنستعين به في مستقبلنا » كان كلامه منطقياً ولكن قل لي بربك أيها القارىء ألا يشمّ منه رائحة المنفعة الشخصية وروح المساومة ؟ لا .. لا ورب الكعبة لا نوافق على هذه الفكرة لئلا يفهم من هذا أننا لسنا من ذوي المبادىء وانا كنا من عبدة الذهب الرنان ولا نريد لأنفسنا هذه التهم الشائنة . إذاً فرأى رشيد ليس برشيد .

أطلت عليك الحديث أيها القارىء ولعلك تريد النتيجة ! أي نعم بقينا في مصر بضعة أيام أطلعنا خلالها الإنكليز على المدافع الأربعة . إثنان منها أبوس عيار خمس عقد وإثنان مدافع جبلية هندية عادية عيار ٣ عقدة أكل الدهر عليها وشرب. وأرادوا أن يختبرونا هل نحسن استعمالها أم لا؟ وكان لهم بعض الحق إذ هي مدافع إنكليزية ـ ونحن كنا نستعمل المدافع الألمانية إلا أنهم سألونا

بعض الأسئلة التافهة كان من اللياقة أن لا توجه إلى أمثالنا من ضباط تخرجوا من كلية حربية راقية ومن أساتذتها ضباط ركن أتراك وألمان خاصة وخبرونا الإنكليز في حربنا معهم . ولكن الإنكليزي من طبعه يريد أن يتأكد أولاً ثم يقدم وهكذا بعد الاطمئنان سلموا لنا مدافع مجهزة بأعتدتها وخيلها وما يلزم لها من تجهيزات مشفوعة ببنادق وأعقدة فأرسلت بالقطار إلى السويس ومنهـــا ركبنا وإياها الباخرة ميممين وجوهنا شطر كعبة الآمال وكنا في الباخرة الجماعة الآتية :

١ ــ نوري السعيد ــ ٢ ــ سعيد المدفعي ــ ٣ ــ محمد حلمي ــ ٤ ــ ابراهيم الراوي ــ ٥ ــ رؤوف عبد الهادي ــ ٦ ــ الدكتور أمين معلوف ــ ٦ ــ فؤاد الخطيب ــ ٨ ــ محب الدين الخطيب ــ ٩ ــ الدكتور خليل الحسيني . والجنود المدفعية وكان عددهم نحو المائة وثلاثون جندياً .

يلاحظ من قراءة الأسماء المذكورة أعلاه، والتي يجب أن يعبر عنها بالرعيل الأول، أن هذه كانت أول قوة نظامية ترغب في الانضمام إلى الثورة ــ أقول توجد أسماء غريبة مع عدم ذكر أسماء من بقي من الضباط واليك البيان : ــ

إن رشيد المدفعي وراسم سردست اللذان كانا قد وافقا على الالتحاق بالثورة تخلفا في مصر لأسباب خاصة على أن يلتحقا بنا بعدئذ ، وفعلاً بعد شهر تقريباً انضما الينا . وأما رؤوف عبد الهادي ــ وهو من الشبان الفلسطينيين ــ وقريبه عوني عبد الهادي، فهو من الضباط الاحتياط وبرتبة وكيل ضابط ، وأما الدكتور أمين معلوف فكان أحد المستخدمين في مصر والسودان ، وأما فؤاد الخطيب فهو أحد أساطين الأحرار العرب والمحكوم عليه بالاعدام من قبل جمال السفاح والذي توفي مؤخراً كسفير للمملكة العربية السعودية في كابل كان آنذاك مستخدماً كأستاذ في جامعة الخرطوم . وأما محب الدين الخطيب فهو من العرب الأحرار الذين كافحوا بقلمه السيال في كبريات الصحف المصرية في « القاهرة » وفي جريدة القبلة في « مكة المكرمة » بالمشاركة مع فؤاد الخطيب وكان أحد أعضاء

حزب اللامركزية الذي كان يرأسه رفيق العظم . أما الدكتور خليل الحسيني فهو طبيب في الجيش المصري أرسلته الحكومة الإنكليزية ليشرف على صحة هذه المجموعة حتى وصولها إلى مكة ثم يعود إلى مصر ولكن عندما اختلط بنا وسمع الأناشيد الوطنية التي كنا نرتلها في حماس شديد على ظهر الباخرة ومنها —

خضّبوا الأرض بدم فالعدى خانوا الذمم
واذكروا ماضي الشمم واجعلوا البيض حكم
طوقوا أجيادها متنوا أعضادها
حطموا أغمادها واغمدوها في القمم

. . . . . .

إن كل الإرب في شفار القضب
واندبوا للطلب كل ليث غلب
قرّبوا الخيل الجياد وانتطوا البيض الحداد
وارفعوا مجد البلاد فوق هام الشهب

. . . .

نحن أبناء الألى شادوا مجداً وعلا
نسل قحطان فاصلاً ليس نرضى الأسر
قد عشقنا الموت من صغر فلن نرضى بذل
كل من يبغي علينا إمرة بالظلم قل له
حاشى نرضى الأسر
نسل قحطان الأبي جد كل العرب
لن تجد منا الأعادي غير طعن السمر
هذه آثارنا تتلوا لكم أسفارنا
كلها فخر لنا تشهد بأن قانوننا
المجد أو في القبر

. . . .

نحن خوّاضوا غمار الموت كشافوا المحن
مـا لنا غـير اكتسـاء العز أو لبس الكفن
نبـذل الأرواح نفديهـا لأحياء الوطن
هل سوى الأرواح للأوطان في الدنيا ثمن
أنت يا أوطان من أرض حوتنا أو سما
فارفعي في مجد عليـاً ك اللواء المعلمـا
وارتقي نحو المعالي واجعلينـا سلمـا

. . . .

نحن جند الله شبان البلاد نكره الظلم ونأبى الاضطهـاد
فارفعوا الأعلام وامشوا للجهاد أن أعدائنا تمادوا في الغرور

. . . .

وكان المرحوم سليم الجزائري لشدة حماسه للعروبة كان قـد أنشد في الأستانة القصيدةالآتية :

ساعدوني يا رفاقي واطلبوا لعنـة الله على كل العرب (١)
لعنـةً واسعةً تشملنا نتقاضاهـا على حسب الرتب
كلنا صم وبكم وليس مـن ذي حياة كي يجيب أهل الندب
أن نقل هبوا تجد قبل الجميع من ظن به الخـير هرب
وأن دعوتهم إلى أعزومـة أو إلى أسقيةٍ حالاً تجد
إن شكوت الحال قالوا ما لنا هل منفعنا شيء من قلي الكبب
فـإن كنت عليهم والياً ولعنت جد أعلاهم نسب
ومخطّ وتفلتَ وبزقتَ بدقن وبوجه وشنب

(١) كان يقول على نفسه رحمه الله (أن كلة لعنة الله على العرب) يشملني منها قسم كبـير باعتباري مقدم ركن وذو مكانة .

وانتهرت بعنف قـائلاً نه أدبسس بر هز يفسك[1] بيس عرب
لا لأسباب ولكن هكذا تجده العكروت يحسبه رتب
يلفت مـا حوله مبتسماً ويقول إنها لي نيشان من ذهب
وترى يمناه مثل المروحة يتمنى بخضوع وخشوع وأدب

. . . .

لغة العرب اذكرينا وانجزي مافات كيف ننساك وفينا نسمة الحياة
حكم الدهور عليك بالشقى الأنكد أفلا يرضى بنوك طالع الأسود
يا بني الشام ومصر والعراق هل نسيتم ذكر عصر طبق الآفاق

. . . .

صليل الظبي وصرير القلم لفك القيود وشق الظلـم
بدونهمـا لا حياة لنـا فهـذا وذاك حياة الأمم
فقل يا أخ العرب إذا مشيت معي قدماً لقدم
أحب الجمال أحب السيوف أحب النفير أحب العلـم
أحب بلادي وأصبو إلى هدير المياه وثلج القمم
وأبرز للجهـاد مع أخوتي فنأخذ بالثأر ممن ظلم
إذا انكسر السيف في راحتي لقد بقيت في الضلوع الهمم

. . . .

يا بني عمي ويا نسل الكرام لا يغرنكم لـين الكلام
فارفعوا الأعلام وامشوا للأمام إن أعدانا تمادوا في الغـرور

كان بعض هذه الأناشيد الحماسية لسليم الجزائري الذي كان مقدم ركن ويدرس التعبئة في الكلية الحربية في الأستانة والذي شنقه من أجلها جمال السفاح.

كذلك كلنا نرتل قصيدة الثورة الرائعة التي جادت بها قريحة الشاعر الفحل فؤاد الخطيب وأذكر منها ما يلي : —

---

(١) « نه أدبسز بر هريفسك ببس عرب » تعبير تركي يوجه عادة من التركي إلى العربي ومعناه: يا قليل الأدب أيها العربي القذر .

٠١٦٢٣٧

حي الشريف وحي البيت والحرما وانهض فمثلك يرعى العهد والذمما
يا صاحب الهمة الشماء أنت لها ان كان غيرك يرضى الأين والسأما
واسمع قصائد ثارت من مكامنها ان شئتها شهبا أو شئتها رجما
من شاعر عربي غير ذي عوج قد بارك الله منه النفس والكلما

. . . .

بالله يا دار قسطنطين إن نطقت فيك الرسوم وصاح البحر مرتطماً
واقتصّ منكِ قضاء الله ثانيــة شر القصاص وأمضى فيك ما حكما
فحدثي آل جنكيز وصاحبهــم عن مصرع الروم والعرش الذي انحطما
إن أمهلتهم فما كانت لتهملهم تلك الشرور التي تستأصل الأمما
أنحوا على أمة كانت لهم عضداً في النائبات ورداً يدفع النقما

ومنها :

هيهات اكتب منذ اليوم مرثية إلا إذا كان حد السيف لي قلما

ومنها :

لستم بينهم ولستم من سلالتهــم إن لم يكن سعيكم من سعيهم أمما
إلى الشام إلى أرض العــراق إلى أقصى الجزيرة سيروا واحملوا العلما

كان الدكتور خليل الحسيني — الذي حركت فيه هذه الأناشيد الحماسية كامن حبه للعروبة قرر أن يشارك هذه المجموعة فسألنا عما يجب أن أعمل لألتحق بالثورة فقلنا له : — بعد عودتك إلى مصر تراجع المعتمد شريف الفاروقي ، وتطلب اليه تسهيل سفرك إلى الحجاز . وهكذا عمل والتحق بعد مضي أيام وانضم الينا . وبعد بضعة أشهر التحق بالثورة شقيقه الدكتور محمد الحسيني وظل يساهم فيها حتى سقوط الحجاز بيد عبد العزيز آل سعود وترك الحجاز مع الملك علي ملك الحجاز إلى العراق وبقي معه طبيباً خاصاً للملك علي حتى قضى نحبه في بغداد — رحمه الله .

وصولنا إلى مهبط الثورة

وصلنا إلى « جدة » في أوائل شوال ١٣٣٤ هـ (٢ ب١٩١٦م) وكلنا آمالاً حية شاكرين المولى عز وجل الذي سهل لنا الأمر إذ كنا أول رعيل يلتحق بالثورة. وكدنا نقبل الأرض عندما وطأتها أقدامنا في ميناء «جده» فنزلنا ضيوفاً في دار الوجيه محمد نصيف بأمر من الحسين . ومحمد نصيف هذا عالم سلفي يسكن «جده» وكان موضوع ثقة الحسين كما هو الآن ولا يزال في جدة — في عام ١٩٦٦ — واجهته في بيروت إذ كنا مصطافين في جبل لبنان — وهو في الوقت نفسه موضع ثقة السعوديين ، وهو من خيرة الرجال الصلحاء وفي داره مكتبة عامرة كتب على بابها — فيها كتب قيمة — وكانت الحالة في جده كما يلي : —

١ — ضباط وجنود أتراك يناهز عددهم الألف تقريباً يسرحون ويمرحون في البلد منذ سقوطها مع الضباط والجنود الذين أتوا من مكة بعد سقوطها ومضى عليهم نيف وشهر وهم يختلطون بالأهلين والأجانب معاً ولا رقيب عليهم .

٢ — الأهلون ومنهم من كان غير راض عن الثورة أو غير واثق بها فسكتوا على مضض رهبة من الحسين .

٣ — المسلمون من مصريين وهنود وجاويين وأتراك وغيرهم كانوا ضد الثورة على خط مستقيم للأسباب التالية : —

آ — المصريون المحتلة بلادهم ظلماً وعدواناً من قبل الإنكليز الذين أبعدوا الخديوي عباس حلمي عن عرشه لميوله الوطنية وهو الذي كان ابن عم الامير سعيد حليم رئيساً للوزارة في الحكومة العثمانية . فكيف يرضون بالثورة وزعيمها الحسين يحالف الإنكليز ويحارب (الدولة العثمانية) ؟

ب — الهنود الذين يبغضون الإنكليزي المحتل الغاصب والمتنعم بخيرات بلادهم وهم في ضنك شديد من العيش فضلاً عن أن شبابهم يساقون كالأنعام إلى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل إن لم أقل ليشيدوا أركان الاستعمار البريطاني في بلادهم وفي بلاد جديدة تفتح بحرابهم فهل من المعقول أنهم

يؤيدون ثورة الحسين ويحبذونها وهو حليف الانكليز ويحارب خليفة المسلمين ؟

ج ــ الجاويون المستعمرون لهولنده فانهم باعتبار انهم مسلمون لا يرضون كل من يتجرأ ويحارب الخليفة متحالفاً مع العدوين اللدودين الانكليز والافرنسيس ؟

د ــ الأتراك هم أولى من كل أحد بالمقت والحقد والكره لكل شخص يحارب بني جلدتهم ولا سيما إذا كان حليفاً لبني السكسون . وعلى القارىء أن لا يستغرب إذا سمع انه في اليوم التالي من نزولنا الى جده فإن الجنود العراقيين العرب (الذين كان عددهم نحو المائة والثلاثين والذين كانوا وافقوا معنا على الانضمام الى الثورة) اعلنوا انهم يرفضون مقاتلة الأتراك .

ففي أول يوم وصولنا جده، وبينما نحن في دار الوجيه محمد نصيف، تلقى نوري السعيد نداءاً هاتفياً من الحسين يأمره بتعيينه وكيلاً للقائد العام وعلى أثر ذلك شمر نوري عن ساعد الجد ليقوم بالعبء العظيم الملقى على عاتقه فأصدر على الفور :

١ ــ أمراً ــ وهو أول أمر نظامي يوجه الى أحد الضباط وكان موجهاً الى رؤوف عبد الهادي ــ أن يجمع أسرى الأتراك ويضعهم في محلٍ تخصصه الحكومة، ويتخذ جميع التدابير الصارمة لحراستهم ومن ثم الاعتناء باعاشتهم ، وتأمين راحتهم من جميع الوجوه حتى يوم سفرهم . اذ كان من المتفق عليه بين الحسين والانكليز أن يرسل الأسرى الى مصر ، وهناك يعتقلون في معسكرات تخصص لهم كأسرى حرب حتى تضع الحرب أوزارها

٢ ــ أصدر أمراً الى الدكتور أمين المعلوف ــ باعتباره مسيحياً ــ أن يبقى في جدّه ليشرف على المستشفى الذي ستفتحه الحكومة للاهتمام بمعالجة المرضى من جنود وأهلين .

٣ ــ اتصل بالسلطة المحلية ، وكان ممثلها القائمقام الشيخ عبد الله زينل المعروف بنزاهته، وأبلغه بأنه أصبح وكيلاً للقائد العام بأمر من الحسين ولذا

يرجوه اعــداد محل يسع الأسرى الأتراك وتخصيص ما يجب لسكناهم واعاشتهم وتعيين قوة كافية لحراستهم، وأنه تقرر تعيين الضابط رؤوف عبد الهادي آمراً للمعتقل.

بينما كان رؤوف عبد الهادي يجمع الأسرى، وعبد الله زينل يهيء المحل لهم وما يلزم لاعاشتهم، نفث الأسرى سمومهم حين التقاهم بجنودنا إذ كما بينت آنفاً كان هؤلاء الأسرى من ضباط وجنود قرابة الألف يسرحون ويمرحون ولا حسيب عليهم أو رقيب فصاروا يقولون لجنودنا ذوي القلوب البسيطة — كيف ولماذا أنت يا أخي الجندي المسلم تحارب أخاك المسلم جنباً لجنب مع الانكليز الكفار؟ هذا فضلاً عن أن الأهلين غير الراضين عن الثورة وكذا المسلمين الذين ذكرتهم آنفاً من مصريين وهنود وجاويين وأتراك وغيرهم الحاقدين على الحسين لاعلانه الثورة تكلموا أيضاً مع جنودنـــا محرضينهم على عدم الانضمام تحت راية الثورة لئلا يبوؤا بغضب من الله ويدخلوا النار بمقاتلة اخوانهم الأتراك.

يا لها من مؤامرة ولله أباك أيها الحسين من هول ما يبيتوه لك ولثورتك وهم في أول ثغرٍ من ثغورك الذي سينزل فيه كل من سيلتحق بك من بني قومك الصيد الأشاوس؟ وكل منهم ينفث سماً بما قالوه الآن بل وأكثر. كاد مسعاهم هذا ينجح في البسطاء وفي الذين لا يعرفون دخائل الأتراك وما يضمرون للعرب من كره وحقد، وما فعلوه بأحرارهم من سجن، وقتل ونفي، وما سيفعلونه طيلة أيام الحرب أو يخرجون منتصرين فيها — لا سمح الله — من الفتك بهم وتتريك من يبقى منهم. ووصل اللغط الينا وأرادوا أن تؤثر دعايتهم المضللة فينا نحن الذين كنا نتعطش للانضواء الى راية أي أمير عربي لنساهم في قتال الأتراك، ولنضع حداً لغرورهم ولنريهم أننا — نحن العرب — ما سكتنا عنهم، واننا ما ماشيناهم وما عاضدناهم في بدء الحرب العالمية الأولى هذه الا محافظة على الوحدة الاسلامية، وحفظاً لكيان البلاد من شر التمزيق. خسئوا لا أم لهم من ناحيتنا ومن تأثير دعايتهم المضللة فينا ولكن

والقلب ملؤه الأسف أن دعايتهم وأباطيلهم مع دعاية وأباطيل أهل « جده » عملت عملها في الجنود البسطاء فنكصوا على أعقابهم وآثروا حياة الذل والأسر على حياة العز والاستقلال، فتجمهروا وقالوا (باد شاهم جوق ياشا) أي ليعش سلطاننا ونحن لا نحارب اخواننا المسلمين وعند ذاك تكلم معهم نوري فلم يجد الكلام معهم فتيلا ، وبقوا مصرين على العودة من حيث أتوا . عند ذاك كلم نوري الحسين تلفونياً وأخبره بجلية الامر فقال له : « يا ابني نحن اللي ما يبغانا ما نبغاه) أي « ان الذي ما يريدنا لا نريده »ولكن قل لهم أنهم وصلوا جده والكعبة قريبة منهم ليأتوا الى مكة ويعتمروا ثم يعودوا » . فلما قال لهم ذلك ابوا . وهكذا ختمت هذه المأساة بهذه الصورة المؤسفة . فان حوالي المائة وخمسة وعشرين جندياً مدفعياً مدرباً كانوا آثروا العودة على الالتحاق بالثورة . ولكن لا بأس لنصبر لئلا نجعل لليأس منفذاً الى قلوبنا العامرة بالايمان لأن اليأس موت ونحن نريد الحياة ولا حياة مع اليأس . وقد عقدنا النية على أن نعيش أحراراً وعليه فلنتحمل هذه الصدمة الموجعة بصدور رحبة ، ولنسير على بركة الله وكل من سار على الدرب وصل . ولا سيما وان الله سبحانه وتعالى يقول : «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » صدق الله العظيم .

ستة من الجنود فقط رضوا بالبقاء معنا حيث نذهب . ورجع الآخرون الى الأسر . وهكذا أخذنا نتهيأ للسفر الى مكة بالمدفعين الأبوس . والمدفعين الهنديين مع البنادق والأعتدة والتجهيزات ، ولكن أتعلم أيها القارىء أن المدفعين الأبوس كان يجب أن يسحب كل منهما بستة خيول وان من الضروري ان يمتطي ظهور ثلاثة منهم ثلاثة جنود ؟ الجنود الستة الباقون معنا بالكاد يكفون وسيتعبون جداً في تلك الأراضي الرملية القاحلة المحرومة من المياه في طقس من أشد أيام الصيف حرارة إذ كنا في شهر آب والخيول الاسترالية لم تتعود هذا الطقس ولا هذه الأراضي وعليه فمن اللازم اللازب أن نعاون جنودنا نحن الضباط الثلاثة أنا وسعيد ومحمد حلمي ونتراوح واياهم على امتطاء

ظهور الجياد تارة، وطوراً ندفع المدافع من الخلف عندما تتعب الخيل وتقف، أو عندما تغرس العجلات في الرمل في تلك الرمضاء وآناً بتنشيف عرق الخيل وسقيها من فناطيس الماء المحملة على الجمال المصحوبة معنا واعطائها العليق بل وحسها وتنظيفها لتقوى على ما هي مقدمة عليه من يحمل المشاق. وهل تصدقني أيها القارىء اذا قلت لك أن أحد المرافقين لنا ـ وهو من أهل البلد ـ لاقى وجه ربه الكريم للجهد الذي صرفه في معاونتنا في سبيل هذين المدفعين الضخمين ؟ وهكذا بعد جهد جهيد وصلنا (بحرة)[1] وبتنا فيها ومن ثم استأنفنا السير في صباح اليوم التالي وعلى ذلك المنوال وتلك المشقة والأهوال ان لم أقل بأكثر عناء اذ حل بنا التعب نحن الضباط والجنود الذين كنا في دعة وراحة منذ نيف وسنة وكان يصح فينا المثل العامي البغدادي (أكل ونوم يا مـال الكوم) اذ كنـا في الهند في بلد يكثر الخير والرخاء و (في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة) فأصبحنا في واد غير ذي زرع اذ لا ظل ولا ماء وفاكهتنا سحب هذين المدفعين الضخمين في هذه الرمضاء والاستعانة بخيول أسترالية أجنبية عنا وعن أرضنا وطقسنا ولكن لا تنسى يا صاحبي أننا نملك قلوباً عامرة بالايمان تذلل كلما صعب بل نحن ولا فخر أولئك الرجال الذين هممهم تقلع الجبال وفي مثل هذه الهمة سرنا وسيرنا المدفعين بل في مثـل هذه الهمة وذلك القلب وما تأصل فينـا من عقيدة راسخة ومبدأ قويم سرنا على مبادىء الثورة ولا نزال وسنناضل حتى الموت في سبيل العروبة ووحدتها شاءت الأقدار أم كرهت . وأعني بالأقدار كل من يقف حجر عثرة في سبيل وحدتنا واستقلالنا من عربي وعجمي في مشارق الأرض ومغاربها .

---

(١) بحرة في وسط الطريق بين جدة ومكة فيها ماء أجاج يقطنها بويتات من ساكني الخيم وفيها مقهى يرتادها المارة لشرب الشاي والقهوة اللذان يزيلان الظمأ والتعب عنهم فضلا عن أن يستظلوا بظلها من لفحة الشمس وسمومها .

الوصول إلى مكة

قبيل الظهر وصلنا مكة وكنا نحن ثلاثة ضباط وستة جنود « أي البقية الباقية من العشرة ضباط والمائة والخمسين جندياً الذين تحركنا من سمربور » بالاضافة الى الذين التحقوا بنا في القاهرة وهم نوري والخطيبان محب الدين وفؤاد ، فاستقبلنا فيها استقبالاً رسمياً من قبل الموظفين ووجهاء البلد الذين كانوا في سرادق نصبوها خارج البلدةوفي الناحية الغربية منها بالقرب من ثكنة (جرول) وبعد استراحة هنيهة هناك وشرب المرطبات ذهبنا الى ثكنة « جرول » ومن ثم إلى القصر حيث الحسين فاستقبلنا إستقبالاً حاراً ، وانه وإن كان – رحمه الله – في سن الخامسة والستين آنذاك الا أنه كان يفوق أكثر الشبان ان لم أقل جميعهم همة ونشاطاً أما بريق عينيه الحادتين الواسعتين وما يشع عنهما فينبآن عما يكن صدره من آمال عظام وما سيقدم عليه من امور جسام وأما نبرات كلماته فتشعر عما يكن بين جوانحه من عزم يفل الحديد . وكان كلما استرسل بالحديث حول نهضته الجبارة والأسباب والعوامل والمبررات اللواتي من أجلها نهض وثار تشعر كأنك أمام رجل بكل ما في معناه من رجولة وعقيدة راسخة وكان لسان حاله يقول : –

نخوض غمار الموت اما لموتة   واما لعز حوضه لا يهدم

يا لها من ساعة رهيبة وممتعة في آن واحد قضيناها في رحاب الحسين انتعشت فينا الآمال ، وصرنا نحن نتطلع الى علائم وجهه وما يرتسم عليه عندما يتحدث عن ماضي العرب وحاضرهم ، وما ينتظرهم من مستقبل ، وما عمله الأتراك في ذلك الماضي وهذا الحاضر ، وما سيعملوه في المستقبل فيما اذا بقينا خانعين قابعين لانبدي حراكاً وليس من رادع يردعهم ولا ضمير يوخزهم – أي نعم عندما كان يحلل لنا الموقف ويقدره كنا نشعر بغبطة وسرور كم نحن سعداء اذ كنا أول الملبين لداعية الحق . وكم كنا نود أن العرب – جميع العرب – حيث ما هم في مدنهم أو في براريهم وصحاريهم

وفي غورهم ونجدهم، وفي شامهم ويمنهم، ومصرهم وعراقهم، وفي مشرقهم ومغربهم جميعاً شيباً وشباناً يفدون اليه رجالاً وركباناً خفافاً وثقالاً ليشدوا أزره وليعينوه – بعد الله – لتنفيذ خطته فتصبح العرب أمة واحدة يحدها شمالاً جبل طوروس، وشرقاً خليج العرب، وغرباً طنجة، وجنوباً عدن.

خرجنا من عند الحسين وكلنا أمل واعجاب وتقدير لهذا الشيخ الجليل معاهدين الله على شد أزره طالما كانت هذه نواياه وتلك أهدافه متضرعين الى الله أن يمدنا بنصر من عنده.

الحالة في مكة المكرمة

ليست الحالة في مكة بأحسن منها في جـــده وغيرها وذلك للأسباب نفسها التي بسطناها. أما البعض من أهالي مكة وفيهم الكثير من مجاوري الكعبة فهم أعجام وبالطبع فان جميع المسلمين من غير العرب كانوا ساخطين على الحسين لحلفه مع الانكليز والافرنسيس، ولانفصاله عن الأتراك ومحاربته اياهم.

لنناقشكم ونحاججكم يا أهل مكة في سخطكم وغضبكم بل في تقاعسكم عن نصرة الحسين في الأيام الأولى من نهضته كما سخطتم وغضبتم وتقاعستم عن نصرة جده الرسول الأعظم صلوات الله عليه وسلامه في بدأ دعوته بين ظهرانيكم نيف وعشر سنوات لم تنتشر دعوته خلالها كما يجب. أعرض وهاجر ميمماً وجه شطر «يثرب» حيث الصيد الأشاوس من بني جلدته من أعمام وأخوال فناصروه، وبهؤلاء الأنصار وباخوانهم المهاجرين انتصر عليكم وعلى غيركم من عرب وعجم. وها ان التاريخ يعيد نفسه وان أول الغيث قطر ثم ينهمر. ان الرعيل الأول من الأنصار من بني جلدة الحسين أتوا فبايعوه على الانضواء تحت رايته كما ان اخواناً لهم سيأتون كلما سنحت الفرصة من سوريا والعراق ومصر، ومن الذين كانوا أسرى في «الهند» وغيرها

قلنا لنناقش ونحاجج أهل مكة بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة والأدلة الناصعة . ان أهل مكة قسمان :

أ ــ العرب الحجازيون . ب ــ المجاورون من المسلمين .

ا ــ أما أنتم يا بني يعرب فتربطكم بالأتراك رابطة الدين والجوار ــ يا لها من رابطة قوية لو روعيت من الجانبين ، ولكن الشواهد كلها تنطق بأن الأتراك لا يرعون للعرب إلاً ولا ذمة ، غير ناظرين الى الأخوة الاسلامية ولا الى الجوار ، وقد أوجزناً قسماً من الأسباب التي حدت بالعرب أن يثوروا على الأتراك وإذا كنا نريد الاسباب في كره الترك للعرب من أيام « هولاكو » و« جنكيز » و « تيمورلنك »حتى يومنا هذا لاحتجنا الى مجلدات ولِمَ الذهاب الى الماضي البعيد فان حاضرنا يشهد على ما يكنه الأتراك من بغض وحقد دفين للعرب واليك الدليل : ــ

انفصل العرب والأتراك عن بعضهم بعد الحرب العالمية الأولى فقام مصطفى كمال بثورة جامحة وموفقة واسترد بلادهم من اليونان ووضع ميثاقهم القومي وأعلنوه للعالم أجمع بأنهم استعادوا بلادهم ، وسيقصرون همهم على اصلاحها وانه ليس لهم أي مطمع في بلاد الغير واذا بهم بعد ثلاث سنوات أي سنة ١٩٢٣ يريدون اقتطاع « ولاية الموصل »، بحجة ان الجيش البريطاني شغلها شغلاً عسكرياً ولم يحتلها حرباً . وفي سنة ١٩٣٨ اقتطعوا « الاسكندرونة » والعرب فيها أكثرية . كما كانوا ألحقوا الى بلادهم من قبل « الجزيرة » و « مرعش » و « عينتاب » و « جزيرة ابن عمرو » و « ديار بكر » التي يشهد اسمها على عروبتها وحتى في سنة ١٩٤٤ لم يعترف الأتراك باستقلال سوريا ولبنان مع أن هولندة والصين اعترفتا بهما فما معنى هذا ؟ أليس يعني أنهم لا يزالون يطمعون في ضم « حلب » أو غيرها الى بلادهم ؟ هل تريدون يا أهل مكة برهاناً أكثر وضوحاً من هذا على سوء قصد الأتراك وبغضهم للعرب ؟ فكيف تبادلون بغض القوم بحب وتناهضون الحسين

الذي يريد العزة والرفاه لكم وللعرب أجمع ؟ والا فما يضيره لو انه سكت وهو شريف مكة وأميرها ، وفي ثروته الشخصية وما يملكه من عقار في الحجاز وفي مصر وفي اسطنبول ما يكفيه هو وأهل بيته مدى العمر ؟ ولكن ها هو يضحي بكل عزيز لديه من أجل بني قومه بعد أن رأى بعين بصيرته ما ستؤول الحالة اليه فيما اذا سكت على الضيم . ثم ماذا رأيتم يا أهل مكة خلال هذه المئين من السنين تحت حكم الأتراك ؟ أليس الفقر والمرض والجهل وقلة الأمن وخراب الديار ؟.

الفقر : أي فقر مدقع والبلاد فاتحة أفواهها على ما يتكرم به أهل الخير في مصر والعراق وسوريا والأستانة من ارسال الصرة[1] والمحملين الشامي والمصري أو ترسله البلاد الاسلامية الأخرى من مبرات ؟ أما كان الأجدر بالأتراك وقد حكموا طيلة هذه السنين أن يستخرجوا ما في بطون هـــذه الأرض من كنوز ؟

الجهل : أما الجهل في الحجاز فحدّث عنه ولا حرج فنحن في القرن العشرين والبلاد تكاد تكون خالية من المدارس – اللهم سوى كتاتيب منبثة هنا وهناك لا تسمن ولا تغني من جرع – وان الجهل ضارباً أطنابه في طول البلاد وعرضها .

أما قلة الأمن : بل الخوف والجزع في كل بقعة في الحاضرة وفي البادية ، في الحرمين وما حولها . الحرم الذي وصفه الله (من دخله كان آمناً) أتصدقني أيها القارىء اذا قلت لك أن قوافل حجاج بيت الله الحرام في سيرها بين الحرمين أي بين مكة والمدينة في كل مرحلة من المراحـــل الثلاث عشرة وهم راكبين الجمال في عصر الكهرباء والآليات كان يرون من الرعب والخوف من جراء السلب والقتل فضلاً عن الغلاء الفاحش اذ كانوا يشترون

(١) الصرة – دراهم معدودات ترسل سنوياً الى أهل الحرمين الشريفين تجمع من الوقف النبوي وغيره .

صفيحة الماء بريال مجيدي عدا الخاوة[1] التي يدفعونها للعشائر. ويا ليتهم اكتفوا بذلك القدر من دفع الأموال ورؤية الأهوال والمصاعب والحرمان ولكن ها هو الحجيج بعد ما يترك « بيار علي » التي هي آخر مرحلة من السفرة الشاقة يرون بأم أعينهم مدينة الرسول على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام ومنائر حرمه الشامخة تؤهل وترحب بهم ولكن أنى لهم ذلك والخوف يكشر عن أنيابه واذا بقوافل الحجاج تنكص على أعقابها وترجع خائبة خاسرة من حيث أتت. يصم أذانها أزيز الرصاص بعدما يقع من يقع منهم. لم كل هذا يا ناس؟ هل الحكومة العثمانية عاجزة عن تسيير قافلة في بلادها وهم في ذمتها بل أكثر من ذلك أنهم حجاج بيت الله الحرام قد أتوا — تاركين الأهل والأوطان — من مشارق الأرض ومغاربهاوصرفوا الأموال التي ادخروها لهذه السفرة، وما صرفرا من جهد جهيد يرجعون بخفي حنين فهل هذا صحيح؟ نعم هذا ما وقع وهي عاجزة وأنفها راغم وتشهد الله وهؤلاء الأقوام على عجزها.

أتعلم أيها القارىء إذا قلت لك قولاً صادقاً لا شك فيه ولا ريب ولا ينبئك مثلي خبير: أن الحجاز بل المملكة العربية السعودية التي يحدها البحران الأحمر والمحيط الهندي أنها الآن أكثر أمناً وطمأنينةمن أي بلد كان في أوربا وفي أميركا والشاهد على قولي هذا هم الحجيج أنفسهم الذين يربوا عددهم الآن على المليون نسمة فكيف جرى هذا التبدل السريع بين الحالين؟ ألكثرة جيوش عاهل المملكة العربية السعودية وطياراته ودباباته؟ كلا انها تحكم بالعدل وتطبق فيها أحكام الشريعة الاسلامية السمحة سواسية لا فرق بين كبير وصغير، وأمير وحقير، بل ينفذونها على أهل بيتهم. وحادثة عبد الله بن جلوى حاكم « الاحساء » وجلده لابنه بيده، وكذلك ابن سعود نفسه الذي سجن أحد أنجاله بضعة أشهر لعمل قام به بدون قصد اذ كان

---

(١) الخاوة — أتاوة يدفعها الحاج رغم أنفه كلما مر بطريق تسكنه عشائر قوية.

يسوق سيارته في مكة فدهس أحد المارة فسجن ولده ولم يجرأ أحد على أن يتشفع له عند أبيه عبد العزيز اذ الجميع يعلم أنه سوف لا يقبل أية شفاعة ترده بحقه .

الخراب والدمار : ماذا تريد أن أحدثك عن الخراب والدمار اللذان كانا يتراءآن لك شبحهما على كل ما تقع عليه عيناك .

بعد أن تكلمت عن الفقر والجهل والمرض وقلة الأمن، فهل تتوقع أن تسمع أن البلاد وساكنيها في بحبوحة من العز والرفاه في جنات تجري من تحتها الأنهار ؟ واني لأترك لذكائك وتقديرك كمية وكيفية الخراب و الدمار في بلاد تنخر فيها ثلاث آفات قتالة (الفقر والجهل وفقدان الأمن) فان واحدة منها تكفي للخراب والدمار . ومع ان الماء كان غزيراً في الوديان كوادي فاطمة الذي يقع شمالي مكة بعشرين كيلو متراً ، وكذلك في وادي ينبع ، وفي وادي الصفراء ، والعيون الكثيرة كالتي في الطائف ، وينبع النخل ، وفي المدينة المنورة حتى في أعالي جبل كرى القريب من الطائف ، والذي يربو ارتفاعه على الخمسة آلاف قدم ، وما البترول الذي ظهر أخيراً في الوجه على ساحل البحر الأحمر ، ومعدن الذهب الموجود في الحناكية شرقي المدينة المنورة ، ومعادن أخرى مطمورة في جبال الحجاز الا شواهد عدل على ما أقول فهل سمع أحد بأن الأتراك في يوم من الأيام أتوا ببعثات فنية للتحري عما في بطون البلاد من كنوز أو لتعميم الزراعة والصناعة أو لعمل حركة تجارية أو أو ... الخ اذا استثنينا من ذلك الخط الحديدي الذي أنشيء بين « دمشق » و « المدينة المنورة » وهذا مع أنه انشيء بتبرعات جمعت من البلاد الاسلامية فانه لا يكاد يكفي لسد الحاجة بل كان جل قصد الأتراك جمع ما يجنونه من البلاد العربية لصرفه على بلادهم في « الروم ايلي » وغيره ليقال عنهم انهم يسايرون المدنية الغربية وليبق البوم ينعق في البلاد العربية بما فيها من الحرمين الشريفين .

ايه يا أهل مكة! لا بد وأنكم رأيتم البعثة الفنية التي أتت الى بلادكم في

عهد الحسين سنة ١٩٢٠ وكانت مؤلفة من السادة: عارف والشهابي وأحمد الداعوق — وقد أصبح رئيساً للوزراء في لبنان — سنة ١٩٤٣ — وكذلك رأيتم البعثات التي أتت الى بلادكم في عهد عبد العزيز آل سعود من عربية وأجنبية وما قامت به من أعمال نافعة. أليس كان الأجدر بالأتراك ان يأتوا ببعثات مثل هذه؟ ولكن هيهات انهم لم ولن يفعلوا ذلك لأنهم كانوا يريدون أن تبقى البلاد العربية في فقر وجهل ومرض، وقلة أمن وخراب ودمار. وها اني أذكر لك أيها القارىء حادثة لأريك أن البلاد إذا حكمت بالعدل ومن ذوي نيات حسنة. والحادثة هي كما يلي: —

كان الوزير المفوض العراقي «ابن عمي جميل الراوي» الذي تعرفونه يا أهل مكة معرفة شخصية جيدة اذ قضى في ربوع الحجاز ما يربو على الثمان سنوات (١٩١٦ — ١٩٢٤) إذ غادر الحجاز مع الملك علي، والذي رافق الحسين في سفرته المشؤومة الى «قبرص» أي نعم نقل الراوي والعهدة عليه:

أنه في سنة ١٩٤٠ حينما كان في «جده» وأراد العودة الى العراق مجازاً، ركب سيارته الخاصة مع عائلته، وشحن عفشه في سيارة حمل اخرى، وقطع الجزيرة من البحر الأحمر — أي جده — مكة — الطائف — الرياض — الكويت حتى المحيط الهندي وليس معه أي شخص يحرسه أو يعينه «اللهم عدا طباخه الخاص» فيما اذا انغرست سيارته أو اللوري في ارض النفود[1] وكان أثناء السير كان قسم من متاعه قد سقط من سيارة الشحن الكبيرة ولم يشعر به الا عندما حطوا رحالهم ولم يجرأ أحد ما على مسّ اللقطة ولكن حدث له حادث اذ غرس اللوري في النفود ولم يكن معه من يعينه على اخراجه — كما قدمنا — فتأخر بضع ساعات واذا بالنجدة تصل اليه مسرعة ولكن من أين؟ من الشيوخ[2] ولكن كيف عرفوا؟ هنا مكمن السر.

---

(١) النفود — جبال من رمال.

(٢) الشيوخ — كلمة تطلق خاصة على أمراء آل سعود.

يا قارئي ان الرجل الصاحي والعارف حسابه يتسقط الأخبار بواسطة اللاسلكي الذي عممه على جميع أنحاء مملكته الشاسعة ليعرف كل ما يحدث خاصة اذا كان الأمر يخص شخصية مثل الراوي العربي ممثل الحكومة الشقيقة فهل سمعتم يا أهل مكة من الأسلاف أو قرأتم في التاريخ أن شخصاً ما قام في عهد الأتراك بسفرة مثل هذه ؟.

٢ ـ تكلمنا على العرب وسبب سخطهم على الحسين . ونتحدث الآن عن سكان أهل مكة من المسلمين الساخطين عليه لثورته على الخلافة وهم خليط من مصري ومغربي وهندي وجاوي وتركي وغيرهم وهؤلاء جميعاً اما محمي أو مستعمر للانكليز أو الافرنسيس عدا الجاوي المستعمر لهولندا فهل نتأمل من هؤلاء معاونة خاصة اذا كانت تلك المعاونة في صالح المستعمر وضد الخليفة ؟ ولكن ماذا نعمل يا اخواننا المسلمون مع دولة الخلافة التي صارت ألعوبة بأيدي طغمة من الاتحاديين السفاكين الذين آلوا على أنفسهم محق العناصر غير التركية وابادتها ليخلوا لهم الجو وليشكلوا الجامعة الطورانية .

لقد بدأوا بالعنصر الألباني ففطن هذا لما بيتوه له من نوايا سيئة فانفصل عنهم غير آسف . ولما أعلنت الحرب العظمى، ظنوا أن الجو قد خلا لهم فأبادوا العنصر الأرمني ، وقتلوا كثيراً من الكرد المقيمين في الأناضول، كما قتلوا كثيراً من الأورام ، ثم أرادوا أن يعيدوا الكرة لمحق العرب وسحقهم ولكن فاتهم أن الأسد في العرين . وأنه سوف يتغدى بهم قبل أن يتعشوا به . هل ترضون أيها الاخوان أن تذل العرب وقد قال نبيكم الأعظم « إذا ذلت العرب ذل الاسلام » ؟ وشفعه بحديث ثان « أحب العرب لثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي » وها ان الطورانيين باشروا فعلاً في شنق أحرار العرب من مدنيين وعسكريين لا لذنب اقترفوه سوى لكونهم عرباً وحبهم لقوميتهم، وها هي السجون ملأى والنفي والتبعيد يجريان على قدم وساق لشيب وشبان العرب ومخدراتهم وأطفالهم . هل ترضون للعرب وهم اخوانكم في الدين بل حماته ان تؤول حالتهم الى ما آلت اليه

وبلادهم في جهل وفقر ومرض وقلة أمن وخراب دمار ؟ وأن القائمين على الأمر طغمة الاتحاديين ينتهكون حرمات الدين في عاصمة الدين؟ وقد طوحوا بالبلاد في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ورموا بأنفسهم في أحضان الألمان في بدء الحرب وهم غير مستعدين لها ، بل قل كانوا منهوكي القوى فقد ضيعوا طرابلس الغرب في حربهم مع الطليان سنة ١٩١١وكان ما ضيعوه في سنة ١٢–١٣ في حربهم في البلقان مع رومانيا، وبلغاريا، واليونان، وجبل الأسود ، وصربيا أشهر من أن يذكر ، وكانت العداوة الحزبية بين « جمعية الاتحاد » و « حزب الائتلاف » قد ضربت أطنابها في طول البلاد وعرضها فهل تريدون منا أيها الاخوان المسلمين نحن العرب أن نسكت عن كل هذا ونحن المعروفون بأباة الضيم؟ فكيف نترك الحبل على الغارب ونحن نرى بأم رأسنا أن البلاد جميعها ستمزق شذر مذر وما دامت البلاد – ونحن من ضمنها – ستؤكل فعلينا على الأقل أن نكن من الآكلين. وأخيراً وليس آخراً أهمس في آذانكم يا أهل مكة يا أهل الحجاز جميعاً همسة ناصح أمين: قولوا لي بالله ماذا كنتم تفعلون لو لم ينهض الحسين نهضته هذه ويفتح لكم أبواب البر والبحر ، ويدر عليكم بعمله هذا « الخام والطعام » ؟ إنكم ذقتم الأمرين في السنتين الأولى من الحرب ١٤–١٦ وصرفتم ما عندكم من مدخر، ومن ثم باشرتم ببيع ما تملكونه من مال وعقار وأنتم في معزل عن العالم لا يربطكم به سوى الخط الحديدي الممتد بين دمشق والمدينة، وبواسطة هذا الخط فان الحكومة الاتحادية بالكاد تكاد ترسل به ذخيرة تكفي قسماً من عوز جنودها في الحجاز. وأما الجنود الذين في اليمن وعسير فأمرهم في عسر عسير فكيف بكم يا أهل الحجاز اذا دامت الحالة أربع سنوات ولا زرع عندكم ولا ضرع ؟ فضلاً عن أن أبواب الحج مسدودة ومحكمة أقفالها ؟؟.

اننا نكتفي بهذا القدر من محاججة أهل مكة من عرب وعجم الذين وان كان موقف معظمهم سلبياً في بادىء الأمر كما كان في صدر الاسلام الا أنهم أخيراً ، وبعد أن انبلج الصبح لذوي العيون البصيرة منهم ، باشروا

بالمؤازرة وشد عضد أخيهم الأكبر الحسين بن علي، كما آزروا جده المصطفى بعد الفتح فصار منهم الوزير ، والقائد ، والحاكم ، والجندي ، والشرطي ، وهكذا تضافرت الجهود كما تضافرت قبلاً بين المهاجرين والأنصار .

الشروع في الأعمال في مكة المكرمة

١ ــ بدأ نوري السعيد في مكة بتعييني لقيادة « ثكنة جرول » التي كانت تعج بالجنود العرب المستخدمون في ثكنتي جياد وجرول وكان عددهم زهاء الألف جندي عدا المتطوعين من الحجازيين فشكلت منهم فوجين من المشاة .

٢ ــ أرسل سعيد المدفعي الى « الطائف » مع فصيل الأبوس لمساعدة القوة المحاصرة من حجازيين ومصريين اذ ان الانكليز أرسلوا بطارية مدفعية جبلية تحت قيادة العميد السيد بك علي لمعاونة الحسين وكانت هذه القوة المحاصرة بقيادة الأمير عبد الله .

٣ ــ استصحب محمد حلمي ومعه المدفعان الجبليان العاديان والتحقا بالأميرين علي وفيصل اللذان كانا في جنوب المدينة المنورة قرب وادي الصفراء يقاتلان فخري باشا قائد قوات المدينة .

٤ ــ أما فؤاد الخطيب ومحب الدين الخطيب فقد أنشآ جريدة القبلة وصارا يحرران فيها ويناضلان عن مبادىء الثورة ، وعن مكانة العرب ولزوم استقلالهم ووحدتهم ، وعن الدور الذي سيلعبونه فيما اذا اتاحت لهم الفرصة كما سبق ان اتاحت لأسلافهم من قبل اذ في حقبة صغيرة من الزمن دوخوا خلالها الممالك، وفتحوا الأمصار ، وقوضوا أركان مملكتي الفرس والرومان ، وأنشأوا على أنقاضهما مدنية عامرة زاخرة في الشرق والغرب في « بغداد » و « دمشق » و « القاهرة » و « القيروان » و « الأندلس » وكان قد سبقنا الى « مكة » من المجاهدين المدنيين فوزي البكري ، وكامل القصاب وهما من الأفذاذ ، وكانت السلطة الاتحادية تطاردهما فلجآ الى

« القاهرة » وعند اعلان الثورة التحقا بها فوراً وانضويا تحت رايتها ليشاركا اخوانهم في الجهاد .

ذهبت الى « ثكنة جرول » لمزاولة الأعمال . لقد انتهت الأقوال وأصبح الحلم حقيقة واقعية وأن ما قاله لنا عزيز علي في « فندق طوقاتليان » في أوائل سنة ١٩١٤ في الاستانة عندما ذهبنا لزيارته مع نوري وجعفر وسليم الجزائري والاخوان التلاميذ في الكلية الحربية وهم : — ابن عمي جميل الراوي ، وشقيقه فائق الراوي ، ومحمد حلمي ، وحامد الوادي ، وشاكر الوادي ، وقاسم العلوي ، وعبد الغفار البدري ، وصادق الخوجة ، وكان عزيز علي حينذاك محاطاً بجواسيس الاتحاديين اذ انهم علموا بأنه رأس العرب ، ورئيس جمعية العهد وبعد أن عجزوا عن ضمه بجانبهم بالترغيب قرروا الترهيب به أي محاكمته والحكم عليه بالاعدام . وحينذاك اتفقت كلمة اهل الرأي من العرب على ان نذهب نحن الطلاب — ممثلوا حوالي ثلثمائة تلميذ في الكلية الحربية — فذهبنا بالبزة العسكرية لزيارة عزيز علي على مرأى من الناس غير آبهين لما سيحل بنا من غضب الاتحاديين ، وكانت الوصية الوحيدة التي زودنا بها عزيز يومذاك قوله : —

« أنكم ستتخرجون ضباطاً بعد بضعة أشهر ، وعليكم أن لا تتزوجوا مباشرة لتكونوا حاضرين لتلبية أول نداء وطني » .

وها اننا لبينا أول نداء وطني اذ ذهب محمد حلمي مع فصيل المدفعية لملاقاة الأتراك قرب « المدينة المنورة » وها اني اتيت الى « ثكنة جرول » في « مكة » ولم يمر على تلك الوصية غير سنتان وكأنها دقيقتان في حياة الأمم فقد طرق سمعنا نداء الأمة العربية في شخص الحسين فقلنا لبيك لبيك فاننا وايم الله لسنا الا جنوداً بين يديك . لا شك وانك تحس أيها القارىء كم كنت مسروراً ومتشوقاً الى العمل ان لم أقل كم كان الغرور القومي يملأ جوانحي حينما أشعر أني سأبدأ بالعمل في الحقل القومي ، وأكون في طليعة الذين

يضعون الحجر الأساسي في صرح الاستقلال وذلك بالشروع في تنظيم الجيش العربي . الجيش الذي سيكون نواة لجيوش الغد التي ستحرر البلاد العربية على قول شاعر الثورة فؤاد الخطيب :

لستم بنيهـــم ولستم من سلالتهم ... إن لم يكن سعيكم من سعيهم أمما
إلى الشام إلى أرض العـــراق إلى ... أقصى الجزيرة سيروا واحملوا العلما

شكراً لك يا رب إذ وفقتنا ، وحققت أمنيتنا ، وجعلتنا في عداد الزمرة الأولى التي ستبدأ بالعمل في بيتك المحرم .

منذ ساعة مباشرتنا بالتدريب بدأنا نستعمل إيعازات عربية فها أننا نعمل تحت لواء حفيد سيد العرب والعجم ، وإمام طيبة والحرم . هذه مكةالمكرمة التي فيها ترعرعت ، ومنها انتشرت الدعوة المحمدية و عمت الخافقين فصارت عزاً وفخراً للعرب والإسلام . ها أن التاريخ يعيد نفسه إذ في بطاحها وشعابها أعلن الجهاد القومي الذي سيعم البلاد العربية أجمع . مثل هذه العقيدة ، وعلى أساس هذا المبدأ القويم باشرنا بأعمالنا مستمدين العون من الله سبحانه وتعالى أن يمن علينا بالصبر والجلد مستلهمين من قوة إيمان شاعرنا العربي « نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا » .

نحن الآن في أوائل شهر شوال ١٣٣٤ « أول آب ١٩١٦ ولما يمض على الثورة شهران ذهبت إلى « ثكنة جرول » فوجدتها تعج بالمتطوعـــين العرب فشكلت من المشاة فوجـــين وانتقيت من الضباط الصف السوريين فجعلتهم آمري سرايا وفصائل وحظائر ، وباشرت بتدريبهم بعد تنظيم البستهم وتجهيزاتهم ومحل سكناهم وطريقة إعاشتهم . وبينما كنت منهمكاً في أعمالي هذه التي تتطلب السعي الحثيث والجهد المضني والملذ ؛ تلقيت أمراً بلزوم التهيؤ للحركة مع فوج مشاة بمعية الأمير زيد — رابع أنجال الحسين — (ووالدته تركية كان والدها رئيس وزراء وقد تزوجها الحسين في الأستانة بعد وفاة زوجته الشريفة التي أنجبت له علي وعبد الله وفيصل) وكانت جهة الحركة (القطيمة) جنوبي « رابغ » بمرحلة واحدة وذلك على أثر تمرد الشيخ حسين بن مبيريك شيخ

قبيلة حرب . وفي الوقت نفسه كان أمير رابغ ــ وهذا الشخص مع الأسف كان موالياً للأتراك ــ وحينذاك كان قائد الفيلق فخري باشا قام بحركة من المدينة المنورة متوجهاً نحو « رابغ » في طريقه إلى « مكة » ولما شعر فيصل بخطورة الوضع انسحب بقواته من « وادي الصفراء » باستقامة « ينبع النخل » القريبة من « ينبع البحر » حيث الأسطول البريطاني المعزز بطائرة حربية. وأما الأمير علي فقد انسحب بقواته غير النظامية واحتل « رابغ » وآنذاك تحركنا من « القظيمة » إلى « رابغ » وانضممنا إلى قوات الأمير علي . وهكذا تحسن الموقف وقضينا على حركة الشيخ حسين المبيريك في مهدها ولو أنها ــ لا سمح الله كانت قد نجحت حركة بن مبيريك هذه لكانت « مكة » التي هي قلب الثورة النابض في خطر عظيم يهددها طريق استراتيجي (سوقي) وهو طريق المدينة ــ رابغ وتكون رابغ نقطة ارتكاز يقفز منها فخري باشا نحو مكة ولكن يقظة الأمراء وبراعة قادتهم العسكريين قضت على هذه الفتنة الرعناء قضاء مبرماً ، وجعلتهم أسياد الموقف ففرّ ابن مبيريك الذي كان يمثل دور (أبو رغال) لا يلوى على شيء ، وتوقف فخري باشا عن الزحف بعد أن وصلت قواته بالقرب من ينبع النخل التي لا تبعد عن ينبع البحر أكثر من ثلاثين كيلو متراً وأخيراً انسحب فخري إلى المدينة متعثراً بأذيال الفشل . وتعد هذه الحركة أول انتصار عسكري سوقي للجيش العربي إذ قضى على فتنة داخلية بسرعة فائقة فزال الاضطراب ، وساد الهدوء الشامل ، واستكانت العشائر ، والقت بقيادها عن رغبة ورهبة ، وأقبل السكان المدنيون على التطوع .

هذا من الناحية الداخلية وأما من الناحية الخارجية ولا سيما من ناحية الحلفاء ، وفي طليعتهم الإنكليز ، فقد تأكد هؤلاء أن هناك قيادة عربية حكيمة ، وقادرة على إدارة دفة السفينة وإيصالها إلى الشاطيء بتؤدة ورزانة مهما اعترتها في الطريق من عراقيل ، وثارت حولها من عواصف معتمدين على الله جل شأنه وأحقية قضيتهم وقوة إيمانهم بالنصر وأن الله على نصرهم لقدير وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ــ صدق الله العظيم .

سقوط الطائف

في ٨ ذي القعدة ١٣٣١ هـ الموافق ٥ أيلول ١٩١٦ م وصل عزيز علي [1] إلى مكة وصادف في ذلك الوقت أن استسلمت « الطائف » إلى الأمير عبد الله

---

(١) عزيز علي المصري – علم من أعلام الحركة القومية المعاصرة . أسرته من العراق ومن البصرة بالذات كانت تمتهن التجارة وتدعى (آل عرفات) نزح أحد أفرادها الى قفقاسية وتزوج هناك وأعقب (علي بك) الذي أتى الى اسطنبول حيث حظي باكرام السلطان عبد الحميد الثاني فمنحه أملاكاً في مصر . وفي سنة ١٨٧٩ ولد له ولد أسماه (عزيزاً) وبعد أن أكمل هذا الوليد تحصيله الابتدائي أرسله والده الى المدرسة الحربية في الأستانة فتخرج فيها سنة ١٩٠١ برتبة ملازم ثان ، ومن كلية الأركان في سنة ١٩٠٤ برتبة نقيب وقد اشترك في كثير من الحروب العثمانية ، ورأس الحركة العربية منذ بدايتها في مطلع القرن العشرين ، وفي سنة ١٩١١ تولى قيادة منطقة (برقة) في الجهاد ضد ايطاليا ، وفي سنة ١٩١٣ عاد الى اسطنبول فأسس جمعية العهد وكان ذلك في يوم ٢٨ تشرين الأول ١٩١٣ وهي الجمعية المعروفة بأهدافها القومية وفي ١٩١٤ اعتقل وأصدرت عليه الحكومة الاتحادية حكمها بالإعدام إلا أن العرب ثارت ثائرتهم ودوخوا السلطان العثماني فانصاع لهذا الاحتجاج وأبدل حكم الإعدام الى السجن المؤبد . وبعد أن تدخل الكثير من الشخصيات العربية في قضية سجن عزيز أطلق سراحه بعد أن كان اغتياله مبيتاً في زنزانته . وفي ٢٠ كانون الثاني من سنة ١٩١٤ استقال عزيز من الجيش وكان من شروط إطلاق سراحه أن يغادر اسطنبول الى أي وطن شاء فألقى عصا ترحاله وأناخ راحلته في كنانة العرب « القاهرة » ولما نشبت ثورة العرب في سنة ١٩١٦ استدعي عزيز علي ليقوم بتنظيم الجيش العربي هناك فسافر الى الحجاز في ٨ ذي القعدة ١٣٣٤ هـ وعين وكيلا لوزارة الحربية (وزير الدفاع) غير أنه لم يلبث فيها كثيراً فقد استقال بعد بضعة أشهر وقفل راجعاً الى القاهرة وفيها عين في عدة =

بعد حصار دام نيف وأربعة أشهر ، وكانت القوة المحصورة بها تحت قيادة قائد الفرقة غالب باشا ـ الذي كان في الوقت نفسه والي الحجاز ـ وتقع الطائف في منطقة جبلية تعلو سطح البحر بما ينوف على الألف متر ، وتبعد شرقاً عن مكة المكرمة بنحو ستين كيلومتراً طقسها جميل للغاية ومياهها غزيرة وفواكهها كثيرة وجيدة ولا سيما العنب والرمان والصبّار ه وفيها تكنة كبيرة وكان وجهاء «مكة» وجدة» يصطافون سنوياً فيها مدة طويلة .

بعد سقوط الطائف

بعد سقوط الطائف أصبح الوضع في حالة حسنة إذ كان فخري باشا محاصراً في المدينة ، وكان الأميران علي وزيد على رأس قواتهما مشغولين في تدريب القوات النظامية وتشكيل قوات غير النظامية من هجانة وخيالة . أما

= وظائف كبيرة خطيرة الشأن منها : رئاسة أركان الجيش المصري ، وهو المنصب الذي أزيح عنه في سنة ١٩٤١ لاغتيال الحركة الوطنية فيها .

راجع كتاب « القضية العربية » للمرحوم أحمد عزة الأعظمي الجزء الرابع صفحة ٥٣ ط ١ ١٩٢٣ م حول تأسيس جمعية العهد ودور عزيز علي المصري فيها ، وراجع عنه مقالا بعنوان عزيز علي المصري للأستاذ عبد المنعم الغلامي في جريدة البلد البغدادية (العدد ٩٥ السنة الأولى الصادر في ١١٦٢/٨/٦) ومقالا بعنوان « عزيز علي والحركة القومية العربية » للأستاذ مجيد خدوري في مجلة « حوار » اللبنانية العدد / ٤ - أيار - حزيران ١٩٦٤ م لشهر آذار - نيسان وتعقيباً في حوار أيضاً العدد ٤ - أيار - حزيران ١٩٦٤ م بقلم الأستاذ أنيس الصايغ وراجع ديوان رشيد الهاشمي الذي جمعه وعلق عليه عبدالله الجبوري حيث طبع في ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

لقد توفي الى رحمة الله عزيز علي في حزيران سنة ١٩٦٥ وكنت قد زرته في حزيران سنة ١٩٦٤ في داره بالقاهرة وكان في حالة من ضياع الذاكرة لدرجة أني قضيت معه نصف ساعة أتحدث فلم يتذكرني مع أني كنت مرافقه الخاص ولي معه مكاتبات وذكريات عديدة وكنت محتفظاً بمذكراته عندما كان يمليها علي حول الثورة العربية كوزير دفاع وقد طلب مني هذه المذكرات كل من عبد المسيح وزير ورفائيل بطي فلم أعطها لهما وفي أحد الأيام جاءني كل من مكي الأورفهلي وصهره الأستاذ أحمد عزة الأعظمي (الذي كان يحرر كراسات ويصدرها تحت عنوان النهضة العربية ورجاني بإلحاح أن أعطه هذه المذكرات للاستفادة منها فأعطيتها له ولكن مع الأسف الشديد فقدها .

فيصل فبعد أن اطمأن على الوضع ترك « ينبع » وذهب إلى «الوجه » ومنها تنمز إلى (العقبة) ولذا فإن الحسين بويع في مكة أنه ملكاً للعرب وشكل أول وزارة برأسة الأمير علي وكان وزير خارجيتها الأمير عبد الله ، ووزير داخليتها الأمير فيصل ، ووزير حربيتها عزيز علي ، وقاضي القضاة عبد الله السراج، ووزير المالية عبد الله باناجه ، ووزير الأشغال والمواصلات يوسف قطـــان، ووزير التربية عبـــد الله زواوي ، وأمين أفنـــدي ناظر الحرم الشريف الأخير تركي وقد كان مديراً للحرم في زمن الحكومة التركية .

تشكلت الوزارة وبدأت تزاول أعمالها فأبلغت الحكومة الهاشمية جميع الدول من مخالفين ومحايدين أن : في ٩ محرم ١٣٣٥ المصادف ٦ تشرين الثاني ١٩١٦ بويع الحسين بن علي ملكاً على العرب ومن يومها بدأ الحسين يوقع مكاتباته الرسمية وشبه الرسمية في الداخل والخارج بعنوان « شريف مكـــة وأميرها وملك البلاد العربية » وقد جاء الرد من المسيو ستومز وزير خارجية روسيا القيصرية بالاعتراف به فكانت روسيا القيصرية الدولة الوحيدة الـــتي اعترفت به ملكاً على العرب ، وأما انكلترا وفرنسا ومن ثم إيطاليا فقد اعترفوا له بملكية الحجاز فقط فانتهى الأمر عند هذا الحد « وكان الحسين يكتب عن نفسه على الدوام بأنه ملك العرب وهم يخاطبونه بملك الحجاز . وبما أن علي وعبد الله وفيصل كانوا في الجبهة على رأس قواتهم فقد كان قاضي القضاة عبد الله سراج ينوب عن الأمير علي . وينوب فؤاد الخطيب عن الأمير عبد الله . وآخر كان ينوب عن فيصل . أما عزيز علي الذي كـــان من دعاة حزب اللامركزية الذي لا يريد الانفصال عن الأتراك وإنما يريد البقاء مع الأتراك على أن يمنحونهم الحكم الذاتي فإنه اضطر بعد ثورة الحسين أن يلتحق بالثورة ويدعمها. ولما رأى أن الإنكليز بدأوا يلعبون ويتباطأون ويتلكأون في دعم الثورة، فكر في أن يفاوض الأتراك على ما يريده منهـــم لينضم اليهم ولئلا يفاوض الأتراك عن ضعف أراد أن يهيىء الجيش ويدربه ويقاتل الأتراك ليريهم أنه يفاوض عن قوة لا عن ضعف وعليه أشار على الحسين .

١ ـ أن يشكل قوة سيارة منظمة وقوية وسريعة الحركة نظراً لطبيعة الأرض الحجازية .

٢ ـ أن لا يرسل والي الحجاز وقائد فرقتها غالب باشا إلى المعتقل في « مصر » للاستفادة منه في مخابرته في المستقبل مع الأتراك والألمان (لأن عزيز كان له اتصال آنذاك مع الألمان) وكان هو من المعجبين بهم كما كان يكره الإنكليز كراهة تحريمية .

كانت هذه آراء عزيز ونواياه . ولنأتي إلى الحسين وآرائه ونواياه . فالحسين الذي تربى تربية حميدية حيث قضى ١٥ سنة في عهد السلطان عبد الحميد لا يميل إلى المشورة والاستشارة ولا سيما وهو لا يعرف عزيز معرفة تامة ولا هو من الذين كان لهم الاتصال مع الجمعيات والنوادي العربية التي كانت تشتغل للقضايا القومية (باستثناء إرساله فيصل في سنة ١٩١٦ إلى دمشق ليتصل بحزب الفتاة) وكذلك ربما كان يحسب حساب أن الإنكليز ربمايسمعون بهذه الآراء والنوايا الذي عرضها عليه عزيز ومنها يعتقدون أن العرب بدأ عندهم الشك والارتياب لهذا ولأسباب أخرى لم يأخذ الحسين برأي عزيز فترك عزيز مكة وأتى إلى « رابغ » ليدرب القوة النظامية تدريباً عصرياً وقومياً .

وفي تلك الآونة كان نحو ٢٤ ضابطاً مع قسم من الجنود كانوا تحركوا من سمربور ووصلوا « رابغ » في كانون الأول ١٩١٦ والذي يحضرني البعض من أسمائهم : ـ

مولود مخلص ـ علي جودت ـ عبد اللطيف نوري ـ جميل المدفعي ـ جميل الراوي ـ شاكر الشيخلي ـ عبد الحميد الشالجي ـ رشيد الأنكورلي ـ برقي العسكري (شقيق بكر صدقي) ـ عبد الكريم شاه والد حقي عبد الكريم ـ حامد الوادي ـ رشيد خماس (شقيق العميد حمدي خماس) ـ جمال علي (صهر عبد اللطيف نوري) ـ رؤوف الشيخلي ـ عبد الله الدليمي ـ حسن فهمي (السوري) .

وهؤلاء الإخوان كنا اتفقنا وإياهم عند تركنا « سمربور » على أن ينضموا إلى الثورة في حالة سماعهم بأننا انضممنا اليها. وحيث أنهم سمعوا بذلك، فعلا فقد التحقوا مع ٢٥٠ من الجنود وعلى أثر وصولهم شرع نوري السعيد في تشكيل فصائل وسرايا وأفواج والف منها لواء. وأما أنا في ذلك الوقت فكنت عينت آمراً لفصيل الصحراء ذات ١٨ رطل ولأمرة الفصيل الآخر عين محمد حلمي ولأمرة فصيل الأبوس سعيد المدفعي ولأمرة فيصل الجبلي داود صبري.

وصل عزيز إلى « رابغ » كوزير حربية. وكان نوري آنذاك وكيلاً للقائد العام أي بمثابة رئيس أركان الجيش فطلب عزيز من نوري أن يعين له جماعة القيادة فعين له: علي جودت كرئيس ركن، ومولود مخلص كضابط ركن، وعبد الرزاق الخوجة كمراقب حسابات، وابراهيم الراوي كمرافق عسكري.

كان عزيز علي الرجل الوحيد الذي يخدم بدون راتب، وكانت الرواتب حينذاك كما يلي: —

١ — نحن آمروا الفصائل الذين كنا برتبة ملازم ثان في الجيش التركي خصص لنا ١٢ جنيه ذهباً في الشهر.

٢ — خصص لآمري السرايا الذين كانوا برتبة ملازم أول في الجيش التركي ١٥ جنيه ذهبا.

٣ — خصص لآمري الأفواج الذين كانوا برتبة نقيب في الجيش التركي ٢٠ جنيه ذهباً.

٤ — خصص لآمري الألوية الذين كانوا برتبة رائد أو مقدم في الجيش التركي ٢٥ جنيه ذهباً.

٥ — خصص إلى نوري السعيد الذي كان يشغل منصب رئاسة أركان الجيش أربعون جنيه ذهباً..

٦ — خصص إلى وزير الحربية عزيز علي ٨٠ جنيه ذهباً — في الوقت الذي كان الوزير في مكة يأخذ ٣٧ جنيه ونصف ذهباً — .

لم يتسلم عزيز علي منذ يوم وصوله إلى الحجاز حتى تاريخ مغادرته إياه (وكانت المدة تناهز الستة أشهر) فلساً واحداً كما أن الجيش لم يصرف أي شيء لإعاشته أو لسكناه فقد جاء إلى رابغ ومعه ثلاث خيم وخادمه وطباخه الخاص بل أكثر من ذلك كان يشجع الجنود بإعطائهم هدايا من جيبه الخاص وفوق هذا وذاك كان يقول لنا — أي للضباط — إذا كانت الثورة تفشل — لا سمح الله — فأنا أذهب وإياكم إلى مصر ونعيش سوية على الذي أملكه أنا شخصياً لأنه كان مثرياً — رحمه الله — وكان قد آلى على نفسه أن لا يتزوج [1] حتى يستقل العرب ويصبح كل ضابط منهم كأي ضابط انكليزي أو افرنسي أو إيطالي أو روسي أميناً على مستقبله ومستقبل أمته . وهكذا كان عزيز رجل فذ في إخلاصه لقوميته ورجل ذو شخصية وخصال وسجايا القائد المحنك المتحلي بنكران الذات و « من الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

وقبل مجيء عزيز علي إلى « رابغ » كنا نحن الضباط عندما نواجه الملك أو أحد أنجاله كنا نقبل أياديهم حسب العادة المتبعة في الحجاز . فإن أكبر الرجال سناً ومنصباً كان عليه أن يقبل يدي الملك وأنجاله عند ملاقاته إياهم ولكن عزيز منعنا عن هذه العادة قائلاً : الضابط لا يقبل الأيدي بل يكتفي بالتحية العسكرية . وهكذا خلّصنا من عادة تقبيل الأيدي الدالة على الذل والخنوع على حد قول الشاعر العربي . —

أنا لا أختار تقبيل يدٍ   قطعها أجمل من تلك القبل

---

(١) كان عزيز علي قد آلى على نفسه أن لا يتزوج إلا عندما يصبح الضابط العربي كالضابط الأجنبي أميناً على مستقبله وقد بقي كذلك إلا أن آنسة أمريكية رأته وسمعت بما يتحلى به من سجايا وخصال حميدة فعشقته وظلت تلاحقه ليتزوج بها فترك مصر وأتى الى العراق فتبعته ، وذهب الى طهران فذهبت وراءه وظلت تلاحقه حتى تفاهما وتزوجا بعد أن علم أنها مصرة على الزواج منه ، وهكذا تزوجها وأنجبت له ولداً سماه خالداً .

كيفية عودة عزيز علي الى القاهرة

بقي عزيز علي مشغولاً بالتدريب والتنظيم ليلاً ونهاراً ، كما كان منشغلاً بتشكيل قوة سيارة سريعة الحركة . وبعد مضي أكثر من شهرين توجهت القوات النظامية وغير النظامية ، وعلى رأسها الأمير علي ، لمقاتلة الأتراك . وبعد مسيرة مرحلتين عادت القوة بصورة مفاجئة إلى قاعدتها في « رابغ » الأمر الذي أوجب الاستغراب إذ تبين أخيراً أن رشيد المدفعي أخبر الأمير علي بأن لعزيز علي نية للالتحاق بالقوة النظامية إلى الأتراك . والقارىء يعلم أن عزيز لم يكن يريد الالتحاق بالأتراك بل ــ الأمر كما شرحت أعلاه ــ أنه كان يريد أن يقاتل الأتراك بالقوة النظامية التي دربها تدريباً جيداً ليريهم أن العرب أصبحوا يملكون جيشاً نظامياً قوياً وبعد ذاك إذا رأى عزيز أن الإنكليز بدأوا يعاكسون الثورة ولا يجهزونها بما يلزم من أسلحة حديثة وأعتدة جيدة وتجهيزات كاملة ، فإنه حينذاك يفاتح الأتراك والألمان ليوافقوا على إعطائنا الحكم الذاتي في حالة انضمامنا إلى الجيش التركي .

وبعد أن حصل هذا الشك نزعت الثقة بين الأمير علي وعزيزعلي ولا سيما والإنكليز كانوا غير مرتاحين من وجود عزيز ، وأن جاسوستهم الحسناء أوصلت اليهم هذه الأخبار فكيف يفوتهم ذلك وهم المشهورون بتملكهم شبكة تجسس واسعة الأطراف تراقب بصورة خاصة حركات عزيز وسكناته وتحصي عليه أنفاسه ؟ لذلك قرر عزيز البطل مكرهاً أن يعود إلى مصر ولما يمض على مجيئه إلى « رابغ » أكثر من ثلاثة أشهر وهكذا عاد في مارت ١٩١٧ إلى القاهرة. و أذكرهنا حادثة واحدة حدثت تثبت أن عزيز علي كان يصرف جهوداً جبارة في تدريب الجيش وتهيئته ليقوم بواجبه بإخلاص .

كان العميد التركي أشرف بك أحد ضباط الأتراك البارزين المغامرين وكان مستصحباً معه المدافع والرشاشات والهدايا إلى الأمير ابن رشيد وإلى أمام اليمن يحي حميد الدين وكانت معه ثمانية وثلاثون الف جنيه ذهباً عثمانياً وقد

وقع هذا الضابط ومن معه أسيراً بيد الأمير عبد الله فأرسله الينا إلى « رابغ » ولما رأى الجيش العربي وتمريناته من الجندي إلى الوزير، وأن الكل منهم قائم بواجبه العسكري خير قيام. وأن الطلقات النارية تتناثر من فوهات الأسلحة الثقيلة والخفيفة وحتى من مسدسات الضباط. أي نعم بعدما رأى هذا القائد الأسير كل هذا، ثارت دهشته وقال « أفندم بوراسي بوليغون أولمش » « أي معمل نيران » والفضل ما شهدت به الأعداء. هكذا كان عزيز علي يعمل بجد وبدون كلل ولكن قاتل الله الأغراض ودعاة السوء لما سببوا وأن نحرم من عزيزنا ويترك أخوانه في الجهاد.

موقعة بئر درويش

في أحد أيام جمادى الأولى ١٢٣٥ (نيسان ١٩١٧) استصحب نوري السعيد آمري الوحدات، ومعهم الشريف ناصر بن شكر، وذهب يستطلع القوات التركية المحصنة في « بئر درويش » وفي « بئر عرار » ليثبت مواضع العدو، والمواقع الواجب إشغالها من قبل وحدات الجيش من نظامية وغير نظامية فعدنا إلى المعسكر للتهيوُ للقيام بهذه الحركة التي يتوقف مصيرها على مقدرة الجيش العربي ولا سيما القوة النظامية منه. فإلى هذا التاريخ لم تشتبك قوتان نظاميتان وجهاً لوجه بل كل ما هناك أنها كانت تجري مناوشات بين قوات الأمير فيصل يعاونه مدفعيان جبليان في غربي المدينة المنورة في الحمراء أو في « وادي الصفراء » وبين قوات الجيش الشرقي غير النظامية بقيادة الأمير عبد الله في « الحناكية » شرقي المدينة المنورة، ويمكن القول أن نشبه ولو بصورة مصغرة هذه الموقعة ونتائجها بموقعة بدر حينما التحم لأول مرة جيش المهاجرين والأنصار بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم مع جيش المشركين بقيادة عظماء قريش أمثال أبو جهل وعتبة بن ربيعة وكان أول نصر بين الفئة المسلمة القليلة العدد والعدة فقد تحرك الجيش العربي القليل العدد والعدة، المؤمن بعدالة قضيته، ليحارب الجيش التركي المجهز بأحدث الأسلحة. تحت قيادة ضباط ماهرين

وهم متحصنون في جبال شاهقة منيعة ناهيك عن شهرة الجندي التركي إنه في دفاعه أقوى منه في هجومه حتى اني أذكر أننا في سنة ١٩١٤ عندما أكملنا تحصيلنا العسكري في الكلية الحربية في اسطنبول وأصبحنا ضباطاً ، جائنا وزير الحربية أنور باشا وبعد أن هنأنا قال :

(أخواني الضباط ! المشهور عن الجيش التركي عند الأوربيين أنه يحسن الدفاع ولا يحسن الهجوم . وهذا بالطبع نقص يجب علينا تلافيه ، وذلك بأن يسعى كل منا بخلق روح التعرض والهجوم وغرسها في طبع كل جندي لنصبح مهاجمين كمدافعين .

نعم تحرك الجيش الجنوبي في ليلة ليلاء من معسكره يحفزه الإيمان بالله ونيل النصر بالبغية المنشودة ، وهي كسر غل العبودية والفوز بالاستقلال من المغتصبين الأتراك . أقول تحركت قوات الجيش العربي تحت جنح الليل بهدوء وسكينة ، وبدون إحداث أية ضجة ليباغتوا عدوهم دون أن يشعر بهم ، فتسللت الوحدات بقيادة ضباطها من طرق متشعبة إلى المواضع المخصصة لها ، ولما تمكنت في مواضعها وهيأت كل ما يقتضي من تمهيدات ، فتحت نيرانها عند انبثاق الفجر – وفق الخطة الموضوعة – فما كان من الأتراك إلا أن وجدوا أنفسهم وقد أخذوا أخذاً على حين غرة ، وهم لا يعلمون بما دبر لهم . وبدأت المشاة تتقدم وكذلك القوات غير النظامية ولا سيما قبيلة ثقيف التي تسكن في أطراف الطائف ومنها الحجاج المشهور ، وهم متعودون على تسلق الجبال وبدأوا يتسلقونها فعلاً – ويهرولون ويزغردون تحميهم وتسندهم نيران الرشاشات وخاصة المدفعية التي أسكتت مدفعية العدو ، وقضت على أوكار رشاشاته وهكذا انتهت هذه الوقعة بانتصارنا وانسحاب الأتراك بعدما أسرنا منهم سرية مشاة بكاملها وبضباطها .

تعيين القيسوني وزيراً

بعد أن ذهب عزيز إلى القاهرة ببضعة أيام استلم نوري من محمود القيسوني[1] كتاباً يعلمه فيه أنه أصبح وزيراً للحربية بدلاً من عزيز علي، ويطلب اليه أن يكون على علم بالأمر ويخبر من يلزم إخباره. فلما أطلع نوري على هذا الكتاب انتفض وأرعد وأزبد، بل ثار لينتصر لكرامته وكرامة أخوانه الضباط. وبعد استشارتهم رفض الجميع ذلك إذ كيف يرضون أن يكون ضابطاً برتبة رائد ينتسب إلى جيش في بلاد محتلة يصبح وزيراً للحربية وفيهم من هو أقدم منصباً فضلاً عن أن فيهم من هو متخرجاً من كلية الأركان التركية التي يشرف عليها ضباط ألمان؟ وبعد الاتفاق كتب نوري السعيد إلى القيسوني الكتاب التالي: —

من رئيس أركان الجيش نوري السعيد إلى الصاغ[2] محمود أفندي قيسوني.

« بالإشارة لكتابكم رقم ..... تاريخ .... الذي تزعم فيه أنك أصبحت وزيراً للحربية.

نحن لا نعترف لك بذلك وإذا كنت حقاً وزيراً للحربية فارسل في خلال خمسة عشر يوماً ضباطاً إلى الفرقتين الجنوبية والغربية — الفرقة الجنوبية ضمن الجيش الجنوبي الذي هو تحت قيادة الأمير علي والفرقة الغربية هي ضمن الجيش الغربي الذي هو تحت قيادة الأمير زيد — ليستلموا القيادات سواءً أكانت في الدوائر أو في الوحدات إذ نحن عزمنا على العودة من حيث أتينا مفضلين ذلك على الاشتغال تحت قيادتك ».

أما القيسوني فعلى أثر أخذه هذا الكتاب ذهب إلى الحسين بن علي الذي عينه وزيراً للحربية وأطلعه عليه. وأما الحسين — الذي قلنا عنه أنه قضى خمسة عشرة سنة في الأستانة وأنه تربى تربية حميدية مستبدة — فإنه ماكان يريد أن يسمع من أي كان اعتراضاً أو عدم طاعة. لأية إرادة تصدر منه. ولذا طلب

(١) ضابط مصري برتبة رائد أرسلوه الإنكليز إلى مكة ليقوم بتدريب الجنود.

(٢) تعبير الصاغ كان يستعمل حينذاك في الجيش المصري بمعنى رائد.

من نجله علي أن يرسل نوري فوراً إلى مكة . وعندما أطلعنا نحن الضباط على فحوى هذا الكتاب ، طلبنا إلى نوري أن لا يذهب وأصررنا على ما قررناه قبلا بالعودة إلى المعتقل. وعندما رأى الأمير علي ذلك ، طلب إلى نوري أن لا يذهب إلى مكة وأخذ مسؤولية ذلك على نفسه أمام والده لأنه يعلم حق العلم أن في ذهابنا نحن الضباط من الفرقتين الجنوبية والغربية اضمحلال هاتين الفرقتين حيث تبقيان بدون قيادة ومن المحتمل جداً أن كثيراً من الضباط الصف والجنود يتبعوننا إلى المعتقل وحينذاك يبقى الأميران علي وزيد «حدادين بدون نار» . فكتب الأمير علي إلى والده بذلك ولكن الحسين – كما قلت – لا يريد أن يسمع أي اعتراض من أي كان فطلب بإصرار إرسال نوري إلى مكة مهما تكون النتيجة . عند ذاك طلب نوري منا التريث وقال: أنا أذهب إلى مكة وأتفاهم مع سيدنا فذهب وهناك لا نعلم كيف تفاهم ولكن الذي علمناه فيما بعد أن الحسين بقي مصراً على رأيه ، وأقنع نوري أن يرسله إلى «العيص» حيث هناك الجيش الشرقي الذي تحت قيادة الأمير عبد الله . فذهب نوري واشتغل كرتيس ركن للجيش الشرقي ، وأنعم عليه عبد الله بالباشوية ومن يومها أصبح صاحبنا نوري يخاطب « بالباشا » . وبعد بضعة أيام تلقى الأمير علي أمراً بتعيين النقيب عامر قائداً للفرقة الجنوبية ، والأمير علي بدوره أخبر علي جودة الذي حل محل نوري في قيادة الفرقة بتعيين النقيب عامر قائداً للفرقة . وكان عامر هذا ضابطاً في الجيش التركي برتبة نقيب وبعد سقوط « الطائف » فضل البقاء في الحجاز وعدم الذهاب مع الأسرى الأتراك إلى « القاهرة » والظاهر أنه أظهر رغبة للخدمة في الجيش العربي وعندما حصلت هذه الأزمة عينه الحسين قائداً للفرقة بعد ذهاب عزيز ونوري ومع وجود علي جودة وغيره من الضباط العراقيين والسوريين ممن هم أعلا رتبة أو منصباً من عامر .

نعم لماذا يا سيدنا وسيد الجميع الحسين بن علي تستهين بكرامتنا، وتتنكر لقوميتك وتهيننا ؟ لقد أكبرنا تعيين القينسوني علينا مع أنه عربي وبرتبة أعلى من رتبة عامر، ولمجرد أنه منسوب إلى جيش في بلد محتل ؟ فكيف نرضى أن تؤمر علينا قائداً ضابطاً تركياً كنا أسرناه وهو برتبة نقيب ؟ نحن الضباط العرب نستعظم أن نحارب الأتراك باعتبارهم أخواننا في الدين والجوار وعشنا وإياهم مئات السنين ولكنا نبرّر حربنا إياهم بأن الاتحاديين قلبوا للعرب ظهر المحن وعملوا أعمالاً تبرر مقاتلتهم « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير » .

وأنت يا عامر كيف تبرر لنفسك مقاتلة بني جلدتك وتناصر العرب الذين يحاربون قومك ويريدون الانفصال منهم ؟ كيف نقبل بقيادة عامر وندخل في حرب مع الأتراك تحت قيادته ؟ معنى هذا أننا إذا انتصرنا في المعركة فالفخر لك يا عامر أما نحن فعلى الهامش وإن كانت الأخرى ـ لا سمح الله ـ فهذا ما كنت تبغيه يا عامر .

لا ورب الكعبة لن يكون ذلك ولا نقبل بقيادة عامر ولو صدرت بذلك إرادة الحسين . فأجمعنا على الرفض . فجمعنا الأمير علي في خيمته وكنا : علي جودت ـ عبد الحميد الشالجي ـ جميل الراوي ـ داود صبري ـ برقي ـ كريم شاه ـ سعيد المدفعي ـ حامد الوادي ـ ابراهيم الراوي ـ رمضان شلاش ـ وإثنان أو ثلاثة آخرون لا تحضرني أسماؤهم وبعد أخذ ورد بقينا مصرين على الرفض بعد ما تكلم كل منا بما يناسب المقام والمقال وأذكر أني قلت للأمير علي : نحن يا سيدنا الأمير نستعظم حربنا مع الأتراك عدا أنهم مسلمين من المحتمل جداً أن يكون بين المحاربين من كان أستاذاً لنا ـ بالفعل كان بين القوة المحاربة في المدينة العميد الركن علي نجيب الذي كان أستاذنا في التعبئة والعقيد الركن أمين الذي كان آمر سرية عندما كنا في الكلية الحربية ـ عدا هذا

بين المحاربين من المحتمل جداً أن يكون شقيق أو ابن عم من ضباط سوريين وعراقيين– بالفعل كان بين القوة المحاربة المقدم الركن نظيف الشاوي، والعقيد صبري العزاوي ، والمقدم الركن حسن كركوكي ، وغيرهم كثيرون . نعم يا سيدنا الأمير نحن نستعظم ونكبر حربنا إياهم لولا تبريرنا أننا ظلمنا ونريد أن نحي مجدنا بتشكيل نواة الوحدة العربية . فكيف هذا الضابط يجيز لنفسه أن يحارب بني جلدته مناصراً العرب الذين يريدون الاستقلال منهم؟ وأنت يامولاي الأمير كيف تؤمن على نفسك وتنصب خيمة لعامر إلى جنبك – إذ كان النقيب عامر وصل المعسكر ونصب له الأمير خيمة جنب خيمته ؟ كيف تأمن على حياتك من شخص يسكن في خيمة جنب خيمتك فإذا حدثته نفسه وقام ليلاً واغتال حياتك ؟

وكان الأمير بالطبع يريد أن يدافع عن والده فقال : ما العمل وهذه إرادة سيدنا ؟ فانبرى له سعيد المدفعي ومدّ يد كفه اليمنى ذي الثلاثة أصابع – إذ كان إصبعاه قد طارا عندما أصيب في حربه مع إيطاليا في سنة ١٩١١ في ليبيا – وقال نحن هكذا وليس هكذا فاتحاً كفّه ثم قلبها أي يقصد أننا صريحين ومحقين بطلبنا ولا نقبل بعمل يخالف المصلحة القومية . فامتعض الأمير إذ عدّها إهانة لوالده . وفي هذه الأثناء انبرى رمضان شلاش وأراد أن يجامل إن لم أقل أنه أراد أن ينافق فقال هذا أمر سيدنا لازم نسمعه ونطيعه ولكن كلمته هذه ذهبت أدراج الرياح لأنه أولاً كان ضابط متخرجاً من مدرسة العشائر في اسطنبول وكانت معلوماته العسكرية سطحية ثم أنه وصل حديثاً إلى المعسكر إذ كان في المدينة المنورة وهرب مع الضابط العراقي السيد عباس – شقيق حسين العاني – مدير مدرسة التفيض ومنشئها – وقد هرب الإثنان في ليلة ليلاء من المدينة والتحقا بالجيش العربي. وبعد هذه المحاورة خرجنا من لدن الأمير . وقلّب الأمير الرأي أوجهه فرأى أنه إن لم يكن الحق معنا فلا يمكن له أن يضحي بنا نحن القادة . فمن قائد فرقة إلى آمري المدفعية والمشاة والرشاشات والهجانة والصفوف والمراتب الأخرى لأنه سيبقى بمفرده (حداداً

بلا سندان) فقبل بالأمر الواقع على مضض وأرسل يخبر والده بذلك وربما كتب اليه أن يعفيه من منصبه في حالة بقاء عامر وذهاب القادة . وعلى كل لا أدري كيف ولماذا قبل الحسين بنصيحة ولده علي وسكت ورضي بالأمر الواقع متمثلاً بقول الشاعر :

إذا لم تكن غير الأسنة مركبا   فما حيلة المضطر إلا ركوبها

ولكن الحسين قبل هذا الرأي على مضض وصمم على أن يضرب ضربته عند سنوح أول فرصة وهكذا بقي عامر بدون قيادة وانتصرنا بأحرازنا ما طلبناه من رفض قيادته وبقاء علي جودت على قيادة الفرقة ولكن بعد مدة وجيزة حصلت الفرصة التي كان يرتقبها الحسين فانتهزها وضرب ضربته الحاسمة واليك البيان .

المفاوضة مع الأتراك

بعد مضي بضعة أيام — أي

(١) بعد ذهاب عزيز علي إلى القاهرة وانفصاله عنا .

(٢) ذهاب نوري إلى مكة .

(٣) توتر الحالة بعد أن رفضنا قيادة النقيب عامر .

أقول بعد بضعة أيام من هذه الحوادث أرسل علي جودت عبد الرزاق الخوجة إلى القاهرة وزوّده بكتاب يخبر فيه عزيزاً عما حدث في غيابه وأرسل معه جميع الرواتب التي كان يستحقها ولم يأخذها قبلاً مع أثمان ما كان يملكه من حصان وخيام وأثاث وقد أكبر عزيز هذا الوفاء . وعلم أن في السويداء رجالاً لا زالوا على العهد والوفاء فأرسل جواباً شكر فيه علي جودت على صنيعه ورفقه بكتاب آخر طلب منه أن يرسله إلى الأتراك خفيةً . فماذا كان محتوى هذا الكتاب .

كان الكتاب هذا من عزيز علي إلى القائد فخري باشا في المدينة المنورة .
فقرأه لي جودت وأطلع عليه. وحيث أن عزيزاً ذكر له بأن لا يطلع أحداً
على هذا الأمرعدا حامد الوادي وابراهيم الراوي . وبعد اطلاعنا عليه–فنحن
الثلاثة وافقنا على إرسال هذا الكتاب – . ولما أقول لك أيها القارىء أننا وافقنا
فمعنى هذا أننا نعتبر عزيزاً الرائد الأول وأبا الفكرة وهو دون غيره يجب أن
يسمع ويطاع في القضايا العربية ، العامة منها والخاصة ، ومعنى هذا أيضاً أننا
بقبولنا تنفيذ فكرة عزيز سنخون الثورة بعد أن رأينا الحسين الناهض بالثورة
يصدر إرادات غريبة ومناقضة للأسس التي ثرنا من أجلها ونحارب في سبيلها
إذ كيف يبعد العزيز إلى القاهرة ثم يلحقه بنوري مبعداً إلى « العيص » بعد
تعيينه القيسوني وزيراً للحربية خلافاً للعدل والإنصاف ؟ وأخيراً وليس آخراً
إصداره إرادته بتعيين شخص تركي كنا نحن أسرناه وهو برتبة نقيب يعينه قائد
فرقة علينا ولو كنّا قبلنا به لاسترسل في أعماله . فضلاً عن أمور أخرى
كنا نراها وكيف أن الإنكليز ليسوا نشيطين في تقوية الثورة إن لم أقل أنهم بدأوا
بعرقلتها وهم يريدون تجميدها إذ لو أرادوا حقاً مساندتها لأمدوا الجيش العربي
بأسلحة حديثة ، ومعدات كافية ، وكانت آنذاك قوات نظامية وغير نظامية
والتي تسمى الجيش الجنوبي تحت قيادة الأمير علي هنا في الجفر ، وجيش الشرقي
المشكل من قوات نظامية وغير نظامية تحت قيادة الأمير عبد الله في « العيص » .
قوات نظامية وغير نظامية التي تسمى بالجيش الشمالي تحت قيادة الأميرين فيصل
وزيد عدا القوات التي كانت تحت التدريب في مكة وجده والطائف هذه
جميعها لو سلحت كما يجب وجهّزت بما يجب لكانت شددت الحصار على
المدينة المنورة وقطعت اتصالها بدمشق بنسف السكة الحديدية من محلات متعددة
وحينذاك تسقط المدينة بيد العرب وهذه الجيوش تكون جاهزة بعد أن تسلّم
الأسلحة والمعدات التي تقع بيدها بعد سقوط المدينة . أقول فما المانع من أن
تسير هذه الجيوش باتجاه دمشق وبغداد ولا سيما وأن الوضع الحربي حينذاك
كان يساعد كثيراً إذ كان الجنرال اللنبي يحارب الأتراك في جبهة القدس

وكانت « بغداد » قد سقطت بيد الإنكليز ، والوضع الحربي كان في صالح الإنكليز في جميع الجبهة ولكن «الأمة العربية تريد التقدم والإنكليز لايوافقون» هذا ما جعلنا نميل إلى تنفيذ فكرة عزيز فأرسلنا الكتاب مع شخص نعتمد عليه ليذهب به إلى القائد فخري ، ولكن الكتاب وقع بيد إحدى الدوريات الأمامية فسلمته إلى الأمير علي وعند ذاك فكر الأمير علي بضرورة إبعاد علي جودت مع شخصين آخرين من الذين يعتمد جودة عليهم في تنفيذ الفكرة ، وفي الوقت نفسه فإن علياً قال لعلي جودت: أن والده الحسين يريد أن يشكل لواء مشاة في « مكـــة » ويطلب إرسال شخص يقود اللـــواء و شخصين آخرين لقيـــادة الأفواج وطلب كل من عبد الحميد الشالجي وعبد الكريم شاه أن يذهبا مع علي جودت وهما لا يعرفان أنها دسيسة يراد بها التخلص من علي جودت وهكذا ترك كل من علي جودت وعبد الحميد الشالجي وعبد الكريم شاه وذهبوا إلى « جده » ومنها سفّرهم الحسين إلى مصر ليتخلص منهم لكونهم من الـــذين رفضوا تنفيذ إرادته الأخيرة بتعيين النقيب عامر . لكن بعد انضمام جعفـــر العسكري إلى الثورة وتسلمه القيادة للجيش الشمالي في « العقبة » وبعد ذهاب نوري من العيص إلى العقبة حيث كان الأمير فيصل طلبوا علي جودت ورفاقه من جديد فانضموا إلى القوة النظامية مع أخوانهم هناك أمثال « مولود مخلص» وتحسين علي وعبد الله الدليمي وناجي شوكت وراسم سردست وعبد الوهاب عبد الرزاق وحمدي صدر الدين وغيرهم .

بعد ذهاب علي جودت ورفاقه إلى « مكة » جاء إلى قيادة الفرقة الجنوبية قاسم راجي ، وهو ضابط عراقي قدير كان يخدم في الجيش الشمالي وحصل له خلاف مع نوري لكن أيامه لم تطل معنا فقد خلفه في القيادة نوري الكويري وهو ضابط من ليبيا تخرج من مدرسة العشائر في اسطنبول على زمن السلطان عبد الحميد وكانت معلوماته العسكرية ضئيلة. وشعر الأمير علي مؤخراً بأني وحامد الوادي من مؤيدي عزيز علي وعلي جودت فأراد أن يفرق بيننا وكان الأمير عبد الله قد جاء من « العيص » إلى « الحفر » التي تبعد عن جنوب المدينة

المنورة بمرحلتين للمداولة مع شقيقه الأمير علي ، وإذا بي أبلغ بنقلي من الفرقة الشرقية. وهكذا تركت الجفر وتحركت بمعية الأمير عبد الله لتسلم قيادة المدفعية» والمسافة كانت بين الجفر والعيص حوالي أربع أو خمس مراحل وتقطع المرحلة عادة على الذلول وتارة بالحصان في خمس أو ست ساعات وفي مراحل مثل هذه يكون ركوب الذلول أكثر راحة من ركب الحصان لأن الذلول في سيرها تقطع المسافة أسرع من الحصان .

كنت قبل هذا اشتغلت في معية الحسين في مكة، وذكرت في سياق الحديث عن طباع الحسين ومزاياه وسجاياه والآن بالمناسبة بعد احتكاكي بالأمير عبد الله لا بد أن أسجل مختصراً وعلى مسؤوليتي خصال كل من الحسين وأنجاله :

١ ـ كان الحسين رجلاً عظيماً وطموحاً قدّر طموحه هذا قريبه عون الرفيق الذي كان أميراً لمكة مدة ثلاث وعشرين سنة فأبعده إلى اسطنبول هو وأهل بيته . فبقي الحسين هناك مدة ١٥ سنة ـ تربى خلالها تربيةً حميدية استبدادية وكان عضواً في مجلس الشوري . وقد ماتت زوجته الشريفة والدة الأمراء علي وعبد الله وفيصل فتزوج ثانيـــة من بنت رئيس الوزراء التركي فأنجبت له زيداً وفي سنة ١٩٠٨ (أي على أثر إعلان الدستور) عينه الاتحاديون لشرافة مكة وإمارتها ويروى أنه عندما سمع عبد الحميد بهذا التعيين قـــال : « خرجت العرب من قبضة الأتراك » وقد صدق في حدسه .

نعم كان الحسين رجلاً عظيماً وطموحاً فبدأ يماشي الاتحاديين ويتظاهر بأنه من مؤيديهم ، ولكن كان يهيء لنفسه مكانة بين الحجازيين من بدو وحضر فمثلاً كان يعرقل إيصال السكة الحديدية بين المدينة ومكة بحجة أنه يدافع عن البدو الحجازيين بين الحرمين إذ إن سير القطار تحرم العشائر من استعمالهم جمالهم للنقليات ولكنه في الباطن يحرم الأتراك من السيطرة . والحسين أعلن الثورة في سنة ١٩١٦ وكان وضع الحلفاء وخاصة الإنكليز منهم رديءٌ للغاية . والحلفاء جملة ، وخاصة الفرنسيون منهم ، كانوا في الجبهة الغربية يتلقون الضربات القاصمة

من الألمان . والإنكليز كان وضعهم في الدردنيل لا يبشر بخير ، وأما وضعهم في العراق فكان أسوأ حالاً . فالجنرال طاوزند محصوراً في الكوتُ كان على وشك أن يسلم . نعم كان الحسين في مثل هذا الموقف الحرج قد دخل في الحرب إلى جنب الحلفاء وإن كان هو أيضاً اختياره الوقت لإعلان الثورة كان مضطراً اليه لأن الأتراك كانوا بدأوا بشنق أحرار العرب فخاف أن يأتي الوقت فيحاسب هو وأهل بيته ولا سيما أن جمال السفاح كان قد لوح بذلك لفيصل عندما تشفع لدى جمال ورجاه أن لا يشنق أحراء العرب . هذا من جهة ومن جهة أخرى كان الإنكليز قد شددوا الحصار على الحجاز ، ولم يكن في وسع الأتراك ان يمدوه بشيء أو يؤمنوا احيتاجاته .

هذه الأسباب و غيرها جعلت الحسين يعلن الثورة وإن كان إعلانه هذا كان خروجاً على الخلافة جعل العالم الإسلامي بأجمعه ضده مع كثير من البلاد العربية كمصر المحتلة من الإنكليز ، والمغرب العربي المحتل من الإفرنسيين والطليان ، حتى أن كثيراً من الحجازيين الذين ذكرتهم من عرب وإسلام كانوا ضده . ومع عظمة الحسين هذه فقد كانت له أغلاط ، وأغلاط العظيم بالطبع تكون عظيمة . ولكن كما قيل (لكل جوادٍ كبوة) و (لكل سيف نبوة) وهو رجل مستبد لا يقبل مشورة غيره وحتّى وإن كانت ذا فائدة له : وقد بينت آنفاً نصيحة عزيز علي له بضرورة إبقاء غالب باشا والي الحجاز وقائده لئلا يرسله إلى مصر ، وليبق في مكة همزة وصل للاتصال بالأتراك والألمان في حالة ما إذا قلب الإنكليز للعرب ظهر المجن وعاكسوا الثورة بدلاً من أن يؤيدوها بقوة كما حصل ذلك فعلاً وبدأوا بهذه اللعبة أي عدم تأييد الثورة كما يجب . بل الا نكي من هذا أنهم بينما كانوا يفاوضون الحسين في سنة ١٩١٦ كانوا في الوقت نفسه يفاوضون الفرنسيين على عقد اتفاقية سايكس وبيكو لتقسم البلاد العربية شذر مذر وإعطاء الصهاينة وعد بلفور المشؤوم في سنة ١٩١٧ . فاثبتوا بذلك الصفة التي الحقها نابليون بونابارت بهم بحق « Perfide Albian » اي « بريطانية الغدّارة »

نعم كان الحسين عظيماً وكانت أخطاؤه عظيمة ومنها عدم مسايرته رغائب عبد العزيز آل سعود بل العكس عمل أعمالاً أوجبت الاصطدام معه في مواقع كثيرة كتربة والخرمة في حين أنه كان مشتبكاً مع الأتراك في حرب مجهولة العواقب. يضاف إلى هذا أن الحسين كان ممسكاً ــ وهذه عادة لا تليق بالزعامة وهو يعلم حق العلم أن معاوية بن أبي سفيان لم يتغلب على علي بن أبي طالب بشجاعته بل بما كان يبذله من مال وبما كان يمنّي به قواده من آمال جسام كقوله لعمرو بن العاص إني أجعلك والياً على مصر في حاله معاونتك الصادقة معي . وأن مسلم أخو سيدنا علي . تركه وانضم إلى خصمه حتى قيل القــول المشهور « الصلاة وراء علي أفضل ، والطعام مع معاوية أدسم » وكان الحسين من أشجع الناس فإنه عندما أعلن الثورة وانضم إلى الحلفاء كان الوضع الحربي للحلفاء على أسوأ ما يكون . وكذلك أذكر لك أيها القارىء دليلاً على شجاعة الحسين الشخصية . إنه عندما أطلق أول إطلاقة لإعلان الثورة في تلك الأيام الحالكة كان الوضع الحربي في الحجاز كما يلي :

الحسين في مكة . علي وفيصل في أطراف المدينة مثلا حمين مع فخرى باشا ، وعبد الله كان يحاصر الطائف ، وزيد في جدة . وكان المفروض في الحسين أن يترك « مكة » إلى موقع ما في خارجها يكون أكثر أمناً وسيطرة لإدارة الأعمال الحربية ، ولكن شجاعته الشخصية أبت عليه ذلك فظل في بيته كالأسد يدير المعركة . أتعلم أيها القارىء أن قصره كان لا يبعد عن « ثكنة جرول » أكثر من كيلومترين وهذه المسافة داخل مرمى مدفعيتها ؟ بل أعظم من هذا أن « ثكنة جياد » لا تبعد أكثر من ثلثمائة متر عن قصره وكانت مدافعها تصب نيرانها على الغرفة التي كان يسكنها ، وقد طلبوا اليه تركها ولكنه لم يتركها . ؟

نعم كان الحسين ذو سجايا ومزايا تجعله في صفوف العظماء ، وكان في الوقت نفسه ذو عادات تبعده عن القادة العظماء ، ولكن مع كل هذا وذاك كانت للحسين سجية واحدة هي إخلاصه لقضية فلسطين التي ضحى من أجلها بعرشه أولاً ، وبضياع الحجاز كله وخروجه من الحجاز ذليلاً مهاناً شريــداً

طريداً والتشهير به كذباً ، ثم نفيه إلى « قبرص » وضيق العيش فيه ورجوعه إلى « عمان » بعد ما اقتربت منيته ، ووفاته فيها ، ودفنه في القدس الشريف بحسب وصيته . واليك الدليل على كونه ضيع ما ضيع في سبيل قضية فلسطين .

في عـــام ١٣٤٠ هـ ويوم عيد الأضحى بعد رجوعنـــا من « عرفات » فمزدلفة ، فمنى ، ذهبت إلى خيمة الأمير عبد الله لمعايدته وكان هناك ثلاث خيام وزن كل منها نحو الألف رطل خصصت الأولى للحسين ، والثانية التي على يمينها لعلي ، والثالثة التي في يسارها إلى عبدالله . ولما ذهبت لمعايدة عبدالله لم أجده هناك بل وجدت قاضي القضاة عبد الله سراج – الذي كان في الوقت نفسه نائب رئيس الوزراء – ووجدت معه وزير المالية أحمد باناجه ، وبعـــد برهة أتى الأمير عبد الله فهنأناه بالعيـــد . وحيث كان عبد الله من الذين لا يستعينون على قضاء حوائجهم بالكتمان ، أولنقول لثقته الغالية فينا : نحن الثلاثة قال : والله يا جماعة أنا الآن جي (آتٍ) من عند سيدنا وكان طلبني مع أخي علي ليحدثنا بحديث هام وحيث أنتم الثلاثة أحدكم قاضي القضاة ، والثـــاني وزير المالية ، والثالث أحد قوادي ، ولثقتي بكم أذكر لكم ما وقع في تلك الجلسة . جاء الإنكليز باتفاقية يطلبون من سيدنا أن يوقع عليها وأبدوا الترغيب والترهيب في حالة قبولها أو رفضها الترغيب :

١ – يقول له الإنكليز أنك إذا وقعتها نعيد اليك الراتب الذي كـــانوا قطعوه عنه بعد الهدنة .

٢ – نمنع ابن سعود عن مهاجماته المتوالية على الحجاز .

٣ – نساندك في المجالات الأخرى في الداخل وفي الخارج .

وأما الترهيب

١ – ففي حالة عدم توقيعك نستمر على قطع الراتب .

٢ – نحرض ابن سعود على تتالي هجماته على الحجاز .

٣ – لا مساعدة ولا مساندة في أي مجال كان .

وسيدنا جمعنا لا لأخذ رأينا – مع أن علي كان ولياً للعهد ورئيساً للوزراء

وعبد الله كان وزيراً للخارجية – بل قال لنا أن سيدنا رغب أن يطلع على رأي كل منا فيما إذا كان هو محله ، فماذا سيكون جوابه للإنكليز حول هـذه الاتفاقية ؟ فأبدى كل منا رأيه وكان أحدنا موافقاً ، والآخر رافضاً ، ولكن الحسين كان مصراً على رأيه الذي بيّنه للإنكليز وكان هكذا : « أنتم أيها الإنكليز ترغبونني بتخصيص راتب لي في حالة موافقتي وأنا والله في غنىً عنه . مع أنه كان في أشد الحاجة اليه – وأما أنكم تقولون أنكم تمنعون ابن سعود عن مهاجمة الحجاز في حالة موافقتي وتشجعوه على الهجوم في حالة رفضي فإن ابن سعود أمير عربي وأنا أمير عربي فليتفضل ويهجم ويضم الحجاز إلى نجد فإن ذلك أحب إلي من أن أوقع على إتفاقية فيها من الضيم والغبن على بلادي ، ولأنها خلاف ما وعدتهم وأملتهم فيها من كسب للعرب وقضاياهم وخاصة – وهنا بيت القصيد – إن هذه الاتفاقية بتوقيعي عليها أكون قد رضيت بوعد بلفور المشؤوم الذي أعطيتموه لليهود بمنحهم الوطن القومي » إهـ.

نعم هكذا كان جواب الحسين فأخذت الأحداث تتألى ، ونفذ الإنكليز ما قالوه فلم يخصصوا له راتباً ، وشجعوا ابن سعود وأطلقوا يده لمهاجمة الحجاز ، وضمه إلى بلاده ، وخرج الحسين شريداً طريداً فاقداً عرشه وشرافة مكة وأمارتها التي يعتز بها الهاشميون كابراً عن كابر إذ أنهم شرفاء مكة وأمراؤها منذ قبل الإسلام . أتريد يا سيدي دليلاً حياً أكثر من هذا على أن الحسين كان بوقفته هذه عظيماً ، وأن إذاعة « صوت العرب » وبعض صحف القاهرة عندما يشذ الحسين بن طلال عن الركب تصفه بأنه سليل الخيانة ؟ . والله ليس هو سليل الخيانة وسميه (جده الحسين بن علي أضاع عرشه في سبيل فلسطين وهو الآن – في أوائل حزيران – والحسين يشد الرحال ويأتي إلى القاهرة ويوقع اتفاقية مع الرئيس جمال عبدالناصر ترضي ما كان العرب يطلبونه ويستصحب معه أحمد الشقيري بطائرته الخاصة ويرجع إلى عمان . خسئتم والله من قال عن الحسين بن طلال أنه سليل الخيانة وخسيء انيس الصائغ مسطر كتاب الهاشميون وما لفق فيه من اتهامات .

٢ ـ أما الأمير علي ، أكبر أنجال الحسين وولي عهده الذي بويع بالملك بعده ، فعلى يده كانت النتيجة المؤلمة وهي تسليم الحجاز إلى عبد العزيز آل سعود وكان علي هذا ذو دين أما ثقافته ففوق المتوسط .

(٣) أما الأمير عبد الله فقد كان ذو ذكاء خارق ، يحسن الأدبان التركي العربي ، وينظم الشعر ، ويلم بالتاريخ وبأنباء العرب وذو إطلاع واسع ، وكان الدماغ المفكر للثورة فهو أول من اتصل بالإنكليز عند مروره بالقاهرة أثناء سفره بين الحجاز واسطنبول ـ إذ كان نائب رئيس المجلس النيابي التركي ـ لقد اتصل باللورد كشنر ، وبسكرتيره ستورس وهو مجلسي من الدرجة الأولى له قابلية الإقناع بوصف الشيء بالمدح وبتعداد محاسنه وفي الوقت نفسه يوصفه بالذم بتعداد مساوئه . رجل سلم لايحب الحرب بل يخشاها ويرهبها وأذكر اني كنت آمر مدفعيته فذهبنا مرة لمواجهة الأتراك وفي الليلة التي كان الاصطدام متوقعاً قال لي أعطني من الكتب ما يجعلني أقرأه بدون انقطاع ، وكانت عندي روايات جرجي زيدان وهي كما تعلم أيها القارىء تسع عشرة سلسلة تروي « تاريخ التمدن الإسلامي » وهذه الروايات تغري المرء لقرائتها كلها بحيث يترك الرواية حتى النهاية لارتباط فصولها ببعضها لقد رأيت من واجبي ان الفت نظره لذاك فقلت له : سيدي : لا أريدك أن تقرأ هذه الروايات قال . لماذا ؟ قلت لأن جرجي زيدان يذم الأمويين ويمدح العلويين ونحن الآن قائمون بنهضة تهدف إلى توحيد العرب. فقال لايا ابراهيم «العرب استكثروا على الهاشميين النبوة والخلافة » . قلت له سيدي ما لنا ولهذه الآراء . تلك أمة قد خلت وأننا الآن في ثورة والواجب علينا أن ننسى الضغائن ونسعى للاستقلال وننشىء جيشاً يكون نواةً للوحدة العربية . ثم إن الأمير عبد الله كريم النفس إلى آخر الحدود وكان أهداني في سنة ١٩٤٩ سيارة شوفروليت جديدة ـ وأنا مغضوباً علي من قبل ابن أخيه عبد الإله ـ في الوقت الذي كانت كريمته « الأميرة هيا » لا تملك سيارة وكان قد شمل بعطفه الشريف شريف الذي انتخبه العراقيون وصياً على عرش العراق بعد خذلانهم عبد الاله ـ ومع أنه كان مغضوباً عليه من

قبل عبد الاله ــ فقد أخذه إلى « عمان » وبنى له قصراً إلى جنب قصره، وجعله عضواً في مجلس الأعيان ، ووظف نجله محمد في السلك الدبلوماسي الأردني حتى أنه لحنانه وكرم نفسه شمل الأميرة عزة بنت فيصل « المعلومة قصتها وفضيحتها » أقول عطف عليها وأسكنها في « عمان » وأعطاها أرضاً زراعية وخصص لها راتباً . وقد عفى عن يونس بحري الذي كان يسبه سب الذين كفروا من إذاعة برلين و منحه جنسية الأردنية ونقده الف دينار أردني . وعبد الله هذا هو الذي شد الرحال من « عمان » إلى « الرياض » بقصد التضامن مع العاهل السعودي عبد العزيز وعندرجوعه من الرياض استقبلته بغداد أحسن استقبال رآه في حياته ضمن زياراته المتعددة لبغداد وفي يومها زرته في قصر الزهور فقلت له: سيدي إن أحسن عمل عملته في حياتك ذهابك هذا من عمان إلى الرياض ومصافحتك لعبد العزيز باعتبارك عميد الهاشميين وباعتباره عميد السعوديين لدفن البغضاء وفتح صفحة جديدة فيها الخير للعرب فقال صدقت يا ابراهيم وأضاف إلى ذلك قوله « لم يكن مصدقاً مجيئي فحضنني وقال: هو أنت يا عبد الله هو أنت يا عبد الله ؟ وأراد عبد العزيز أن يستفيد من مجيئي عبد الله فرجاه أن يأخذ رشيد عالي معه إلى بغداد فقال له أن أحب ما علي عمله هو هذا الذي تريده ولكن علـــي أولاً أن أذهب إلى بغداد وأرى رأي عبد الاله فيه . نعم إن عبد الله مع كل هذه الصفات الحسنة التي يتميز بها عن غيره لم يعضد قضية فلسطين كما يجب لاعتبارات دولية كان يراها .

إن ذكر قضية مثل هذه تحط من قدر عظيم من بني قومي ، جعلني أتردد من كتابة مذكراتي هذه مع أني باشرت بكتابتها منذ أكثر من ربع قرن ، يوم كنت في بلاد المحور ١٩٤١ ــ ١٩٤٥ إذ يعز علي أن أذكر مثالب بني قومي ولا سيما إذا كان الشخص الذي أذكر مثالبه من أعز أصدقائي أنا أجله وأحترمه لأسباب خاصة وعامة فقد كان عبد الله يشملني بعطف خاص منذ كنت آمراً للمدفعية بمعيته ، وخضت معه معارك مع الأتراك ، وأخيراً في « تربة » مع جماعة الأخوان أتباع ابن سعود وله مواقف خدم بها العرب في السلم وفي الحرب ولكن في

قضية فلسطين مثلبة كبرى من شخص ينتمي إلى آل الرسول والمفروض أنه في القمة من كرام العرب وإذا لم نجد عند شخص مثل هذا الوفاء والإخلاص لأقدس قضية في نظر العرب . هذا من الناحية الدينية ومن الناحية السوقية (الاستراتيجية) فإن الصهاينة بتمركزهم هذا في هذه البقعة من بلاد العرب ، باعدوا بين المشرق العربي والمغرب العربي ، وجعلهم يحتلون رأس جسر يقفزون منه ليشيدوا ما يؤملونه ويطمعون بإنشاء وطن لهم عدا ما هم فيه « من النيل إلى الفرات » بل إلى « خيبر » القريبة من « المدينة المنورة » بل نفس المدينة التي كانوا يسكنها بنو قريضة والقينقاع وسائر اليهود وحتى صنعاء اليمن فإنها لا تخلو من مطامعهم . نعم يعز علي والله أن أذكر مثل هذه المثلبة لشخص من بني جلدتي لنفع ذاتي زائل ولكن ما العمل والخضري يقول في مقدمة تاريخه يقول « أن الغاية من التاريخ أن يذكر المؤرخ الصالح والطالح مما عمل السلف حتى يأتي الخلف ويتبع الصالح ويتجنب الطالح » وهذا ما جعلني أذكر في مذكراتي هذه الصدق في الرواية وإن كانت تؤلمني وذكرها يزيد أشجاني .

٤ — والآن أذكر قسماً مما أعلمه عن خصال الأمير فيصل (— ثالث أنجال الحسين —) فقد خدمت في الجيش الحجازي بمعية الحسين وعلي وعبد الله وزيد مباشرة ، واتصلت بهم عن كثب ولكن فيصلاً بما أنه كان في الجيش الشمالي فلم يكن لي اتصال به سوى أني تعينت آمراً للحرس الملكي في بغداد في سنة ٢٥—٢٦ ولكن بما أنه كان ملك العراق فأنا أتكلم عن سجايا ما عرفته فيها وما سمعته عنه .

كان لفيصل من السجايا والقابليات ما جعل الإنكليز ، وخاصة لورنس ، أن ينتخبوه ويجعلوه القائد العام للثورة مع أن علي وعبد الله كانا يكبرانه بالسن . وعندما كنت في « العيض » بالحجاز قال لي الأمير عبد الله أن فيصلاً كان ظهرت عليه آثار النبوغ مبكراً حتى عندما كنا في اسطنبول كنا نشبهه بخالد بن الوليد ومن جملة دهائه أنه لما رأى الإنكليز بدأوا يماطلون ولا يمدون الثورة بما يلزم من سلاح وعتاد وتجهيزات ، أوعز إلى الشاعر رشيد الهاشمي — شقيق

محمد الهاشمي – وكان يعبر عنه شاعر الجيش الشمالي – أن ينظم قصيدة عن لسانه يخاطب بها أخيه عبد الله وفيها التلميح فيما إذا كان الإنكليز استمروا علـى مماطلتهم سيترك القيادةوووو ..... الخ واليك القصيدة :

أعبـد الله قد أوريت زنداً   له شرر بقلبي ليس يهدا
يفور ولا يغور أما تراها   تجر بذيلها برقاً ورعدا

. . . .

ومنها :

علام وفيم خنجرك المحلى   خصصت به أخاك الشهم زيدا
تمنطقه فكان ككف خودعلي   قلب المحب يمس وجـدا
وقلّبه فكان كنصف شمس   قد اختطفته كف البدر عمدا
وعلّقه فأبصرن الثريـا   وأرسلنا عليها العين رصدا
أو الشعرى العبور شدت بشعرٍ   سمعنـاه فنظّمناه عقـدا
ويحسن أن تكون له غموداً   صدور الدافنين علي حقدا
ويجمل أن يكون بنحر خود   تبث به من العشاق ودا
يليق بأن يكون بكف زيـدٍ   يصدّ به عوادي الدهر صدا

. . . .

ألست لمثله كفواً فـإني   أبو الهيجاء كم لاقيت أسدا
وإن أخّرت مطلوبي فـإني   سأرفعها إلى الملك المفدّى
وأطّرح الحروب وأزدريها   وأترك للعدا جزراً ومـدا
وأرحم آل جنكيزٍ جميعاً   ومن منهم على قومي تعدّا
وأنصر أنوراً ومشايعيه   واطلب أن يعود وأن يردّا
وأزعم أن جاويداً عفيف   أمين صادق لم يحو نقـدا
وأنك يا جمال فعلت فعلاً   جميلاً لم تجد لك منه بدا

ولا خلت المدينة من ذويها[1] ولا سرقوا من المختار بـردا
ولا باعوا (طرابلساً) ومصراً وأندلساً وبغـداداً ونجدا

. . . .

وإن أخرت مطلوبي فـإني سأشفعها بثانية أشدا ...... الخ

وحيث أن الأمير عبد الله ما كان أرسل إلى زيد خنجر بل كان المرسل الشريف شاكر بن زيد ولذا فإن عبد الله نظم قصيدة بنفسه على نفس القافيـة وأرسلها إلى فيصل :

أفيصل لا تلم قبل التروي ولا تعجل هداك الله رشـدا
وإنك قرة الأعيان منـا شديد البطش في الهيجاء فردا

. . . .

فلا وأخيك ما بعثت يميني لزيدٍ خنجراً قسماً وعهدا
فان كان المقدّم في الحبايا فإنكً عندنا أنت المفدّي

. . . .

ومنها :

وأشكر شاعر الجيش[2] الشمالي بما أولاه لي مدح وحمـدا
ولكن نية قد أرهبتـني سألت الله أن لا تستجـدا
تذكّرني بصفين وعمرو لدى التحكيم في يوم أشدا
إذا كان الكلام قرين صدق فـأمر الله ليس له مردا
وخنجر عزكم صغناه حتى لمركز فضلكم يعزى فيهدى

---

(١) كان فخري باشا قد جمع كل ما في المدينة المنورة من ثريات وغيرها المذخرة في الحرم النبوي وأذابها في كتلة فضية وأرسلها إلى اسطنبول مع كل الكتب التي كانت في المكتبة النبوية .

(٢) علم الأمير عبدالله أن الشاعر هو عراقي وأراد أن يداعبه بتهكم قاصداً الوقعة التي جرت في صفين بين سيدنا علي ومعاوية . إذ العراقيـون آنذاك كان خذلوا سيدنا علي بقبولهم التحكيم الذي اقترحه عمرو بن العاص الداهية .

مراوغة الإنكليز

لما شعر الإنكليز أن العرب بدأوا يسيئون الظن فيهم ويلمسون ، بأيديهم آثار غدرهم ، أخذوا يحسنون معاملتهم في تأييد الثورة ومع هذا فإن جمال باشا — بإيعاز من الألمان كتب إلى فيصل يعرض عليه بعض الشروط للتفاهم فأرسل فيصل بدوره هذه الشروط إلى والده الحسين ولم يرسل أي جواب لا سلباً ولا إيجاباً فاستمر فيصل يقارع الأتراك حتى انتصر عليهم في معارك كثيرة في «معان» وفي «الطفيلة» في المعركة التي كان على رأس — المحاربين فيها الأمير زيد — أصغر الأنجال — وكسر العرب الأتراك شر كسرة وأخذوا منهم مدافع مع ثلاث وثلاثين رشاشة وأخيراً دخلوا دمشق قبيل إعلان الهدنة ثم انضم ياسين الهاشمي إلى الثورة . وكان الهاشمي إلى ذلك التاريخ لم ينل الفرصة التي تمكنه من الالتحاق بالثورة كما كان أخوه طه إذ ذاك في اليمن وقد بقي إلى نهاية الحرب ولم يلتحق إلى الثورة . وبعد هذا ذهب فيصل إلى باريس ولندن ومن ثم اشترك باسم والده الحسين في « مؤتمر فرسايل » وكان معه رستم حيدر ، وعوني عبد الهادي ، والدكتور أحمد قدري . وفي ٨ آذار ١٩٢٠ أعلنت ملوكية فيصل على سوريا ، وملوكية عبدالله على العراق . أما فيصل فكما هو معلوم شكل حكومة ومجلساً نيابي في دمشق ولكنه ترك دمشق شريداً طريداً بعد هجوم الجنرال غورو في ٢٥ تموز ١٩٢٠ واستشهاد بطل ميسلون يوسف العظمة وزير حربيته آنذاك فذهب إلى لندن وبطريق مروره بمدريد اجتمع بعزيز علي الذي أسمعه كلاماً قاسياً . وحيث كان الإنكليز متضايقين إلى آخر درجة في العراق ، نتيجة للثورة التي أعلنها عليهم العراقيون في حزيران ١٩٢٠ وكبدوهم فيها خسائر جمة في الأرواح والأموال ، فقد رشحوه للملوكية العراق ليضربوا عصفورين بحجر واحد هذا وأن كيفية مجيئه إلى العراق ، ثم انتخابه ملكاً ، وما وقع له من أحداث إلى يوم وفاته معلومة لدى أكثر العراقيين أما بالنسبة لغير العراقيين . فلا شك في أنهم اطلعوا عليها مدونة في الكتب ولاسيما في كتاب (تاريخ الوزارات العراقية) للسيد عبد الرزاق الحسني الذي ألمّ بالصغيرة والكبيرة من تلك المواد

والحوادث واعتبر كتابه الذي تم في عشرة تجلدات أصدق مرجع بحيث طبع ثلاث طبعات .

٥ ــ أما الأمير زيد فحينما أعلنت الثورة كان عمره ثمانية عشر عاماً وهو ذو سجايا جيدة حتى أني سمعت مدحاً بحقه من عزيز علي وكان يفضّله علــى أخوته الثلاثة ، وهو معروف لدى العرب عامة والعراقيين خاصة ولا يزال على قيد الحياة . ويعلم الناس أجمعون أنه لم يكن راضياً عن أعمال أخوانه أو حتى والده عندما كانت تظهرِ منهم أعمالاً تنا في المصلحة العربية وهو لم يكن راض عن أعمال ابن أخيه عبد الاله الذي خان الوصاية وكان يتوقع ضياع الملك على يد إبن أخيه أي عبدالآله ــ وهو ماحدث فعلاً ــ وهوكما ذكرنا آنفاً كان انتصر على الأتراك في « الطفيلة » وأخذ منهم أسرى ومدافع وثلاثة وثلاثون رشاشة وبقي يعاون أخيه فيصل حتى دخل « دمشق » وكان ينوب عن أخيه «فيصل» في معظم أسفاره إلى أوربا ، كما أن الملك فيصل الثاني كان ينيبه عندمـــا كان يذهب مع خاله عبد الاله إلى خارج العراق سواء للاستجمام أو لمهام رسمية أخرى ، وقد اشتغل زيد في السلك الدبلوماسي في برلين واسطنبول وأخيراً في أنقرا لكنه ختم حياته السياسية ــ ويا للأسف ــ بطريقة لم ترض العراقيين حتى ولم ترض أتاتورك وذلك بزواجه من امرأة تركية مطلقة مما جعل أتاتورك يبدي عدم رغبته في بقائه سفيراً في بلاده . وكانت هذه العملية السبب في عدم اختياره وصياً على العراق بعد وفاة غازي لأن الجيش ما كان يريد ان ينصب وصياً على العرش من زوجة تركية ربما يصبح نجلها ملكاً في المستقبل .

عندما كنت في الحجاز

بقيت في « العيص » إلى قبيل إعلان الهدنة تحت قيادة قائد الفرقة الشرقية محمد حلمي . وهذا القائد عراقي ــ نجل محمود الحاج ذياب ــ وكان من أعز أصدقائي ، وقــد استشهد في « وقعة تربه » في أوائل سنة ١٩١٩ وكان الشريف

شاكر بن زيد يساعد الأمير عبد الله في كثير من الأمور إذ كان ذو عقل راجح ومخلص ، وكانت منزلته عند الملك حسين وغيره تأتي بعد منزلة الأنجال الأربعة مباشرة يوجد له ابن اسمه زيد وهو موجود الآن في عمان ضمن قادة الجيش الأردني وأن قائد الجيش الشرقي الأمير عبد الله الذي كنا تحت قيادته في « العيص » كان أحياناً ولقصد الدعاية يكتب مناشير يخاطب بها الجنود الأتراك ويقول لهم فيها : (نحن وإياكم أخوان في الدين ولا نرغب في محاربتكم بل نحارب الاتحاديين الذين تنكروا للدين وعملوا أعمالاً منكرة وشنقوا أحرار العرب ظلماً وعدواناً وأنتم أيها الجنود عندكم مسبة تقولوها لبعضكم في حالة من أتى عملاً منكراً والمسبة هي « يزيد سني » أي «أنت يزيد» أتعلمون ما معنى هذا ؟ هذا لأن يزيداً قتل جدنا الحسين وأنتم بمحاربتكم لنا نحن أحفاد الحسين سيصبح كل منكم يزيداً وتستحق عليه اللعنة ولذا فلئلا تلحقكم اللعنة تعالوا الينا ونحن هنا نعاملكم معاملة حسنة كأخوان لنا والذي يريد الخدمة نستخدمه ، والذي لا يريدها نرسله إلى الاعتقال في مصر وفي نهاية الحرب يذهب إلى أهله » وكانت هذه المناشير ترمى بالقرب من السكة الحديدية ثم تأتي الدوريات فتلتقطها فتفعل فعلها إذ أنهم بعد أخذهم إياها كانوا يأتون ويسلمون أنفسهم الينا ونحن حينذاك نستخدم الذي يريد الخدمة في الخطوط الخلفية . أما الذي لا يريد الخدمة فكنا نرسله إلى الاعتقال بمصر .

وفي ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ عقدت الهدنة بين الأتراك والحلفاء وعلى أثرها تركنا « العيص » وأتينا إلى « الجفر » فانضمت قوات الأمير عبد الله إلى قوات الأمير علي ، وآنذاك صدرت الأوامر إلى فخري باشا في المدينة أن يسلم جميع قواته الينا . ولكن فخري تجاهل هذه الأوامر ، وحال دون أن يسمع بها أي شخص — عدا رئيس ركنه العقيد الركن أمين — أما سبب تمنع فخري من التسليم فكان لغرض شخصي إذ أنه أراد أن يقلل الأفواه الآكلة في المدينة فنفى جميع أهلها — عدا قرابة الخمسمائة شخص — نفى بعضهم إلى الأناضول ، وبعضهم إلى دمشق ، وكان يرمي بعضهم في المحطات للسكة الحديدية فيبقون

تائهين لا ملجأ لهم . وكانت هذه معاملة قاسية جداً كما أنه استولى على جميع ما في المكتبة النبوية من كتب قيمة مع جميع ما موجود في الحرم النبوي من هدايا معلقة وغير معلقة فصهرها كتلاً ذهبية أو فضية وأرسلها إلى اسطنبول . ثم إنه كان يصعد على منبر الرسول ويسب الأشراف حفدة الرسول والعرب . وكذلك كان يسب العرب أجمع وهذا ما جعله يتخوف من نتائج التسليم لئلا يقتل . ولما رأت اسطنبول أن فخري تجاهل أمرها ولم يسلم ؛ أرسلت مرافق وزير الدفاع النقيب ابراهيم مزوداً بأمر يؤكد عليه أن يسلم وإلا فإنه سيعاقب . وعندما جاءنا هذا الضابط قال الأمير علي من يذهب معه إلى الأتراك ليشهد تسليم الكتاب ؟ قلت له سيدي أنا حاضر للذهاب معه . فقال لا أوافق فسألته : لماذا ؟ قال أخشى أن يقتلوك . فقلت له سيدي إن الأتراك الآن ليسوا بوضع يساعدهم على قتل ضابط عربي لأنه في مثل الحالة يقتل منهم العشرات فوافق على ذهابي وعند اقترابنا من الخطوط الأمامية ، رفعنا علماً أبيضاً ووصلنا اليهم وبعد أن أخبر قائد القوة الأمامية بالمهمة التي جئنا من أجلها ، أخبر هذا بدوره فخري باشا تلفونياً فطلب فخري من القائد أن يرسل اليه الضابط التركي وأن يمنعه من الاتصال بأي شخص لئلا يعلم أحد بالغرض من مجيئه . وأمره أن يخبرني أنا الراوي بلزوم العودة من حيث أتيت . وحيث كان الوقت مساء فقد بعدت عنهم بضعة مئات من الأمتار وقضيت ليلتي هناك . وكان معي جنديان كان معسكرنا يبعد حوالي العشرين كيلومتراً . وفي صباح اليوم التالي رفعت علماً أبيضاً وذهبت إلى القائد لأسأله عما إذا جدّ شيء وما حل بالضابط الذي أتى برفقتي ؟ فاتصل القائد بدوره بفخري باشا وكان الجواب : أن على الضابط العربي أن يذهب إلى معسكره . فقلت للقائد أن الهدنة قد عقدت بين تركيا والحلفاء ، وأن جميع قوات الأتراك ملزمة بتسليم أنفسها إلى أقرب قائد من الحلفاء عملاً بالمادة ١٦ من شروط هدنة موندروس . وقد انتشر هذا الخبر وفعل مفعوله إذ كان فخري لا يريد أن يسمع بهذا الخبر أي شخص . وقد جعل الضابط الذي أتى من اسطنبول تحت رقابته فلم يسمح له بالاتصال بأي شخص ولكن

رئيس ركن القوة العقيد الركن أمين لما رأى أن فخري ممتنع عن سماع الأوامر القاضية بلزوم تسليم نفسه، رأى أن عمله هذا مخالف للقانون فترك «المدينة المنورة» وجاء الينا وسلم نفسه بعد أن أرسل كتباً إلى آمري الوحدات مآلها : إن فخري باشا ممتنع عن إطاعة أوامر وزارة الدفاع القاضية بالتسليم. وحيث أن هذا مخالف للقانون العام فأنا ذاهب إلى أقرب قوة عربية ومسلماً نفسي اليها وأنتم بدوركم إذا كنتم تعتقدون بي وتسلموا مع وحداتكم فإن هذا أمر يعود اليكم. وبعد تسلمهم الكتب هذه أتت بعض الأفواج الأمامية وسلموا أنفسهم مع آمريهم. ولما رأى فخري أن الزمام أفلت من يده ، أرسل وفداً من أربعة أشخاص وهم : قائد الفرقة العميد نجيب رئيساً ، والعميد عبد الرحمن عضواً ، والعقيد صبري العزاوي – عراقي – عضواً ، ومدير الأمور الطبية الرائد كمال عضواً. فجاء هذا الوفد إلى « الحفر » للمفاوضة ولما اجتمع بالوفد المقابل وهم – الأميران : علي وعبد الله وأحد ضباط الإنكليز اتفق الطرفان وعاد الوفد التركي إلى « المدينة » بعد أن قضى عندنا يومين أو ثلاثة فلما تسلم فخري لاتفاقية التي وقعها الطرفان جن جنونه لأن المادة الأولى كانت تقتضي أن يسلم فخري نفسه خلال ثمان وأربعين ساعة من تاريخ تسلمه هذه الاتفاقية ثم يجري الدور والتسليم. وتأكد لديه ما كان خائفاً منه قائلاً لنفسه لماذا يشترطون علي أن أسلم شخصياً خلال ٤٨ ساعة ؟ إن نيتهم سيئة بحقي وعليه رفض الموافقة على هذه الاتفاقية واتخذ قراراً في غاية الخطورة وهو – أن يجمع كل ما عنده من أسلحة ثقيلة وخفيفة وأعتدة وتجهيزات ويجمعها داخل الحرم النبوي الشريف ثم يذهب بنفسه إلى الحرم وينسف هذه الأسلحة والأعتدة والتجهيزات – وهو معها – وهكذا يحرم العرب من هذه المهمات وينسف قبر نبيهم وقبرا صاحبيه أبو بكر و عمر. ولما مضى الوقت الكثير ولم يأتنا فخري مسلماً ، تأكد لدينا أنه سيمتنع عن التسليم. وبأمر من الأمير علي تحرك الأمير عبد الله ونحن أشخاص معدودون بمعيته ومعنا الضابط التركي العقيد الركن أمين ، وأتينا إلى « جليجلة » – أحد مواضع الخطوط

الدفاعية عن المدينة المنورة — الذي يبعد عنها نيف وعشر كيلو مترات فوجدناه خالياً من معظم الوحدات إذ كما ذكرت آنفاً كانت معظم الأفــواج استسلمت الينا على أثر تسلمها الكتب من الرئيس الركن أمين ، وكان الوقت مساء فأملى علي الأمير عبد الله رسالة باللغة التركية وأمرني أن أبلغها تلفونياً إلى قائد الفرقة العميد نجيب وهذا نصها :

« تذكر أيها القائد بصفتك رئيس الوفد المفاوض أنك وقعت اتفاقية المادة الأولى فيها تلزم أن يسلم فخري باشا نفسه خلال ٤٨ ساعة وبعدها يجري التسليم والتسلم وها قد مضى على تسلمه إياها ما يقارب الأربعون ساعة ولم يسلم فخري نفسه وحيث أن المدة ستنتهي وفي حالة عدم تسليم فخري نفسه في هذه الليلة فستهاجم قواتنا المدينة وكل ما يقع فيكم من قتل وجرحى ونهب أموال . ونحن غير مسؤولين عنه وبالعكس ففي حالة تسليم فخري باشا نفسه خلال ما تبقى من المدة فإن كل ما يقع عليكم من اعتداء ونهب أموال فنحن المسؤولون عنه . وأنت أيها القائد لماذا تهتم بفخري إلى هذه الدرجة ولن تسلمه الينا مع أن وزير الدفاع أمركم بالتسليم وأنتم الأتراك سبق وأن نفيتم الخليفة السلطان عبد الحميد إلى سلانيك بلد اليهود عندما أتى بأعمال مخالفة وعليه فإني أذكرك بشرف توقيعك الاتفاقية وأرجو تنفيذها وتخليص الطرفين من مآس نحن وإيا كم في غنى عنها » .

بلغت هذه الرسالة إلى العميد نجيب بك وعلي أثر تسلمه إياها جمع الوفد المفاوض تذاكروا وقرروا تنفيذ الاتفاقية على مسؤوليتهم . وحيث أن فخري كان قد ذهب إلى الحرم الشريف للمبيت هناك وكان ينتظر تجمع الأسلحة والأعتدة والتجهيزات لينسف الحرم وما فيه ، فقد أرسل العميد على نجيب سرية حاصرت الحرم وعند الفجر ألقوا القبض على فخري بــاشا أركبوه سيارة وأخبرونا تلفونياً أن فخري باشا في طريقه اليكم . وأما فخري فإنه لما رأى نفسه مغلوباً على أمره وانه أركب السيارة مرغماً قال : (قائمقام صبري بك كلسون) أي ليأتي العقيد صبري . وكان العقيد صبري

العزاوي أحد أعضاء الوفد التركي المفاوض وقضى في معسكرنا يومان أو ثلاثة وتعرفنا عليه وتعرف علينا. وكان فخري في قرارة نفسه يقول لآخذ هذا الضابط العربي بمعيتي عسى أن ينفعني كما تأخذ القوافل خوى[1] معها. وبعد حركة السيارة أمرني الأمير عبد الله أن آخذ بضعة أفراد من الخيالة لاستقبال فخري، فأخذت عبد الله المضايفي - والد اللواء عبيد المضايفي - وخيالة آخرين وخرجنا لاستقباله وعندما اقترب فخري الينا قال صبري العزاوي له ومشيراً إلي: (طوبجي قومنداني ابراهيم بك) أي «آمر المدفعية ابراهيم» فحييناه ولم يود لنا التحية وكان متأثراً للغاية وهذا عمل عظيم في الجندية كيف أن القائد ترغمه أتباعه على عمل يخالف رغبته؟ ولما وصلت السيارة قرب الرابية التي كان الأمير عبد الله في غرفته فيها، خرج ووقف على الرابية لاستقبال فخري فقال صبري لفخري: (أمير عبد الله حضر تلري) فنزل فخري حينذاك من سيارته وأقبل فسلم على الأمير، فدخل الأمير وفخري إلى الغرفة، ودخل معهما كل من: الشريف شاكر الشريف شرف - محمد حلمي - عبد الله المضايفي - وصاحب المذكرات. وكانت تظهر على فخري إمارات التأثر ولا يعرف ما هو مصيره. عند ذاك كلمه الأمير عبدالله باللغة التركية - طبعاً - قائلاً: يا باشا أنت كقائد يجب أن لا يظهر عليك آثار الانزعاج لأن القائد أما أن يكون غالباً أو مغلوباً وفي كلتا الحالتين يجب أن لا تظهر عليه آثار الانزعاج أما أنت فقد جاهدت جهاد الأبطال، وتمكنت من الدفاع عن المدينة إلى ما بعد الهدنة بشهرين تقريباً» فأجابه فخري (حكومة عربية تشكل ايتمش معارض دكلم) أي «أني لست معارضاً لتشكيل حكومة عربية» وبعدها تركه عبد الله وخرج من الغرفة ليعطيه حرية أكثر إذ ربما كان يرغب في التدخين ولا يريد أن يدخن بحضوره. وبعد شرب المرطبات ركب عبد الله وفخري وصبري

---

(١) تعبير عراقي أو بالأحرى عربي يقصد منه بمرافقته الى القافلة لا يتمكن أحد من العشائر من الإساءة اليها.

السيارة وتوجهوا نحو المعسكر العربي الذي كان يبعد حوالي العشرين كم وبأمر من الأمير عبد الله توجه إلى المدينة المنورة كل من : الشريف شرف الشريف شاكر ، محمد حلمي ، ابراهيم الراوي ، وعبد الله المضايفي وآخرون لم تحضرني أسماؤهم فذهبنا إلى المدينة فاستقبلنا القادة الأتراك وعلى رأسهم قائد الفرقة العميد علي نجيب الذي أصبح وكيلاً لقائد الفيلق فخري وبتنا فيها .

نعود إلى عبد الله وفخري . بعد حركة السيارة رأى عبد الله أن فخري لا يزال في حالة قلقة وأن آثار الانزعاج بادية عليه فقال له يا باشا : عندما كنتم في المدينة المنورة — قبل الثورة — كنت تبادلت الزيارة مع الأميرين : علي وفيصل وكنت أهديت كلاً منهما مسدساً وأنا بقيت محروماً من هذا الشرف . وكان فخري واضعاً ناظوره تحت معطفه فأخرج الناظور « زايس ذو علامة ١٢ ألماني » وقدمه كهدية إلى عبدالله . والأمير بدوره سارع وأخرج ساعته من جيبه وقدمها إلى فخري . وكانت هذه الساعة قد أهداها اليه أحد أمراء آل الرشيد وهي ساعة ذهبية مكتوباً عليها بالميناء هذه العبارة :

لي خمسة أطفي بها حرّ الوبا الحاطمة المصطفى والمرتضى وابنيهما وفاطمه

عند ذاك تهلل وجه فخري بالبشر ، إذ رأى الأمير يهديه ساعة ثمينة وهذا يعني هو الأمان وزاد اطمأنانه بعد وصول السيارة إلى المعسكر ورأى حرس الشرف بقوة سرية بانتظاره لتحيته . وقد أسكنوه في خيمة ذات أربعمائة رطل معززاً مكرماً وهكذا عامل العرب القائد التركي الذي عمل أعمالاً هو نفسه كان خائفاً أن يقتل من أجل فضاعتها (وكل أناء بالذي فيه ينضح) . وبعد هذا أرسل فخري إلى معسكر الاعتقال بمصر . وفي اليوم التالي جاء الأمير عبد الله وحاشية صغيرة معه فدخل « المدينة المنورة » بصورة غير رسمية . لأن الأمير علي بصفة كونه

الولي للعهد سيدخلها رسمياً . ولما أتى عبد الله إلى المدينة ذهبت ومحمد حلمي بمعيته لنتغذى في مطعم الضباط التركي ، وكان فيه كبار القادة وضباط الركن ، وفي أثناء تناول الطعام سأل الأمير عبدالله القادة والضباط « كيف كنتم تحاربوننا وأنتم تدعون لنا في الأوقات الخمسة بالصلاة بقولكم اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد » من هم آل محمد؟ ألسنا نحن؟) فظل كل منهم ينظر إلى صاحبه ويبتسم . وبعد يوم أو يومين دخل الأمير علي «المدينة المنورة» بصورة رسمية فأطلقت المدفعية ١٠١ — إطلاقة ترحيباً بدخوله . وهكذا تمكنا من « المدينة » بعد دفاع دام سنتان ونصف (أي من حزيران ١٩١٦ حتى كانون الثاني ١٩١٩) بعد الهدنة بشهرين وبعد أن تم التسليم للأسلحة وكانت نيف وسبعون مدفعاً سريعاً وعادياً ، ورشاشات كثيرة ، وبنادق يناهز عددها العشرة الاف ، .وأعتدة كثيرة . أما عدد أفراد الحامية فكان قرابة العشرة ألاف جندي وقد أرسلوا جميعهم إلى القاهرة عدا الذين التحقوا بنا بأمل الخدمة في الجيش العربي من ضباط وجنود عرب وكذلك البعض من جنود الأتراك .

وللحقيقة أقول : أن الأتراك دافعوا دفاع الأبطال مع ما لاقوه من ضيق وشدة ، ولا سيما وأن السكة الحديدية كانت معرضة دائماً للتخريب الأمر الذي جعل « المدينة » محرومة من امدادات دمشق كأسلحة وأعتدة وتجهيزات ومواد إعاشة وصحية . أما نحن المهاجمون فكانت تنقصنا القوات اللازمة لمهاجمتها واحتلالها لأن الإنكليز ما كانوا صادقين في تأييد الثورة لئلا تنطلق هذه القوات بعد احتلالها « المدينة » صوب « العراق » وسوريا وتخلق لهم المشكلات ولهذا جمدوا قوات الأميرين علي وعبد الله حول المدينة ومدوا فيصلاً بأسلحة وتجهيزات أكثر ليسهل حركات الجنرال اللنبي في الجبهة الفلسطينية . وبعد بضعة أيام من دخولنا المدينة أرسل عبد الله كتاباً إلى عبد العزيز بن سعود يخبره فيه بدخولنا المدينة المنورة . وكان هذا الكتاب في الظاهر بشارة من أمير إلى أمير لكنه في

الباطن معناه أننا دخلنا المدينة وتخلصنا من الأتراك بعد أن استولينا على كل ما يملكون من سلاح وعتـــاد ، فخذ حذرك وإذا حدّثتك نفسك وتماديت في العداء ، فسيكون الحساب عسيراً . إذ كانت المناوشات مستمرة على الحدود الحجازية ـ النجدية وكان أمير « الخرمة » الشريف خالد بن لؤى وهو أقرب المقربين إلى الحسين بن علي عومل معاملة مهينة من قبل عبدالله ووالده الحسين ، وكان ترك مكة المكرمـــة وذهب إلى الخرمة [1] و (تديّن) على حد تعبيرهم أي صار من الإخوان . وبعد وصوله إلى الخرمة وإعلانه العداء أرسل الحسين حملات متعددة فحصلت مناوشات حول تربة [2] والخرمة وكان نصيب هذه الحملات ـ الفشل والخـــذلان وهجم الشريف خالد على « تربة » واحتلها . فانضم اليه كثير من قبائل حرب وعتيبه وجماعـــة الغطغط كابن بجاد وغيره وكلما أرسل الحسين قوات جديدة كانت ترجع خائبة لأنه (الحسين) كان مشتبكاً بحرب مع الأتراك وهذه جبهة ثانوية هو فتحها على نفسه وكان في غنيً عنها وما كان ليعامل بن سعود معـــاملة أمير لأمير . بل نحن بني هاشم يجب أن تخضع لنا كل الإمارات من سعودية ، وأدريسية ، ويمانيـــة ، وغيرها . وعبد العزيز السعود كان يخشى بل ويخاف عظم شأن الحسين ولا سيما بعد أن أعلن نفسه ملكاً على العرب . إذ صار بن سعود يؤيـــد خالد بن لؤى وأتباعه وهكذا استمرت الاشتباكات حتى دخولنا المدينة المنورة .

---

(١) الخرمه قرية حجازية تقع شرق « تربه » وعلى الحدود الحجازية ـ السعودية وأميرها الشريف خالد بن لؤي وهو من الأشراف الذين ينتمون بالقربى إلى أشراف مكة وأشراف الطائف إذ أن الشريف شاكر بن زيد ابن عم أمير الطائف الشريف شرف وكان متزوجاً من بنت الشريف خالد فأنجبت له ولداً وابنتان والولد واسمه زيد ٤٠ سنة برتبة عميـــد في الجيش الأردني والآن هو ووالدته وأختاه يسكنون عمان .

(٢) تربه قرية حجازية شرق الطائف وبالقرب من قرية الخرمه .

وبعد أيام تلقى الأمير عبد الله أمراً من الحسين بلزوم التهيىء ، للسفر من المدينة والتوجه لمحاربة إبن سعود – وكان الحسين يريد من نجله عبد الله أن يدحر قوات إبن سعود ويحتل « الرياض » – وقد سبق وأرسل والي مصر محمد علي باشا نجله ابراهيم ليحارب إبن سعود ويحتـــل « الدرعية » فلما استلم عبد الله أمر والده ، أخبرنا بذلك فرفضنا الذهاب بمعيته ومحاربة قوات إبن سعود باعتبار نحن عرب أتينا إلى الحجاز لمحاربة الأتراك ونيل الاستقلال وتشكيل جيش عربي قوي ليكون نواة لتحقيق وحدة عربية شاملة ، ولا نرغب بمحاربة إخواننا العرب أياً كان شكله . فأخذ عبدالله يضرب كفاً بكف ويقول : (أنا بدونكم لا أسوي شيء) إذ أنـــتم قوادي ، وبكم يشتد أزري . وكنا نحن قادته وكلنا ضباط عراقيون : إذ كان قائد الفرقة محمد حلمي ، ورئيس ركن الفرقة صبري العزاوي ، وقائد المدفعية ابراهيم الراوي ، وتحت أمرته آمروا البطريات السيد عباس شقيق حسين العاني ، وسامي شقيق داوود صبري ، وقائد الرشاش رشيد خماس ، والعقيد جمال علي وغيرهم من مراتب في الفرقة ومعظمهم عراقيون . وصار عبدالله يتودد الينا ويرغبنا بالذهاب معه وإن كان هو أيضاً غير راغب بهذه الحركة – لأنه هو كان يكره الحرب وخاصة إذا كانت بين الإخوة – ولكن ماذا يعمل والحسين لا يقبل النقاش . وهكذا بعد أخذ ورد قبلنا الذهاب مع الأسف مكرهين فسافرنا من « المدينة » وتوجهنا على الطريق الشرقي وهو الطريق الذي أمرنا الحسين بالمسير عليه لئلا نأتي إلى « مكة المكرمة » ويطول مكثنا فيها . وأتينـــا إلى (عشيرة) وعسكرنا فيها وهي تبعد حوالي ثلاثين كم شرقي الطائف وإذ بالحسين يأتي إلى « عشيره » في اليوم التالي ومعه الكولونيل ولسن معتمد الإنكليز في جدة وبمعيته السيد حسين مترجماً وقد كان أديباً وشاعراً مجيداً أذكر له قصيدة أنشدها بين يدي الحسين في اليوم الثاني من وصوله وقد جاء فيها مشيراً إلى الأمير عبد الله :

أبا عبد الاله بكم مرحبـاً وأهلاً وسهلاً بفخر العرب
فإن كان للعرب من عـزة ورفعة شأنٍ فأنت السبب

ثم أشار إلى الحسين وقال :

وأبوك أبو عزها — وأخوانك الغر أهل الإرب .

ولما كان الأمير عبد الله غير راغب في القتال فقد أراد أن يتخـذ « العشيرة » مركزاً لمعسكره ، ومنها يراسل إبن سعود ليحل المسئلة سلماً . ولكن الحسين كان يرى غير هذا الرأي ولم يرجع إلى «مكة» إلا بعد أن رأى بعينه أن عبدالله تحرك من (العشيرة) بجمع قواته . وبعد مسيرة مرحلتين وصلنا إلى محل يقال له ال(بديّع) فعسكرنا فيه وشرع عبد الله يراسل إبن سعود وبعد مرور خمسة أسابيع أخذ كتاباً من الحسين يطلب السفر حالا لمهاجمة قوات الأخوان في « تربة » ثم « الرياض » حتى أنه اتهم نجله عبدالله بالجبن — وهدده بأن يولي للقيادة غيره إذا تقاعس ولم يتقـدم وهكذا أصبح عبد الله (مكره أخاك لا بطل) . وتوجهنا نحو (تربة) وهجمنا عليها وأقمنا فيها معسكراً . وجدد الأمير عبد الله المراسلة مع ابن سعود ، ولكن بعد بضعة أيام من هذا الاحتلال هجم الأخوان علينا بقيادة خالد بن لؤي والدويش وابن بجاد في ليلة ليلاء بعد أن عرفوا عورات محلاتنا من الرسل الذين كانوا يأتون بكتب إبن سعود . فإن إبن سعود كان قد أتى وعسكر قريب من (الخرمة) وصار يحرّض الأخوان على مهاجمة قوات عبد الله ليرى فيما إذا كان هجوم الأخوان يأتي بثمرة ناجحة (هذا ما كنا نبغي) وإلاّ يتخذ طريقة أخرى ويرى نفسه أنه ليس له دخل بتحريض الأخوان .

نعم هجم الأخـوان في السابع والعشرين من شعبان سنة ١٣٣٧ هـ (مايس سنة ١٩١٩) مع بزوغ الفجر وانتهى هجومهم عنـد شروق الشمس وكانت النتيجة القضاء على قواتنا قضاءً تاماً ، وأصبحت لهذه

المعركة الحربية نتائج خطيرة إذ كانت بداية النهاية لخروج الحجاز من أيدي الأشراف. وإني أصف لك – أيها القارىء – هذه الواقعة وأسباب انتصار الأخوان علينا وانسحابنا مدحورين.

وقعة تربـــه

تقع قرية تربة شرق «الطائف» وتبعد عنها ٧٠ كم، وهي القرية التي غلب فيها طوسون باشا نجل محمد علي باشا أمام قوات إبن سعود أما نحن فبعد أن حللنا بها وأقمنا معسكرنا فيها، اتخذنا خطوطاً دفاعية بسيطة على أساس أننا سنتركها وسنتقدم نحو «الخرمة» فالرياض هذا من جهة ومن جهـــة أخرى أن الرسل التي كانت تأتي من إبن سعود إلى عبد الله وتعود لتأتي مرة أخرى وهي حاملة الكتب بين الأميرين كانوا قد اطلعوا على عورات المعسكر ومن أية جهة يمكن أن يكون الهجـــوم الحاسم والأعظم من هذه وتلك نحن قادة الجيش وكذلك الجنود لم تكن لنـــا رغبة في القتال، ولم نكن متحمسين مثل رغبتنا وحماسنا في قتال الأتراك إذ أننا أتينا إلى الحجاز لغاية معلومة حتى أن أميرنا عبد الله نفسه لم يكن ميالاً للحرب ولكنه للأسباب التي ذكرتها آنفـــاً أجبرنا بل وأكرهنا على خوض هذه الحرب التي أشعل نيرانها الحسين وحده. هجموا علينا مع آذان الفجر ومع أننا كنا على علم بأننا في هذه الليلة سنهاجم، وكنا اتخذنا للأمر عدته، ولكن شدة الهجوم – النابع من رغبة صادقة وعزيمة لا تقهر – (والأخوان يعتقدون أنهم يحاربون إناساً مشركين، وأنهم هم المسلمون حقاً والباقون جميعاً مشركون).

بهذه العقيدة كان الأخوان يحاربون وإني أذكر نبـــذه عن عقيدة هؤلاء الأخوان. هؤلاء العشائر الكثيرة من حرب، وعتيبة، وشمر، والضفير، وغيرهم كثيرون من سكنة نجـــد، والإحساء والقطيف،

والحجاز . كان ديدنهم منذ بدء الخلقـة غزو بعضهم البعض ، وسلب وقتل وجرح بعضهم البعض حتّى إذا ظهر عبد العزيز بن سعود معتنقاً مذهب آبائه وأجداده المبنية على تعاليم محمد بن عبد الوهاب بالترغيب تارة والترهيب تارة أخرى حتّى يعتنقون تلك التعليمـات القيمة ويبني لهم (الهجر) أي القرايا ليسكنون فيها وعين لهم (المطوّعة) أي الرجال الذين يفقّهونهم بالتعاليم المذكورة ويقومون بوظيفة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وهكذا أطلق عليهم اسم الأخوان . وبما أن الأخ لا يغزو أخاه ولا يرعبه أو يسلبه أو يقتله ؛ فقد أبطلوا عادة الغزو فيمـا بينهم ، وهي العادة التي كانت سائدة حتّى الحقبة الأخيرة من الزمن ، وصار إبن سعود يوجههم إلى أي خصم يريد مناوئته . مثلاً أمرهم مرة بالهجوم على أمير حايل (فطيّرة) وهجموا على الإدريسي أمير صبيـا (فطيّره) وهجموا على الملك حسين ثم على الملك علي (فطيّـرهما) وسلب ملكهما ، وهجم على الإمام يحيى ملك اليمن وكاد أن (يطيّـره) لولا مبادرة الإمام يحيى إلى الاستغاثة بابن سعود نفسه ولولا تدخل الوفد الذي تألف من مفتّي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني ، وشكري بك القوتلي ، وغيرهم من الذين توسطوا وحلوا النزاع سلماً . وهكذا كان ابن سعود يوجه الأخوان الوجهة التي يريدها ، وإني عندما أصف ما وقع لي شخصياً في (تربة) يعلم القارىء عندئذ من هم الأخـوان وكيف يحاربون؟ فبصفتي آمر مدفعية ، وكان تحت أمرتي بطرية جبلية سريعة عيار — ٥ — ٧ سم جرمنية ، وبطرية جبلية أخرى سريعـة (قدرتلي) — شيكوسلوفاكية — ومدفعان هاون ، فعند سماعي خبر الهجوم تهيأت للذهاب إلى البطرية الذي كان آمرها السيد عباس ، وكان بيني وبين موضع البطرية حوالي ١٠٠ م وكنت نائماً ببزتي العسكرية وفيما كنت متوجهاً بدأت المدافع والرشاشات توجه نيرانها ، والمشاة ترمي ببنادقها وقنابرها اليدوية تسمع في كل الجهات ، ومع كل هذا كان البعض من الأخوان

قد تسرب إلى داخل المعسكر وتم التلاحم حتى بالمسدسات والخناجر .

وفي تلك الساعة الرهيبة التقيت بقائد الفرقة محمد حلمي فقال : « ابراهيم إقتصد برمي المدافع » فكان هذا آخر أمر بل آخر كلمة أسمعها من صديق بل من أخ عشت وإياه ثلاثة عشر عاماً أي من سنة ١٩٠٦ م إلى١٩١٩ وكان مثال الخلق العربي الأصيل ، وافترقت منه متوجهاً إلى المدافع – والحالة كما وصفتها آنذاك – فخطر لي خاطر إذ تذكرت المقدم شاكر الحوجة الذي كان آمراً لتدريب فوج الضباط الصف والجنود الـــذين يعبّر عنهم الأتراك في بغداد (كوجك ضابط مكتبي) وعندما احتل الإنكليز البصرة وتقدموا نحو القرنة وحاصروها، طلب شاكر الحوجة أن يترك بغداد ويذهب بفوجه لمحـــاربة الإنكليز في القرنة واشتبك في حربهم في الـ « مزيرعة » جنوب القرنة واستشهد هناك ولكن الأتراك أشاعوا بأنه هرب من الموقعة وقتل . فكيف يهرب شاكر أيها الأتراك ؟ وهو الرجل الذي كان آمراً للتدريب في بغداد ، ولم يطلب منه الذهاب إلى محاربة الإنكليز ولكن شيمتـــه أبت إلا أن يتطوع من تلقاء نفســـه ويذهب بكامل فوجه . وكان مساعده آنذاك عبد الحميد الشالجي ، وهو الآن حي يرزق . كذلك كان شهد المعركة الذي استشهد فيها مع شاكر الملازم ناظم شقيق قاسم مقصود والذي هو أيضاً حي يرزق ويشهدان على ما أقول . نعم تذكرت شاكراً وتطوعه واستشهاده ثم اتهامه بالهرب فقلت : « يا إلهي إن كان قد قرب أجلي فأطلب منك أن تمكنني من الوصول إلى المدافع وأموت هنـــاك إذ لو مت قبل أن أصل إلى المدافع لقيل بحقي « هذا آمر مدفعية وموته هنا دليل على أنه كان هارباً وقتل » وقد منّ الله علي بلطفه فوصلت المدافع سالماً ورأيت آمرها السيد عباس يوجه مدافعه نحو الأخوان ويصليهم ناراً حامية وبعد مرور بضع دقائق وإذا بالملازم خضر – وهو ضابط عراقي كان معي في المدارس التركيـــة فأسرناه في « المدينة المنورة » والتحق بفرقتنا ، والده مخلص بك من محلة

جديد حسن باشا وله أخ يدعى مهدي ـ هذا الضابط كان آمر سرية الرشاش الذي كان مأخذ موضعاً أمام البطرية بحوالي ٥٠٠ ـ إلى ٦٠٠ م أتى هذا الضابط وهو يبكي ويقول : « إن الأخوان استولوا على رشاشاتنا » وبعد بضع دقائق وصل الأخوان إلى المدافع التي كنت عندها ، وأخذوا يستولون عليها ، ويقتلون كل مرتباتها ، فابتعدت عنهم لأركب حصاني وأذهب إلى البطريه الأخرى ، التي كانت في موضع آخر ، فأتيت إلى من كان ممسكاً بحصاني وهممت بالركوب ولما أدخلت رجلي بالركاب ـ وكان الجندي ماسكاً الركاب الآخر لئلا يميل السرج ـ استهدفنا أربعة من الأخوان فصرنا ستة حول الحصان أنا والجندي والأخوان الأربعة ، والوضع كما وصفته لك أيها القارىء : رجلي في الركاب وأنا الخيال المعروف بمغامراته وها قد مر على المعركة خمسون سنة أي نصف قرن بالضبط وأنا مستعد الآن لركوب الحصان ولعب الكرة والصولجان . نعم أخي أيها القارىء لم أتمكن من ركب الحصان فقد قتل الأخوان الجندي وأخذوا الحصان فذهبت إلى اسطبل بطرية جبلية قريبة مني فأخذت منها بغلاً ثم بعدت وإذا بحصان آخر هو لي فأتيت فامتطيته وقبل أن أضع الأعنة في يدي وجدت الأخوان بالقرب مني فحدّجا فيّ ورماني أحدهم بطلقة نارية والمسافة بيني وبينه متراً واحداً فابتعدت بعد ما قضوا على جميع الذين كانوا معي عدا إثنان من الفرسان أحدهما الملازم عزت الملقب بخنجر ، شقيق العميد شوكت يمني ، والآخر وكيل ضابط موصلي لم يحضرني اسمه . وعند ذاك كانت الشمس توشك أن تشرق وكانت المعركة في نهايتها ، فابتعدت عن القرية والدماء تنزف من ذراعي وإذا بالملازم عزة يرفع كفيته ـ وكان الضباط جميعاً يلبسون الكوفيه والعقال ـ من على رأسه ويربط بها ذراعي لقطع النزيف وفي تلك اللحظة رأينا مضمداً تركياً كان هو أيضاً قد انضم الينا في المدينة المنورة ، فطلبت منه أن يضمد جرحي فقال لي : حاضر

ولكن أمامنا جبل لا يبعد كثيراً عنا لنذهب خلفه وأضمد جرحك هناك. فقلت له طيب إذاً إركب رديفاً خلف الوكيل الضابط الموصلي فركب وإذ ذاك هجمت – علينا خيالة الأخوان وكأنها خرّت من السماء لملاحقتنا فأرخينا الأعنة لخيلنا بعد أن رمى الموصلي رديفه المضمد وتخلصنا منهم بألف شافعات . أما الأمير عبد الله فقد قصده من الأخوان بضعة أشخاص وتقابلوا معه وحيث الوقت كان ظلاماً ، واللباس واحداً ولم يتميز بعضهم بعضاً فصار البعض يقول للآخر : « أنت من أنت » ؟ فيجيبه الآخر : « أنت من أنت ؟ » ولما عرفوا أنهم خصوم ، أطلق النار البعض على الآخر فقتل الأخوان أحد الأشراف الذي كان إلى جانب الأمير عبد الله وآنذاك أتي خدم الأمير وأركبوه على فرسه وخلصوه وكذلك رئيس ركن الفرقة صبري العزاوي يركبه ابن أخته العريف على فرسه ويخلصه وهو جريح في رجله بعد أن ضحى العريف بنفسه إذ قتله الأخوان وقد انتهت المعركة مع شروق الشمس وكانت خسائرنا كما يلي :

عشرة مدافع ، وحوالي عشرين رشاشة ثقيلة ، ومثلها خفيفة ، وما ينوف على الألف بندقية مع أعتدة وتجهيزات وخيل وبغال وما يقرب خمسمائة خيمة ، وهي كلما كانت تملك الحملة التي كان عددها ما ينوف على الا (٢٥٠٠) رجل من متاع ونقود وقد قتل ستون ضابطاً وسبعمائة جندي من القوة النظامية ، وبعض مئين قتلى من القوة غير النظامية دون أسرى لان الأخوان القساة قضوا على كل جريح وأسير المحارب وغير المحارب ، وقد كان بين الأسرى من غير المحاربين . أمامي وطبيب وبيطر إذ كانوا يعتبرون أنفسهم هم دون غيرهم المؤمنون – أما عداهم فمشرك سواء أكان مشرقياً أم مغربياً ، حجازياً أم عراقياً ، سورياً أم يمنياً ، مصرياً أو سودانياً ، إيرانياً أو تركياً ، أفغانياً أو اندنوسيا ، أو باكستانياً وكمثال على ذلك كان المرحوم نعمان الأعظمي – وهو سلفي مثل شكري الألوسي ومحمد بهجت الإثري –

ومع أن السلفي قريب جداً إلى تعليمات الإمام محمد بن عبد الوهاب التي تبناها الأخوان : أقول السلفي نعمان الأعظمي كان غادر العراق لمواجهة ابن سعود فاعترضه الأخوان وأرادوا قتله . فسألهم قائلاً : لم تريدون قتلي ؟ قالوا له : « إنك مشرك » فأجابهم « لست مشركاً وأنا سلفي المذهب وأريد مواجهة الإمام عبد العزيز السعود » قالوا له « إنك مشرك » ولا بد من قتلك ، ففتح الله عليه وقال : ليكن ما تقولون إني مشرك . ولكن الله سبحانه وتعالى يقول : « وإن من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) وعليه وجب عليكم أنا المستجير بكم أن تسمعوني كلام الله ثم توصلوني مأمني في الرياض فأسمعوه كلام الله ثم أبلغوه مأمنه . وهكذا كانوا يعتبرون كل من ليس معهم مشرك . وحتى أن خالد بن لوى « أمير الحرمة » قتل أخاه لأنه لم يعتنق مذهبه ، وأن كلاً من هؤلاء الأخوان عندما يأتي إلى قتالنا ويرى أباه أو أخاه فلا يحزن عليه لأنه كان يعده مشركاً وإذا جاءهم شخص ويريد إعتناق مبادئهم فإنهم يهجروه أي يتركوه ثلاثة أيام باعتبار أنه خلال هذه المدة يتطهر من الرجس الذي كان منغمساً فيه . وكان الشخص منهم إذا جرح ولم يمت يحزن لأنه لم ينل الشهادة بموته . وكانت بعض شعاراتهم : « وأطيب ريح الجنة طيباه » و « ربع ساعة في سبيل الله تزن الدنيا وما فيها » و « خيال التوحيد أنا أخو من طاع الله » . وكان الأخوان في حربهم أشد عقيدة وإيماناً من حرب الصحابة الذين اشتركوا في وقعة أُحُدْ فإن أهل مكة بقضها وقضيضها أتوا إلى المدينة المنورة لمهاجمتها وأخذ الثأر لقتلاهم في معركة بدر ، فخرج الرسول وقابلهم بالقرب من جبل أُحُدْ وهناك انتخب حوالي السبعين صحابياً وسماهم (الرماة) وأمرهم أن يحموا ظهره ولا يتركوا محلهم سواء أكان المسلمون غالبون أو مغلوبون . وبما أن خالد بن الوليد كان لا يزال مع المشركين ، وكان قائد خيالتهم فكلما كان يحاول الالتفاف ، كانت

الرماة تمنعهم إلى أن انتصر المسلمون وبدوا يأخذون الغنائم حينذاك قال الرماة لأميرهم :

ساعدنا حتى نحن أيضاً نذهب ونشارك أخواننا فيأخذ الغنائم : فقال لهم أميرهم : ولكن تذكروا أمر الرسول وقوله لكم : (لا تتركوا محلكم في حالتي الغلبية أو المغلوبية) ولكنهم قالوا له : أن المعركة انتهت وها أن أخواننا بدئوا يأخذون الغنائم فاسمح لنا بالذهاب لنشاركهم في أخذها . وبعد أخذ ورد ذهب نصفهم تقريباً لأخذ هذه الغنائم فلما علم إبن الوليد بالأمر ، ورأى أن الحامية ضعفت ، جال جولة خالدية وهجم على البقية الباقية . وأزاحها من موضعها ، وشعرت قريش بالأمر فصاح صائحهم وتباشروا وتراجعوا يكرون بعدما كانوا مفرون ، وهكذا تبدّل الوضع بعدما كان المسلمون منتصرين فأصبحت الجهة المقابلة هي المنتصرة فاستشهد سيدنا الحمزة ، وكسرت ثنايا رسول الله ، وشاع أن محمداً قد قتل ، فقعد أبو بكر و عمر يندبان ، واشتد القتال بين الطرفين ، واستبسل كل منهم إلى آخر النهار ، وانسحب المسلمون مستفيدين من الظلام وهكذا انقلبت الآية لأن الصحابة خالفوا رسول الله — وهو بين ظهرانيهم — مع العلم اليقين أن الأمر الذي صدر اليهم لا يشبه أي أمر أو نظام أو قانون يصدر من أمير أو سلطان أو ملك أو خليفة بل هو أمره (ص) الذي يجب أن يعتبر أمراً الاهياً إذ قال الله في محكم كتابه الكريم : (ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال أيضاً وهو أصدق القائلين (وما ينطق عن الهوى أن هو إلاّ وحي يوحي) .

نعم كان الأخوان أشد إيماناً من صحابة رسول الله الذين وجه اليهم الأمر بنفسه وأن الأخوان بعد انتصارهم لم يذهبوا لأخذ الغنائم وأي غنائم ؟ لقد كان عندي وحدي الف جنيه مصري ذهباً وسيف ذهب ثمين وحصانين وذلول وأثاث . أي أن شخصاً واحداً وهو أنا

خسرت في هذه الوقعة ما ينوف على الألف وخمسمائة جنيه ذهب ناهيك عما فقده الأمير عبد الله و ٦٧ ضابطاً و ٨٥٠ جندياً عدا القوة غير النظامية التي كانت قرابة الـ ١٥٠٠ شخص. نعم فإن الأخوان لم يذهبوا لأخذ هذه الغنائم الكثيرة لأنهم يعلمون حق العلم أن الغنائم بعد المعركة ستجمع، وبعد أن يخرجوا منها الخمس للإمام يوزّع الباقي بين الأخوان بحسب طريقتهم المألوفة لأن الأخ لا يخون أخاه وعليه لماذا يهتم بأخذ الغنائم؟ بعد الانتصار يذهب ويعقب الفلول المنسجبة وهكذا يسمثمر الفوز.

ولقد ذكرت لك أيها القارىء كيف أن خيالتهم تعقبونا إلى خارج البلد وكيف هربنا أمامهم ولم نتخلّص إلا بصعوبة. وكنت ذكرت أيضاً أن الملازم عزة خنجر ربط ذراعي بكوفيته لينقطع النزيف ثم رآني أحد عبيد الشريف شاكر فأخرج كوفيته من على رأسه أيضاً وعلقها برقبتي لأعلق ذراعي بها فلا تبقى ممدودة وينزف الدم منها. وقد كان الشريف شاكر – وهو من أعز أصدقائي – قد أعتق العبد لعمله الإنساني هذا. وهكذا استمرينا بالمسير أنا والملازم عزة والوكيل الضابط الموصلي حتى وصلنا «عين الحمره» غربي «تربه» بحوالي ٢٠ كم – ووجدنا الأمير عبد الله قد سبقنا اليها. وعند وصولنا قام فحيانا وسألنا عما تبقى من الفرقة الشرقية النظامية التي كان عدد ضباطها ٦٧ وعدد جنودها ٨٥٠ ولم يسلم من هذه الفرقة سوى ٧ ضباط وحوالي ١٥٠ جندياً وبعد أن استرحنا قليلاً ولحق بنا من كتبت له السلامة استئنفنا المسير حتى قبيل الغروب بساعة واحدة، فنزلنا للاستراحة، وتوضأ الأمير وصلى وبينما هو كذلك وإذا بالشريف شاكر يرغب أن يرى جرحي، وإذا بدم أسود يخرج منه فأغمي علي فصاح شاكر «يا عيال هاتوا سمن» فجيء به وسقاني إياه – ففقت ورأيت الأمير عبد الله من شدة تأثره عليّ تجري دموعه وهو يصلّي. بعد أن استرحنا أقل من ساعة

أرسلني الأمير عبدالله مع صبري العزاوي ، باعتبارنا جريحين ، من يوصلنا إلى الطائف إما هو فتوجه ومن معــه الى محل قرب (عشيرة) وعسكر هناك . وقد وصلنا « الطائف » في صباح اليوم التالي بعد أن استرحنا ساعتين أخذنا خلالها غفوة . وهذا يعني أنا تركنا « تربة » مع الشروق إلى شروق اليوم التالي ونحن نسير ليلاً ونهاراً . وعند وصولنا الطائف وجدنا هناك الطبيب الجراح المقدم سليم بعاج ، وهو سوري كان أتى إلى مكة عندما كان وهيب باشا والياً عليها فأصبح في تلك الآونة طبيبــاً خاصاً للعائلة المالكة ، وقد جاء مع العائلة المالكة إلى « الطائف » على أساس أن الملك حسين سيأتي للاصطياف فيها وكان مضي عليه ثلاث سنوات ولم يصطاف لاهتمامه بأمور الثورة وبعــد أن دخلت جيوشه « المدينة المنورة » «ودمشق » « وحلب » أراد الملك أن يأخذ قسطاً من الراحة ويصطاف في هذه السنة . وإذ بمعركة (تربة) تحول دون ذلك فطلب رجوع عائلته إلى مكة وفي اليوم التالي جاء الأمــير عبد الله إلى الطائف ليشرف على ترتيبات دفاعها فعلم أن الملك أمر بإعادة عائلته إلى (مكة) وأن أهل الطائف يتهيئون لترك الطائف بعوائلهم . فلما رأى عبد الله ذلك اتصل تلفونياً بالملك ورجاه أن يبقي العــائلة في محلها لئلا تخرج عوائل أهل الطائف . ولكن الحسين أسمع نجلــه كلاماً قارصاً لما حلّ به من هزيمة ، وثم بطلبه إبقاء العائلة في الطائف لأن عائلة عبد الله كانوا مع عائلة الملك كأن عبد الله الآن غير مشغول البال إلا بإبقاء عائلته في الطائف للتسري : ولكنه هو الحسين ومعاملته مع رعاياه وحتى مع أقرب المقربين اليه .

وأذكر هنا حادثة وقعت مع فيصل الذي كان بطل الثورة والقائد العام لقواتها : فقد ترك فيصل « العقبة » ١٩١٧ وجاء إلى « جــده » فبحره ومن (بحره) فتح التلفون ليكلم أباه الحسين فقــال له الحسين من أنت ؟ قال له فيصل ــ قال أنا أعلم أن فيصل في « الكويره » وعليه

إرجع من حيث أتيت فرجع . ما أشدها قسوة وما أعظمها صرامة ؟ فيصل الذي ترك « استانبول » بعد النفير العام وقد مضى عليه قرابة ثلاث سنوات وهو بعيد عن أهله وولده ، وجد الفرصة مواتية فرغب في المجيء إلى مكة ليرى أهله وولده وليرى والده الحسين ويكلمه حول أمور الثورة ولكن بما أنه لم يستأذن إياه بهذا المجيء فقد أرجعه الحسين خائباً من « بحرة » التي لا تبعد عن مكة أكثر من ٣٥ كم ومع كل هذا فإن أنجال الحسين يرهبونه ويحترمونه وعندما يخرجون من مجلسه لا يعطون ظهورهم بل يخرجون ووجهتهم اليه .

بقيت في « الطائف » وبعد ثلاث أسابيع التأم الجرح ولكن بقي ذراعي لا يمد وكان مشكلة زاوية بحوالي الـ ١٠٠ درجة وقد بقي كذلك إلى يومنا هذا وكلما طلبت السفر إلى الخارج لمعالجتها قال الحسين (حكّونا هنا يداووك) أي أهل بلدنا يداووك هنا . وكانت طريقة معالجة البدو أن العضو الذي يجرح ولا يستطيع الحركة يضعف فيكوون المصاب في موضع يقدرونه هم قرب الجرح لئلا يضعف الذراع وقد رفضت الكي وعالجت الأمر بتشغيل اليد وترويضها لئلا تضعف وبالفعل لم يضعف ذراعي وصرت أكلم نفسي وأحاسبها : هل يجب عليّ أن أتأثر من جراء جرحي وخروجي من هذه المعركة لا أملك دانقاً واحداً ؟ وكان الجواب كلا . أولاً لأني كنت أحسن حظاً من أخواني الآخرين الذين ذهبوا ومعهم كل ما يملكون ، وثانياً : لأن هذه الثروة لم يخلفها لي والدي حمدي الراوي بل أنا الذي كوّنتها وبإمكاني أن أجمع مثلها وأكثر ، وثالثاً : إنني إذا استعظمت هذا الضياع وتأثرت فهل في ذلك فائدة ؟ إذن عليّ أن أتحمل لهذه الصدمة بصدر رحب متذكراً الأحاديث الشريفة : (الخير فيما اختاره الله) و (الخير فيما وقع) و (لو اطلعتم على الغيب لا خترتم الواقع) .

أراد الحسين أن يعوّضنا الخسارة ولما رأى المبلغ جسيماً بعد أن سأل

مقداره وأخبرناه بالحقيقة ، رفض أن يعطي شيئاً . وكنت جرحت في شعبان ١٣٣٧ وفي رمضان التأم جرحي وبعد شهرين حل موسم الحج والعادة أن يأتي الأمير علي كل سنة في موسم الحج على رأس قوة نظامية وغير نظامية ويشترك في العرض العسكري الذي يجري في (منى) في الثاني من أيام عيد الأضحى ليرى الحسين بن علي الحجاج وغيرهم استعداده العسكري . وعندما قرب وصول علي إلى مكة ، خرجنا لاستقباله في (وادي فاطمة) الذي يبعد عن مكة حوالي ٢٠ كم إذ أصبحت مرافقاً للأمير عبد الله ، وكان صبري العزاوي معنا إذ أصبح وزيراً للحربية . وصل الأمير علي ومعه القوة النظامية وابن عمي جميل الراوي إذ كان قائد المدينة المنورة . وبينما كنا في خيمة بجوار خيمة الأمراء ، دخل علينا شخص محرم فحيانا ومن لهجة كلامه تبين أنه عراقي وإذا هو بالشيخ محمد رضا الشبيبي ، الرجل الذي هو علم في رأسه نار . كان ثائراً وعالماً وأديباً وشاعراً ثم أصبح وزيراً وعيناً ثم رئيساً لمجلس الأعيان فرئيساً للمجمع العلمي » وقد سألناه عن مهمته ؟ فقال بعدئذ تفهمونها أما الآن فأرجوكم أن تستأذنوا لي الدخول على الأميرين : علي وعبد الله فأدخلناه واختلا بهما وأعلمهما بسرّ مجيئه فنزلنا إلى مكة معاً وسلم إلى الحسين مضبطه موقع عليها من كبار وجهاء العراق وعلمائه الذين اجتمعوا في كربلا والنجف وبغداد وقر قرارهم أن يطلبوا أحد أنجال الحسين إلى العراق .

سلمني الحسين تلك المضبطة وأمرني أن أذهب بها الى « باريس » لأسلمها إلى ممثله فيصل الذي سيحضر مؤتمر « فرسايل » وقد ضرب الحسين (عصفورين بحجر واحد) . فقد أرادني أن أوصل المضبطة من جهة ، وأن أهتم بعلاج ذراعي من جهة أخرى . وكمثال صغير على أن الملك حسين كان ممسكاً أتعلم ماذا أعطى لموفده الراوي ؟ أعطاه مائة ليرة فقط وكانت خزائن الحسين تحوي ثلاث أنواع من الليرات

« الجنيه المصري الذهب وقيمتـه ٥ـ٩٧ قرش مصري . والليـرة العثمانية وقيمتها ٨٠ قرش مصري . والليرة الفرنسية وقيمتها حوالي الـ ٧٠ قرش مصري » فكان نصيبي الليرة الفرنسية . قل لي بربك ماذا تكفي هذه المائة ليرة القليلة القيمة إلى موفد ملك يذهب من «مكة إلى «جده» ثم يركب الباخرة إلى «السويس» ثم بالقطار إلى «القاهرة» حيث ينتظر باخرة يسافرإلى باريس وعليه أن ينزل أحسن فندقين كانا موجودين آنذاك في القاهرة وهما (كونتيننتال) أو (شبرد) وكانت الإجرة في كل منهما أكثر من جنيه للّيلة الواحدة . ولكن متى تحصل الباخرة؟والبواخر آنذاك قليلة ؟ فبعد أسبوع أو أسبوعين قد تأتي الباخرة ويستقلها إلى باريس والمكوث هناك والمداواة ثم العودة الى مصر فمكة تكلف كثيراً ، وربما يأتي بهدايا إلى أصدقائه الكثر من أمير أو (سوّاق حمير) (أجلّك الله) فلماذا يا سيدي ومولاي الحسين هذا الإمساك ؟ وربك يقول وهـو أصدق القائلين : (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا) أي ملوماً فيما إذا جعلت يدك مغلولة إلى عنقك ، ومحسوراً فيما إذا بسطت يدك كل البسط .

لأكمل الحكاية وأقول : ذهبت بمعية الأمير عبد الله إلى جلالته لتسلم تلك الهدية التي كان علمها عند الله فأعطى لنجله عبد الله كمية ملفوفة بورق. وباعتبارها هدية سنية ملوكية فإنه قبّلها ورفعها إلى رأسه ثم أعطاني إياها وأنا بدوري عملت ما عمله الأمير وما كنت أدري مقدارها . وبعد خروجنا وعدّي إياها تبيّن حسب ما يقول أخواننا النجفيون إن الهدية مائة ليرة فرنسية . فلما علم الأمير عبد الله بذلك قرر بحدسه وحسن بصيرته إن هذا المبلغ غير متكافىء مع المهمة الموفد من أجلهـا الراوي فتكرم بإعطائي ما يساوي راتب ثلاثة أشهر وكان راتبي آنذاك ٦٢ جنيه ذهباً في الوقت الذي كـان راتب الوزير ٥ـ٣٧ جنيهاً. أي أن الأمير تكرم بإعطائي ١٨٦ جنيه ذهباً بخٍ بخٍ يا أبا طلال مع العلم

اليقين أنك حينذاك كنت خالي الوفاض ، وأنك لما كنت في (العيص) قائداً في الجيش الشرقي كان يعطي لك شهرياً ست وخمسين الف جنيه ذهب ولكن قبل أن يكمل الشهر وأنت لا تملك فلساً واحداً بل تستدين أحياناً ، فكيف الآن وأنت كسير الخاطر وقد خرجت من « تربة » – كالراوي – وأمثاله الذين خرجوا بجلودهم لا يملكون قطميراً ؟. ولكن نفسك العظيمة أبت إلا أن تكون حسبما فطرت عليه من سجايا وخصال حميدة في كرمك الحاتمي . الست أنت الذي أهـديتني في عام ١٩٤٩ سيارة شفروليت جديدة في الوقت الذي كانت كريمتك الأميرة (هيا) لا تملك سيارة ؟

أواصل الحديث فأقول : ذهبت إلى القـاهرة بقصد الوصول إلى باريس، لأعطي فيصلاً المضبطة . ولما وصلتها وعلم الإنكليز بأني أحمل مضبطة بهذا المآل قالوا إلى معتمد الحسين عبد الملك الخطيب – أننا غير مستعدين لنقله بباخرة بريطانية لأن فيصلاً في باريس الآن وعلى الرسول أن يذهب بباخرة إفرنسية . ولما أخبروا الحسين بذلك أصر على ذهابي بباخرة إنكليزية ، وهم اصروا العكس ولذا أمرت أن أسلم المضبطة إلى المعتمد ليتولى أمر إرسالها ، كما أمرت بالعودة إلى مكة . فالتفت إلى قضية معالجة ذراعي فراجعت الجراح المصري المشهور علي بيك ابراهيم وبعد فحصها بالأشعة قال : (لا توجد أي فائدة للمعالجة أكثر ممـا حصل . لأن الزاوية الحاصلة في الذراع تساعدك على استعمال اليد للاكل والشرب واللبس ونحن أحياناً نعمل عملية جراحية للحصول على مثـل هذه الزاوية وإن بإمكاني أن أعمل العملية وأفرد يدك، أي أجعلها ممدودة ولكن حيث يوجد كسر في محلين في العظم ، فستقصر اليد حينذاك ٨– ١٠ سم والأكثر من هذا فإن اليد ستفقد قوتها فلا تستطيع أن ترفع فنجان الشاي بها) فسألته هل أذهب إلى أوربا لإجراء عملية هناك ؟ قـال إذا كانوا يقولون خلاف ما قلت لك وفيها فائدة لذراعك فاعمل ما يشيرون

عليك به . وهكذا عدلت عن إجراء العملية وبقيت في القاهرة قرابة الشهرين ثم رجعت إلى «مكة» واحتفظت بمنصب مرافق للأمير عبد الله وبعد بضعة أشهر وصلت عائلة عمي أحمد الراوي لإداء فريضة الحج وكانت تركت بغداد عند سقوطها مع صهرها الرائد علي غالب ، والد حقي الراوي ، ذهبوا إلى الأناصول ومن ثم إلى استانبول ومنها إلى دمشق فالمدينة المنورة .

وبعد الحج في شهر آب ١٩٢٠ توجه الأمير عبد الله إلى « المدينة المنورة » ليذهب منها بالقطار إلى (معان) ف (عمان) . وحيث كان علي أن أرافق عائلة عمي إلى المدينة عن طريق ينبع البحر ، لم أتمكن من مرافقة الأمير . وبعد وصول سموه إلى المدينة بقي ينتظرني للسفر سوية ولكن لما علمت عشائر جهينه الساكنة بين «ينبع » والمدينة بعظم مكانتي لدى الحكومة ، قطعوا الطريق عليّ ليتمكنوا من أخذ الراتب الذي كان قطع عنهم ولم أصل إلى « المدينة » إلا بصعوبة وذلك بعد مكوثي في « ينبع » حوالي الشهر ونصف الشهر ولما تأخرت هذه المدة الطويلة ترك الأمير عبد الله وتوجه الى معان « فعمان » إذ وصلها في ايلول ١٩٢٠ ومن هنا تعلم أيها القارىء درجة سيطرة الحكومة على رعيتها . فأنا مرافق الأمير عبد الله ، ومعي عائلة عمي الذي كان نجلها الفريق جميل الراوي قائد المدينة المنورة ، والأمير علي الذي هو ولي العهد ، وآمر المدينة آنذاك ، والأمير عبد الله في انتظاري والكل يرغبون في وصولي بأسرع وقت إلى المدينة المنورة . ومع أن المسافة التي بين «ينبع» و«المدينة» كانت تقطع عادةً بخمسة أيام فإني لم أتمكن من قطعها بأقل من شهر ونصف الشهر بعد أن نهبت العشائر كل ما نملك من متاع .

بقيت في المدينة إذ عينت آمراً للمدفعية ، وكان تحت قيادتي محمود الشهواني ، وداود صبري ، شقيق سامي الذي استشهد في تربة وفي رجب ١٣٨٠ ه المصادف مارت ١٩٢٠ م تزوجت من بنت عمي التي هي في الوقت نفسه بنت خالتي ، وفي ربيع الثاني ١٣٣٩ ه المصادف

كانون الأول ١٩٢٠ رزقت منها ذكراً سميته خليل ، وقبل أن يكمل السنتين ذهب إلى دار الخلود وهو في عمر الورود . وفي أواسط ١٩٢١ م جاء من العراق إلى المدينة والدي ووالدتي وشقيقاي: عبد الله وعبد الكريم وآخرون معهم بقصد الحج ، وبقوا عندي في المدينة المنورة .

وفي الربع الأول من سنة ١٩٢١ م كان وصول الثوار العراقيين إلى « المدينة المنورة » بطريق « حايل » وعلى ظهور الجمال وهم أساطين الثورة العراقية التي حدثت في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ م وكان من جملتهم السيد نوري الياسري ، وجعفر أبو التمن ، وعلوان الياسري ، ورايح العطية ، وشعلان السلمان الظاهر ، ومحسن أبو طبيخ ، وغيرهم ، وقد أعقبهم محمود رامز ، وعلي البزركان ، واسماعيل كنه، وكنت حينذاك وكيلاً لقائد المدينة المنورة فاستقبلناهم استقبالاً شعبياً ورسمياً يليق بما قاموا به من أعمال بيّضت وجوه العرب في حربهم مع الإنكليز. وقد بقوا ضيوفاً على الحكومة حتى جاء الأمير فيصل بعد (مؤتمر القاهرة) الذي حضره المستر تشرشل ، والمس بل ولورانس ، ومثّل العراق فيه جعفر العسكري [1] وساسون حسقيل ، وهو المؤتمر الذي تقرر فيه

(١) كان جعفر العسكري من أساطين الوطنية، وعلماً من أعلام العراق، وركناً من أركان السياسة. ولد في «حي جامع علي أفندي» من أحياء بغداد سنة ١٨٨٥م، وتخرج في المدرسة الحربية في الاستانة ١٩٠٤ م حارب مع الأتراك في (القصيم) ١٩٠٥ - ١٩٠٦ م واشترك في حرب البلقان ، وكان أحد أعضاء « جمعية العهد » التحق بالشريف فيصل بن الحسين في (العقبة) فعينه قائداً لجيش الثورة النظامي وبعد احتلال سوريا عين حاكماً على (عمان) فحاكماً على (حلب) فكبيراً لمرافقي فيصل حين نودي به ملكاً على سوريا . واشترك في ست وزارات . تولى منصب وزارة الدفاع في خمس منها، والخارجية في واحدة، وكانت آخر وزارة اشترك فيها هي وزارة ياسين الهاشمي الثانية التي عصف بها الانقلاب العسكري الشعوبي الذي قاده بكر صدقي . وفي أيام وزارته الأولى وضع الدستور العراقي وصودق على أول معاهدة بين العراق وبريطانيا . واصل العسكري من المدينة المنورة حيث نزح جدهم السيد عبدالله المدني الى العراق في القرن العاشر للهجرة ونزل (قرية عسكر) على مقربة من ضفاف الزاب الصغير فنسب إليها . وعسكر هي الآن قرية من قرى ناحية (اغجلر) من نواحي قضاء (جمجمال) التابع للواء كركوك راجع كتاب الأعلام ١٢٥/١ الطبعة الثانية وديوان رشيد الهاشمي الذي جمعه وعلق عليه عبدالله الجبوري

أن يكون فيصل ملكاً على العراق. وكان بعض زعماء الثورة العراقية بقي في مكة المكرمة لإداء فريضة الحج ، والقسم الآخر رجع مع فيصل على باخرة واحدة إلى العراق بعد ما أوصاهم الملك حسين بولده خيراً، وأن لا يعملوا به ما عملوا بجده الحسين بن علي شهيد كربلا، ولكن قبل أن تمضي على حدس الحسين هذا وتشائمه سبع وأربعون سنة حتى حدث لفيصل الثاني ، حفيد فيصل الأول ، وخاله الأمير عبد الاله ، ما حدث لشهيد كربلا . ولكن ماذا يعمل العراقيون لحفيد فيصل ؟ إذا كان جلالته (لا يحل ولا يربط) وقد سلم أموره بأجمعها الى خاله عبد الإله ، الذي طغى وتجبر ، وكان جامعاً لعيوب الشرع بأجمعها : من فسق، وفجور ، وبخل، ولؤم، وحقد، واستهتار بالقيم العربية والإسلامية ، وإيثاره نفسه على كل ما سواها ، الأمر الذي أوجب أن يبلغ السيل الزبى ولم يبق في القوس منزع فثار عليه الأشاوس أحرار يوم الرابع عشر من تموز سنة ١٩٥٨

فيصل في العراق

وصل فيصل ومن صحبه من زعماء الثورة إلى العراق فاستقبل استقبالاً رسمياً، ونودي به في ٢٣ آب ١٩٢١ م ملكاً على العراق بحسب الخطة المعلومة. فسار بسفينة الدولة حسبما مدون في التواريخ التي دونت من قبل المؤرخين كالسيد عبد الرزاق الحسني وغيره حتى اختاره الله إلى جواره ليلة الثامن من أيلول سنة ١٩٣٣ فنودي بنجله وولي عهده غازي ملكاً على العراق . وقد أحبه العراقيون كثيراً لمماشاته الوطنيين العراقيين، ولا سيما في قمع حركة الاثوريين عندما كان نائباً لوالده في آب من السنة المذكورة . وحيث أنه أتى إلى العراق وهو دون العاشرة من عمره فقد ترعرع ونشأ في بيئة عراقية فصار يجاري العراقيين في نواياهم ورغباتهم ، مثلما كان ابراهيم باشا نجل محمد علي باشا ترعرع ونشأ في مصر فتمصّر حتى صار يعد نفسه عربياً ، وحاول أن ينشىء دولة عربية

تضم سوريا ومصر واليمن والحجاز ونجـــد . إن أهم حادث حدث في زمان الملك غازي هو الانقلاب الذي قام به الفريق بكر صدقي في ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦ م .

انقلاب بكر صدقي

الفريق بكر صدَقي مع أنه كردي الأصل لكنه كان كبقية أخوانه الأكراد ، أمثال : حسين فوزي ، وسعيد حقي ، وأمين زكي ، وماجد مصطفى ، ونور الدين محمود ، وسامي فتاح ، وغيرهم كثيرين نشئوا في بيئة عربية حتى أن بعضهم لايحسن اللغة الكردية . نشئوا وكل منهم لا يدين فكرة انفصالية ولا سيما بكر صدقي فقد خدم في الحكومة الفيصلية بدمشق . وكان من خيرة الضباط العراقيين بل ، كان في طليعة مناوئي السياسة الإنكليزية ، وكان يتعمد ويتقصد ليرى الإنكليز أنه يناوئهم ويتحداهم ولي شواهد كثيرة منها .

١ : — عندما كان ضابط ركن في الحركات ، وكنت ضابط ركن في الإدارة ، كنا نشكل لجنة منه، ومن عبد اللطيف نوري، والكرنل إيدي، وصاحب المذكرات. وكنا نتداول في جداول الترقية للضباط ، أو لتعيينهم، أو لوضعهم في كشف نصف الراتب، أو إحالتهم إلى التقاعد. وكنا في جميع هذه الحالات نعاون الضباط العراقيين الوطنيـــين ، ونمعن في إيذاء الضباط الذين ينافقون أو يتجسسون للإنكليز . وكمثال على ذلك اجتمعنا مرة نحن الأربعة سنة ١٩٢٨ لوضع ١٠—١٥ ضابطاً على كشف نصف الراتب حيث كان مقرراً في تلك السنة أن يتخرج من الكلية ١٠ — ١٥ ضابط ولا شاغر لهم انتبه يا عزيزي القارىء إلى هذا المثـــال الذي سطرته في هذه المذكرات فنحن الآن في سنة ١٩٦٩ م أي مضى عـــلى هذا الحادث حوالي الأربعين عاماً . كان المتخرجون من الكلية العسكرية

١٠-١٥ ضابطاً ولا يوجد لهم محل شاغر في الجيش . اما الآن فحسبما علمته من آمر الكلية العسكرية أنه فتح دورة في ٦-١-١٩٦٩ لخمسمائة تلميذ من خريجي الصف الخامس . وأكرر وأقول من الصف الخامس الثانوي. إذ قبل أربعين سنة قبلنا إلى الكلية العسكرية من لم يكملوا الصف السادس ابتدائي . ودليلي على ذلك اللواء الركن مزهر الشاوي ، والعميد الخيّال حمزة الراوي ، وكلاهما لم يكملا الصف السادس الابتدائي . الله يطوّل عمر ابن عمك نظيف الشاوي يا مزهر ! حيث كان نظيف ضابط ركن في الحركات .هل تؤيدني بذلك يا عزيزي القارىء لنبل حفيد العُبَيْد مزهر الشاوي الذي لم يكتفي بمماشاة عبد الكريم قاسم بل مدحه بأبيات شعرية عديدة هي مسطرة ومعلومة لدى جميع أخوانه العراقيين وذلك في سبيل جعله مديراً للميناء ، وأخيراً تزلف إلى طاهر يحي وزمرتـه ليعينوه سفيراً أو يرجعوه إلى الميناء .

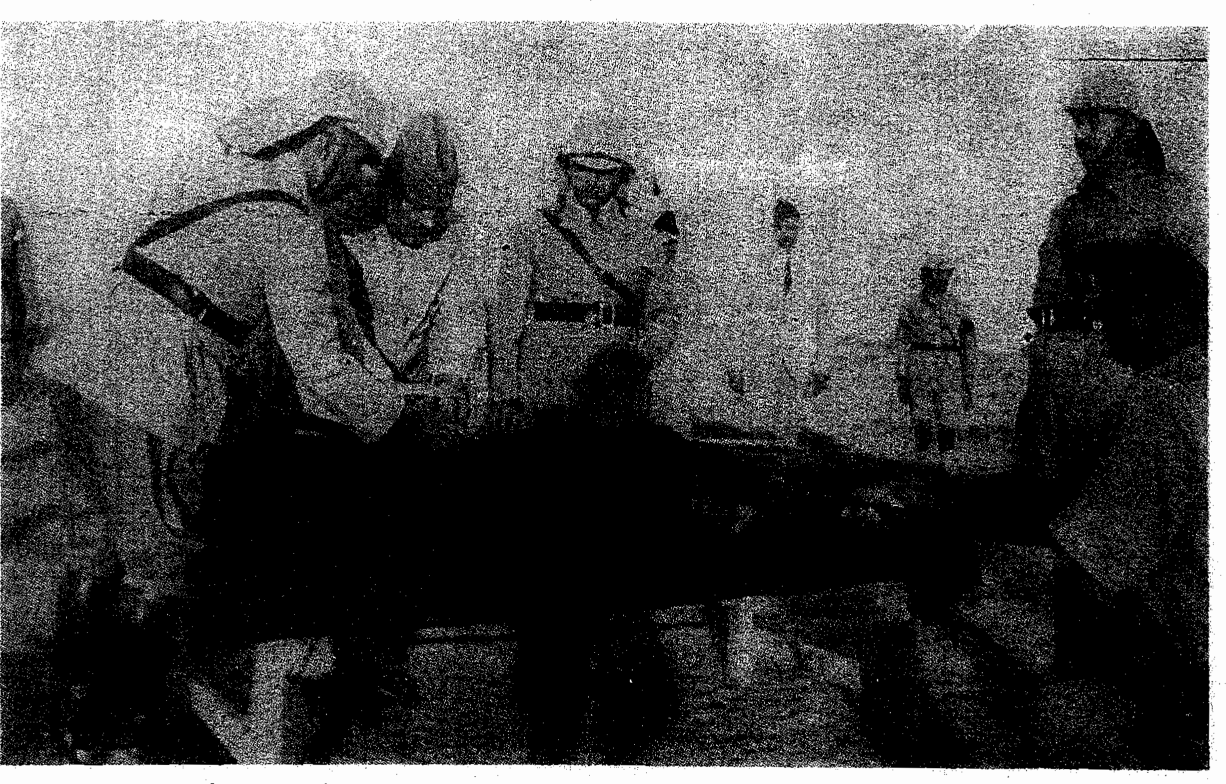
الحديث ذو شجون يا عزيزي القارىء فإني في هـذه النبذة أعاتب صديقاً عزيزاً عربياً تربطني وإياه صلة مصاهرة ، إذ نحن وآل الشاوي مصاهرين إلى آل محمد باشا نزيل بغداد والحلة. فارجع إلى أصل الحديث وأقول : اجتمعنا نحن الأربعة : بكر ، وعبد اللطيف ، وأيدي ، وأنا، لنغربل الضباط فنحيل عديم الكفاءة منهم إلى نصف الراتب ، ونوفر شواغر الضباط الذين تخرجوا حديثاً . وفي حالة مثل هذه نراجع سجل كل ضابط وما رفع عنه من تقارير سواء كانت هذه من الآمر العراقي أو المفتش الإنكليزي إذ في ذلك التاريخ كـان عدد أعضاء العسكرية الإنكليزية المسؤولة عن تدريب الجيش (٤٤) ضابطاً وكان في كـل وحدة ، أي في كل فوج أو بطرية أو كتيبة أو الصنوف الأخرى مـن هندسة ، ومخابرة ، وصحية ، إنكليزي عدا مقرات المناطق كما ان مقر وزارة الدفاع مليء بالإنكليز وكانت الصغيرة والكبيرة بيد الإنكليز فلا يمكن لأي عراقي من وزير دفاع إلى من دونه أن يعين أو يرفع أو يقاعـد أو

يحيل إلى نصف الراتب، أو يحدث تشكيلة، أو يشتري سلاح أو أعتدة أو تجهيزات أو إعاشة، أو أو الخ إلا بموافقة (الصاحب) ففي جو مثل هذا نجتمع نحن الأربعة ونبدأ بقراءة التقارير المعطاة من قبل الآمر العراقي والمفتش الإنكليزي ونرى إذا كان العراقي والإنكليزي اتفقت وجهة نظرهما بحق ضابط ما . فالجيد يبقى في وحدته، وعديم الكفائة نحيله إلى كشف نصف الراتب . ولكن الأشكال إذا كان العراقي قال جيداً والإنكليزي قال غير كفوءاً وبالعكس كان يقول العراقي غير كفوء والإنكليزي يقول جيداً في هذه الحالة نحن الثلاثة (أي بكر وعبد اللطيف وأنا) لأجل أن نقوّى مركز الآمر العراقي، ونجعل الضباط العراقيين يعتقدون أن الآمر العراقي هو الأصل وليس المفتش الإنكليزي فقد قررنا مسبقاً أن نجعل الأمر العراقي حذامي أي :

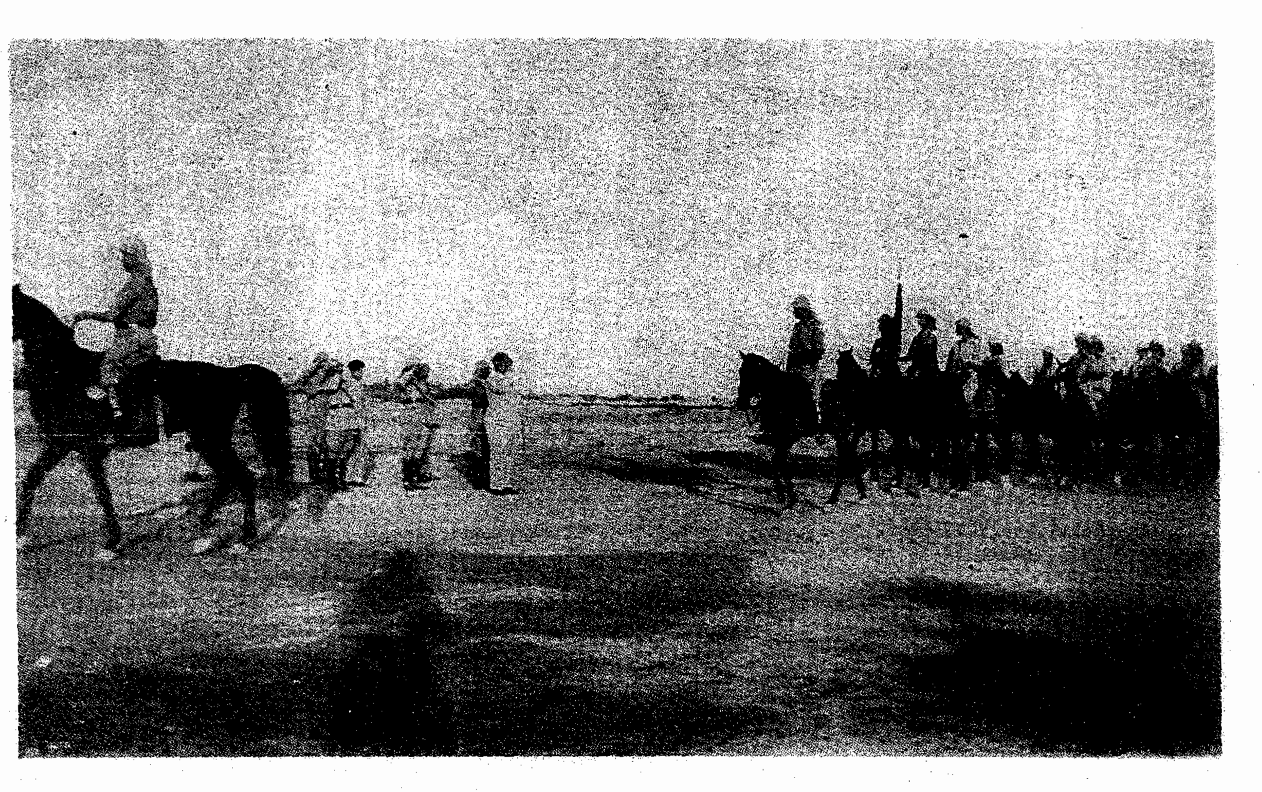
إذا قالت حذامي فصدقوها فإن القول ما قالت حذامي

وهكذا قرأنا التقارير فأبقينا الذي قال عنه العراقي أنه جيد ، وقال الإنكليزي إنه غير كفوء ، فسكت الكرنل أيدي ولم يقل شيئاً . ولما قرأنا تقريراً آخر يقول أن العراقي غير كفوء، ويقول الإنكليزي أنه جيد ، أحلناه إلى نصف الراتب على أساس أنه غير كفوء . فاعترض الكونل أيدي وقال (أقلّها اجعلوها واحدة بواحدة أي مرة خذوا بما قاله العراقي ومرة خذوا بما قاله الإنكليزي) فلم نوافق حتى انتهينا من وضع العدد الكافي إلى كشف نصف الراتب .

٢ ـ إن الاثوريين أثناء تمردهم في آب ١٩٣٣ كانوا عبروا نهر دجلة ، وتمركزوا في الأراضي السورية . وكان الفرنسيون يساعدهم كما أن ستافورد المفتش الإنكليزي في الموصل كان يعبر اليهم أحياناً ويزودهم بالمعلومات المفيدة . وفي أمسية أحد الأيام عبر الاثوريون النهر رافعين أيديهم للدلالة على أنهم يرغبون في تسليم أنفسهم ، الأمر الذي لم يقابلهم الجيش بفتح



وزير الدفاع « جعفر العسكري » يعلق وسام الرافدين على عَلَمْ كتيبة المؤلف



المؤلف أثناء استعراض الملك غازي للكتيبة الثالثة

النار. ولكن بعد عبورهم، وجهوا نيران بنادقهم على السرية التي كانت أخذت مواضعها بالقرب من النهر، وبهذه الحيلة الماكرة عبروا وتسلقوا (جبل بيخير) وهجموا على الربيئة التي كانت في القمة وحاصروها فكان من شهامة جنود الربيئة أن أحدهم – ولعل آمرهم – طلب الى المدفعية أن يوجهوا نيرانهم على الآثوريين المحاصرين للربيئة حتى ولو كانت النيران ستقضي على الربيئة نفسها. وبعد دفاع مجيد استولى العصاة على الربيئة، وقتلوا أفرادها شر قتلة، وفي طليعتهم آمرهم الضابط وما لبثوا أن أحرقوا جثتهم. وعلى أثر هذه الحركة قام بكر صدقي بقتل تسعة آثوريين ورماهم أرضاً مكشوفة ليراهم أسيادهم الإنكليز. ولما جاء المفتش الإنكليزي من (الموصل) إلى (ديربون) مقر قيادة بكر رأى هذه الجثث فتابع سيره حتى إذا جاء بكراً قال له –: بكر إني رأيت جثث تسعة أثوريين ملقاة على قاعة الطريق بدون دفن. فأجابه بكر نعم. فسأل المفتش ومن عمل هذا العمل الشنيع؟ فرد عليه أنا. قال هل هذا عمل صحيح؟ قال لا. قال إذن لمَ عملته؟ قال له لأنهم هم بدوا بعمل شنيع مع هذه الربيئة وآمرها وفي الحرب تقع أمثال هذه الأمور كثيرة حتى أنكم والإفرنسيين وغيرهم يعملون أمثالها. قال ولكن إذا سمع الملك بهذا هل يرضى به؟ قال له لا. قال إذن؟ قال يزعل ويقاصصني وربما يطردني أو يعدمني. قال له بكر ماذا تقول أنت قائد ممتاز، ولك مستقبل لامع وربما تصبح وزيراً أو رئيس وزراء؟ قال له إني أفضل قتل هؤلاء الناكري الجميل، وأقتل تسعة منهم على أن أشكل تسع وزارات. وهكذا رحمه الله كان يتحدّاهم علناً.

٣ – ومن ثم استدعى بكر صدقي ر تل أمين زكي، المشكل من فوجين، وكنت آمراً لأحدهما، وكنا معسكرين في (باسيتكي بالا) التي تبعد مرحلتين عن (ديره بون) وبعد مسير جبري شاق وصلنا (ديره بون) بعد ظهر أوائل شهر آب وقد كان الفوجان في أشد حالات التعب الأمر

الذي أوجب أن ينقلوا المنقطعين منهم بالسيارات . وعنـد وصولي إلى (ديره بون) ذهبت إلى القائد بكر وحييته وعرضت له أن الفوج وصل وهو حاضر لتلبية أي أمر يوجه اليه . وإذا بعد ساعة من وصول الرتل، يتلقى أمراً بالحركة من (ديره بون) لتسلق (جبل بيخير) ولتمشيط الجبل لقهر العصاة أين ما وجدوا . وحيث أن الرتل كان بأشد الحاجة إلى الراحة وليست له قابلية للحركة، فإن أحد آمري الفوجين أبلغ أمر الرتل بأن الفوج غير قادر بتسلق الجبل. فسألت أنا هـل أن فوجك قادر على التسلق؟ قلت نعم أنا الفوج، وأنا سأتسلق والفوح يجب أن يتسلق. وأمـا آمر الرتل أمين زكي فقد كان في قرارة نفسه يرغب أن أقول : إن الفوج غير قادر على التسلق متشبهاً بالفوج السابع الذي اعتـذر آمره وآمروا سراياه عن ذلك بحجة أن الفوج تعبان فإن قلت : أن الفوج غير قادر على التسلق فحينذاك الرتل بكامله لا يتسلق، وآنذاك آمره أمين زكس أيضاً لا يتسلق . ولكن مع علمي اليقين بأن الفوج تعبان وغير قادر على التسلق، ولكن على قاعدة «همة الرجال تقلع الجبال» قررت أن أحرفها فقلت «همة الرجال تسلق الجبال» وعندما أعلنت للفوج بلزوم التسلق وإذا بآمري السرايا يأتون — ويقولون أن السرايا غير قادرة على التسلق. حينذاك شمرت عن ساعد الجد، وتوليت الأمر بنفسي . ومع علمي أن الفوج متعب جداً بعد مسيرة يومين متتالين عانا فيهما أنواع المشقة ولكن ما العمل والفوج تلقى أمر التسلق، والأمر يجب أن ينفذ، فجمعت كل سرية على حدة، وخطبت فيهم بكلمات حماسية قائلاً : —

أخواني إن الفوج تلقى أمراً بالتسلق. ومع علمي أن السرايا متعبة جداً ، ولكني ملزم بتنفيذ الواجب، وعلينا التضحية في سبيل تنفيذ الأمر. لأن الأمة لما تربي جيشها، وتصرف عليه الأموال الطائلة لينفذ رغبتها في ساعة المحنة مثل هذه الساعة، كأي شخص يحمل مسدساً ليستعمله في لحظة واحدة هو في أشد الحاجة اليه . ونحن الآن في لحظة مثل هذه ولئلا نخيّب

أمل الأمة فينا فعلينا أن ننفذ الأمر ، ونتسلق وها أني أمامكم سأتسلق وأرغب أن أرى الذي يرغب منكم التسلق معي أن يتقدم خطوتين إلى الأمام . وإذا بقسم منهم تقدم ، وقسم أخر بقي واقفاً . وحينذاك طلبت طبيب الفوج ليفحص الذين لم يتقدموا وهل هم حقيقة في حالة لا تمكنهم من التسلق ؟ وإذا بنا لم نعثر عليه لأنه ذهب إلى البستان ليستريح ، مع أنه كان خلال هذين المرحلتين راكباً حصانه وها هو متعب الآن وهذا يعني أن الجنود حقيقة كانوا تعبين ولما جاء الطبيب وفحص كلا منهم ، عالج البعض وألحقهم بالراغبين في التسلق وهكذا جمعت عدداً لا بأس به من الفوج وتحركت بهم في الساعة ١٤٠٠ من «ديره بون » مع العلم أن الفوج لم يتكامل بوصوله إلا في الساعة ١٣٠٠ وهذا يعني أن الفوج استراح ساعة واحدة فقط .

أي نعم تحركت بهذا العدد من الفوج في اليوم الثالث من شهر آب أي في الباحورة على حد تعبير العراقيين أشد أيام الصيف حرارة وأتينا إلى سفح الجبل المراد تسلقه فانتظرنا هناك في انتظار مجيء فوج آخر ليتسلق معنا بدلاً من الفوج الذي تأخر . وعند ذاك أتى القائد بكر وبلغنا أن فوج سعيد التكريتي سيأتي للتسلق معنا . ومن حسن الصدف أننا وجدنا في محل انتظارنا هذا نهراً بعرض بضعة أمتار فأمرت الفوج أن يسقي راحلته ، ويملىء فناطيسه . أما أنا فدخلت النهر وغطست فيه بملابسي ، فأتاني نائب المساعد الملازم الأول جمال سعيد — العميد جمال سعيد — فقال سيدي ماذا عملت ؟ نعم حقاً كانت مغامرة مني إذ كيف أغطس في النهر بملابسي ؟ ومن أين لي تبديلها؟ أو تنشيفها ؟ حتى أن آمر رتل أمين زكي قال لي ابراهيم : كيف غطست بالنهر بملابسك وسوف تتعرض إلى الهواء ؟ قلت له سيدي الوجود التي لا تتحمل إلى عملية مثل هذه لا خير فيها . نعم إن ابراهيم الراوي كان مهيئاً وجوده لعملية مثل هذه وأكثر إذ طيلة الأشهر والسنين يتروض بشتى أنواع الرياضة

كلعب الكرة والصولجان ، ولعب التنس ، والسبح بالشط ، ولعب كرة القدم ، وكرة المنضدة ، والسير على الأقدام لعدة كيلو مترات إذ كنت الأول في السباق في المسيرة التي عملناها في سنة ١٩٣٠ في كلية الأركان ومسافتها ١٦ كم وقطعتها في ٥-١٠١ دقيقة وبعد الوصول أخذت حماماً بارداً ، ولعبت شوطين تنس ، وأعطيت كأساً من قبل نادي الغزلان الذي كان قد شكله ضابط ركن الحركات بهاء الدين نوري إذ كنت عضواً فيه . والذين اشتركوا في هذه المسابقة ضباط دورة الأركان الأولى وكان عددها ١٥ ضابطاً وهم : حميد نصره، «نور الدين محمود، «شاكر الوادي » « محمود شهواني » « قاسم شكري » « أمين خاكي » « بدري اسماعيل صفوة » « مظفر الدين ابراهيم » «سليم الأعظمي » «ابراهيم حمدي» « حمدي حسين » « نعيم الياس » « ابراهيم خليل » — وصاحب المذكرات .

نعم بدئنا نتسلق «جبل بيخير » وقررت أن أتسلقه مشياً على الأقدام في الوقت الذي كان الملازم ناظم رشيد ، الذي أصبح مؤخراً مدير الشرطة العام في عهد عبد الكريم قاسم المشئوم ، راكباً حصانه باعتباره ضابط مخابرة الفوج وكنت أنا آمر الفوج العقيد وأكبر منه سناً ومنصباً أسير على الأقدام وبقيت في مؤخرة الفوج بل في الساقة وابقيت معي طبيب الفوج لأتعاون وإياه على مساعدة الجنود ومعالجتهم وهكذا كنا نساعد الجنود الذين بدئوا يتساقطون فكنت أنا والطبيب نأتي اليهم ونسعفهم . فالجندي الذي لا يتمكن من مواصلة التسلق أعيده إلى الرتل ، أما الذي بين بين فأركبه حصاني ليسير به مسافة معلومة حتى يستريح والذي بعد الإسعاف يمكنه التسلق نجعله يستمر على التسلق وهكذا قبل وصولنا إلى القمة أعطى آمر الرتل استراحة وبقي ينتظر وصولي. وبعد مدة أتيته وفي يدي اليمنى بندقية أحد الجنود، وفي اليد اليسرى خوذتي الملآى بقنابل يدوية كانت انفرطت بعد سقوطها من على ظهر البغل وبعدها استمرينا بالتسلق حتى حلول الظلام وعسكرنا فوق أحدى قمم

الجبل وبعد مدة أتتنا فناطيس الماء ، التي أرسلها آمر الرتل ، لتملأمن العين وإذ كل فنطاس فيه النصف أو الربع أو الثمن من الماء لوعورة الطريق وعندما وزعوا الماء على الضباط والجنود كان نصيبي ربع زمزمية وعليك أن تقدر أيها القارىء حصة الجندي من الماء . أما العشاء فقد كان قليلاً من النواشف ، وأما المنام فكان على الأرض بدون فراش وبدون غطاء والزمزمية هي الوسادة . وبينما كنت مضطجعاً جائني ضابط ركن الرتل نور الدين محمود – الذي أصبح رئيس أركان جيش فرئيس وزراء – وطلب أن أعطيه جرعة ماء لجندي اللاسلكي ، ومنها يفهم صعوبة الحالة إذ كان ضابط ركن الرتل لا يملك من الماء ما يسعف به الجندي اللاسلكي.

نهضنا عند الفجر لنستأنف السير وكنت عطشاناً للغاية فأخذت بيدي « الزمزمية » لأشرب فلما رأيت الجندي الحارس ، توقفت لئلا يرى الحارس آمر الفوج يرتوي وهو عطشاناً وقلت لاحتفظ بالبقية الباقية من هذا الماء عسى أن أسعف به الجنود عند الشدة ولكن مقابل هذا ذهب الملازم حسين الدليمي إلى المرحاض واستعمل الماء للاستنجاء. استمرينا بالسير جياعاً وعطاشاً وإذا بالجنود يتساقطون وصرت أسعفهم بالبقية الباقية من الماء الذي كان معي ، وإذا بآمر القوة بكر صدقي كان قد أرسل إلى الرتل من الطعام والماء ما يكفي الرتل كله ولكن القافلة هذه لم تتمكن من التسلق والمجيء إلى الرتل لوعورة الطريق فأرجعت من حيث أتت وهكذا بدأ الجنود يتساقطون فنسعفهم بحسب الإمكان ونستنهض هممهم وكنت أسعفهم بالبقية الباقية من الماء الذي أدخرته في زمزميتي لهذه الساعة الحرجة وأحياناً تلتقط الجنود بنبات من الأرض يشبه الحميّض ليبلّوا ريقهم . وهكذا بقيت أسير معهم جنباً إلى جنب على الأقدام وأسمع بأذني يقولون « ما رأينا آمر فوج مثل الراوي » نعم كيف يرون آمر فوج مثل الراوي يترك حصانه ويسير على الأقدام ولا يشرب الماء ، وهو عطشان ، ليسعف به الجنود العطاشى وقد صح فيه

قول الرب سبحانه وتعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) صدق الله العظيم. نعم أيها القارى لاسترسل لك في وصف الحالة لتعلم أن الجندي يعاني في الحروب أنواع الصعاب والحرمان ويتحملها في سبيل مجد بلاده ولا فخر في ذلك فهذه مهمته الأصلية وأن الأمة إنما تدلله أثناء السلم وتغدق عليه من الامتيازات ما تظن به على زملائه المدنيين لتدخّره لمثل هذه الأيام. نعم كنا نسير فوق قمم هذا الجبل نتعقب المتردين. وكنا كلما نتسلق رأس قمة نعقبها أختها وقد تكون أعلى منها وهذا الجبل اسمه (بي خير) أي بدون خير وليس فيه قطرة ماء. وبعد أن قطعنا بضعة كيلومترات انقطع الاتصال بيننا وبين مقر رتل بكر صدقي كما أن دليلنا الذي من اليزيديين قد أضاع الطريق فقتله الجنود لغبائه إذ كيف يأخذ على عاتقه أن يكون دليلاً للرتل وهو يجهل معالم الطريق ويكون عرضة لهلاك جنود الرتل؟ وهكذا أضعنا الطريق، وفقدنا الدليل، وقطع الاتصال بالمقر العام، وأرسلت الموصل الطائرات للتحري وعندما أقول الطائرات أفتظن أيها القارى أنها طائرة نفاثة أو فاي كاونت؟ كلا إنها طائرة (جبسي موث) أو (بلايموث) ثمنها ٧٠٠ — ٨٠٠ دينار التي تحمل الملاح والراصد فقط. ولعلو الجبل الشاهق كانت تضطر لتعلو عليه فترمي قنابلها في الوديان. وقبيل الظهر طلب آمر رتل آمري الفوجين ليتذاكر وإياهم فوصلاه وبعد انعقاد المؤتمر قر الرأي على تخليص الرتل بأية طريقة كانت. وحيث كان فوجي في المقدمة وكنت أسير مع الملازم جمال سعيد في النفيضة، وجدنا طريقاً يودي إلى قرية وهي في سفح الجبل فأمرت النفيضة أن تسلكه وتبعتها الطليعة ثم القسم الأكبر للفوج ثم تبعنا الفوج الذي كان في الموخرة وصرنا ننحدر كالسيل — نعم إن الجندي المتعب صار ينحدر كالسيل إذ رأى عن بعد القرية التي فيها حياته. ولما شعر أهل القرية الأشاوش بعظم الموقف، ورأوا الجنود متوجهين نحو قريتهم هؤلاء البواسل ولذا فإن كل من في القرية من شبب وشبان

أخذ جرته أو سطله أو أي أنية يحمل فيها المـــاء ليستقبلوا بها ضيوفهم المتعبين بل المشرفين على الموت وبدئوا يصلوا الينا فكان الجندي يأخذ الجرّة ويعبّ منها ما يشاء، ويأتي الآخر ليشاركه وأحياناً يريد أخذهـــا منه قبل أن يستكمل الأول شربه. ولئلا تكون الفوضى، أو لئلا يشرب الجندي أكثر مما يجب فيسبب الضرر لنفسه، وقفت ومعي الملازم جمال سعيد فجمعت الجرار وأمرت جمالاً أن يسقي الجنود واحداً بعد الآخر وهكذا دام الحال إلى أن انتهينا من النزول إلى القرية فاستقبلنا أهلهـــا استقبالاً حاراً. وبعد مدة وجيزة حامت فوق رؤسنا إحـــدى الطائرات فأخبرناها بالإشارة المتفق عليها بأننا الآن في وضع جيد ولنا القدرة على استئناف المسير فذهبت تبشّر مقر الرتل العام وبغداد والموصل بهـــذا الخبر السار. وفي اليوم الثاني استئنفنا المسير للالتحاق برتل بكر صدقي ولم نر أي شخص من المتمردين بل وجدنا بعض البنادق وقد تركوهـــا وولوا هاربين وقد قام بكر بهذه العملية الشاقة ويقال أن رئيس أركان الجيش طه الهاشمي انتقده عليها ولكنه كان مقداماً جريئاً فأراد أن يرى المتمردين بأنه يتعقبهم ولو يرقوا إلى السماكين. أذكر لك أيها القارىء العزيز عن بكر صدقي وكيف كان يدرب مرئوسيه ويعلمهم على التحلي بحب المسئولية إذ في خلال هذه الحركة أرسلني على رأس قوة لأحاصر قرية كان المتمردون يجتمعون فيها على حد قول استخباراته فذهبت اليها بعد منتصف الليل فوجدتها خاوية على عروشها ولم أر أثراً للمتمردين. فسألت هل توجد قرية آثورية قريبة من هنا؟ قالوا نعم. توجد قريـــة (جوم جهان) وتبعد حوالي بضعة كيلو مترات فذهبت وطوقتها عند بزوغ الفجر، وجمعت ما فيها من أسلحة ثم رجعت إلى المعسكر وعرضت المعلومات هذه إلى القائد بكر فاستحسنها في الوقت الذي كان غيره من القواد لا يستحسن ذلك بـــل ربما يؤاخذني. لأنه أرسلني لهدف معين فكان علي أن أعود إلى المعسكر لأن مهمتي تكون قد انتهت ولكن ذهبت

من تلقاء نفسي لأحاصر قرية أخرى ، وربما كانت هذة القرية موالية ، إذ ليست كل القرى مع اا (مار شمعون) الثائر بل إن قسماً من الآثوريين كانوا مواطنين مخلصين للحكومة مثل (خوشابه) [1] وهذا الرجل لم يكن موالياً ومخلصاً حسب ، بل كان يقول لبني جلدته ـ أن الإنكليز غير مخلصين للآثوريين ولا للحكومة العراقية بل هم يعملون لمصلحتهم الخاصة ، ويريدون زرع الاحقاد بين الحكومة والرعية وقد كنا قبل الاحتلال على وئام مع أخواننا الأكراد ، إن لم أقل كنا العبيد وكانوا الأسياد والآن فإن الإنكليز يريدون أن يجعلونا طعماً لمآربهم ، ويجعلونا أسياداً على الأكراد ، ونحن على قلتنا وعلى محروميتنا من كل مقومات تشكيل دولة ـ

نعم إن بكراً استحسن عملي ليشجعنا على (حب المسئولية) وكان يجمع الضباط ويقول لهم : قوموا بأعمالكم إذا اعتقدتم بصوابهاوإذا أتى أحدكم بعمل يوجب المسئولية فحينذاك أعطيكم أمراً تحريرياً بأن العمل تم بأمر مني . وهذا وايم الله هوالقائد الشهم الذي يربي مرئوسيه على هذه السجايا العسكرية الحميدة .

عند عودتنا إلى الموصل مررنا بقرية (سميل) وكانت معادية فضلاً عن أنها كانت وكراً للهاربين والفارين من وجه العدالة فحاصرها وقتل جميع من فيها حتى الشيوخ والنساء والأطفال وقضى عليهم ولم يبق منهم (نفّاخ نار) وكان عددهم ٣٠٥ أشخاص وهذا عمل وحشي بالطبع. لكنه لم يعمله كشخص يكره الآثوريين بل كقائد أراد أن يعوّرهم ويعاملهم بقسوة متناهية حتى ـلا تحدثهم أنفسهم ويتمردوا

(١) خوشابه هذا الشخص المواطن المخلص كان يكره الإنكليز وكان قتل أحد ضباطهم وفر إلى تركية لاجئاً ولم يخلصه إلا ماجد مصطفى عندما كان قائمقاماً في العمادية وكان أيضاً شجاعاً لدرجة أنه صرع أحد النمور وكنت اجتمعت به في « سرعماديه » وان نجله يوسف كان ملازماً في كتيبتي لما كنت آمرها ومؤخراً أصبح برتبة عقيد .

مرة أخرى . وقد طبق هذه الخطة نفسها على أهل الجنوب عندما تمرد الشيخ خوام سنة ١٩٣٥ م إذ أصدر أوامر مشددة بوجوب حرق مزروعاتهم وقتل أسراهم ومعاملتهم بمنتهى القساوة .

بعد الانتهاء من قمع حركة التمرد هذه لمع اسم بكر صدقي وذاع صيته وكانت تسنده وزارة قومية فيها فطاحل السياسة أمثال ياسين الهاشمي ، وحكمة سليمان . وعلى رأس الجيش طه الهاشمي والأمير غازي الذي ينوب عن جلالة والده الذي كان يتعالج في سويسرة ، وكان يسند الحكومة بكل قواه . وكان من حسن حظ العراق آنذاك أن تكون في دست الحكم أقوى حكومة العراق . وبهذه المناسبة لمع اسم غازي وأصبح معبود العراقيين حتى بعد عودة والده الملك فيصل من سويسرة وكان الإثنان في سيارة واحدة فكان الشعب العراقي يهتف بحياة غازي ولم يهتف بحياة فيصل .

٤ ـ لما عهد إلى بكر صدقي قمع حركة الآثوريين ، قام بأعمال باهرة في الإدارة والقيادة مما جعل اسمه فوق السماكين ، وكان يأمر الضباط جميعاً أن لا يتصل أياً منهم بالإنكليز ، وإذا وقع أي سؤال من أحد الضباط الإنكليز إلى أي ضابط مثلاً : إذا كان السؤال موجهاً إلى آمر فيصل فيكون جوابه « لا علم لي بشيء بل اسأل آمر السرية » وإذا أتى الضابط الإنكليزي إلى آمر السرية فليرسله هذا إلى آمر الفوج ، فإذا أتى إلى آمر الفوج فليحيله إلى آمر الرتل ، وأخيراً فإن آمر الرتل يحيله إلى قائد القوة وهكذا فشل الإنكليز في أخذ أي معلومات من أي ضابط كان ، حتى حدث مرة أن سأل أحد الإنكليز من أحد الضباط عن الطقس فقال له لا أعلم اسأل الآمر الذي هو أعلى مني . وكان بكر يعامل الخونة الذين يتجسسون لحساب الإنكليز معاملة قاسية حتى أنه كان يعدمهم بعد ثبوت جريمة التجسس عليهم بدون مراجعة أي مرجع في بغداد .

٥ — بعد مرور سنة على قمع حركة الأثوريين ، عسكرنا في « آفجه لر »[١] للتدرّب على الحروب الجبلية ، وكنت « آمر فوج » وكان آمر المعسكر العميد أحمد رشدي . ولأمرٍ ما أجيز فأصبحت بصفة كوني أقدم ضابط وكيلاً لآمر المعسكر فاستلمتُ من قائد الفرقة بكر صدقي أمراً شبه رسمي يقول فيه :

عزيزي ابراهيم : غداً سيزور المعسكر — بقصد التفتيش — رئيس البعثة البريطانية الفريق ووتر هاوس ، وعليك أن تعمل ما يلي :

١ — لا تخبر المعسكر بمجيء المفتش .

٢ — لا تغير في منهجك التدريبي أي شيء بسبب هذه الزيارة[٢].

٣ — لا تضع مترجماً بينك وبين المفتش وعليك بإنكليزيتك المكسرة وهو بعربيته المكسرة أيضاً أن تتفاهما .

٤ — لا تجعله يتدخل في القضايا الدفاعية كالربايا وغيرها .

وكان بكر يعرف أن ابراهيم الراوي مستعد لتنفيذ مثل هذه الأوامر بحذافيرها ولا سيما وفيها تحدٍ للفطرسة البريطانية .

وفي اليوم التالي حوالي الساعة العاشرة وصل مفتش الجيش بسيارته وكان يصحبه فيها مرافقه ومفتش الحركات، ومن سوء الصدف أن سيارته توقفت في محل يبعد حوالي الخمسين متراً عن الحرس إذ كانت الأرض ممطورة فلم أرسل أحداً لإسعافه فنزلوا منها وأتوا لتفتيش الحرس . وكان عدم إرسالي النجدة حركة غير مستحسنة مني خاصةً

---

(١) افجه‌له تقع غربي الطريق بين كركوك والسليمانية بحوالي ٥٠ كم وقريبة من قرية عسكر التي ينتسب إليها كل من جعفر وبكر صدقي .

(٢) كانت العادة إلى ذلك التاريخ ان المفتش عندما يعرف أنه سيحضر بقصد التفتيش فان كل وحدة تباشر أعمالا تافهة كالمسح والتلميع في التجهيزات والحيوانات والطرق والحوانيت تاركة منهج تدريبها .

والقادم يعدّ ضيفي فضلاً عن أنه مفتشاً للجيش. لكن رغبةً في مسايرة قائدي بكر صدقي الجريء في دغدغة التعجرف والغطرسة البريطانيتين ولكوني أشعر كشعوره بلزوم هذا التحدي فكان هــذا أول اصطدام لكنه كان خفيفاً. أما ثاني اصطدام فقد حصل عندمــا شرع بتفتيش الحرس المكون من ثلاثة جنود وبوقي فقد أشار عليّ ضابط ركنه العميد أن أوعز إلى البوقي لينفخ البوقى إشارة الـ « جنرال » فامتنعت عن ذلك. بحسب مقتضيات معسكر الحروب الجبلية التي لا تجيز استعمال البوقي إلاّ في حالات شاذة جداً، وكان العميد يعرف هذا ولا سيما وأن كتبهم التدريبية التي نتبعها نحن تأمر بذلك. ولكن العميد بطلبه هــذا أراد أن يشعر المعسكر بأن الجنرال شرّف وأنا بامتناعي فوّت عليه هذه الفرصة. وبعد تفتيش الحرس ذهبنا لمتابعة الجولة وكان الوضع آنذاك: أن كل ضابط كان يشرح لفصيله[1] أو لرعيله[2] الدروس النظرية لبيــان الأغلاط التي حدثت في التدريب الصباحي لذلك اليوم وبيان وشرح الأعمال التي ستقع في اليوم التالي من التدريب وهكــذا حضر هــذه المحاضرات واستمع إلى ما القي فيها من تعليمات وبعدها ذهبنا لــيرى الترتيبات الدفاعية التي تتخذ بقصد حماية المعسكر فأشار علي أن الربية[3] رقم خمسة بعيدة ولا تتمكن من حماية المعسكر وطلب تبديلها فبينت له الأسباب الموجبة لاتخاذها، وأوضحت أن محلها هذا ضروري لحماية أمن المعسكر فسكت ولم يعترض وهذا كان الاصطدام الثالث: ثم ذهبنا لتفتيش الاصطبلات ومطاعم الضباط والجنود والحوانيت وكانت في حالة جيدة. وبعد الانتهاء من التفتيش شكرني وسألني هل سبق أن ذهبت إلى إنكلترا؟ وكان قصده من هــذا السؤال أني كيف

(١) فصيل تعبير عسكري يطلق على ٣٥ – ٤٠ ضابط وجندي مشاة أو مدفعية.

(٢) رعيل يطلق على ٣٥ – ٤٠ ضابط وجندي خيالة.

(٣) ربيئة يطلق على المرتفع من قمم الجبال.

يمكنت أن أتفاهم معــه بإنكلنزيتي ؟ فقلت له لم يسبق لي أن ذهبت . فقال هل ترغب بالذهاب ؟ قلت له نعم إذا حصلت الفرصة . فقال هل ترغب أن تكون آمر كتيبة ؛ لأنه كان يعرف أني خيّال ولكن الآن آمر فوج لعدم وجود شاغر في الكتائب . ولكوني ضابــط ركن يمكن قيادة أي وحدة سواءً أكانت مشاة أو مدفعية أو خيالة فقلت له : نعم أرغب في ذلك فلما عاد إلى بغداد رشحني لآميرية كتيبة فنقلت اليها.

كان هذا الخصم الشريف يقدر سجايا خصمه ولو أنه شعر بــأني كنت أتحداه ، وهكذا انتهى التفتيش ونفذت أوامر القائد بكر بحذافيرها وفوّت على الجنرال كل فرصة للتدخل ونشر هيبة العظمة البريطانيـــة . وحيث انتهى التفتيش قبيل الساعة الثانية عشرة وكان المفتش يرغب في الذهاب إلى «السليمانية » والمسافة بعيدة فقد عرضت عليه أن أستضيفه للغداء عندي فشكرني معتذراً بأنه يرغب في الذهاب إلى السليمانية للتفتيش هناك وملاقاة القائد بكر صدقي فودعني واتجه ومن معه بالسيارة نحــو السليمانية وعند وصوله اليها سأل عن القائد بكر صدقي وهل هو فيها ؟ فقيل له أنه أتى صباحاً وفتش ورجع إلى مقر قيادته في « كركوك » ففتش الجنرال وحدات السليمانية وقفل راجعاً إلى بغداد وقــدم تقريره إلى رآسة أركان الجيش وكان من جملة ما قال فيه : « **ان قائد الفرقة بكر صدقي تقصد بان لا يواجهني** . نعم إن بكر صدقي كان يعلم حق العلم بأن ووتر هاوس سيمر بكوكوك أولاً ثم بالمعسكر ، ثم بالسلمانية ولئلا يواجهه لعب معه « لعبة الختّيبة »[1] أي عندما أتى الجنرال إلى كركوك ليلتقي بالقائد بكر صدقي لم يجده وقيل له أنه ذهب ليفتش الوحدات . فقال له الجنرال في قرارة نفسه لعلي سألتقي به إما في المعسكر وإما في السليمانية فترك « كركوك » وإني إلى المعسكر فلم يجد بكراً فاعتقد أنه

---

(١) لعبة الختيبه تعبر عراقي يلعبوا فيها الأطفال يختبيء بعضهم والبعض الآخر يفتش عن المختفين .

سيجده في « السليمانية » فتوجه اليها ولما سأل عن القائد ، قيل له أنه جاء صباحاً وبعد الانتهاء من عمله عاد . فإن بكراً رجـــع من السليمانية إلى كركوك في الوقت الذي كان ووتر هاوس في المعسكر وهذا هو التحدي وأي تحد للعظمة البريطانية أكثر من هذا ولا سيما وكنا دخلنا حديثـــاً في عصبة الأمم وكانت الهيمنة البريطانية في عنفوانها وسيطرتها على الحكومة العراقية ؟ والبعثة العسكرية المؤلفة من ٤٤ ضابطاً بريطانياً كانت تسيطر على الجيش سيطرة تامـــة . نعم قارئي العزيز لقـــد سردت نحو العشر صفحات لأذكر فيها بعض سجايا بكر صدقي وحيث نحن الآن بصدد شرح أسباب انقلابه ، ذلك الانقلاب الذي كان الأول من نوعه وصار فاتحة لجميع الانقلابات الـــتي وقعت في الشرق الأوسط حيث حدثت بعده انقلابات في سورية تحت قيادة كل من حسني الزعيم ثم الحناوي ثم أديب الشيشكلي وما يتبعها من انقلابات لا أول لها ولا آخر .

انقلاب ١٩٣٦

المعروف عن بكر صدقي أنه كان آخر من يفكر بالانقلاب لأنـــه وهو الرجل الأعزب — كان يسيّر ويطيّر عل كيفه وكان أحد قائدي الفرقتين اللتين كانتا في الجيش العراقي، وكان الرجل الثاني في الجيش بعد رئيس أركانه ، وفضلاً عن ذلك كان قد لمـــع اسمه في قمع حركة تمرّد الآثوريين سنة ١٩٣٣ ثم قمع تمرد الشيخ خوام وما تلاها من تمردات في في أطراف الرميثة واشتركت فيها معظم عشائر الجنوب كالظوالم، وبني حجيم، والأكراع ، وعشائر المنتفك، وقضى على الفتنة الواسعة بحذقٍ عسكري لا نظير له مستعملاً من الشدة والقسوة ما يتعدى الواجب . فإنه كان أصدر أمراً عسكرياً صارماً بأن لا نستعمل أية شفقة أو رحمة مع الثائرين وعلى العكس علينا أن نحرق مزارعهم — وهي المعوّل عليها في

معاشهم – وأن نقتل أي أسير أو جريح ، ونهدّم بيوتهم ومفاتيلهم[1]
وكنت الوحيد الذي لم يطعه في أمره هذا لأني استعظمت أن أعامل أهل
الجنوب بمثل هذه الأعمال التي عامل بها الآثوريين في الشمال . لأن
الآثوريين مع أنهم مواطنين منذ القدم، لكن تمردهم كان بتحريض من
الإنكليز . أما أهل الجنوب فهم فضلاً عن أنهم مواطنون ، فهم أهلي
وعشيرتي. بل أكثر من هذا كانوا هم الأشاوس الذين قاموا بثورة حزيران
سنة ١٩٢٠ على الإنكليز ، تلك الثورة التي هزّت إنكلترا هزاً عنيفاً وكلّفتهم
غالياً لما أضاعوه فيها من قتلى، وجرحى، وأسلحة، وأعتدة، الأمر الذي
جعلهم ينصاعون – مرغمين – إلى تشكيل حكومة عراقية برآسة عبد
الرحمن النقيب موقتاً وبعد تنصيب فيصل ملكاً على العراق . ومن ثمّ
عقدهم معاهدة سنة ١٩٣٠ ودخولنا إلى عصبة الأمم في عام ١٩٣٢
الأمر الذي أدى إلى رفع الانتداب ونيل الاستقلال ولو كان مشوّهاً
لإشغال الإنكليز لقاعدتي «الحبّانية» و «الشعيبة» . نعم للأسباب
المبينة أعلاه ، لم أطع بكراً في أمره بقتل الأسرى والجرحى في الجنوب
كما فعل هو في الشمال – بل بالعكس عندما قمت بكتيبتي بعملية التفاف
جريئة والإحاطة بالمفتول الذي كان خوام يتحصن فيه وأصبحت مطبقاً
عليه وعلى من معه ، إذ أصبحت الكتيبة في الجنوب في مواضع حصينة تحول
بينه وبين أمداده من «الرميثة» وكان رتل جميل فهمي في مواضع
حصينة غربي قوّات خوّام، وفي الشمال كان رتل عبد الحميد الشالجي متحصناً
في مواضع وأفواج مشاته فاتحة نيرانها وكذلك مدافعه كانت مستمرة في
إطلاق قنابلها فضلاً من الطائرات التي كانت تحوم فوق قواتها، وتصلي
المتمردين بقنابلها . بقي الجناح الشرقي لقوات خوّام مفتوحاً وآنذاك
باشرت شراذم من جماعته تحاول الهروب للتخلص من الحصار، فأرسلت
رعيلاً بقيادة الملازم جرجيس الآثوري لمهاجمتهم فجاءني ببضعة جنود

(١) المفتول ما يطلق على القلاع التي تبنى في الحبوب للاعتصام بها .

وفيهم مجاريح فسألتهم أين خوام؟ قالوا « ندللك على خوّام ونحن جرحى وجياع؟ داوي جروحنا واملأ بطوننا وبعدها نحن ندلك على خوّام » ولكن بدلاً من أن أطيع أمر قائدي وأقتلهم شرّ قتلة ؛ أمرت الطبيب سعيد الكاتب بمداواتهم ثم بإملاء بطونهم فدلّوني على سيدهم خوّام، فأبرقت إلى آمر الرتل عبد الحميد الشالجي، وهو بدوره أرسل من القى القبض على خوام، وهكذا دخلنا « الرميثة » وكان مديرها يوسف السعد نجل بنت عمي وشقيق رؤف السعد — والد عدنان رؤف المعروف في السلك الدبلوماسي الآن — وكان في الرميثة أيضاً مدير الشرطة عبد الجبار الجسام ففككنا الحصار عنهم، وكنت أول داخل اليها . وعند دخولنا هوّس جنودنا الذين كان معظمهم من أهل الجنوب « بسمارج منّج يا لوحه »[1] وعلى أثر انتهاء الحركات بهذا النصر الحاسم أبرق القائد بكر صدقي إلى بغداد بالبرقية التالية :

	الوقت	التاريخ
نموذج رسالة الرقم ٤٤	١٥٢٥	١٨ مايس ١٩٣٥

إلى دفاع بغداد

من قوة الفرات

رقم المنشيء ٥٨—ك التاريخ ١٨

أظهرت الكتيبة الثالثة بسالة فائقة في حركات يوم ١٥ و ١٦ حيث هجمت مراراً بالسيف وبالنار ودمرّت خيالة العصاة وأنقذت الرتل من متاعب ومشاكل جمة . أرجو تلطيف علم الكتيبة بوسام الرافدين. وقت الإنشاء ١٣٢٠

وقت الوصول إلى الدائرة ١٣٢٥

---

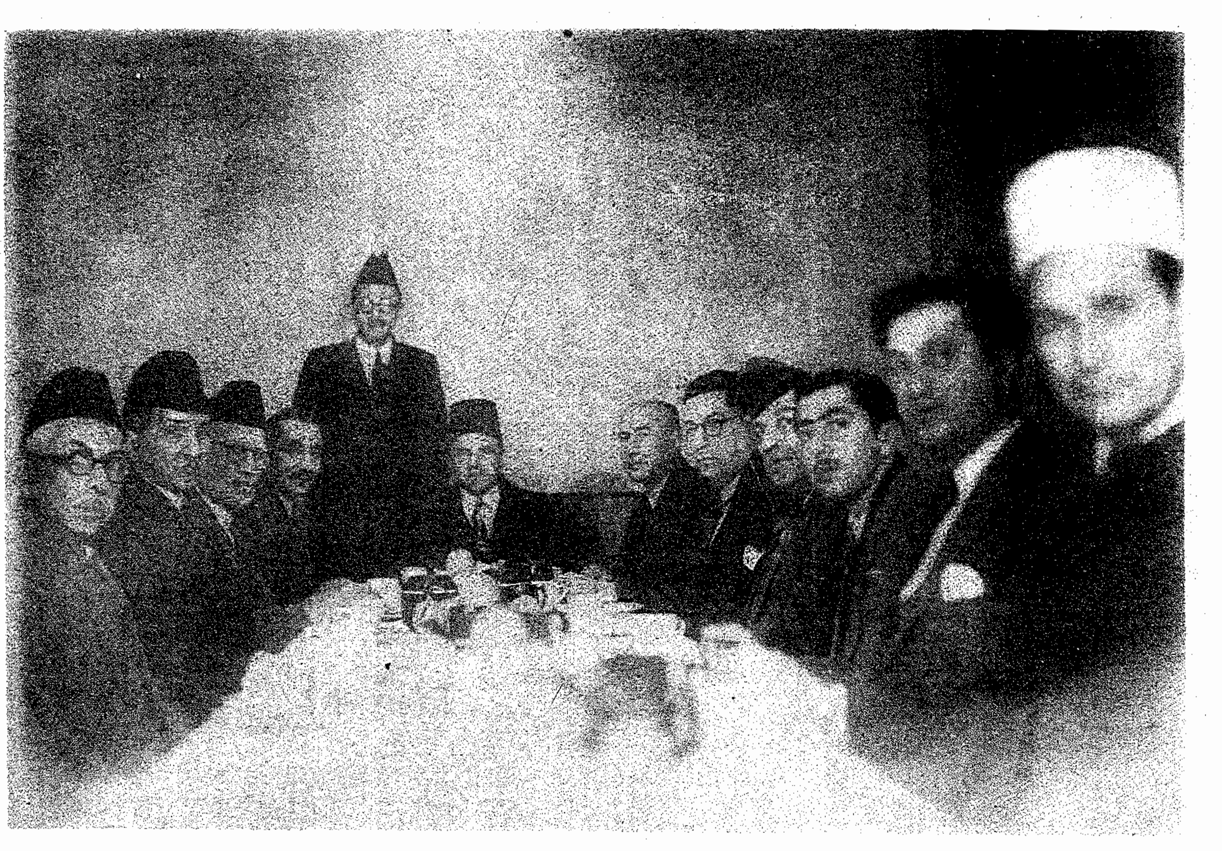
(١) بسمارج منج يا لوحه أي مسمارك منك يا خشبه. ومعنى هذا نحن منكم وإليكم فكانت هذه أحسن مؤاساة .

نحن الآن في منتصف عام ١٩٣٥م ؛ وبعد سنة أي في أواسط عام١٩٣٦ قامت حركة تمرّد أخرى فاقت كل مثيلاتها منذ تشكيل الحكومة العراقية حتّى يومنا هذا . أي فاقت كل تمرّد قام به : العرب ، والأكراد ، والزيديون أو الأثوريون أو البرزانيون إذ كانت أعم وأشمل من جميع التمردات آنفة الذكر . فقد اشترك فيه معظم عشائر الديوانية والدغارة والرميثة والسماوه والمنتفك وهم الذين كانوا في سنة ١٩٢٠ قد دوّخوا بريطانية في ثورتهم التي دامت حوالي الخمسة أشهر. ولكن بطل روايتنا بكر صدقي قضى على هذه الثورة الشاملة في أيام معدودات فذاع اسمه كشيوع اسم روملي في شمالي أفريقيا في الحرب العالمية الثانية . وهنا يقع السؤال الآتي

لماذا يا بكر صدقي قمت بالانقلاب في ٢٩ تشرين الأول ١٩٣٦م؟ الجواب : أن بكراً ما كان يريد أن يقوم بأي انقلاب إذ كان — كما قلت آنفاً — قائداً مرموقاً وممتلىء حيوية ونشاط وكان عمره حوالي الخمسين عاماً، وهو رجل رياضي يلعب الكرة والصولجان، ويشترك في السباقات الطويلة الأمد، وهو أعزب لا ولد له ولا تلد . كان بعضاً ينام في الكلجية [1] وهو مرح لطيف المعشر ، كريم النفس ، حتّى أنه كان يملك داراً واحداً فأهداء إلى خليلته. نعم هكذا كان بكر لما عاد من الدبوانية ودخل بغداد دخول الفاتحين. فهو قاهر الأثوريين المسندين من الإنكليز والإفرنسيين ، وهو القاهر لأهل الجنوب الصيد الأشاوش، ولذا أعيد السؤال وأقول : لماذا قمت يا بكر بهذا الانقلاب؟ الجواب : عند حكمه سليمان ، وكامل الجادرجي وغيرهما من عشاق الكراس ، وممن يريدون خراب هذه الدويلة الناشئة ولو كان على حساب ديموقراطية كامل اليسارية. وكذلك ولا بدّ أن ذاكرة القارىء تذكر « مؤتمر الصليخ » ومن اجتمع فيه من الاقطاب السياسيين والاقطاعيين وما قام من ثورات على أثر تحريض المؤتمرين بقصد الإحاطة بفلان ووزارة فلان، وبعد إسقاطها بأيام تأتي وزارة أخرى

---

(١) الكلجبه المحل العام للمومسات .



صاحب المذكرات كنائب رئيس لـ « لجنة إنقاذ فلسطين »



صاحب المذكرات وإلى يمينه السيدان : طه الهاشمي ومحمد أمين زكي في حفلة تخرّج الكلية العسكرية

وهي وزارة يس الهاشمي. وحيث أن حكمة سليمان لم يحصل على منصب وزارة الداخلية فيها فقد تآمر على زميليه : رئيس الوزراء يس ، ووزير داخليته رشيد عالي الذين كان يجمعهم حزب واحد وهو « الإخاء الوطني »

نعم يأتي حكمة ويقنع جعفر أبو الثمن الوطني المتطرّف فيوافق على أن يشرك جهوده مع كامل الديموقراطي اليساري وزميله في المبدأ آنذاك حسين جميل الذي أجله واحترم مبادئه الوطنية كيف أنه زامل كامل طيلة هذه السنين ؟؟ إن حكمة سليمان وزمرته هذه عندما فاتحت بكراً بأمر الانقلاب تجاوب معها – ويا للأسف – إذ هو كرجل طموح ومغامر رأى أن يستغل هذه الفرصة ليصل إلى ما تطمح اليه نفسه من الصعود إلى منصة الحكم أولاً، وليخلص الجيش من تكتل السياسيين والانتهازيين. لأن الجيش من أول تأسيسه في سنة ١٩٢٠ حتى الآن وهو مشغول بإخماد الثورات في طول البلاد وعرضها، الأمر الذي جعله أن يصرف جلّ أوقاته بقمع تلكم الثورات. وإلى متى وهو يصرف أوقاته بأعمال تلهيه عن واجبات تدريبية وتزعزع كيانه ؟ومتى يتفرّغ إلى مهمته الأصلية وهي : الانهماك بأصلاح نفسه وتدريبه ليكون متهيأ، وليكون الحصن الحصين والسياج المنيع لحفظ البلاد ؟ خاصة والجو العالمي آنذاك كانت الحكومات تتهيأ للحرب العالمية الثانية وإذا بالجيش العراقي يبقى مشغولاً في وسط هذه المعامع التي ما أنزل الله بها من سلطان، وهو لم يكيف نفسه لمجابهة هذه الأخطار فلهذه الأسباب مجتمعة، وافق بكر على فكرتهم المشئومة ، واهتبل فرصة غياب رئيس أركان الجيش طه الهاشمي ، كان بكر آنذاك الرجل الثاني من حيث القدم إذ كان ينوب عن طه في رئاسة أركان الجيش ، كما وأتته فرصة أخرى ثمينة ، وهي وجود الفريق عبد اللطيف نوري على رأس قيادة الفرقة الثانية ، إذ كان للجيش آنذاك فرقتان : الأولى تحت قيادة بكر ، والثانية تحت قيادة عبد اللطيف وهو رفيق صف لبكر ، وكان من أعز أصدقائي ومن ذوي المبادىء القومية الذين

اشتركوا في « الثورة العربية الكبرى » وكانت معلوماته العسكرية لا بأس بها ، وكان محبوباً في الجيش . ومع أنه كانت له صلة بالمرحوم جعفر وبنورى إلا أنه لهوي في نفسه ولأمور شخصية كانت واقعة حينذاك كان مشمئز منها فوافق بكراً – ويا للأسف – على تنفيذ فكرته هذه ولا سيما بعد أن منّاه بجعله وزيراً للدفاع . وهكذا باشر بكر بتهيئة الجو للقيام بالإنقلاب

كيفية وقوع الانقلاب

جاء بكر صدقي إلى معسكر الجلولاء مساء يوم ٢٧ تشرين الأول ١٩٣٦ وكان وقتئذ لواء الخيالة يتمرن على التدريب الإجمالي فأقام آمر الخيالة اسماعيل نامق وليمة عشاء على شرفه حضرناها نحن آمروا الكتائب : حمدي زينل ، جميل قبطان ، وصاحب المذكرات : وكان معنا حسين جاهد آمر الآليات الملحق بلواء الخيالة ، وبعـــد العشاء طلب بكر صدقي مواجهة جميل قبطان في صباح اليوم التالي . وحيث أن جميلاً كان من أعز أصدقائي ، وكان من ذوي المبادىء القومية ، ومن الضباط القلائل الذين التحقوا بثورة ١٩٢٠ م ، فقد قلت له غداً قل لي بالذي يقوله لك بكر وفعلاً أتاني في صباح يوم ٢٨ وأطلعني على الخطة بأكملها وهي تتلخص بما يلي :

ستتحرك كتيبتا خيالة على الطريق نحو بغداد يصحبها فوجا مشاة راكبين السيارات ، وبطرية مدفعية جبلية ، وهذه القوة ستعسكر في « بعقوبة » ثم تتحرك صباح يوم ٢٩ نحو بغداد يسندها سرب الطيران ، ومن ثم ترمي مناشير على مدينة بغداد، وفيها إنذار الحكومة التي يرأسها ياسين الهاشمي أن تتخلى عن الحكم، وبالتالي يجب أن تسند رئاسة الوزارة إلى حكمة سليمان ؛ وفي حالة عدم تخلي الوزارة عن الحكم، فترمي القنابل على أهداف معينة في بغداد . وبالفعل صارت حركة في المعسكر أسفرت

عن توجه الوحدات آنفة الذكر نحو بغداد وصرت أفكر في عواقب هذه الحركة غير المألوفة ولم أكن مطمئناً إلى سلامتها إذ أني أولاً — : من المعتقدين جزماً بأن الجيش يجب أن يكون بعيداً عن السياسة. وثانياً : — أن الأشخاص القائمين بها ليسوا بمستوى ياسين الهاشمي ، ورشيد عالي ، وجعفر العسكري، من حيث الكفاءة والإخلاص للمبادىء القومية العربية ، ولا سيما الهاشمي الذي عجزت النساء أن يلدن مثله ! نعم ياسين هو أحد موسسي «جمعية العهد» وهو وأن كان تحت رئاسة عزيز علي المصري الذي أمجده غاية التمجيد ، ولكني أقول أن ياسين الهاشمي لا يقل عن عزيز كفاءةً وإخلاصاً، وهما فرسا رهان في جميع السجايا والخصال الحميدة، ولولا خوفاً من أن أتهم بالقطرية والتحيز لرجحت كفة ياسين على كفة عزيز . وأن ترؤس عزيز لياسين ناجم عن قضية عمر وقدم في المنصب وأسبقية في العمل فإن عزيزاً تخرج كنقيب ركن في عام ١٩٠٣ م وياسين كنقيب ركن في عام ١٩٠٥ وقد شهد القيصر ولهلم عاهل الامبراطورية الألمانية في الحرب العالمية الأولى لياسين إذ كان يقود فرقة ودخل ظافراً إلى غاليسيا في رومانيا نعم ياسين لم تساعده الظروف على الالتحاق بالثورة العربية ، ومع هذا ولاه الثوار — على رأسهم الملك فيصل — منصب « رئيس الشوري الحربي » في الحكومة السورية بعد أن أسّروه حوالي حلب قبيل الهدنة ، وجعفر ونوري اللذان قادا جيش الثورة الذي دخل دمشق فاتحاً أصبحا ثانويين ، أي أن أسيرهم ياسين أصبح رئيساً لما يعلم الجميع انه يتحلى بسجايا وخصال يتميز بها عن جميع أقرانه . ياسين الذي كان وزيراً للمالية في الحكومة العراقية في زمن الانتداب والهيمنة الفعلية الشديدة للإنكليز وتدخلهم في القضايا الصغيرة والكبيرة قام بعملية لم يقم بها إلا أمثاله العباقرة فخلص العراق من الديون التي كان يرزح تحت إعبائها من مخلفات العهد التركي وعملها بدون أن يشاور مستشاره الإنكليزي وبدون أن يشاور رئيس وزرائه وبدون أن يخبر المجلس النيابي وأخيراً

بدون أن يستنجد بالملك فيصل ليرشده أو ليعينه على فعلته هذه فأطفاء ديون العراق التي فرضتها معاهدة لوزان عليه وهي زهاء تسع ملايين باون أطفأها بأقل من مليون باون ، وهذا ما يعبر عنه (بحب المسئولية) أي أنه عمل عملاً لا يقره الدستور ولا العرف وبعد نجاح العملية ذهب إلى المجلس النيابي وأخبره بتفاصيل الموضوع طالباً سوقه إلى التحقيق النيابي أما المجلس فإنه ليس فقط لم يقاصصه بل بارك عمله.

لو أن ياسين استشار المشاور فيما كان يريد أن يقـدم عليه لحال دون ذلك لأن الإنكليز كانوا يريدون أن يبقى العراق رازحاً تحت أعباء الديون ولو أن ياسين أخبر المجلس حول ما اعتزم القيام به لشاع النبأ ولارتفعت أسعار الأسهم. على كل فإن الرجل قطع الطريق على الجميع ، وقـام بعمله خير قيام. وياسين لما كان وزيراً للمالية بزّ زميله الأسبق ساسون حسقيل المالي المشهور الذي كان رئيس اللجنة المالية في مجلس المبعوثان التركي. ياسين الذي فند تقرير السر هلتن يانغ الخبير المالي البريطاني الذي استقدمته وزارة نوري السعيد الأولى لإصلاح ميزانيته العراق فكان هذا التفنيد مضرب المثل لعظمة ياسين. ياسين عبقري في كل شيء حتى في لعبة الشطرنج ولعبة البوكر والبريدج : وأما الرجل الثاني : رشيد عالي فأشهر من أن يذكر وكأنه علمٌ في رأسه نار يعرف عنه العراقيون خاصة والعرب عامة حتى أصبح رجلاً عالمياً ولا سيما بعدما قام بحركة مايس ١٩٤١ م التي يكفيه فخراً أنهـا تسمت باسمه دخلت أبواب التاريخ باسم (حركة رشيد عالي). أما الرجل الثالث : جعفر العسكري فإنه ذو ماضٍ مجيد ، ولامع في القضايا العربية ، وأنه أحد موسسي « جمعية العهد » وكان المؤسسون : عزيز ، وياسين ، وسليم الجزائري ، وجعفر ونوري ، وطه ، ومصطفى وصفي الضابط الركن السوري وقد دافع

جعفر في ليبيا في ١٩١١ م ضد الطليان[1] دفاع الأبطال وكذلك في حربه ضد الإنكليز والطليان في ليبيا في الحرب العالمية الأولى حتّى سقطا سيراً بيد الإنكليز وحاول وهو في الأسر أن يهرب من القلعة التي كان حبيساً فيها فتعوّر الأمر الذي منعه من الهرب وأخيراً عندما سمع بالثورة العربية التحق بها في سنة ١٩١٧ م وصار القائد الأعلى للجيش النظامي.

نرجع إلى حديثنا إذ شذّ بنا كثيراً وأقول : أن وزن حكمة سليمان وبكر صدقي وكامل الجادرجي لم يكن بوزن ياسين ، ورشيد عالي ، وجعفر ، خاصةً في حقل المبادىء القومية وفضلاً عن هذا أن بكراً أخبر إثنين من آمرين الكتائب ولم يخبرني لأنه كان لا يزال غاضباً عليّ منذ عصيت أمره في ١٩٣٥ ولم أقتل الأسرى والجرحى العرب بل أطعمتهم وداويت جرحاهم. وكنت في وقتها زدت الطين بلّة إذ شكوته عند طه الهاشمي بقولي له : إن بكر مع علمه اليقين بأني قمت بعملية جريئة بكتيبتي وقبضت على خوام بشهادة البرقية التي أرسلها إلى الدفاع بتوقيعه أنه أعطي إلى صالح الجبوري ضابط ركنه الجالس في الديوانية قدماً لمدة سنة ولغيره حتّى إلى ضابط الإعاشة غالب الحاج عريان ، منحه قدماً لمدة سنة أو ستة أشهر وأنا لم يمنحني أي قدم بل طلب منحي نوط الشجاعة ، ونوط الشجاعة مع أنه لا يمنح إلا لقلة جداً من الضباط ، ولكنه يعلم جيداً أن منحي قدم لبضعة أشهر أو حتّى ليوم واحد هو أنفع لي من نوط الشجاعة . ومع أن طه لم يسمع شكواي فقد صار يدافع عن بكر وأخيراً أخبر بكر بأني شكوته عنده . .

نعم ذهبت إلى خيمتي وصرت أفكر في عواقب هذا الانقـــلاب ونتائجه وهل أني إذا كتبت رسالة إلى وزير الدفاع فستصل رسالتي اليه؟

---

(١) جعفر العسكري كان ثالث ثلاثة لأنور باشا وعزيز علي المصري في ليبيا سنة ١٩١١ وكان معهم سعيد المدفعي وتحسين العسكري وعبدالرحمن عزام الذي كان ينجدهم بمؤونة صحيـــة وكان الخديوي عباس حلمي يساهم في التشجيع في هذه وغيرها .

وكيف أتمكن من ذلك؟ وهل أثق بأن حاملها سوف لا يقبض عليه في القطار مهما حاول التخفي؟ وهل مثل بكر الداهية القائم بهذا العمل الجبار تفوت عليه مثل هذه العملية وهو الحذر الذي لم يطلع على سره إلا القليل جداً؟ وهذا هو الصحيح؟ إذ كما قيل في الحديث الشريف (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) وبينما كنت أضرب أخماساً بأسداس، وأقلب الأمر ظهراً لبطن، وأنشغل أحياناً بتمشية أمور الكتيبة الاعتيادية وإذا ببكر صدقي يطلبني حوالي الساعة العاشرة فذهبت إلى خيمته ذات الـ ٤٠٠ رطل وحييته فأمرني بالجلوس ولنرمز إلى بكر بـ (ب) إلى ابراهيم بـ (أ).

ب : لا شك أنك تعلم بالذي سيحدث وهو في قرارة نفسه يعرف أن ابراهيم الراوي له منزلة خاصة عند آمري الكتيبتين جميل قبطان وحمدي زينل اللذان هما الآن في طريقهما إلى بغداد ولا شك في أن أحدهما أو كلاهما أخبراني لأي مقصد وهدف ذهبا نحو بغداد.

إ ـ لا علم لي بأي شيء.

ب : أكد مرة أخرى لا بل تعرف.

أ ـ أبداً لا أعرف وكنت في نفسي أقول. هل من المعقول يا بكراً أقول لك أني أعرف وأنت لم تعتمد علي وتقول لي كما سبق وقلت لزميلي جميل وحمدي :

ب ـ إذا كنت لا تعرف فالآن يجب أن تعرف ثم سرد لي الخطة بحذافيرها.

أ ـ ولكن يا بكر لا تنسى أن ياسين ورشيد عالي وطه أصدقائك فكيف تقوم بانقلاب ضدهم؟

ب ـ هل أن مصلحة الوطن أحسن أو مصلحة الأصدقاء؟

أ ـ بالطبع مصلحة الوطن ولكن من الذي سيشكل الوزارة؟

ب ــ أنت شكّلها وفي رأيك من الذي يجب أن يترأسها ؟ وكان بكر بطلبه هذا يريد معرفة اتجاهي . وأنا مع علمي اليقين بأن حكمة سيترأسها ولكن لأجل أن أبعد الشبهة قلت له جميل المدفعي يجب أن يترأسها .

ب ــ ماذا تقول بجعفر أبو التمن ؟ وهو يعلم جيداً أني أميل لجعفر المشهور بوطنيته المتطرفة وجعفر هذا من أعز أصدقائي وكانت هــذه الصداقة قد تأسست من يوم معرفتي به في عام ١٩٢١ م عندما أتى إلى المدينة المنورة مع زعماء ثورة ١٩٢٠ إذ كان أحد أقطابها البارزين حتى أنه من يومها لم يرافق الأمير فيصل مع الذين رافقوه من الزعماء وذهبوا إلى بغداد بباخرة واحدة من جدة بل تخلف عنهم بحجة تأدية فريضة الحج وبقي معارضاً لسياسة فيصل وخصماً عنيداً للسياسة البريطانية ولم يقبل أن يكون نائباً أو عيّناً بل حتى كلّف مراراً لأن يكوز وزيراً فرفض . فشكل حزب الاستقلال مع أخوانه الوطنيين الأقحاح أمثال : الشيخ محمد مهدي كبه ، ومولود مخلص ، وسعيد الحاج ثابت ، ومحمد مهدي البصير ، وابراهيم عطار باشي ، ومحمود رامز . وعبد الغفور البدري . وغيرهم وله مواقف مشهورة في الحقل الوطني أشهر من أن تذكر وكأنه علمٌ في رأس نار .

أ ــ جعفر أبو التمن ممتاز .

ب ــ هذا داخل في الوزارة .

ب ــ ماذا تقول في عبد اللطيف نوري ؟ وهو يعلم جيداً أني أميل إلى عبد اللطيف .

أ ــ هذا جيد .

ب ــ هذا داخل في الوزارة .

وبعد أخذٍ ورد : هذا داخل . وهذا غير داخل قال : « ابراهيم ــ س آني وانتهً مو داخلين » وبعدها قال لي ــ إني أريدك أن تتحرك في

منتصف هذه الليلة بكتيبتك نحـــو (الروز) وتلتحق بفرقتك المعسكرة هناك ، والتي هي تحت قيادة عبد اللطيف نوري . قلت له ولكن في هذه الليلة الكتيبة ستعسكر في العراء في تدريب ليلي يحضره آمر الخيالة اسماعيل نامق ، ومفتش الخيالة الإنكليزي العقيد براون . قال الآن أصدر أمراً إلى اسماعيل نامق ليلغي هذا التمرين . وبـــدأ يكتب أمراً إلى اسماعيل نامق بلزوم الغاء التمرين . وبينما كان يكتب دخل علينا الفريق حسين فوزي الذي كان يشغل آمرية المنطقة الشمالية بالموصل وبعـــد أن حي القائد بكر سمح له بالجلوس فقال حسين فوزي إلى بكر — : باشا سمعنا أن ستجري مناورة غداً أرجو تزويدي بالمعلومات اللازمة حيث أني أرغب في حضورها . وكان بكر صدقي لأجل أن يغطي على التمهيدات التي كان يقوم بها لأجل الانقلاب أشاع في المعسكر أن غداً ستجري مناورة . فقال له بكر سأعطيك المعلومات اللازمة . وبعد برهة دخل على بكر المفتش الإنكليزي العقيد وورن الملحق بفرقته فرغبت أن أخرج لأفسح لهما المجال للحديث فأشار علي بكر بالبقاء فجلست وعند ذاك التمس المفتش من بكر أن يعطيه صورة من الأوامر للمناورة التي ستجري غداً فوعده بذلك — كما وعد حسين فوزي من قبل — وخرج المفتش بدون أن يسمح لـــه بالجلوس .

لك درّ أباك يا بكر ! يأتيك رجل إنكليزي برتبة عقيد يشغل منصباً مرموقاً في فرقتك فهو مفتشها الأوحد ولا تسمح له بالجلوس . وتعده بأنك ستعطيه صوراً من التعليمات فلو كان غيرك من القادة يا بكر لقام إحتراماً له — بمجرد دخوله — هاشا باشا ويشير عليه بالجلوس ثم يقدم السيكارة اليه ويورثها بنفسه ثم يأمر بالقهوة أو الشاي أو أيـــة مرطبات يريدها ولحدّد له الوقت الذي سيقدم فيه تلك التعليمات ويشيعه إلى باب الخيمة عند خروجه ولكنك كعادتك التي سرت عليها وآليت على نفسك أنك ستتحدى الإنكليز وعجرفتهم لتريهم أن في السويداء رجالاً .

بعد خروج الضابط الإنكليزي صرنا نسمع أزيز طائرات. حينذاك رأيت بكر صدقي القائد المحنك الذي لا تهزّه الهزائز يرتبك ويصفر وجهه ويقول « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » فسأله حسين فوزي لم هذا الارتباك؟ وكان حسين فوزي لا يعرف شيئاً عما يدور في الخفاء ومن حقه أن يستغرب هذا الارتباك فخرجنا ثلاثتنا إلى خارج الخيمة لنرى الطائرات. وإذا بها طائرات إنكليزية تنزل في مطار الجولاء وبعد مدة وجيزة تركت المطار إلى قواعدها. وقد نزلت بقصد التدريب أو ربما كانت بحاجة إلى بنزين على كلٍ لم يطل مكوثها. ولكن بكراً توهم بأن السر قد اكتشف وأتوا لإحباط حركته فأخذ بعد رحيلهم نفساً طويلاً واستراح.

كان بكر حقاً قائداً محنكاً بجدارة واستحقاق لأنه حتى هذه اللحظة لم يعلم أحداً عن هذه التمهيدات غير قلائل وهم ١ ـ حكمة سليمان. ٢ ـ كامـــل الجادرجي ٣ ـ جعفر أبو التمن ٤ ـ عبد اللطيف نوري ٥ ـ اسماعيل صفوة ٦ ـ شاكر الوادي ٧ ـ محمد علي جواد وآمري الوحدات فقط اللذين تحركوا إلى بغداد والشخص الذي سيوزع المناشر في بغداد في يوم ٢٩ وكذا ابراهيم الراوي الذي أخبر بالموضوع في هذه اللحظة ولم يشأ أن يخبره في الليلة الماضية لئلا يكثر عدد العارفين حتى أن الفريق الركن حسين فوزي، الذي هو الآن جالس عنده، والذي يعد خامس شخص في الجيش، لم يخبره بكر بالأمر لا لعدم ثقته به ولكن لا توجد فائدة بأخباره وهو يعلم أن كل سرٍ جاوز الاثنين شاع حتى أن العرب تعتبر الاثنين الشفتان.

وحيث أن الشيء بالشيء يذكر أقول أن الضباط الأحرار عندما كانوا يتهيئون للقيام بثورة ١٤ تموز وكانوا مرّة اجتمعوا في أبي غريب وكان عددهم حوالي ١٥٠ ضابطاً بما فيهم من الضباط المتقاعدين كطاهر

يحيى ومحمد سبع وغيرهما وكان من المفروض أن الفوج الذي كان بإمرة عبد الغني الراوي أن يشترك معهم ولسبب للتوقيت أو لسبب آخر لم يتمكنوا من القيام بالأمر في تلك الليلة فرجعوا إلى دورهم وإلى وحداتهم فشاع الخبر في اليوم التالي حتى أن بعض الضباط عندما أتى إلى النادي أخذ البعض من الضباط يعاتب أخاه الضابط قائلاً: طالما عندكم فكرة مثل هذه فلم لم تخبرني بها لانضم اليكم؟ وقد تكررت هذه مراراً حتى أنهم أرادوا مرة أن يوجهوا مدافعهم على الملك والوصي ونوري السعيد أثناء الاستعراض، ومرة أخرى أرادوا العمل ضدهم في معسكر « H ٣ » ولما تفشل المحاولة يشاع أمرها حتى أن مدير التحقيقات الجنائية بهجة عطية كان يذهب إلى وزير الداخلية سعيد قزاز ويقول له: سيدي إن الجيش سيقوم بثورة ضد العهد الحاضر فيذهب القزاز بدوره إلى نوري السعيد ويخبره بالأمر ولكن نوري لا يهتم بالأمر. ومرة ثانية وثالثة يخطروهم ويقولوا لهم: أننا نحن أيضاً سيلحقنا الضرر ولذا نخبركم لتهتموا بالأمر ولكن الجماعة كانوا سادرين يعتقدون أن الجيش يحبهم وأنه لا يقوم بأية حركة ضدهم حتى أن الملك حسين في عمّان قال لرئيس أركان الجيش رفيق عارف: أن الجيش العراقي سيقوم بثورة فرد عليه رفيق بأنه لا يمكن أن يقع شيء مثل هذا وربما كان رفيق عارف يعتقد مثل أسياده عبد الإله ونوري أن « الجيش في الجيب ».

نعم أيها النبلاء النبهاء! قبلكم كان فاروق الذي كان يدعى « ملك مصر والسودان » كان يعتقد بأن الجيش المصري بجيبه ولا يتوقع منه أن يقوم بثورة ضده. إني أسألكم أيها المستهزؤن: أي جيب هذا الذي يسع جيشاً كالجيش المصري أو العراقي وفيه أمثال عبد السلام محمد عارف، وجمال عبد الناصر، اللذان قام كل منهما بثورته بإيمان وعزم ضد الطغيان فدكا العروش وأزالا الأحلاف وطردا الإنكليز من قواعدهم في: السويس والحبانية والشعيبة؟

نرجع إلى الموضوع . كان بكر صدقي يمهّد للانقلاب بسريّة تامة حتى آنذاك . كان ثلاثة من أساطين البعثة الإنكليزية في « جلولاء »
١ ــ مفتش الجيش الفريق ووتر هاوس جاء إلى المعسكر ليحضر رمي المدفعية .
٢ ــ مفتش الخيالة العقيد براون كان يحضر تدريب لواء الخيّالة الإجمالي .
٣ ــ العقيد وورن الملحق في فرقة بكر صدقي وهؤلاء الثلاثة لا شك في أن جميعهم أعضاء في الاستخبارات البريطانية « الانتلجنت سرفيس » المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، وشركة نفط العراق وجواسيسها كل هؤلاء مع الحكومة العراقية ، وكذلك جواسيس بهجة عطية لم يتمكن أي منهم أن يأخذ أي خبر عما قام به بكر حتى ساعة الصفر لوقوع الانقلاب بحسب الخطة الموضوعة . والأعظم من هذا كله أن معاون رئيس أركان الجيش ، أمين العمري ، كان قد عاد مع حميد الخوجه من الحدود الإيرانية في يوم ٢٨ــ١١ــ٣٧ ورأى بأم عينه فرقة بكر صدقي التي كانت معسكرة في « قرة تبه » تركت معسكرها وأتت «الجلولاء» وهذه عملية كان يجب أن تجري ضمن معلومات رآسة أركان الجيش ولغياب طه الهاشمي كان يجب أن تكون بأمر أمين العمري الذي أصبح نائباً لرئيس أركان الجيش إن لم يكن بمعرفته . ولما رأى العمري حركة الفرقة هذه التي جرت بدون علمه ، سأل رئيس ركن الفرقة شاكر الوادي عن سبب هذا التنقل؟ فقال له شاكر لا أدري وكل ما أعرفه أن القائد بكر صدقي أمر بذلك ، وحيث أن بكراً كان آنذاك قائداً للفرقة ، وفي الوقت نفسه وكيلاً لرئيس أركان الجيش باعتباره أقدم ضابط بعد طه ، لم يتجرأ أمين أن يسأل بكراً عن ذلك ولو كان القائد غير بكر لوجه أمين العتاب التالي له « بقي لليش هكذا تعمل؟ تنقل مثل هذا بدون استئذان ؟ » ولكن هذا بكر الذي « لا ينحط بالعبّ » . وهكذا بقي أمر التهيؤ مجهولا لدى الجميع .

نرجع إلى موضوعنا ونقول أن بكر صدقي سلّمني الأمر الذي كتبه

إلى اسماعيل نامق ، آمر الخيالة ، وأمرني بصورة خاصة أن لا أخـــبر اسماعيلاً بالحركة وتمهيداتها ومع أنه لا يميل إلى اسماعيل ، كذلك فهو لا يريد أن يكثر عدد العارفين بالسر . فقلت له كيف لا أخـــبره وهو آمري واليوم صباحاً تحركت كتيبتان نحو بغداد بدون علم منه خاصةً ونحن نتعشى سوية هو يرى الغـــاء التمرين الليلي والكتيبة مشغولة لتهيئة نفسها للحركة ؟ قال لي قل له : « إن أحد ضباط الركن جائني بأمر من القائد بلزوم تهيئة الكتيبة للحركة » . فخرجت منه وأصدرت أمراً إلى الكتيبة : « إن التمرين الليلي الغي ولكن على الكتيبة أن تهيء نفسها للحركة في الساعة ... أي في الدقيقة الواحدة بعد منتصف الليل من يوم ٢٩ نعم الكتيبة تتهيأ للحركة وسوف تلتحق بالفرقـــة بالروز لتكون احتياطاً للقوة التي زحفت نحو «بغداد» ولا يعلم أحد القصد والهدف من هذه الحركة . لامعاوني محمود سلمان ، ولا آمروا السرايا : صبري عبد القادر ، وشوكة الخيّال ، وعباس حلمي ، وأيوب صبري . وفي مساء ذلك اليوم كنا نلعب الكرة والصولجان في المطـــار بقصد السباق النهائي لإحراز الكأس وكان بكر حاضراً يتفرج على اللعب باعتبـــاره ضابط خيّال ويشجع هذه اللعبة — وإذا بسرب الطائرات الذي كان تحت إمرة خالد الزهاوي يترك بغداد بدون علم آمره ويحوم حول المطار الذي أخليناه نحن لاعبوا البولو وإذ بالسرب ينزل وكان تحت قيادة الطيار محمد علي جواد . وبعد الانتهاء من البولو أصدر بكر بعض التعليمات إلي مثلاً بخصوص العتاد ومقداره وفي أي وقت وفي أي محل سيصل ، وبعدهـــا ذهبت إلى مقرّ الكتيبة لأشرف على تهيئتها للحركة وبينما كنت جالساً جائني اسماعيل نامق لنتعشى سوية فأخبرته بالذي سيقع خلافاً لما أمرني به بكر على أساس أن اسماعيل أولاً آمري المباشر ثم إن لي صلة صداقة به فهو أحد الضباط الذين اشتركوا في « الثورة العربيـــة الكبرى » في الحجاز فلم يصدق عقل اسماعيل نامق ما قلته . فأكدت ما سيقع فبهت

فقلت له زيادة للتأكيد : إرسل على آمر القوة الآلية حسين جاهد الذي هو من مرتبات لواء الخيّالة ولكونه هو أيضاً أخذ أمراً مباشراً من بكر صدقي وسيتوجه نحو « الروز » فأرسل عليه وسأله فأجاب بالإيجاب . وهكذا تحركت كتيبتنا الهاشمي والرماحة الثانية صباح يوم ٢٨ – ١١ وها أن الكتيبة الثالثة والقوة الآلية ستتحركان صباح يوم ٢٩ – ١١ نحو «الروز» وسيبقى آمر الخيالة بمفرده بدون وحدات أي كما قيل « حدّاد بدون سندان » .

وصلنا « الروز » بعد بزوغ الفجر وكان أول من لقيته رئيس ركن الفرقة اسماعيل صفوة فقلت له بعد التحية والسلام «سوّيتوها يا ملاعين» أقصده وقائد الفرقة عبد اللطيف نوري والآخرين بما فيهم بكر صدقي . فأراني اسماعيل صفوة المحل الذي يجب أن تعسكر فيه الكتيبة فعسكرت وذهبت تواً إلى خيمة عبد اللطيف نوري – وكانت الشمس على وشك الإشراق – فرأيته مرتدياً بيجامته ويحلق لحيته فحييته وسمح لي بالجلوس ولما كان عبد اللطيف من أعز أصدقائي ، وهو أحد الذين اشتركوا في الثورة العربية في الحجاز ، وأشركنا المساعي سويةً هناك ، وكذلك لما كنت آمراً للحرس الملكي في بغداد كان قد طلبني فاشتغلت كضابط ركن في الإدارة بمعيته ومن ثم أصبحت معاونا لمدير الإدارة وهو كان مديراً للإدارة وكنت أثق به ويثق بي كثيراً ، فقد كلّمته بصريح العبارة وقلت له : « إنك يا عبد اللطيف تعدّ الرجل الثاني في الإنقلاب وعليه خذ حذرك من بكر فإنه لا يؤمن شرّه » . فطمئنني ، ولكن أنّى له ذلك وهو إمام الداهية بكر ؟

بعد أن انتهى عبد اللطيف من الحلاقة والفطور ، لبس بزّته العسكرية وجلسنا في خيمة القيادة وبعد مدة وجيزة دخل علينا الفريق ووتر هاوس فجأةً فأردت أن أخرج لأخلي لهما الجو ولكن عبد اللطيف أمرني بالبقاء فبقيت وإذ ذاك سأل الجنرال من عبد اللطيف عن القائد بكر صدقي فرد

عليه إنه في المناورة . فقال له أي مناورة هذه ؟ قل لي هل من وراء هذه الحركة ما يتعلق بنا ؟ فأجابه بالنفي وأن هذا أمر بيننا نحن فقط . فترك الجنرال الخيمة ، واتجه نحو « بعقوبة » ليتعقب بكراً . وبعد هنيهة دخل الفريق حسين فوزي بعد أن طلع على « جبل حمرين » ليتفرّج على المناورة المزعومة ولما لم يجد لها أثراً جاء إلى مقر قيادة عبد اللطيف الذي أعطاه بعض المعلومات عن الحركة لأن الأمر قد انتهى وها هي وحدات الخيالة والمدفعية والمشاة بالقرب من سدة ناظم باشا المحيطة ببغداد ، وها أن سرب الطائرات يحوّم فوق بغداد . ولما كانت الوزارة بعد اطلاعها على المناشير لم يتيسر لها الاجتماع لتفرق أعضائها ، بدأت الطائرات تلقي حممها فوقعت إحداها قرب وزارة الدفاع ، وأخرى قرب مجلس الوزراء فشرع الموظفون يتركون الدوائر ويتوجهون إلى دورهم وقد ساعد تساقط القنابل على إنهاء الأزمة فاتصل الملك غازي ببكر صدقي وطلب اليه الامتناع عن الاتيان بأية حركة . وفي الوقت نفسه استدعى حكمة سليمان وكلفه بتشكيل وزارته . أما من كانوا هم ؟ وكيف اشتغلوا ؟ وهل هم كانوا متجانسين ؟ وكيف انشق البعض منهم ولماذا ؟ فإن كل ذلك ذكره المورخ الأستاذ عبد الرزاق الحسني في الجزء الرابع من كتابه (تاريخ الوزارات العراقية) فليراجع من يريد الاستزادة من هذه المعلومات، ولكني أحبّ أن أذكر سبب خروج جعفر العسكري من «بغداد» نحو الجيش الزاحف . ويقال أن رئيس الوزراء الهاشمي في أثناء اجتماعه بوزرائه كان ينظر إلى جعفر شزراً وكأنه يقول له : أين أنت يا وزير الدفاع ؟ وأين استخباراتك ؟ . الأمر الذي جعل جعفراً أن يقرّر الخروج بنفسه ويعالج ما يمكنه أن يعالجه فأوفد الضابطين عبد المطلب أمين وحسيب الربيعي ومعهما أوامر صريحة إلى كل من : عبداللطيف نوري ، واسماعيل نامق ، وسعيد التكريتي ، وآمر المدفعيـــة اسماعيل حقي . ثم استقل « جعفر » سيارة أمين العمري واصطحب معه الحاج شاكر القرة غولي ويوسف العزاوي وتوجهوا نحو

« بعقوبة » معتمداً على سمعته ومكانته . إذ كان رحمه الله أول وزير للدفاع في سنة ١٩٢٠ في وزارة عبد الرحمن النقيب الأولى، ويعدّ المؤسس الأول للجيش العراقي ، وكان محبوباً منه لسلامة قلبه ، ولحسن معاملته الأبوية ، ولكن لم يكن يعلم بما يخبئه له القدر وإذا بأول من يلاقيه النقيب اسماعيل عباوي فأوقفه في محله وأخبر بكراً عنه ، وبقي بكر محتاراً ثم قرر حالاً قتله فجمع ثلةً من الضباط وسأل منهم قائلا : — من الذي يقتل جعفراً فليخرج ؟ وإذ بالضباط جميعهم ينكسون أعينهم إلى الأرض ولم ينبس أحد منهم ببنت شفه ، فاضطر بكر أن ينتخب القتلة بنفسه هو فأشار على أربعـــة ضباط وهم — : جميل فتاح وجمال جميل ولازار برودرومس وجواد حسين وقال لهم : اذهبوا واقتلوه جعفر . فانبرى راسم سردست واسترحم من بكر أن يعدل عن رأيه هذه فلم يقتنع بكر وليته قبل هذه النصيحة إذن لهان الأمر ولم يلطخ يده بقتل جعفر . وعلى قاعدة « بشّر القاتل بالقتل » فإن هذه العملية ستكلفه غالياً — وكان ذلك فعلاً — وبكر يعلم حق العلم أن الشخص في الحرب إذا قتل ، أو أسر ، أو جرح فحكمه واحد ، أي خرج من الصف إذن فليصدر أمراً بتوقيفه إلى نهاية المعمعة إذا كانت له أو عليه ولكنه صمم في ساعة شيطانية على قتلة وهكذا ذهبوا بالضحية واشتركوا أربعتهم في إطلاق الرصاص عليه حيث قضى نحبه وقد نقل لي هذه القصة لازار في عام ١٩٤٤ في «فيينا» بالنمسا رحمك الله يا أبا طارق فإنك لا تستحق هذه القتلة الشنيعة .

انتهى الانقلاب وباشر حكمة بتشكيل الوزارة التي كانت مهيئة أسماء أعضائها وإذا بعبد اللطيف نوري يتلقى برقية من بكر ليتوجه إلى بغداد حيث أصبح — وزيراً للدفاع — فقال لي مازحاً اكتب إلى أحمد المناصفي (أبو ملوكي — يعني نفسه — يقول شيل غراضك) فأبرقت اليه بذلك وكان المناصفي قد بقي سكرتيراً لوزارة الدفاع ما ينوف على العشر سنوات وهو عنصر جيد وكفوءٌ لمنصبه وفي الوقت نفسه صديق حميم

لعبد اللطيف نوري ولكن بكراً لم يرتح اليـــه لأنه كان منسوباً لنوري (فشيّله أغراضه) حتّى أنه أراد أن يغتاله . توجه عبداللطيف إلى بغداد وكان يوم جمعة . أتاني كامل شبيب وكان آمر فوج وقال لي لنذهب إلى سعيد التكريتي – وكان آمر لواء مشاة – لنتغدى عنده فذهبنا وتغدينا سويةً وإذا بأحد أخواننا من الضباط الأكراد يرسل إخبارية إلى بكر صدقي يقول له فيها : – أن ابراهيم الراوي وسعيد تكريتي وكامل شبيب اجتمعوا وبدأوا يشاغبون ضدك . وكانت هذه الإخبارية أول ما وقعت بيـــد اسماعيل عباوي الذي أصبح مرافقاً لوزير الدفاع فاطلع عليها وتملقاً لي أعطاها إلى حقي الراوي الذي كان مرافقـــاً لرئيس أركان الجيش طه الهاشمي ، فأصبح مرافقاً لبكر صدقي . وحقي بدوره كتب إليّ : – يا خالي وردت إخبارية إلى بكر صدقي مآلها كذا وكذا . وعندها كتبت إلى بكر « قائلاً » – بلغني أنه وردتك إخبارية بكذا وكذا وجواباً عليها أقول : نعم في ثاني يوم الانقلاب – وكان يوم جمعة – أتاني كامل شبيب وطلب مني أن نذهب ونتغدى مع سعيد التكريتي وبالفعل تغدينا سويةً . هذا كل ما حصل . وأنت تعلم حق العلم أني كنت في صباح يوم ٢٨ على علم بأن انقلاباً سيقع ، وأنه كان بأمكاني أن أخبر بغداد به ، ولكنني لم أفعل ذلك وكنت أعرف أنك ستحل محل طه ، وأن حكمة سيحل بمحل ياسين ، وأني كنت غير راضٍ عن قتل جعفر ، ولكن انتهاء الانقلاب بدون سفك دماء كثيرة يهون علينا الأمر . وليس من المعقول يا بكر أننا من الآن نشتغل ضدك ولم يصدر عنك إلى الآن ما يريب . ونحن القوميون يهمنا أن من يخدم هذا البلد أن يتبع سياسة قومية ، وأنا شخصياً حاربت الأتراك في سبيل الاستقلال وتشكيل وحدة عربية ، وهذه الرغبة ليست وليدة عشق أو غرام بل إن رغبة تشكيل وحدة عربية وليدة حاجة بل حاجة ماسة جداً إذ العراق ، وهو محاط بالأتراك والإيرانيين والافرنسيين في سوريا ولبنان وبابن سعود تجعلني أنا ابن العراق أن أتطلع إلى أشقائي وأبناء عمومتي

ليصدوا عني عوادي الدهر ، والعراق عاجز جداً عن أن يرد اطماع الطامعين لوحده وهذا ما يجعلني أن لا أتخلى عن هذه الفكرة من أجل خاطر (٤٧٥٠٠٠) كردي وأنهيت كتابي وأرسلته اليه فجائني هذا الرد :
عزيزي ابراهيم — استلمت رسالتك وعلمت بمضمونها . وفي الحقيقة كانت وردت إخبارية عنك ولكن كان حظها سلة المهملات . وإني أقدر شعورك ، وإني من الداعين لنصرة قضية فلسطين والقضايا العربية وو ... الخ . ولكن بكراً حالاً أصدر أمراً بنقل كتيبتي إلى الموصل ، مع أنها من مرتبات وحدات بغداد ، فتركنا الجلولاء ووصلنا (الحدباء) بعد أسبوعين من المسير الطويل . وقد أراد إبعادي وكذلك بعد أيام معدودات نقل أمين العمري الذي كان معاون رئيس أركان الجيش إلى آمرية منطقة الموصل ، ونقل فهمي سعيد إلى الموصل ، وآخرين إلى محلات أخرى ، حاسباً الحساب اللازم أن يطشر الضباط القوميين هنا وهناك ، ويقرب اليه الذين يثق بولائهم أمثال : شاكر الوادي ، وبهاء الدين نوري ، واسماعيل صفوة ، وحمدي زينل ، وعلي غالب اسماعيل ، وغالب الحاج عريان ، وحسين الدليمي ، ومن لف لفهم الذين يلبسون لكل حلة لبوسها . ولكن يا بكر هذا الجيش العراقي الذي يضم بين جنبيه الصيد الأشاوس من ضباط قوميين سيرقبون حركاتك وسكناتك وعندما يرون أن ما وراء الأكمه ما ورائها ينقضون عليك انقضاض الصاعقة ويجعلوك في عداد الأموات وهذا — ما حدث — ولست بذاكر تلك الأحداث التي أوجبت قتله إذ هي معلومة ومدونة في كتاب الوزارات للأستاذ عبدالرزاق الحسني وغيره من المؤرخين .
وإني والله ما كنت أريد أن يقتل بكر صدقي إذ أنه كان من خيرة قوادنا ، بل كان أحسن قائد في الجيش العراقي . وحتى أنه كان يفوق طه كقائد إذ أن طه لم يشغل في الجيش غير آمرية منطقـــة الموصل ورئاسة أركان الجيش ثم وزارة الدفاع وهي لا تؤهله لأن يكون قائداً إذ القائد لأجل أن يصبح بحق قائد ، عليه أن يقود الوحدات الفعلية ويشترك كقائد في

المناورات ، ويدخل بالفعل في الحروب وفي قمع الثورات — وهذه كلها كانت توفرت لبكر وشغلها فعلاً وأصبح قائداً يشار اليه بالبنان — ولو مد الله بعمره وبقي واشترك كقائد في حربنا مع إسرائيل في عام ١٩٤٨ لكان الوضع قد تغير رأساً على عقب . إذ أن بكراً ما كان ليتأثر بأي سياسة إنكليزية أولاً ثم ما كان يتأثر بأي ممالئة أو منافقة أو حتى مصانعه لعبد الاله أو لفيصل أو لعبد الله أو لنوري السعيد أو لأي شخص آخر . وهو لا يشبه أخواننا القادة الذين كانوا آنذاك هناك أمثـال : صالح الجبوري أو نور الدين محمود أو رفيق عارف أو غيرهم . وأن الأعمال المخزية والنتائج المؤلمة التي حصلت هناك وكانت تقشعر لها الأبدان وهي معلومـة لدى الخاص والعام — لم ترض الرجل الشريف مصطفى راغب التركماني إذ استقال من منصبه كقائد إذ كيف يمكنه القائد أن يعمل كما يجب وكما تقتضيه المصلحة العامة والحالة كانت كما شاع عنها في حكاية (ماكو أوامر) وأمثالها . قاتلكم الله أيها الذين سببوا لنا الخزي والعار في تلك المعركة .

نعم كان بكر أكثر من أي عراقي . كان يناوىء السياسة الإنكليزية ، وكان يتحداهم سراً وعلانية . رحمة الله عليك يا بكر فإنك لم تكتف بنقلي بكتيبتي من بغداد إلى الموصل ، بل نقلتني شخصياً من الموصل إلى قيادة الرماح الثانية المعسكرة في (آلتون كوبري) ونقلت بدلاً عني لآمرية كتيبتي حمدي زينل الذي كنت تثق به كثيراً .

انتهت هذه الصفحة بقتل بكر في الموصل بالطريقة المعلومة ، فطير أمين العمري برقية إلى بغداد قطع بموجبها علاقته بحكومتها الأمر الذي أوجب في النهاية أن يستقيل حكمة سليمان ويأتي جميل المدفعي ويشكل وزارة ويصبح أمين العمري مرموقاً ، وأصبح الرجل الثاني في الجيش إذ صار الفريق حسين فوزي رئيساً لأركان الجيش بحسب قدمه وكان هذا الرجل محبوباً لطيب عنصره ، وحسن طويته ، وصدق لهجته ، إذ أنه ضابط

ركن قدير وذو خصال حميدة .

كنت حينذاك في النمسا بأجازة مرضية لمعالجة أسناني فسمعت بمقتل بكر صدقي ، وإذا بزوجته النمساوية تقابلني ، وهي السيدة التي كان بكر قد تعرف عليها عندما كانت ممرضة لجميل فهمي . أتتني تستشيرني إذ أزمعت الذهاب إلى بغداد وتسألني : من الذي سيستقبلني في (تل كوجك) عند وصولي اليها ؟ فقلت لها أي تل كوجك ؟ وأي استقبال ؟ عليك الآن التريث هنا حتى ينجلي الموقف .

بعدها تركت فينا وذهبت بالقطار إلى (تريسته) لأخذ الباخرة منها إلى بيروت فبلغتها ، وعند وصولي اليها حجزني الافرنسيون إذ كانت استخباراتهم قد أنبئتهم « بأن ابراهيم حمدي سيغتال نوري السعيد في بيروت » وصادف قبيل وصولي إلى هذه المدينة أن وصل اليها نوري وحيث أن اسمي ابراهيم حمدي حصل التباس بالتسمية إذ كان المقصود في الاستخبارات ابراهيم حمدي النائب ، وأما اسمي فكان ابراهيم حمدي الراوي . والخبر من حيث هو مغلوط وملفق ، إذ ابراهيم حمدي النائب أبعد الناس أن يقوم بعمل مثل هذا وأنا بهذه المناسبة أذكر حادثة مماثلة في ملابسة الأسماء حدثت في صالحي وهي في عام ١٩٢٥ عندما كنت آمراً للحرس – الملكي لفيصل الأول وكانت توفت زوجة الحسين ابن علي التركية ، والدة الأمير زيد ، في قبرص وكان الشيخ ابراهيم الراوي أرسل برقية يعزي فيها الحسين فأتت برقية الشكر باسمي الصريح – : آمر الحرس الملكي ابراهيم الراوي . نشكركم على تعزيتكم . الحسين .

إن مدير الأمن الفرنسي في بيروت المسيو كولومباني قد حجزني في دائرة الأمن ومنع الاختلاط بي ثم طلب إليّ أن أغادر بيروت حالاً إلى بغداد فطلبت منه أن أذهب إلى دمشق فقال لازم حالاً ورأساً تسافر إلى بغداد . فقلت له : لماذا هذه المعاملة الشاذة ؟ فقال أنت مرفوض وبقائك

في بيروت غير مرغوب فيه . فاتصلت تلفونياً بممثلنا في بيروت وهو يومئذ طالب مشتاق وأخبرته بالأمر فقال – إن الافرنسيين بعد مقتل بكر صدقي صاروا يحاذرون الشخصيات العراقية البارزة ومع هذا فإني سآتي إلى الأمن لمعالجة الموقف . وقبل أن يصل طالب ، سفرني كولمباني إلى دمشق بحراسة شرطة سرية بعد تفتيش حوائجي تفتيشاً دقيقاً آملين أن يجدوا سلاحاً ولكن الجرائد صدرت في اليوم التالي في بيروت وفيها خبر بالقلم العريض أن الباخرة الفلانية وصلت إلى بيروت وكان فيها ابراهيم حمدي المتهم بالتآمر على اغتيال نوري السعيد ، وبعد التفتيش وجد عنده سلاحاً وجرى تسفيره حالاً إلى بغداد .

وصلت إلى بغداد في أيلول ١٩٣٧ وبعد أيام أرسل علي رئيس أركان الجيش – حسين فوزي – وكلفني بمديرية التجنيد العامة وقال : أن ضباط التجنيد من المدير العام إلى أصغر ضابط كلهم متقاعدون ، وأعمالهم غير مرضية ، وأريد منك أن تتولى هذا المنصب لما أعهده فيك من همة وعفة ونشاط وو .... الخ فقلت أمرك مطاع يا سيدي ولكني غير راغب في هذا المنصب لأني لا أريد بل أفضل البقاء في قيادة الوحدات الفعالة المشغولة في التدريب والمناورات لأصبح في المستقبل قائداً بجد واستحقاق إذ كان الشائع آنذاك أن التاآت غير مرغوبة إن لم أقل مبغوضة ومكروهة أمثال : مديرية التقاعد العامة ، ومديرية التسوية العامة ، ومديرية التجنيد العامة ، ومديرية التدوين والتفتيش العدلي ، ومديرية التفتيش في الداخلية ، إذ عندما مثلاً في الداخلية إذا كان متصرف غير ناجح ينقلوه إلى التفتيش ، وفي العدلية إذا كان الحاكم غير ناجح ينقلوه إلى التسوية أو إلى التفتيش العدلي ، وهذا بالطبع غير صحيح إذ كيف يعين في الداخلية مفتشاً والمفروض فيه أنه يذهب ليفتش المتصرفين ويحاسبهم على الصغيرة والكبيرة ثم يأتي للداخلية ليقدم التقارير عنهم ؟ وعليه فالمتوقع فيه أن يكون في سوية المتصرفين مقدرة وكفائة إن لم أقل يجب أن يكون أكثر مقدرة وكفائة وهكذا في

العدلية . المفتش العدلي الذي يذهب ليفتش رئيس محكمة كبرى اليس من المعقول أن يكون هو في مستوى ذلك الرئيس إن لم يكن أكثر اقتداراً ؟ ولئلا يقال عني أنني ضابط غير ناجح . وقد نقل إلى مديرية التجنيد العامة لذا رجوت رئيس أركان الجيش – إذا كان مصراً على نقلي بقصد المصلحة العامة – أن أقبل بشرط أن لا أبقى في هذا المنصب أكثر من سنة واحدة فقبل رجائي وقال أن ملاك المنصب الحالي عقيد ، وسأجعله عميد من أجلك إذ كنت آنذاك عميداً وقال سأزيد في الملاك عــدد الخيل التي تحتاجها لممارستك لعبة الكرة والصولجان فاشتغلت فيها مدة سنة واحدة وعملت فيها العجائب ولا فخر وسأنقل اليك بعضها وبعد انتهاء السنة أراد رئيس أركان الجيش أن يبقيني فيها ويجعل ملاكها أمير لواء لأجلي .

في مدينة التجنيد العام

وعدتك يا قارئي الكريم أن أنقل اليك بعض ما قمت به من أعمال لخدمة الجيش ولأثبت حسن اختيار رئيس الأركان لي وحسن ظنه بي :

١ ــ وردتني إخبارية ذات يوم ومع أن الإخبارية لا يؤخذ بها رسمياً لأن صاحبها ــ على الأكثر ــ يكون مغرضاً أو جباناً . يقول المخبر : « إنه وفلان ــ وسمى اسمه ــ من مواليد عين السنة ولديه عين الأعذار وقد أخذوني جندياً ولم يأخذوا صاحبي » وبعد التحقيق ظهر لي أن المخبر كان صادقاً . وأن السبب الذي جعل أن لا يأخذوا صاحبه إلى الخدمة هو أنه كان محسوباً على المختار ، وللمختار منزلة خاصة في لجنة التجنيد ، وهذه مقايضة : اليوم المختار له محسوب يعفى بطريقة من الطرق ــ وما أكثرها ــ وغداً لضابط التجنيد شخص محسوب ، ويوم آخر العضو البلدي أو الطبيب أو رئيس اللجنة إذا كان المتصرف أو القائمقام أو من ينوب عنهما لهم محاسيب ، وهكذا دواليك . المحسوبية أو لقاء رشوة أو لقاء سهرة حمراء أو على منضدة خضراء أو ... أو ... الخ . بمعنى أن الذي له واسطة أو ظهر قوي وله معاذير يغض الطرف عنه ، وضابط التجنيد يجاريهم على حساب الجيش ، وهو ربما كان أحيل على التقاعد لعدم كفائته أو لاختلاس ، أو لسوء سلوك . وبدلاً أن « يشد حيله » ويخلص لواجباته فإنه

يتهاون وهكذا تسوء الأحوال ، ويحصل التذمر من الحكومـــة ويخسر الجيش عناصر كثيرة . وهذا ما حدى برئيس الأركان أن يكلفني للمديرية لأصلح ما يمكن إصلاحه وعليه أرسلنا على الشخص حالاً وجندناه بعد فحصه حسب القانون فاتفقنا على أن :

١ ــ يؤدي الخدمة العسكرية مضاعفة .

٢ ــ لا يقبل منه البدل النقدي .

عند ذاك صاحب المختار شمر عن ساعد الجد فأرسل إليّ أشخاص من نواب وأعيان وغيرهم لقبول البدل النقدي فلم أقبل وساطة أحد ، وقد ذهبت يوماً إلى الكوت بقصد التفتيش فدعاني محمد الأمير في « الحسينية » وبينما كنا نتناول الطعام وكان المنصرف آنذاك ماجد مصطفى معنا ، التفت إلي قائلاً : أن الرجل الذي أخذتم قريبه جندياً علم أنك هنا وقصدي لأتوسط له بقبول البدل . فقلت له : لا يمكن . فقال كيف وأنت على سفرتي ولا تقبل رجائي ؟ فقلت له تأتي إلى بغداد وأطعمك بدل طعامك هذا ، فضحكنا ولما عدت إلى بغداد دخل علي الرجل نفسه وبيده توصية من رئيس أركان الجيش وهو « مشيتر »[1] معتقداً بأن أمره قد انتهى . فقلت له : أن رئيس أركان الجيش رئيسي وآمري لكني لا أطيعه إلاّ في حدود القانون . وبعد أيام دخل عليّ الرجل نفسه ومعه شخص مرسل من قبل الأمير عبد الاله ــ وكنت آنذاك اتردد على سموه ــ فأجلستهما ووجهت كلامي إلى صاحب الحاجة قائلاً : أنك جئت بوساطات عديدة من نواب وأعيان ومحامين وغيرهم ، ومن ثم استنجدت بمحمد الأمير وبعدهـــا برئيس أركان الجيش ، والآن بسمو الأمير عبد الاله ولم يبق سوى الملك غازي فقط يتوسط أمرك فلو أن الملك توسطك فإني لا أقبل وساطته لأن القانون يجب أن يأخذ مجراه وهكذا انتهى أمره .

---

(١) مشيتر تعبير عراقي معناه فرحان ومسرور وجاء بحيل صدر .

٢ ـ كان الشيخ ابراهيم الراوي ـ رئيس الطريقة الرفاعيّة ـ يبعث إليّ بشفاعات كثيرة معتقداً أن شفاعاته ستأخذ مجراها ولو كانت القضايا خلاف القانون على أساس أن سماحته شيخ الزّاوية وأنا راوي . وأنا مع تقديري للشيخ الجليل ، صرت لا أفتح مكاتيبه بل استمع من الشخص شكواه فإن كانت ضمن القانون ساعدته بحلها ، وإن كانت لا ، فإن الوساطة لا تحـل ولا تربط إذ على كل موظف في الدولة . أن يسهّل الأمور ويمشيها وفقاً لقوانين الدولة وهو كأجير شأنه شأن الحدّاد أو النجار أو البناء يؤدي واجبه لقاء أجر معروف ، ويتصرف تصرفاً عادلاً فـ « عدل ساعة خيرٌ من عبادة ستين سنة » . .

٣ ـ في أحد أيام رمضان ذهبت إلى المتصرّفية في بغداد لمراقبة أعمال لجنة التجنيد . أقول لأراقب لأن ليس لمدير التجنيد العام حق المداخلة بأمور اللجنة إلا إذا رأى ما يخالف القانون . وبينما أنا هناك دخل شخص وإذا باللجنة تصبح في حيص بيص ! فدنا مني أحد أصدقائي حسين عبد الهادي ـ الذي أصبح مؤخراً رئيس غرفة التجارة ـ وبصفته العضو البلدي رجاني مساعدة الشخص بإعفائه من الجندية ، وإذا بنائب رئيس اللجنة ـ لأن المتصرف لم يحضر فأرسل من ينوب عنه ـ يريد مساعدة الشخص نفسه أيضاً . وكان ضابط التجنيد يريد المساعدة ضمناً . فما كان مني إلاّ أن أنسحب من الجلسة وأذهب إلى المتصرف وكان المرحـوم أمين خالص وتربطني به صداقة قويّة فقلت له : أمين أكلمك كصديق وليس كمدير عام يخاطب متصرفاً رأيت في اللجنة كذا وكذا وجئتك لتحل المشكل » قال والله أبراهم أنا أيضاً موصى بمساعدة هـذا الشخص .. إذ جاءني صديقنا ناجي الخضيري ووصّاني به . عجيب والله لماذا هذا الاهتمام كله ؟ المتصرف ونائبه ، والعضو البلدي ، وضابط التجنيد ، والمختار ، أي اللجنة بأجمعها تريد مساعدته ؟ قال : لأرسل عليه لأراه أولاً . فأتى الشخص ووقف أمامنا ثم أمره بالخروج . فأدار المتصرف وجهـه إليّ

وقال : « ابراهيم هذا بيه ... سنوات للعمل به » .

لا تنسى أيها القارىء أني قلت أننا في رمضان ، وأمين خالص صائم وأنا صائم ولكن صديقنا أمين أديب وأريحي ولما تأتي النكتة يدهديها وإن كانت لا تناسب المقام وخاصةً في رمضان . والذي جعـل أمين يقول قولته هذه : إن هذا الشخص كان في عنفوان شبابه وكأنه « فصّ المآس » والمطلوب من اللجنة أن يقدروه بعمرٍ عالٍ حتى يخلصوه من الجندية كاحتياط . ولكن لم كل هذه الضجةً لهذا الشخص ؟ الجواب : لأنه كان يهودياً ومرموقاً فهم يريدون تخليصه من الجندية . فكيف يخلصونه؟ اليهود لهم طرق معلومة وجهنمية ففي مثل هذه الأحوال يقبلون الأمر على أوجه عديدة مثلاً : ابراهيم الراوي من أي نقطة ضعيف يؤخذ؟ ؟ رشوة . ليال حمراء ، منضدة خضراء ، فإن كان لا هذا ولا ذاك فهل هو بحاجة للتوسط لدى المسؤلين ليرفعوه أو لينعموا عليه بوسام؟ لا . إذاً ليأتوه من باب آخر فإن رئيس اللجنة أمين خالص فما الذي يغريه وهم مستعدون لتقديم حتى أولادهم أو نسائهم إذا لزم الأمر لتحقيق غاياتهم ؟ فإن كان لا هذا ولا ذاك إذاً فمن هو أعزّ صديق له ولابراهم الراوي؟ إنـه الوجيه ناجي الخضيري فلنذهب اليه ونتوسّطه ، وهكذا أخذناه جندياً ولم تنفع الوساطات له ولو كانت اللجنة بأجمعها كانت إلى جانبه .

٤ ــ ذهبت إلى الشامية وفي أثناء التفتيش عثرت على شخص نقل نفسه من بغداد إلى الشامية فلماذا؟ كان صاحبنا من بني إسرائيل وضابط التجنيد ساعده إلى درجة أنه خلصه من الجندية وحيث أن مساعدته هذه كانت مخالفة للقانون فقد طلبت إعادته إلى التقاعد وهكذا « طيّرته من وظيفته » . كما طيّرت بعد بضعة أيام شقيقه ضابط لجنة قضاء سنجار لمخالفة كان أجراها وهكذا تخلصت الحكومة من ضابطين شقيقين أحدهما في الشمال في سنجار والآخر في الجنوب في الشامية . ومعنى هذا أني كنت دائب الحركة لا يهدأ لي بال حتى أقوم بالواجب الملقى على عاتقي .

٥ ــ ذهبت إلى السليمانية وكان الطقس قارصاً والأمطار غزيرة فأخبرت المتصرف مجيد اليعقوبي بأني سأذهب غداً إلى « شهر روز » لافتش التجنيد . فقال أنصحك بعدم الذهاب لأن الجو لا يساعد فاتصلت هاتفياً بقائمقام القضاء ، صديق القادري ورجوته أن يحضر لي حصاناً من خيل الشرطة إذ يوجد نهر في الطريق لا يمكن للسيارة أن تعبره فتوجهت في اليوم التالي نحو القضاء وأتيت النهر فوجدت الحصان مع أفراد من الشرطة ، فامتطيته وعبرت . وبعد قطع نحو عشرة كيلومترات تحت وابل من الأمطار وصلت القضاء فذهبت تواً إلى دار القائمقام الذي هو كان من أبناء صفى فنزعت المبلل من البستي ونشفتها على النار فيبست . وبعد التفتيش اتصلت بالمتصرف اليعقوبي فقال لي من أين تخابرني ؟ قلت له من شهر زور . قال ألم أنصحك بعدم الذهاب ؟ قلت له إني لا أسمع نصيحة تعيقني عن أداء الواجب ولكن الآن شبه محصور أرجوك أن تصدر أمراً إلى القائمقام ليأمر بإرسال جنود من الشرطة ليساعدوا على دفع السيارة لأن غزارة الأمطار جعلتها في وضع لا تحمد عليه ، فأمر القائمقام بذلك وهذا بدوره أرسل شرطة وعاونوا بدفع السيارة فشكرتهم وهكذا يا قارئي العزيز كنت أتجول في طول البلاد وعرضها لا تعيقني جبال ولا أمطار وبذلك أجعل ضباط التجنيد يشعرون أنهم عرضة في أي لحظة إلى المراقبة والحساب .

٦ ــ رجوت رئيس أركان الجيش أن يعين إلى التجنيد ضباطاً أكفاء من غير المتقاعدين فوافق جزاه الله خيراً . وهكذا طعمت التجنيد بضباط أكفاء من غير المتقاعدين ليقوموا بالواجب بطريقة مثلى . .

٧ ــ حاولت رفع البدل النقدي فلم أفلح ، وطلبت إبلاغه إلى ١٠٠ دينار فلم أوفق ، لأن الإنكليز كانوا لا يرغبون ــ (الأمة تريد الخدمة والإنكليز لا يوافقون) ــ كما قال المرحوم عبد المحسن السعدون ولكن بعد ذهابي إلى المجلس النيابي ومحاججتي في لجنة الدفاع التي كان رئيسها

يس الهاشمي توفقت لجعل البدل ٥٠ ديناراً بعدما كان ٣٠ ديناراً . وبعد ١٤ تموز — حيث الحكم أصبح وطنياً بل ثورياً — الغي البدل بالمرة أسوة بالأمم الشرقية والغربية ومن ضمنهم جارتينا تركيا وإيران . أختم بحثي هذا بمثل لما قمت به من إخلاص للواجب خطر لي الآن وهو : أنه قبل تعييني بمنصب مديرية التجنيد العامة جاءني أحد الأصدقاء وهو الملازم عزة خنجر ورجاني أن أكتب له توصية إلى وزير الدفاع جعفر العسكري ليعينه ضابطاً للتجنيد فكتبت له التوصية وبعد أشهر صدر أمر تعييني ففرح الرجل فأرسل إلى ابراهيم الشواف — ولي مع آل الشواف صلة مصاهرة — ورجاني أن أعين عزة الذي سبق أن كتبت له وصية لجعفر ليعينه فلم أقبل بواسطة الشواف قريبي ولم أعين عزة لماذا ؟ لأني عينت لهذا المنصب لأصلح جهازاً فاسداً من أوله إلى آخره ، وعلي أن أطعمه بإكفاء ذوي مقدرة ونشاط وعفّة وهذا الضابط مع أنه صديقي وشقيقه العميد شوكة يمني صديقي . عدا هذا أن عزة له دالّة علي ذكرتها آنفاً أنه أسدى إلى عملاً خلص حياتي يوم خرجت من معركة تربه ولكن يا صاحبي القرابة والصداقة والدالّة شيء ، والإخلاص للواجب شيء آخر إذ أن علي أن أقابل معروفه على حسابي الشخصي وليس على حساب الحكومة لاعتقادي أن عزة لا يصلح لهذا المنصب . تركت منصب مديرية التجنيد العامة بعدما أشغلته سنة واحدة وسجلات وزارة الدفاع تشهد بأن تلك السنة كانت في الطليعة من كل النواحي :

١ — زيادة عدد في الوجبة .
٢ — إصلاح في التجنيد .
٣ — زيادة في البدل النقدي .
٤ — وضع أسس وتنظيم يجعلان الذي يأتي من بعدي يجبر على اتباع هذه الخطى .

أراد رئيس أركان الجيش أن أستمر على العمل ووعد أنه سيعدل

الملاك من أجلي ليجعله « أمير لواء » فلم أقبل لأني كنت أريد أن أصبح قائداً كفوءاً وهذا يوجب أن أشغل نفسي بالتدريب والاشتراك في المناورات ولا أريد أن أكون من أصحاب التاآت .

وبالفعل أصبحت — ولله الحمد — خلال سنتين آمر خيالة فآمر منطقة فقائداً للفرقة الرابعة .

وفي كانون الثاني سنة ١٩٤١ حين اختلف الوصي عبد الاله مع رئيس وزرائه رشيد عالي والتجأ الأمير إلى داري في الديوانية وحاول أن يحملني على أن أنشق على الجيش فلم أوافقه على خطته الإجرامية .

لجوء الوصي عبد الإله إلى دار الراوي في الديوانية

كانت تكتلات الجيش ظاهرها خدمة مصلحة البلد ، وباطنها لدى العالمين بالغيب . وكان هذا التكتل يعبر عنه بـ « المربع الذهبي » ويقصد به العقداء : صلاح الدين الصباغ ، وفهمي سعيد ، ومحمود سلمان ، و «رابعهم» كامل شبيب . وكان هؤلاء العقداء من الضباط القوميين فرأوا أن بطل الانقلاب بكر صدقي أزاح الهاشميين طه وياسين ؛ كما أزاح رشيد عالي وناجي شوكة وصادق البصام ورؤوف البحراني وعلي محمود الشيخ علي ، وأمثالهم من رواد القومية العربية وأنه جاء ببعض الأشخاص الذين لا يمتون للقومية العربية بوشائج ولا سيّما وقد تحركت في الدكتاتور بكر صدقي نوازع وأراد أن يصبح الكل في الكل وعلى حد قول محسن أبو طبيخ في كتابه « المبادىء والرجال » : « أراد أن يزيح الملك غازي عن العرش ويصبح رئيساً للجمهورية » كما أزاحوا الضباط الأحرار عبد الاله الذي تأصلت فيه عيوب الشرع كافة من حقد ولؤم وبخل وهتك للأعراض والشعائر والنواميس الدينية ، ومواكبة للغربيين الذين أساءوا إلى العرب من سنة ١٩١٦ إلى سنة ١٩٥٨ بل بالعكس بعد أن

كان الملك غازي محط آمال العرب عامة والعراقيين خاصةً لوقفته المعلومة في حركة تمرد الأثوريين ، خلافاً لرغبة والده ، نعم أن العقداء الأربعة رأوا بعد الانقلاب أن يأخذوا على عاتقهم خدمة البلد خاصةً وأن البلد كان خالياً من الأحزاب والمجالس النيابية بل أكثر من هذا ظلت سنين عديدة تحكم حسب خطة نوري السعيد بمجالس عرفية والثورات مستمرة في الشمال والجنوب فتترى الواحدة بعد الأخرى الأمر الذي أشغل الجيش لمدة طويلة لإخمادها ، وهذا ما أبعده عن واجبه الأصلي ، وهو الاشتغال في التدريب ليكون سياجاً حصيناً للبلاد فبدأ العقداء بتكتل الضباط الذين يؤيدون وجهة نظرهم وباشروا أولا : بتقوية الجيش من وجهة التدريب ، ثم مطالبة البعثة العسكرية البريطانية بإلحاح لتجهيزه بأسلحة وأعتـــدة حديثة ، ولكن ويا للأسف بعدما تم لهم ما أرادوا اشغلوا أنفسهم بأمور ما أنزل الله بها من سلطان . وبدلاً أن يهيئوا الجو لجعل البلاد في أمن واستقرار ، ويوطدوا الحكم بتشكيل مجالس نيابية وحزب يجمع عناصر مؤمنة لشد ازر تلك المجالس النيابية ، كما فعل أتاتورك قبلاً في تركيا ، وكما فعل رائد القومية العربية جمال عبدالناصر ، فإنهم اقحموا الجيش بالسياسة ، وكانت هذه علة العلل ، وقاموا لإسقاط الوزارات والإتيان بغيرها ممن يعتقدون أنهم يماشوهم وهكذا دواليك . وتلك الخطط مسطرة تفصيلاً في كتاب « تاريخ الوزارات » للمؤرخ عبدالرزاق الحسني ومن يريد الاطلاع فليراجعه كيف أسقطوا وزارة جميل المدفعي الرابعة التي شكلت بعد الانقلاب وجاءوا بنوري السعيد وطه ثم أسقطوهما وأتوا بغيرهما ؟ وكيف أحيل إلى التقاعد الرجل النظيف النزيه رئيس أركان الجيش حسين فوزي مع زميله أمين العمري وعزيز باملكي نتيجة عمل طائش قام به العقداء وكان الملك غازي يجاريهم مرغماً حتى كثر معادوهم من اقطاعيين وأذناب الاستعمار وانتهازيين نفعيين وأخيراً أتوا بوزارة يرأسها رشيد عالي ، ذلك الرجل الطموح الجريء ، والذي يعد في طليعة القوميين ، صاروا

ينصاعون لنصائح المفتي الحاج امين الحسيني الذي هرب من فلسطين والتجأ إلى سورية ثم إلى العراق . واشتهر بين الناس أنه كان من مسببي حركة مايس سنة ١٩٤١ نعم أقول أن العقداء الأربعة الذين أجلهم كأصدقاء قوميين خاصة منهم محمود سلمان وفهمي وصلاح . أما كامل فقد كان يتظاهر بالقومية وظهر أخيراً أنه جبان راجـع كتاب الفرسان لصلاح الدين الصباغ لترى كيفية ظهور جبنه في محلات كثيرة من تلك المذكرات وشهد شاهد من أهله[1] وختم أعماله بكتب إلى المسئولين ببغداد يتنصل فيها من أعماله التي قام بها . « أذكروا محاسن موتاكم » إن كانت هنـاك محاسن له — مع الأسف .

أعود إلى صلب الموضوع وأقول : أن فرساننا الأربعة لم يهيئوا البلاد إلى حكم نيابي صحيح ، ولم ينسحبوا إلى ثكناتهم ويشغلوا أنفسهم بالتدريب « ويعطوا الخبز بيد خبازته ولو أكلت نصفه » وأتوا بنوري السعيد رئيساً للوزراء رغم أنهم سمعوا من الملك غازي أنه لا يرتاح إلى نوري .

ونوري هذا عندما كان رئيس وزراء قال لي : اذهب وواجه الوصي في قصر الرحاب . فذهبت وواجهته فطلب مني سموه أن أراقب حركات وسكنات العقداء أي بتصريح العبارة أرادني أن أكون عيناً لسموه الملكي . ابراهيم أجل من ذلك يا سيدي الأمير خاصة وأنت ومن على شاكلتك ماشين في ركاب أسيادكم الإنكليز وإني وإن كنت لا أقر أعمال العقداء وزج أنفسهم بالسياسة وكنت مرة حضرت اجتماعاً لهم في دار صلاح الدين كان حضر الاجتماع عدا العقداء الأربعة ضباط آخرون أمثال قاسم مقصود ، وسعيد خياط ، وكان من المدنيين الذين تحضرني أسماؤهم يونس السبعاوي ، وعلي محمود الشيخ ، وجمال المفتي ، وجميع هؤلاء تربطني بهم صلة الصداقة والمبدأ القومي ولا شك أنهم أنظف من المعسكر الضالع

---

(١) مسكين أنت يا كامل ، وانه لعذاب كبير . فقد سودت وجهك في الدنيا أمام بني قومك ، وفي الآخرة أمام الله . بل سودت وجهك أمام نوري وعبدالإله . أسفي عليك يا صديقي كامل وأسفي على الذكريات . فرسان العروبة ص ١٧٤

وفي ص ٢٢ من « فرسان العروبة » يسند صلاح الدين الصباغ الى زميله كامل شبيب « الأنانية والغدر والجبن » وغيرها من الصفات التي لا تستساغ لمن يدعي القيادة مثل كامل .

في ركاب الغرب بدون قيد أو شرط ولكن لا أقر الأخوان العقداء أعمالهم التي أوجبت في النهاية أنهم لم يتمكنوا من التخلص من نتائجه المحزنة وهو اصطدامهم بالإنكليز .

ولم يكن الوصي وحده أرادني أن أكون عيناً لسموه ، فإن وزير الدفاع صبيح نجيب أراد أن يستميلني إلى جانبه وإلى الوصي ومن ولاه فشكل فرقة اليه وجعلني قائدها فأريته كما أريت الوصي من قبل « ماني حمد » على حد المثل العراق العامي وإني «ما أنحطّ بالعبّ» وبالتالي تأزمت الأمور أي تجمعت :

١ ـ طموح رشيد عالي الجرىء .
٢ ـ قلة تجارب العقداء الذين انصاعوا إلى نصائح المفتي .
٣ ـ تطرّف البطل يونس السبعاوي .

هذه الأسباب مجتمعة وغيرها جعلت العقداء ومن لف لفهم أمثال قاسم مقصود وسعيد خياط الجبان ـ راجع كتاب الفرسان لصلاح الدين الصباغ وحتى وكيل أركان الجيش أمين زكي الذي كان مثله « مثـل الأطرش بالزفة » نعم لهذه الأسباب وغيرها اصطدموا بالوصي عن طريق استقالة كل من طه الهاشمي وناجي شوكة وصادق البصام وقد جاء بدلاً منهم : محمد علي محمود ويونس السبعاوي وعلي محمود الشيخ علي وهكذا أحرجوا موقف الوصي خاصةً عندما ألح رشيد عالي يطلب حل المجلس النيابي الأمر الذي جعل عبد الاله يبرم وإذ به يفتح لي تلفون ويكلمني شخصياً شاكياً من هـذه المداخلات وأنها لعجيبة والله : الوصي على العرش والقائد العام للقوات المسلحة يختلف مع رئيس وزرائه ومسندي مقامه العقداء الأربعة ومؤيديهم ويشكى إلى قائد الفرقة الرابعة بالديوانية ماذا كان أن يعمل القائد الراوي في موقف مثل هذا ؟ ولا أكتمك أيها القارىء أني لا أتذكر ما قلت له .

الخلاصة بعد هذه المكالمة التلفونية بيومين ، سمعت أخباراً مقلقة حدثت في بغداد فأردت أن أطلع على حقيقتها ففتحت تلفوناً إلى اسماعيل

نامق الذي كان مقامه من حيث القدم بعد أمين زكي وقلت له : اسماعيل سمعت أن طه الهاشمي استقال هل هذا صحيح ؟ قال نعم صحيح . قلت سمعت أيضاً أن صادق البصام استقال هل هذا صحيح ؟ قال نعم صحيح. فسألته هل أن أحداً غيرهما قد استقال ؟ قال ابراهيم : في التلفـون لا أقدر أن أفوه لك كل شيء ها إني قاعد عند وكيل رئيس أركان الجيش وهو يسمح لك بالمجيء إلى بغداد ، وخاصة اليوم يوم خميس وحينذاك تطلع على كل الحوادث . فقفلت التلفون وفتحته على متصرف الحله صديقي أمين خالص فقلت له أمين كيف حالك ؟ قال مشتاق . قلت إذا كنت مشتاقاً حقاً فإني سأتعشى عندك اليوم . قال أهلاً وسهلاً . هل تريد أن أحضر تشكيلة لعبة ورق للتسلية ؟ قلت له نعم . وإني بهذه المناسبة أقول كنت الوحيد الذي يسمح بلعبة الورق في النادي العسكري بالديوانية إذ أن منذ تشكيل الجيش حتى اليوم ولعبة الورق ممنوعة في جميع النوادي العسكرية وإني مع علمي بأنها حرام لكن أعتقد جازماً :

١ ـ أن لعب الورق البريء للتسلية لا بقصد المقامرة أقل إثماً من النميمة والغيبة التي قال الله عنها : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه » صدق الله العظيم .

٢ ـ التحدث بالسياسة أو انتقاد عمل الحكومة بحق أو بباطـل .

ولكني منعت لعبة البوكر في النادي العسكري التي هي اللعبة الخطرة في الخسارة النقدية وفي السهر حتى مطلع الفجر .

ولئلا يسهروا الضباط ، حددت وقتاً للّعب حتى الساعة الثانية عشرة إذ أصدرت أمراً بإطفاء النور حيث النادي العسكري حكومي .

قل لي بربك أيها القـارىء أين يذهب الضباط في بلد تكاد تكون أسباب اللهو فيه منعدمة ؟ وإذا منعتهم عن لعب الورق في النادي فإنه يذهب إلى داره ويجمع شلّة للعبة البوكر . وسماحي للضباط بهذه الشروط مع

أنها مخالفة للضبط العسكري وللشرع ، سمع بها طه رئيس أركان الجيش فسكت عنها أي لم يؤيدها ولم يمنعها – مثلما عمر بن الخطاب عند مروره بدمشق في طريقه إلى فتح القدس عندما رأى معاوية وحاشيته وما هم عليه من أبهة وفخفخة وعند استفساره من معاوية عنها قال له : إننا محادون إلى الروم ، وهذه من المستلزمات فسكت لم يؤيد ولم يمنع – بعد محادثتي الهاتفية مع أمين خالص ركبت السيارة وتوجهت إلى الحلة وذهبت إلى دار المتصرف . فباشرنا بلعبة الورق وحان وقت العشاء فتعشينا ، واستأنفنا اللعب . وإذا بتلفون يفتح من بغداد وكان المتكلم رشيد عالي يسأل المتصرف عما إذا كان له علمٌ عن الوصي لأنه ترك بغداد إلى جهة مجهولة ؟ فقال له سأسأل يا سيدي . وأعرض لفخامتكم النتيجة . وكان عنده في اللواء مدير الشرطة جميل الراوي نجل الشيخ ابراهيم الراوي فسأله بالهاتف قائلاً : يا جميل إن فخامة رئيس الوزراء يستفسر عن الوصي الذي ترك بغداد لجهة مجهولة فهل لك علمٌ حول الموضوع ؟ قال له نعم سيدي : سمعت أنه فات من « العباسيات » وإذا في تلك اللحظة يأتي نداء تلفوني من الديوانية إلى المتصرف ، وكان المتكلم شقيقي الرائد الركن – عميد الركن – عبد الكريم الراوي يسأله هل إن قائد الفرقة موجوداً عندكم ؟ فرد عليه المتصرف نعم ثم أعطاني الميغرفون . فقال سيدي « تعال إلى الديوانية » .

من هذه المكالمة تبين صراحةً أن الوصي في الديوانيّة ويطلب حضوري . ماذا عليّ أن أعمل ؟ إني بإمكاني كمُجاز أن أتوجه إلى بغداد باعتبار أن « القعود على التل أسلم » ومعالجة هذا الموقف الخطر جداً إذ الوصي اصطدم مع رئيس وزرائه ومجيئه إلى الديوانية لا شك لأمر هام جداً ، وعليه قررت العودة إلى الديوانية لمعالجة الموقف . وقلت مخاطباً المتصرف : « أمين أنا الآن متوجه إلى الديوانية » قال انتظر والوقت ليل حتى أهيء لك سيارة مسلحة لمرافقتك فقلت له : لا أنتظر وأنت إذا

رغبت بإرسال سيارة مسلحة فهيئها وارسلهـــا بعدي . فقط أريد منك رجاء إعطائي بندقية واحدة للعريف الذي بمعيّتي وأعطاني بندقية وقال لي بالحرف الواحد : « ابراهيم أنت الآن أمام الله والتاريخ كل نقطة دم تراق غل في العنق » قلت له إنشاء الله ما يحدث إلا الخير . وتوجهت حالاً إلى الديوانية والمسافة بين الحلة والديوانية حوالي ١٠٠ كم مهد الوصي خلالها أموراً سأقصها عليك وإني كلما وصلت مخفر أخبر « ان مجيء مطلوب على وجه السرعة » وهكذا وصلت الديوانية قبيل الساعة ٢١٠٠ وكان الموقف كما يلي :

١ ـ المتصرف أحمد السوز واقفاً بباب داري ومحتاراً ماذا يفعل ؟ وهو من القوميين ومن جهة كموظف حكومي يريد مجاراة الوصي فقال لي ما العمل ؟ قلت له انشاء الله ما يصير إلا الخير . ماذا بإمكاني أن أقول إلى متصرف الحلة وإلى متصرف الديوانية غير عبارة انشاء الله ما يصير إلاّ الخير ؟ .

٢ ـ دخلت الدار فإذا بها شاحنة حيث الوصي كان أتيٍ ومعه ٢٨ شخصاً . وكان عند وصوله إلى الديوانية قصد داري رأساً وطرق بابها وسأل عني فقيل له أنه ذهب إلى الحلة فبغداد فطلب أخي عبد الكريم ـ وكان في النادي العسكري ـ فأتاه يسأله عني فقال لسموه : سيدي إنه في الحلة وفي طريقه إلى بغداد . فقال له اطلبه .

٣ ـ كان أول عمل قام به الوصي بغيابي :

أ ـ طلب رئيس ركن الفرقة نوري خيري وآمري الوحدات إلى الدار فجاءوا جميعاً .

ب ـ اتصل بالمتصرفين تلفونياً وطلب اليهم أن لا يسمعوا أوامر بغداد . وكان سعد صالح في الكوت وماجد مصطفى في العمارة وتحسين علي في الموصل ويوسف ضياء في الناصرية وصالح جبر متصرف البصرة

مجازاً في بغداد فطلب مجيئه فجاء بالقطار إلى الديوانية.

٤ — كان الوصي يهيء الجو بجمعه آمري الوحدات وباتصاله بالمتصرفين على أمل أن أترأس الحركة ضد بغداد.

دخلت على الوصي وكان ينتظرني على أحرّ من الجمر فحيّيته فأمرني بالجلوس فجلست. فصار يحكي لي عن كيفية خروجه وسببه: بأن رشيد عالي، وأمين زكي والعقداء باشروا يضايقوه بـ: طلب حل المجلس وإقالة الوزراء والمجيء بآخرين خلافاً لرغباته إلى أن تأزم الموقف ولم يمكنه الانسجام معهم فترك بغداد وأتى إلى الديوانية. انتهى حديث الوصي. فصرت أهدئه لألطف الجو وأقول له سيدي: هذه أمـــور تحدث وأمثالها كثيرة في التاريخ، وسموك يمكنك بحنكتك وبحكمتك تعالجها وتحلها. فصار يرد علي والدمع بعينه قائلاً: «لا يا ابراهيم ما جبتونا هنا حتى تهينونا» فقلت له «لا يا سيدي من الذي يهينك وأنت سيد البلاد وسيدي فيصل كان يصادف أموراً مثل هذه وكان يعالجها بحنكته ودهائه؟». فقال ما هو موقفك أنت؟ كانت هذه والله الطامة الكبرى موقفي أنا؟ وهذا والله الإحراج نعم إذا كنت أيها القارىء بمكاني أسألك بالله وأقول ماذا تعمل؟ وماذا يكون جوابك؛ نعم إذا كنت شخصاً نفعياً وتريد أن تستغل الموقف ليكون الجواب حالاً: «إن موقفي يا سيدي: هو «أني وفرقتي طوع أمرك» وحينذاك لو يطلب منه مقـــابل هذا الجواب رآسة أركان الجيش أو وزارة الدفاع حتى رآسة وزارة فالرجل حاضر أن يمنح كل شيء لقاء هذا الجواب. ولكن الأمر أجل من هذا يا سيدي القارىء. هنا مصلحة بلد برمته وقضية مبادىء. أما مصلحة البلد فتقضي أن لا ينشق الجيش على نفسه ويحارب بعضه البعض كمـــا سبق وحارب الجنرال فرانكو في إسبانيا وعصف في البلد عواصف قتل وتدمير وتخريب ليس لها أول ولا آخر. وأما قضية المبادىء؟ فالوصي ومن والاه من الطامعين في ركاب الغرب هذا معسكر يقابله آخر مؤلف

من رشيد عالي من ذوي المبادىء القومية وإني وإن كنت غير راضٍ بما قام به العقداء من انقلابات وإسقاط وزارات وزج الجيش بالسياسة إلا أنهم أخف ضرراً من المعسكر الأول الضالع في ركاب الاستعمار هذا ما جعلني أن أقرر خطة في قرارة نفسي وهي : حيث أن الميزان في يدي وفي وسعي أن أرجح أي كفة منهما أن أحاول جهدي أن أمنع الاصطدام المسلح وإذا عجزت وتأزم الموقف حينئذ أكون في جانب المعسكر القومي على شرط أن أحافظ على حياة ضيفي الوصي الذي لجأ إلى داري وليس إلى محل قيادة الفرقة . ماذا تريد مني أيها القارىء أكثر من هذا ؟ إذ تذكر أننا في كانون الثاني سنة ١٩٤١ وأنا عمري آنذاك ٤٥ سنة أي في عنفوان شبابي وطموحي وها أن الوصي والقائد العام للقوات المسلحة ابن بنت رسول الله مضام وانتخب شخص مما ينوف من بين الخمسة ملايين عراقيين ولجأ إلى داري، وها أن الفرقة بأجمعها راغبة في الانضمام إلى سموه وهم : ١- رئيس ركن الفرقة نوري خيري كان أول انتهازي ونفعي وهو كان على غير وفاق مع القادة ونقلوه إلى فرقتي . ٢ آمر المدفعية مهدي الرجال ، الرجل المعروف عنه أنه كان من ذوي المبادىء القومية منذ ربع قرن إلا أنه كان محالاً إلى التقاعد وكان مستعداً للانضمام لسموه ليحصل على شيء . ٣ - آمر لواء المشاة سعيد سقاريا رجل طيب ولكنه ضعيف الإرادة ومستعد لأن ينضم إلى أي جهة إذ هو حارب تحت راية - أتاتورك في سقاريا ، فضلاً عن هذا أنه جبان وجبنه هذا ظهر عندما كان آمر لواء مشاة في الفلوجة في حركات مايس سنة ٩٤١ وسبب سقوط الفلوجة . ٤ - آمري الألوية الباقين أحدهما رشيد جودت في البصرة والآخر فائق كاكا أمين في الناصرية ضباط جيدين وقديرين وهم كجنود كانوا مستعدين تنفيذ الأوامر كان هذا موقف الفرقة أي أنها كلها كانت مستعدة للانضمام إلى الوصي ولا سيما رئيس ركنها نوري خيري فقد علمت مؤخراً من الأستاذ عبدالرزاق الحسني أنه كان قد ذكر للسيد الحسني

أنه كان مستعداً لتنفيذ رغبة الوصي لو بدرت منه أقل بادرة أي يعتقلني. هذا موقف الفرقة آنذاك.

أما موقف العشائر فكان معظمها إلى جانب الوصي لأن سكانها بالمائة تسعين جعفرية. وهذا ابن بنت رسول الله مضام إذاً كان الموقف بعد التحليل كما يلي: الفرقة ومعظم العشائر ومعظم أهل المدن مع الوصي لأن الناس مع القوة، والوصي مع الإنكليز. المتصرفون: متصرف البصرة صالح جبر مع الوصي على طول الخط. متصرف الكوت سعد صالح على الأكثر بجانب رشيد. متصرف العمارة ماجد مصطفى عسكري وثائر قديم وهو في الوقت نفسه سبع ومغامر وانتهازي ولذا يمكن عده مع الجانبين. متصرف الناصرية يوسف ضياء رجل طيب اعتقد أنه حكومي يتبع ما يؤمر به وإن ظهر أخيراً أنه مع رشيد. تحسين علي متصرف الموصل كان في جانب الوصي لا حبّاً به ولكنه باعتباره أحد القادة المبرزين في الثورة العربية الكبرى في الحجاز من المحتمل أن ينضم إلى الوصي خاصةً وأن آمر المنطقة في الموصل عبد الرزاق حسين ضابط جيد وقومي وهو كان على خلاف مع صلاح الدين الصباغ وهو في الوقت تحت قيادة قاسم مقصود وتحسين وعبد الرزاق وهما شخصياً على وفاق وقوميان ومع أنهما إذا اتفقا على خطة يكون لها بعض الوزن إلا أنهما كانا بعيدين عن منطقة الديوانية ولذا فإن موقفهما المشكوك يحسب له بعض الحساب. متصرف بغداد جلال خالد بجانب رشيد. مدير الشرطة العام حسام الدين جمعه بجانب رشيد. فلهذه الأسباب وخدمةً للصالح العام قررت الانضمام إلى المعسكر القومي مع الحفاظ على حياة وكرامة الوصي الذي قصد داري شخصياً خاصة وكنت خدمت في الثورة العربية الكبرى.

كان جوابي للوصي أني أخابر وكيل رئيس أركان الجيش. ولم أكد انطق بهذا الجواب – غير المتوقع بالنسبة لسموه – حتى قد فت في عضده إذ كيف يتأمل هذا الجواب غير المرضي؟ ماذا كنت تتأمل يا سيدي

الوصي من شخص له ماضٍ لامع ومن ذوي المبادىء القومية وقد حارب متبوعته الامبراطورية العثمانية وهوابن ٢١ سنة أي في ريعان شبابه مضحياً بنفسه وبمستقبله وحتى بحياة عائلته لمبدأ غالٍ وعزيز وهو الآن قائد فرقة وثالث رجل في الجيش من حيث القدمِ والضابط في كل جيوش العالم أول ما يطمح اليه هو أن يشغل منصب رئاسة أركان الجيش ، وكان هذا المنصب هو من حقي أن أشغله إذ أني الوحيد من الثلاثة الأشخاص من ذوي الرتب الكبيرة ، ولأني كنت خريج كلية الأركان ، ولم يكن الإثنان الآخران بضباط ركن ولذا الفريق أمين زكي كان عنوان منصبه « وكيل رئيس أركان الجيش » كما هو الحال موخراً عندما كان وكيل رئيس أركان الجيش كل من : مهدي حمودي ، ومن قبله عبدالرحمن محمد عارف ، وكذلك في الوقت الحاضر حماد التكريتي مع وجود ضباط ركن قديرين في الوقت الحاضر ولاعتبارات سياسية وشخصية ينتخب الشخص لوكالة الرئاسة أو بسبب القدم كما كان هو الوضع آنذاك وانتخب أمين زكي لوكالة الرئاسة . والقضية قضية وقت لو أردت اللعب على الحبلين ورغبت في مجارات الوصي لحصلت على منفعة شخصية وآنية ، ولكان بإمكاني باعتباره القائد العام للقوات المسلحة وهو آمري المباشر — أن أطيعه حالاً وأنفذ رغباته ولو كنت طيّرت برقية واحدة إلى بغداد وأعلنت فيها انفصالي منها كما سبق أن طيّر أمين العمري مثل هذه البرقية بعد مقتل بكر صدقي في آب ١٩٣٧ وقطع علاقته ببغداد وأصبح بطل الرواية . فقد كان بإمكاني أن أطيّر برقية وأصبح الكل بالكل . ولكن ماذا سيكون حكم التاريخ والضمير ؟ ألأجل أن أحصل على مجد زائل وخلافاً للضمير وللمبادىء القومية ، وخلافاً لمصلحة الوطن أقدم على عمل شائن مثل هذا ؟ لا والله ان لدون ذلك خرط القتاد إذ لا سمح الله لو فعلت ذلك لأصبحت كأبي رغال في عصري ، ولعشت طوال السنين وأنا معذب الضمير ومع تقديري لما — ذكره صلاح الدين

الصباغ في كتابه « الفرسان الأربعة » عند ذكره عن الحادث هذا قال في صفحة ٢١٢ أن قائد الفرقة ابراهيم الراوي عادني في داري وسرد علي ما كان من أمره مع الوصي وكيف أنه احتقر فكرة الوصي وسعيه إلى إثارة العشائر وشق الجيش على نفسه مما لا يقوم به إلا المجانين ، وأضاف ابراهيم أنه يقاوم فكرة الوصي والذين يسوقونه إلى إقحام البلاد في هـذه الحرب واستخدام الجيش العراقي كما تستخدم جيوش المستعمرات دون أن نجني في مقابل ذلك مغنماً وأنه سيبقى دوماً على هذا الرأي مؤيداً قرارات الجيش . وذكر أيضاً صلاح‌الدين الصباغ في محل آخر من مذكراته بأن الراوي من ذوي المبادىء القومية وأنه ... وأنه ... الخ وإني مع تقديري لوصفه إياي بهذه الصفات لست محتاجاً ولله الحمد إلى مدح من هـذا وثناء من ذاك إذ يكفيني أني قمت بأعمال اعتقدت جازماً بأني أقوم بها جاعلاً نصب عيني إرضاء الله والضمير ، وجاعلاً مصلحة الوطن فوق كل مصلحة .

أرجع إلى أصل الموضوع وأقول : عندما قلت للوصي أني أخابر وكيل رئيس أركان الجيش ، سكت أولاً على مضض إذ خابت ظنونه وكيف لا تخيب وهو آتٍ من بغداد وشكا لي أن وكيـل رئيس أركان الجيش وصلاح الدين الصبّاغ أرادا منه توقيع إرادات خلافاً لرغباته . وقمت لأخابر وكيل رئيس أركان الجيش وقام معي ليسمع ما يجيب .

هلو — بغداد — نعم — ابراهيم الراوي يتكلم .

تفضل أريد أن أكلم رئيس أركان الجيش . هلو — نعم — أنـا وكيل رئيس أركان الجيش أمين زكي .

ابراهيم الراوي يكلمك — تفضل — سيدي : الوصي هنا في الديوانية . قال : قل لسموه أنه سيد البلاد فلماذا يترك بغداد ؟ ليتفضل ويعود إلى العاصمة ؟ انتهت المكالمة .

وبهذه المخابرة علمت بغداد أن الوصي في الديوانية ، وكانوا قبلاً يسألون المتصرف ومدير الشرطة فيأمرهم الوصي أن يجيبا « لا ندرى » فلما كلمت أمين زكي ، كان مجلس الوزراء منعقداً فقرر رشيد عالي تقديم استقالته إذ حسب حساباً أن الوصي عند ابراهيم ، ولابراهيم وزنه ودالّته على البيت المالك ، وكذلك هو في منطقة فيها النجف الأشرف وما أدراك ما النجف ؟ وحيث الوصي كان يسمع المكالمة بين الراوي وأمين زكي كلمة بكلمة لم ير الراوي لزوماً لعرضها على سموه كما لم ير لزوماً لإعطاء الجواب بالقبول أو الرفض . ولكنه ظل هنيهة واجماً وعلائم الأسى والجزع ظاهرة على جميع جوارحه ثم قال :

ابراهيم ! اطلب قائد الفرقة الثالثة بكركوك وقل له أن لا يستمع إلى أوامر بغداد بل ينتظر ما يصدر اليه من أوامر من هنا وينفذها .

عجيب والله أمر هذا الوصي وصدق فيه المثل القائل (صاحب الحاجة أرعن لا يروم إلا قضاها) فقد كان بإمكانه أن يطلب قائد الفرقة مباشرةً ويأمره بما يريد كما سبق أن اتصل بالمتصرفين وطلب اليهم مثل هذا الطلب ، لكنه أراد بمخابرتي أنا شخصياً أن يوحي اليه بأن قائد الفرقة الراوي الذي يطلب منه ذلك لا شك أنه داخل في عداد المؤيدين للوصي. ولحراجة الموقف ، ولئلا أصدمه صدمة جديدة وشديدة ، وأمتنع من مخابرة قائد الفرقة الثالثة فقد جاملته وطلبت التحدث إلى كركوك مثلما أراد .

هلو — كركوك — نعم — ابراهيم الراوي — يتكلم .

تفضل — أريد أكلم قائد الفرقة الثالثة — هلو — نعم — أنا رئيس ركن الفرقة أمين خاكي — أريد قائد الفرقة لأكلمه .

قائد الفرقة ليس في كركوك . أنا أقوم بالوكالة (أمين تريثوا لبينما ينجلي الموقف)

انتهت المكالمة بدون أن أريد أسمع رفض أو إيجاب . إذ ليس من

حقي كقائد فرقة أن أوجه أوامر إلى قائد فرقة أخرى كما ليس من حق أي متصرف أن يوجه أوامره إلى متصرف آخر ، فسكت الوصي على مضض ولم ينبس ببنت شفة بعد أن تأكد لديه أن الراوي لا يمكن أن يكون إلى جانبه .

بعد الفراغ من هذه المخابرة صرفت آمري الوحدات كــلاً إلى وحدته أو إلى داره حتى إني ما أزعجت نفسي فأصدر أمراً بالإنذار . وعندما كان آمروا الوحدت في العمارة والبصرة والناصريـــة والسماوة والمسيب وغيرها يسألونني ، أقول لهم: لا حاجة إلى الانذار إذ أني في قلب المعركة لم أصدر أمراً بالانذار .

وهنا يا قارئي اسمح لي أن أذكر لك ما قاله ناظر كليـــة الأركان الجنرال الركن روئن روبنسن وأيده في رأيه هذا آمر كلية الأركان صبيح نجيب والمعلمون أمين العمري ، وسليمان فتاح ، وبهجت صالح ، وسطروه في الشهادة التي منحوها لي عند تخرجي من كلية الأركان وهذا نصّها :

كلية الاركان

الرتبة المقدم
الاسم ابراهيم حمدي الراوى ضابط ركن في شعبة الادارة في وزارة الدفاع
الحذاقة : جيد
المعلومات في المهنة : جيد
الشخصية : جيد جداً
المقدرة العقلية : فوق الوسط
المقدرة البدنية : جيد جداً
الفروسية : جيد جداً
السلوك العام: جيد جداً

الملحوظات : ابراهيم الراوى يمتاز بصورة خاصة بذكائه ، وهو احد الضابطين البارزين في صفه، وهو رجل ذو سجية واخلاق في مستوى راق وممتاز في

لياقته البدنية وفضلاً عن هذا له جاذبية وخاصة الهدوء والصمت وموهبة القيادة . انه يستحق التقدم الى المناصب العالية .

الوصية : يوصى بمنحه شهادة النجاح في كلية الاركان

التاريخ : — ٢٤ مايس ١٩٣٠

هذه الشهادة يعلم منها ان النخبة الممتازة من ضباط الجيش وهم آمر ومعلموا كلية الاركان وعلى رأسهم جنرال ركن انكليزى له مؤلفات عسكرية عديدة ؛ الطرفان يشهدان ان ابراهيم الراوى احد الضابطين البارزين — اذ كان الثاني حميد نصرة — ويشهد الطرفان ان شخصيته جيده جداً ، و و و الخ. ونأتي الى البيت القصيد بقولهم — له جاذبية وخاصة الهدوء والصمت وموهبة القيادة. اذ القائد يجب ان لا يكون ثرثاراً وإذا كان هادئاً وصامتاً في المجالس لا يعنى هذا انه هو غبي بل لعلمه ان له لساناً واحداً واذنان فعليه ان يسمع ويفكر واذا لزم الأمر واقتضى يدخل في الحديث على ان لا يكون خنفشارياً يتدخل في جميع الأحاديث. هذا كان شأني كقائد لا تهزه الهزائز ومن صفاة القائد البارزة ان لا يفرح بالانتصارات او المغلوبية في الحروب او في الملمات وقدكان هذا موقفي مع وحدات الفرقة التي كانت متهيجة لا تدرى ماذا تعمل؟ ولا سيما وان الوحدات كانت منتشرة في جميع المنطقة الجنوبية ولكن بما ان (السر بالسردار) عندما شعروا ان قائدهم في حالة هادئة ولم يأبه بالشدائد ولم يصدر أمراً حتى بالانذار ؛ سكنوا وارتاحوا وناموا مطمئنين .

ولنأتي الى صاحبنا الوصي. اذ بعد ان هيأت العشاء لمجموعة ما يقارب الأربعين شخصاً؛ اتيته في الساعة الثانية عشرة وقلت له سيدى : تفضل للعشاء. فاعتذر بأنه لا يشتهى معلناً بذلك عدم رضاه اذ هل من المعقول انه لا يشتهى وهو ترك بغداد قبيل الغروب ونحن الآن في منتصف الليل؟

فكررت الرجاء بالحاح فتنازل وقام للطعام وبعد الانتهاء ذهب الى غرفته التي خصصتها لسموه، وكانت غرفة شقيقي عبد الكريم الواسعة ولها شباكان وبعد هنيئة خرجت الى الحديقة لاسرّى عن نفسي واذا بجنديين واقفين كحراس على شباك غرفة الوصي فاستغربت ذلك لاني احد الذين لا يريدون إزعاج الجنود وإتعابهم باية حالة من الأحوال فسألتهما من أتى بكما الى هنا ؟ واذ برئيس مرافقي الوصى عبيد المضايفى يأتي اليّ ويقول : سيدى هذان الجنديان من الحضيرة التى رافقتنا من بغداد فتركتهما .

عندما ازفت الساعة الثانية بعد منتصف الليل أرسل علي الوصي وقال : « ابراهيم خذ حذرك » وهذا معناه أن سموّه لم يكن مطمئناً وكان يتصور أنه سوف يأتون عليه ويأخذونه من فراشه فقلت له :

« سيدي نم واطمئن فسوف لا يحصل ما يكدّر الخاطر انشاء الله » فذهبت وتركته ولا أدري هل غمضت عيناه أم لا ؟ على كل ان الذي أعرفه: أنه عند بزوغ الفجر أخذ التلفون يلعلع فلما رفعت السماعة سألني السيد الصدر : هل أن سيّدنا قاعد؟ قلت لسماحته نعم . قال: « وديّلي عليه » ــ هكذا ــ أي أرسل من يناديه فجاء سموه فقال له :

« سيدي رشيد عالي قدم استقالته » .

ففرح كثيراً لأن الأزمة انفجرت . وبعد ساعة تقريباً وردت برقية من رشيد عالي يعرض فيها استقالته . فطلب صالح جبر ليملي عليه الجواب فرجوت سموه أن يلطف الجواب فكتب صالح جبر ما أملاه سموه عليه أما الاستقالة وجوابها فمسطورتان في كتاب « تاريخ الوزارات العراقية » للسيد عبد الرزاق الحسني . وعلى أثر ذلك طلب الأمير من بغداد كل من يريد استشارتهم للتداول في تشكيل الوزارة فجاء كل من : طه الهاشمي ، السيّد الصّدر ، جميل المدفعي ، توفيق السويدي ، مولود مخلص ، ابراهيم كمال ، وغيرهم جاء بعضهم بالسيارة ، والبعض الآخر بالطيّارة

فاختلى الوصي بكلّ على انفراد وبعد أن اعتذر محمد الصدر عن تأليف الوزارة ، عهد بها سموه إلى طه الهاشمي فقبلها على شرط أن يتكرم الوصي بالرضا عن القادة . وعند وصول طه إلى داري قصصت عليه القصة من أولها إلى آخرها ، أي منذ وصول الأمير الى الديوانية حتى هذه الساعة فقال لي طه : « إن موقفك هذا سليم » والهاشمي رجل دولة يقدّر الأمور حق قدرها ، ولذا قدّر موقفي ، مع أني ذكرت له أننا كنا نلعب الورق حينما أخبر رشيد عالي أمين خالص بخروج الوصي من بغداد ، ومع العلم بأن مثلي لا يستحسن أن يقول لطه بأني كنت العب الورق ، لأنه وزيري أولاً ولأن لعب الورق في النادي العسكري ممنوع ثانياً .

رجع طه إلى بغداد وعرض أسماء وزرائه فصدرت الإرادة بتشكيل الوزارة من الذوات حمدي الباجهجي ، توفيق السويدي ، عبدالمهدي ، عمر نظمي والآخرون .

مضى على تشكيل الوزارة يومان والوصي لا يزال متردداً بين العودة إلى العاصمة أو عدمها وصار يرسل إلى بغداد إناس يستنشقوا له الأخبار ومن ذلك أرسل الوصي إلي الشريف حسين ـ الذي صار مؤخراً رئيس ديوان سموه وثم صار رئيساً للوزراء في عمان وتزوج كريمة الأمير عبد الله ـ نعم اختلى بي الشريف حسين وانتقد خروج الوصي من بغداد ومجيئه إلى الديوانية وعدها حركة طائشة فأيدته بذلك « يا غافلين إلكم الله » وما كنت أظن أن الوصي هو الذي أرسله ليتأكد أني لا أزال من منتقديه .

في مساء اليوم التالي من وصول الوصي إلى الديوانية فتح الأمير عبد الله من عمان تلفون إلى الوصي وبعد الانتهاء من المكالمة قال له أعطني ابراهيم الراوي لأكلمه . وكان عنده نوري السعيد إذ كانت عادة نوري

كلما صارت « وحده من اثنين » يركب طيارة إنكليزية ويشيلها — فقال لي سمو الأمير عبد الله : « ابراهيم نحن أردناك ليوم مثل هذا ونحن بني هاشم ما بقينا غير خمسة بيض الله وجهك » .

وكان يعتقد سموه أن ابن أخيه راضٍ عن موقفي هذا الذي وقفته بعد ، ولو كان عند الوصي ذرّة من الإنصاف لكان رضي عن موقفي منه ، ولكن قاتل الله الأحقاد . إذ لنسأل لماذا الوصي ترك بغداد وأتى إلى الديوانية ؟ الجواب ليتخلص من رشيد عالي الذي يريد منه حـل المجلس النيابي وإخراج فلان وزير ومجيء فلان وزير خلافاً لرغباته . ها إن رشيد قدم استقالة والمسألة انتهت بسلام وبدون إراقة قطرة دم . فهل تريد يا سيدنا الوصي حل الأزمة بانشقاق الجيش ليصير الدم للرّكبة والله سبحانه يقول في كتابه الذي أنزل على جدك رسول الله : « الصلح خير » ؟ .

عودة الوصي إلى بغـداد

قلت أن الوصي لم يعد إلى بغداد وكان متردداً بين الذهاب وعدمه ومهتماً باستنشاق الأخبار ليتأكد — بحسب زعمه — أن الأمر أصبح طبيعياً فأتيت إلى سموه في مساء اليوم الثالث وكنت متحيراً من موقفه الشاذ هذا وليس من اللياقة أن ألحّ عليه بالذهاب إلى بغداد وهو ضيفي فتمشيت معه في حديقة داري وصرت أشير عليه بطريق غير مباشر بلزوم العودة قائلاً : سيدي عند عودتك إلى بغداد أرجو أن تتكرم وتعامل القـادة بعمل يشفّ منه أنك عفوت عنهم ، وتظهر لهم رضاك فالعفو عند المقدرة والعفو من شيم الكرام وعملك هذا توجبه المصلحة العامة إذ الجيش ضيع كثير من القـادة أمثال : بكر صدقي ، عبد اللطيف نوري ، نظيف الشاوي ، حسين فوزي ، أمين العمري ، عبد الحميد الشالجي ، خالد

الزهاوي ، شاكر الشيخلي وغيرهم والجيش أصبح فقيراً ومحتاجاً للقادة إذ الجيش بقادته وإننا الآن قادة الفرق الأربع أنا الوحيد بينهم برتبة أمير لواء وآخر برتبة عميد وإثنان برتبة عقيد في الوقت الذي ملاك قائد الفرقة فريق، وأن مصلحة الجيش تقضي أن لا نفرط بقادته و ... و ... الخ وكان يسمع إلى حديثي ولم ينطق بكلمة :

لقد أسمعت إذ ناديت حيّاً ولكن لا حياة لمن تنادي

سامحك الله ابراهيم أنت في واد والوصي في وادٍ آخر ؛ أنت تتكلم عن مصلحة البلد ومصلحة الجيش والرجل لا تهمه لاً مصلحة البلد ولا مصلحة الجيش إنما تهمه مصلحة نفسه وإرضاء الإنكليز . أنت تريد منه أن يعفي عن القادة وهو يريد قتلهم شر قتلة كما شنق إثنان منهم بعد بضعة أشهر وشنق الثالث وهو كامل شبيب بالطريقة التالية :

إن شاكر الوادي الذي كان موظفاً في السفارة العراقية بطهران باعتباره قريب إلى كامل شبيب ، أراد أن يخلصه من حبل المشنقة فأوعز اليه أن يكتب إلى عبد الرزاق منير وسعيد يحي ويتخضع لهم ويتنصّل من الأعمال الذي قام بها ويتزلف وينافق. وبالفعل قام كامل بهذ الدور المشين بلا خجل وكادت اللعبة تنجح إذ الأمير عبد الإله أعطى كلاماً إلى شاكر أنه سوف يعفيه ، وبعد مضي ثلاث سنوات صادف أن رئيس الوزراء حمدي الباجه جي ذهب بمهمة رسميّة إلى القاهرة فناب عنه وزير المالية صالح جبر فذهب إلى الوصي.وقال له سيدي : من العدل أن يشنق كامل! قال له ولكن أعطيت وعداً إلى شاكر بأني سأعفيه ! قال له : وما قيمة الوعد ومصلحتك الشخصية تقضي أن يشنق إذ عمله مماثل إلى أعمال زملائه القادة الذين أعدموا وإذا لم يشنق فستصير ضجة في البلاد ضدك شخصياً وهكذا أقنعه فشنق في سنة ١٩٤٤ غير مأسوف عليه لجبنه وخيانة مبادئه إذ كيف تكتب يا كامل مثل هذه الكتب وتخضع وتتزلف وتنافق

وتنصل من الأعمال التي قمت بها وأنت تعلم حق اليقين أن حركة مايس سنة ١٩٤١ وما لحق البلاد من خسارة في الأرواح وتدمير وتخريب بل والأعظم من كل هذا سبب احتلال البلاد ثانية من قبل « انكلترا الغدارة » وما لحق الجيش مؤخراً من نقيصة من أربعة فرق إلى فرقتين وتسريح مآت الضباط إلى التقاعد كل هذا بسببك يا كامل ، إذ لو كنت نفذت أمر النقل الذي صدر في ٢٦ آذار وأتيت إلى الديوانية وذهب بدلاً منك الراوي إلى بغداد لما حدثت تلكم الخسائر الجسيمة ولبقي الجيش سالماً ويهيء نفسه لفرصة مناسبة يثب بها على ذلك العهد كما حصل وثار في ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ وجعلهم أثراً بعدعين ، ثم ألحق الأمير بهؤلاء عميدهم الصباغ سنة ١٩٤٥ الذي أبقى جثته معلقة على باب وزارة الدفاع حتى يشرّف ليتفرج عليها تشفياً وكان شفعهم بالبطل يونس السبعاوي .

لله درك أيها الراوي أنت بسلامته نية تخاطب هذا الحقود الذي لا حد لمطامعه ولمطامحه هذا الذي سبب ضياع ملك بني هاشم الذي أسسه فيصل ورصنه خليفته غازي :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلى من طبعه الغضب

حل اليوم الثالث والوصي لا يزال في الديوانية وإذ بالشائعات : أن الوصي غير مطمئن إلى الوزارة التي أمر هو بتشكيلها ولأجل قطع دابر هذه الشائعات أرسل طه الهاشمي وزير الداخلية عمر نظمي مصحوباً بامين زكي إلى الديوانية لإقناع الوصي بالعودة فلم تقبل هذه الوساطة فاضطر طه أن يأتي إلى الديوانية بنفسه في اليوم الرابع ليقنع الوصي فقبل العودة وقد رجوت سموه أن أكون في المعية فوافق وهكذا توجهنا إلى بغداد بركب من السيارات وكان يصحبني بالسيارة الحاج محسن شلاش ومع علمي أن له صلة صداقة بي وهو رجل محترم ومن أقطاب زعماء ثورة حزيران سنة ١٩٢٠ ومن ثم أصبح وزير مالية في عهد فيصل وهو

يملك سيارة فلماذا رغب الركوب معي في السيارة؟ ألمجرد الصداقة وحتى نستأنس ببعضنا في سيارة واحدة بدلاً أن نكون كل منا في سيارته؟ اللهم علم ذلك عند الله إذ صرت أفكر بعدما تذكرت مجيء الشريف حسين إليّ وانتقاده خروج الوصي من بغداد وأنه كان مرسل من الوصي ليتعرف على رأيي وكيف أني وافقت الشريف حسين وشجبت مجيء الوصي عفواً يا صديقي محسن شلاش إذا خطر لي مثل هذا.

استقبل متصرف الحلّة الركب الأميري استقبالاً حاراً ثم واصلنا السير إلى العاصمة فوصلناها وكان الاستقبال أكثر من حار. ولارى انعكاس موقفي في بغداد ـ بعدما علمت أيها القارىء أن العميد الركن طه الهاشمي وهو العمدة إن قال لي «أن موقفك سليماً ـ اختليت بكل من الوزيرين حمدي الباجه جي وعبد المهدي فأثنى كل منهما على موقفي ثم تركتهما وذهبت إلى دار كل من رشيد عالي وصلاح الدين الصباغ لأرى رأيهما فرأيتهما أنهما راضين من موقفي فحمدت الله على ذلك إذ أني أرضيت الله والضمير ورضى به كلا الطرفين من موافق ومعارض وكان لدرجة من الحكمة أنه انتهى كل شيء بسلام وبدون إراقة قطرة دم مصداقاً لقوله تعالى:

«وأن فئتان من المؤمنين اقتتلا فأصلحوا بينهما» صدق الله العظيم.

ولكن بطل روايتنا الوصي الوحيد الذي كان يظهر غير ما يبطن إذ في العلن كان يظهر الرضا، وفي السر يريد يقطعني إرباً إربا وظل حانقاً عليّ قرابة ثماني عشرة سنة حتى توفاه الله وإتماماً للبحث أذكر حدثاً هاماً وقع في اليوم الثاني من وصول الوصي إلى الديوانية فقد أراد عشائر المنطقة وهم أهم عشائر العراق الذين دوخوا الإنكليز في ثورة سنة ١٩٢٠ أرادوا مواجهة سمو الأمير للسلام عليه ولبيان أحاسيسهم، فمنعتهم حتى يتكاملون حيث أن عبد الواحد الحاج سكر والسيد علوان الباسري وعبد الساده والسيد محسن أبو طبيخ ما كانوا حاضرين فأوعزت بحضورهم

والدخول سويةً وهكذا حضروا ودخلوا في اليوم التالي جملةً وآنذاك كان القسم المتزلف منهم ومن المنسوبين اليه أو إلى نوري أو علي جودة أو جميل كان كل من هؤلاء يبدي خدمته ويدعي أنه حاضراً عند الملمات وأنه وأنه ..... الخ فلما خرجوا من سموه منعتهم أن يتفوهوا بعد الآن بكلمات مثل هذه لئلا يتأزم الموقف وبالطبع عندما يصل الخبر إلى الوصي سوف يتألم أكثر ولكن :

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً عليّ لئامهــا

بقيت في بغداد بضعة أيام ولما عزمت على العودة إلى الديوانية ذهبت إلى طه الهاشمي الذي أصبح رئيساً للوزراء ، ووزيراً للدفاع للاستئــذان بالسفر وكذلك عرضت عليه فكرة استحسنها ووعدني بأنه سيطبقها بعد شهرين وهي : قلت له : ان أحسن حل لنخلص البلد من هذه الانقلابــات المتعددة ، هي : حيث قائد الفرقة الأولى كامل شبيب الذي مركزه في بغداد وقائد الفرقة الثالثة صلاح الدين مع أن معظم وحدات فرقته في بعقوبة والمنصور والجولاء قد جعل مقر الفرقة في بغداد وكلما حلا لهم الوقت اعتصما في معسكر الرشيد ويملوا إرادتهما فقلت إلى طه للتخلص من هذه الورطة أحسن حل تصدر أمراً بنقل أحدهما إلى الديوانية وحينــذاك يكون « قام الداس يا عباس » .

كذلك وأنا في طريقي إلى الديوانية عرجت على الأمير عبد الإله في قصر الرحاب للاستئذان بالسفر ولأبدي لسموه عين الفكرة زائداً : إنك يا سيدي الأمير بصفتك سيد البلاد الوصي على العرش والقائد الأعلى للقوات المسلحة عليك أن تكون فوق الاتجاهات وفوق الأحزاب وأنت حصتك الراحة مالك ولنوري وغاياته وجميل ومآربه وصالح جــبر ورغباته والصدر وطلباته ؟؟ أنت مالك وإنكلترا ودسائسها ، وروسيا ودخائلها ، وأميركا وهيمنتهما؟ أنت عليك أن تفعل كما كان المغفور له عمك الملك

فيصل يسايس الجميع وو .... الخ وكان من عادة الوصي أن لا يبدي رأياً خصوصاً إذا كانت الفكرة لا تعجبه . وكيف تعجبه فكرة الراوي هذه؟ «مبغوضة وجابت بنيّة» إذ غير المزكّى عنده يبدي له رأيـاً ويستشهد أنه فيصلاً كان يأخذ به والوصي يعد نفسه أعظم من فيصل وبالفعل العلائم التي كانت بادية على وجهه تنبيء بعدم رضاه.

تركته وذهبت إلى الديوانية وإذ بعـد حوالي الشهرين أي في ٢٦ مارت سنة ١٩٤١ برّ طه بوعده وأصدر أمراً وهذا نصه :

١ ـ ينقل قائد الفرقة الرابعة أمير اللواء الركن ابراهيم الراوي إلى قيادة الفرقة الأولى ببغداد .

٢ ـ ينقل قائد الفرقة الأولى العقيد الركن كامل شبيب إلى قيادة الفرقة الرابعة بالديوانية

ولما كان هـذا النقل أنا الذي طلبته ، فرحت بـه لأن فيه المصلحة العامة للبلد وهو ليس في صالحي الشخصي إذ أنـا هنا في الديوانية ، وأهلي معي ، أسكن داراً حديقتها تنوف على الـ ١٠,٠٠٠ متر مربع ، مستقلاً بعيداً عن بغداد ودغدغاتها ومداخلاتها «أسيّر وأطيّر» في منطقة طويلة عريضة تتكون من الوية الديوانية وكربلا والمنتفـك والبصرة والعمارة، وكلما عنّ لي أن أريح فكري أذهب لتفتيش الوحدات المعسكرة في تلكم الألوية كشخص ذاهب لتبديل الهواء. أما أوقاتي في الديوانية كانت وفق المشتهي والمراد إذ كل من المتصرفين جلال خالد ومن بعده أحمد السوز . كان امتزاجي معهم على أحسن ما يرام، الأول تعرفت عليه في سنة ١٩١٩في الحجاز، إذ كان مرافقاً لوزير الدفاع صبري العزاوي وهو من أعز أصدقائي وذو مبدأ قومي ولطيف معشر من الطراز الأول ، والثاني لا يقل عنه من الشهامة وحسن المعشر ومبادىء قوميّة وكنت أعطي لكل منهما حصاناً ونطلع إلى خارج البلد للترّوض فضلاً عن ممارستي للعبة التنس ولعبة الكرة والصولجان وكان ضباط الأحداث أمثال عبدالسلام محمد عارف، ورشيد مصلح وعبد العزيز العقيلي، منهم من يشارك في اللعبة ومنهم من يتفرج وللزيادة في الترغيب كنا نخصّص كؤساً وندخل في

سباقات لكسبها. وهكذا كنت في عهد ذهبي بين أهلي وأصدقائي ومع علمي أن الموظف في الدولة عليه أن يكون فوق الأحزاب وينفذ ما تأمر به قوانين الدولة وأنظمتها ولكن هذا لا يمنع أن الموظف من حقــه أن يثمن أعمال فلان لمبادئه وبطولته وتضحياته ويرجحها على فــلان الذي يلعب على الحبلين. وكنت أميل في لواء الديوانية إلى الحاج عبد الواحد الحاج سكر والسيد علوان الياسري وعبد السادة والسيد محسن أبو طبيخ حتى أني مرة ذهبت مع المتصرف جلال خالد لزيارة عبد الواحد ومرة أخرى ذهبنا إلى عبد السادة وبتنا عنده وفي تلك الليلة حكى لنا الحكاية التالية والعهدة عليه :

في بدأ الاحتلال والحكومة البريطانية في عز سطوتها طلبني المفتش الأداري البريطاني في الديوانية وكان هو الكل في الكل وقال : عبد السادة إذا تقدم لنا طلباً موقعاً من قبلك توافق فيه على طلب الحماية أو الوصاية فنحن نعطيك الأراضي الفلانية وإن لم ترضى فغداً تأتي الطائرات وتلقي قنابلها عليك وعلى عشائرك ولما انتهى من حديثه قلت له : لو تضع نفسك بمكاني وأنت ببلدك وأطلب منك ما تطلبه مني فهل توافق عليه؟ قال « أوه عبد السادة أنت شلون راسك ناشف » .. وفعلاً في اليوم التالي أتت الطائرات وأمطرتنا بقنابلها . أما عبد الواحد فوجد حادثتان حول ما كان عليه من صلابة في الوطنيـة إحداهما نقلها لي الكرنل أيدي عندما ذهبت وإياه في سنة ١٩٢٩ ومعنا بكر صدقي وسعيد حقي وبهجة صالح وبهــاء الدين نوري إلى كركوك والسليمانية للتفتيش قال أيدي :

بعد انتهاء ثورة سنة ١٩٢٠ كنت عضواً في المحكمة التي حاكمت زعماء تلك الثورة فسألنا الشيخ الفلاني والشيخ الفلاني لماذا قمتم بالثورة؟ فكان الجواب : « جا إحنا شنسوي المجتهدين أفتوا إذا أنتم لم تحاربوا الإنكليز الكفار فإن نسائكم طالقة ونمنع دخولكم لزيارة قبور الأئمة » ولما سألنا المجتهدين : « لماذا أنتم أصدرتم فتوى مثل هذه »؟ قالوا : جا إحنــا

شنسوي الشيوخ أجبرونا على هذا إذ قالوا: إن لم تصدروا فتوى مثل هذه فنحن لا نؤدي الزكاة ولا نهدي العطايا ونحن نعيش على الشيوخ » ولما سألنا عبد المحسن شلاش « لماذا أنت كنت تموّن الثوار بمالك؟ » أجاب: ماذا أعمل وأنا ثري وساكن بالنجف فجاءني الثوار وطلبوا مني المال فإن كنت لا أوافقهم فإنهم يأخذونه بالقوة ويؤذونني ». أما عبد الواحد فقد قال: « نعم أنا القائد العام للثورة حاربتكم وأحارب كل حكومة غير عربية » قال فأكبرنا فيه هذا الحماس الوطني.

أما الحادثة الثانية فكنت في الديوانية في عام ١٩٤٠ فأتاني ضابط الاستخبارات الملازم عبد اللطيف حسن ـ العميد عبد اللطيف ـ ومعه تقرير فيه طعن في وطنية عبد الواحد إذ يقول: إن الكولونيل نيو كمب الإنكليزي زاره وتحدثا بأمور ضارة بمصلحة البلد. وو .... الخ ولو كان قائد فرقة آنذاك غيري لوقّع التقرير وأرسله إلى دائرة الحركات ببغداد حتى ولو وصموا فيه عبد الواحد بأمور هو براء منها والقضية ـ كما فهمتها بعدئذٍ ـ كانت كما يلي:

كان نيو كمب هذا أحـــد الذين زاملوا لورانس المسمّى « ملك العرب غير المتوج » كما زامل كور نواليس وكلايتن وجويس الذين أسهموا في الثورة العربية في الحجاز وقد أرسلته الحكومة البريطانية إلى العراق في تموز ١٩٤٠ للاطلاع على الحالة في ذلك الوقت العصيب ومعرفة ميول العراقيين واتجاهاتهم، والسعي لحمل الحاج أمين الحسيني على العودة إلى فلسطين، وكانت الحرب العالمية الثانية قد اندلعت نيرانها فاصطحب السيد عبد الرزاق الحسني وذهبا إلى المشخاب لمقابلة عبد الواحد والوقوف على رأيه لأن في رأيه (فصل الخطاب).

قال نيو كمب للشيخ عبد الواحد يا عبد الواحد أنا آتٍ من بغداد ولم أصطحب معي لا مترجم ولا ممثل غير الأستاذ عبد الرزاق الحسني بصفته الشخصية فهو لا من الحكومة الإنكليزية ولا من الحكومة العراقية وأريد أن أسمع منك شخصياً رأيك فيما أعرضه عليك الآن وابعث به

إلى حكومتي في لندن أيام شدتها. وبعد أن أفهم نيو كمب عبد الواحد بالذي عناه قال الشيخ : حنا ما نحبكم يا «إنكريز» ولماذا ؟ فأجابه الشيخ

لماذا نذهب إلى الوقائع البعيدة وكيف عاملتم حليفكم الملك حسين ابن علي؟ وكنتم السبب في خلعه عن عرشه، ومن ثمّ إبعاده إلى قبرص حيث قضى نحبه؟ بل الآن والحكومة العراقية تطالبكم – وهي في أشد الحاجة لتزويد جيشها بالسلاح – ولا سيما أن الحرب العالمية الثانية قد أعلنت، والمعاهدة العراقية تحتم عليكم لا بتزويدنا بالسلاح حسب بل بيعنا أحدث السلاح. فكان جواب حكومتك : «إننا الآن في حرب، وأن معاملنا بالكاد تكفينا». ولو كان كلامها هذا صحيحاً لقبلناه ولكنها في عين الوقت تأتون بالسلاح بالبواخر وتمرّرونه بقطاراتنا هدية إلى تركيا عدوتنا وعدوتكم إذ كنا نحن الإثنان قد حاربناها في الحرب العالمية الأولى ولهذا فنحن لا نحبكم يا أيها الإنكليز».

وعبد الواحد من هذا النمط من الرجال ذوي المبادىء الحقة، وهو الذي طلب منه فيصل الأول أن يصوت إلى جانب المعاهدة عندما كان عضواً في المجلس التأسيسي فقال له أنا لا أصوت. فألح عليه فيصل فقال لجلالته : سيدنا : أنا لا أصوت وليصوت غيري وهم كثيرون فقال الملك ولكن يا عبد الواحد أنت إذا صوّت فسيتبعك الكثيرون ويصوتون فاجابه : سيدنا لا تلح كثيراً فإني لا أصوت ولو أن جلالتك كنت بمكاني لما كنت تصوت. فأنا وعشائري صرفنا أموالاً جمّة وضحايا لا عد لها في ثورتنا على الإنكليز وبعد انتهاء الثورة سجنوني وهدّدوني وعصبوا عيني ووجهوا بنادقهم نحو صدري طالبين مني التوقع على وريقة أوافق فيها على حماية أو وصاية فلم أوقعها. والآن – وأنا عضو في المجلس التأسيسي – أصوّت على معاهدة تفرض انتدابهم لمدة عشرين سنة وفيها مضار لا حصر لها؟ لا والله لا ولن أصوت.

نعم هذا هو عبد الواحد الذي ذهب يوماً إلى الوصي عبد الإله

وهو في عز جبروته — وقال له : « هذا العراق لأهله لا إلك ولا للإنكليز »

أطلت الحديث وقد ذكرت آنفاً أن ليس من صالحي الشخصي أن أنقل إلى بغداد وأترك الديوانية ولي أصدقاء ثمينين من مدنيين وعسكريين وأقطاب ثورة سنة ١٩٢٠ الذين أجلّهم وأقدرهم ولكن ماذا العمل والمصلحة العامة تقضي ذلك؟ ولذا تلقيت أمر النقل بهذه الأحاسيس فبدأ المتصرف بدعوتي يوماً ويوماً آخر رئيس المحاكم وطوراً مدير الشرطة وآناً الجهة العسكرية ثم وجهاء البلد. وبعد الانتهاء من هذه الحفلات وبينما كنت على وشك الحركة من الديوانية والمودعون — وهم كثر — وعلى رأسهم المتصرف يريدون مرافقتي إلى الحلّة حيث كان سليمان البراك مهيئاً غداءً دسماً. أقول بينما نحن على أهبة السفر وإذا بتلفون من بغداد هلو : نعم :أنا وكيل رئيس أركان الجيش أمين زكي يتكلم. تفضل سيدي أنا ابراهيم الراوي . إن أمر النقل الغي . ولكن أنا ساحضر إلى بغداد حيث أني مشترك في معرض الخيل. انتهت المكالمة التلفونية.

بالله عليك أيها القارىء ماذا كنت أنت أن تعمل تجاه هذه المباغتة؟ السيارات واقفة ومتهيئة للحركة، وفيها معظم كبار موظفي اللواء ووجهائه حاضرون لمرافقة قائد الفرقة إلى الحلة، وهناك البراك مهيئاً الغداء لي والى الذين وجه اليهم الدعوة من رسميين وغير رسميين فهل أقول لهم أن أمر النقل الغي؟ ما هذه المسخرة؟ أمر النقل هذا الذي الغي فهل يخص ضابط صف أو جندي أو ملازم أو مقدم لنستسهله؟ إن أمر نقل قائد فرقة متفق عليه بين رئيس الوزراء ووزير الدفاع ورآسة أركان الجيش، ومدعم بموافقة الوصي والقائد العام للقوات المسلحة، ولا شكّ أن الاستخبارات البريطانية مرتاحة له فكيف يلغى؟ لا أذكره والله للمودعين بل أكتمه وكأنه لم يحدث شيء، ولنذهب إلى الحلة ونحضر وليمة البراك ومن ثم أودعهم شاكراً في طريقي إلى بغداد وهكذا ذهبنا وتغدينا في الحلّة ووصلت بغداد.

هرب الوصي الى الحبانية واستقالة الوزارة

في اليوم الثاني لوصولي بغداد ــ وكنا في معرض الخيل ــ سمعنا أن الوصي ترك بغداد. ولكن إلى أين يذهب الوصي في هــذه المرّة وابراهيم الراوي في بغداد؟ وحتّى لو كان الراوي في «الديوانية» فلماذا يذهب اليه؟ إذن «من جرب المجرب حلّت به الندامة» فقد سبق له وذهب اليه قبل شهرين ولم ينجح...

إن حادث النقل ثم الغائه أي نقلي إلى بغداد ونقل كامل شبيب إلى الديوانية، كان السبب الوحيد المباشر لكل ما وقع بعده من الحوادث التي سببت استقالة وزارة طه الهاشمي فالاصطدام مع الإنكليز في ٢ مايس سنة ١٩٤١ أقول هذا وأصرّ عليه مهما قال المؤرخون وعللوا الأسباب والمسببات. إذ بعدما صدر أمر النقل اجتمع العقداء ووضعوا الخطة لكل ذي عينين وكان طه الهاشمي طيلة هذه المدة لم يتمكن من إقناع الوصي بتنفيذ وعده له عندما تحمل عبء تشكيل الوزارة وهو: أن يتكرم فيشمل العقداء برضاه ومع أن طه لا يوافق العقداء على أعمالهم الطائشة بحدوث الانقلابات، كان يعتقد جازماً: بأن العقداء ذوي نيات حسنة، وذوي مبدأ قومي، ولهم سيطرة على الجيش. نعم العقداء الأربعة اعتقدوا أن القصد من وراء هذا النقل تشتيتهم ثم إحالتهم إلى التقاعد ولذا قرروا أن يتغدوا بخصمهم الالد قبل أن يتعش بهم» وهكذا بعد الاتفاق مع مؤازريهم نفذوا خطة أوجبت أن الوصي يلتجيء إلى الحبانية ويستقيل طه ويأتي رشيد عالي ويحصل الاصطدام كما هو معروف ومسجل في ما شطره المؤرخون. فلماذا لا تنفذ وعدك أيها الوصي لتجعل الأمور تأخذ مجراها الطبيعي وتجنب البلاد ويلات هي في غنىً عنها ولما كنت تركت عاصمة ملكك وتلجأ إلى الإنكليز فتكون سبباً لهدر دماء غزيرة. فعنادك هذا الذي جرّ البلاد إلى احتلال إنكليزي ثانٍ هتكوا خلاله حرمة البلاد وعرضوا استقلالها للخطر وأهينت كرامة الجيش الغالية؟

بعد أن هرب الوصي إلى الحبانية واستقال طه، أسندت رأسة الوزارة إلى رشيد عالي فحاولت العودة إلى الديوانية فمنعوني عنها بطريقة لبقة بحجة الاشتراك في معرض الخيل الذي سيجري في الأسبوع المقبل. فقد لاحظ القائد ورشيد عالي أنهم إذا سمحوا لي بالعودة إلى الديوانية فربما يتصل بي الوصيّ من الحبانية ويضطرني أن أتعاون وإياه على إحباط خططهم ناسين أو متناسين عدم تعاوني معه في مجيئه الأول. وبعد بضعة أيام أتاني حسين فوزي[1] الخيال وجرى الحوار التالي بيني وبينه :

م – سيدي لك وصية من الوصي .

أ – هاتها لأطلع عليها .

م – الوصية شفهية .

أ – قل لي مضمونها .

م – يريدك الوصي أن تذهب إلى البصرة .

أ – من الذي أنبئك بها ؟

م – أنبأني بها مدير الاستخبارات البريطانية دونفل .

أ – وبأي طريقة أذهب إلى البصرة وكيف ؟

م – دونفل يقول: أني مستعد أن التقي مع الراوي في أي محل يعينه للبحث في كيفية الذهاب .

أ – أنت أولاً قل لي كيف أستطيع أن أصل إلى البصرة ؟

م – أنت ساكن هنا على الشط يأتيك ليلاً زورق بخاري فيحملك إلى «سلمان باك» ومن هناك تأتيك طائرة إنكليزية لنقلك إلى البصرة .

أ – طيب إذا وصلت إلى البصرق فما هي الغاية ؟

---

(١) حسين فوزي الملقب بالخيال تخرج ضابطاً في سنة ١٩٢٧ وأحيل إلى التقاعد برتبة نقيب بعد مقتل بكر صدقي، وأصبح كجاسوس للانكليز ، وأخيراً كافأه عبد الإله بعد عودته من عمان ودخوله بغداد منتصراً تحت حراب الإنكلتز فألحقه الى الشرطة وترصل إلى رتبة أمير لواء فسجل يا مسجل ! !

م – الوصي الآن في البصرة ومعه علي جودة الأيوبي وجميل المدفعي [1] أتوا بطيارة إنكليزية من الموصل وصالح متصرف في البصرة ويرغب الوصي تشكيل حكومة في البصرة وأنت إذا أتيتهم وبصفتك قائد فرقة تشد إزرهم ومع الجيش الإنكليزي تقومون بحركة ضد بغداد .

أ – قل إلى دونفل[2] أن ابراهيم لا يقوم بعمل مثل هذا ، ولا يمكن أن ينشق على جيشه . وقبل هذا الوصي جاءني إلى الديوانية وطلب مني ترؤس الحركة ضد بغداد بدون الجيش الإنكليزي فلم أوافقه فكيف أوافق الآن ؟

وبهذه المناسبة أود ان أثبت هنا حديثاً كان قد جرى بيني وبين دونفل في جلولاء من قبل وهو :

د – السوريون لا يحبون الإفرنسيين .

أ – والعراقيون لا يحبون الإنكليز .

د – لماذا ؟ اليس الوضع الآن أحسن من العهد العثماني ؟

أ – كلا .

---

(١) جميل المدفعي كان ترك بغداد وذهب إلى الموصل كما تركها نوري إلى عمان ، ومولود مخلص إلى تكريت. وحيث أن تحسين علي كان متصرفاً للواء الموصل وهو صديق لجميل، ولأنهما من صف واحد فقد ذهب جميل إلى البصرة بطائرة إنكليزية نقلته من الشرقاط وعلى أثر هـذه الحركة غضبت حكومة رشيد وطلبت إلى قائد الفرقة قاسم مقصود أن يتولى منصب وكالة المتصرفية وأن يرسل تحسيناً مخفوراً إلى بغداد وهكذا أهين تحسين وأرسل إلى بغـداد ولكن في طريقه مر بأربيل وعامله النقيب أمين راوندوزي معاملة حسنة .

(٢) دومفل رئيس الاستخبارات البريطانية في بغداد ومن بعدهـا قام بعين العمل في عمان . هذا الضابط النشط كان خيالا وكان مفتشاً في سنة ١٩٣٠ جرت تمارين في « الجلولاء » بين فرقتين من فرق الجيش، وكنت آنذاك برتبة مقدم خيال، وفي الوقت نفسه كنت تلميذاً في كلية الأركان الأولى وأخذونا كحكمين في هذه التمارين ودومفل هذا كغيره من ضباط البعثة البريطانية كان عضواً في الاستخبارات البريطانية .

د ـ إذا عندك حديقة عامرة احسن او خربه ؟

أ ـ إذا عندي حديقة خربة وأنا المتحكم فيهـا أحسن من حديقةعامرة وغيري متحكم فيها . ولا تنس يا دونفل أني أحد الضباط الذين حاربوا جنباً إلى جنب معكم ضد خليفته المسلم الشرقي ليستقل فكيف يرضى الآن أن يحكمه شعب أجنبي عنه في كل شيء ؟

د ـ ولكن أنتم من الصعوبة بمكان أن تحافظوا على استقلالكم والأعداء تكتنفكم من كل جهة : هذه إيران وهذه تركيا تجاوركم كذلك الإفرنسيون في سوريا وحتى أن ابن سعود غير مطمئن إلى الهاشميين .

أ ـ إني أعجب من قولك هذا اليس توجد في أوروبا وغيرهـا حكومات صغيرة ومحافظة على استقلالها بعقد حلف مع بعضها وعددت له تلك الحكومات .

د ـ ولكن عندكم حتى التجند الإجباري يصعب تطبيقه .

أ ـ وهذا أعجب العجب ! ! ألا تعلم أن التجنيد الإجباري كان مطبقاً في العهد العثماني في العراق عدا العشائر والآن لسيطرتكم وهيمنتكم على البلاد . توعزون إلى النواب العشائر ـ في المجلس النيابي ـ أن لا يوافقوا على قانون التجنيد .

وهذا الحوار يا قارئي العزيز لو تصورت وقت وقوعه في سنة ١٩٣٠ والإنكليز كانوا الكل في الكل في العراق والبعثة العسكرية البريطانية وعددها ٤٤ ضابطاً تسيطر سيطرة تامة والمعاهدة العراقية ـ الإنكليزية ـ على إسقاطها ـ ما كانت عقدت وكنا طبعاً غير داخلين إلى عصبة الأمم والراوي يجاهر وعلى ملأ من الناس بل يخاطب من هو في «الانتيليش سرفس » بعدم رضاه بل بعدائه للإنكليز الأمر الذي كانوا جاعلينه في القائمة السوداء وكانوا يعبروا عني «آنتي بريتش » وإلى الآن وفي سنة

١٩٦٩ والسفارة الإنكليزية الوحيدة لم تشرفني بدعوة من دعواتها الكثيرة في حفلة كوكتيل أو عشاء أو غداء مع أن جميع السفارات العربية والإسلامية ومعظم السفارات الأجنبية من هندية وأميركية وروسية توجه الدعوات إلي باستمرار اللهم عدا مرة واحدة قبل سنتين دعاني السفير البريطاني بومونتي إذ كانت له معي معرفة شخصية إذ كان في عهد عبد الإله يشترك معنا في صيد ابن آوى.

ترك حسين فوزي الخيال داري خائباً وذهب ليخبر سيده دونفل وأنا بدوري خرجت من داري وذهبت وأخبرت ابن عمي جميل الراوي وابن عمتي رشيد الخوجة والإثنان استحسنا عملي وقد قال لي رشيد: «إن الجيش بمجموعه يذهب إلى النار ولا ينشق على بعضه وأنا أقترح عليك أن تذهب الآن إلى رشيد عالي فتخبره بالكيفية. فذهبت إلى دار رشيد عالي وأخبرته بالذي حدث فاستأنس لآخر درجة وقلت له: اليس كان بإمكاني أن التحق بالوصي؟ قال نعم إذ أنك غير مراقب. وقام وودعني إلى باب الدار. وفي اليوم الثاني سجنوا حسين فوزي ودعوني وأخي عبدالكريم إلى الشهادة هذه وكادوا أن يعدموه لو طال الزمن وإني أضرب صفحاً عن كيفية عزل الوصي ونصب غيره وكيف ترك البصرة على باخرة إنكليزية وعن موقف رشيد جودة منه إذ أن هذه الحوادث مدونه ومعروفة.

ذهابي إلى البصرة

بعد بضعة أيام اجتمع مجلس الدفاع الأعلى للمذاكرة حول إنزال الفرقة العسكرية البريطانية التي وصلت من الهند بعد تأزم الموقف وهم يريدون إنزالها في البصرة بحجة إمرارها إلى فلسطين وكنت حضرت المجلس، كما حضره مفتش الجيش الفريق ووتر هاوس، فقرر المجلس

إرسالي مع ووتر هاوس إلى البصرة لأوافق على إنزال الفرقة باسم الحكومة وهكذا ركب كل منا طائرة وتوجه إلى البصرة . ولأجل أن أطمئن أهل البصرة صحبت زوجتي بالطائرة . في اليوم التالي ذهبت مع ووتر هاوس إلى الباخرة وباسم الحكومة وافقت على إنزال الفرقة ، فنزلت وعسكرت في أطراف البصرة وفي اليوم التالي أراد الإنكليز أن يعلنوا من يوافيهم للاتفاق على تموين الفرقة بالطعام لمدة ستة أشهر فمنعتهم من ذلك لأن المعاهدة لا تخولهم غير حق المرور ضمن مدة محدودة وفي هذه الآونة أرسلت بغداد نقباء الركن محمود الدرة ومزهر الشاوي وعامر حسك ومحمد الطربجي لمعاونتي . أما اليهود فقد استقبلوا الإنكليز بالزغاريد ثم بإرسال الهدايا لهم من فواكه وغيرها مما هو معروف عند أهل البصرة قاتلكم الله يا يهود أنى تؤفكون . فإن نصارى البصرة كان أولى منكم باستقبال الإنكليز لكنهم لم يفعلوا ذلك مجاراةً للمسلمين . في تلك الآونة أرسلت الحكومة البريطانية السركورنواليس سفيراً إلى العراق فلما تأزم الموقف رفض تقديم أوراق اعتماده وأخذ يتصل بالأذناب وكان خدم في العراق لمدة طويلة ويعرف من أين تؤكل الكتف نعم تأزم الموقف للغاية من جراء عدم تقديم أوراق الاعتماد ومن الموقف الذي وقفه الجيش العراقي بأخذه المواضع أمام قاعدة الحبانية ، ولوصول وحدات مشاة ومدفعية إلى البصرة لتعزيز الحامية وهكذا تأزم الموقف في البصرة ولا سيما وأن الفرقة البريطانية معسكرة فيها ولاجل تلطيف الجو استصحبت مصطفى طه السلمان أحد نواب البصرة ولآل السلمان مصاهرة مع آل الراوي معي وذهبت إلى القنصل البريطاني وبينت له : إن موقف حكومته مع العراق يخالف ما تقضي به المعاهدة تلك المعاهدة التي ما كنا راضين عنها ، والتي اشتكى منها العراق إلى عصبة الأمم على لسان زعمائه : يس الهاشمي ورشيد عالي ، وأن رشيد عالي الآن يطبقها نصاً وروحاً بقبوله إنزال القوات ولكن يمتنع كورنواليس عن عدم تقديم

أوراق اعتماده وهذا غير صحيح فلماذا تمسكون جانب الوصي الذي خلعه المجلس النيابي العراقي ؟ ولماذا هذا التدخل في أمور لا تعنيكم ؟ إن مليككم أدورد السابع لما أراد أن يتزوج امرأة أميركية مطلقة ولم ترضوا عنه ورفعتموه عن العرش فهل تدخلنا نحن أو غيرنا في ذلك ؟ إن هذه أمور داخلية تخصكم أنتم فقط . كذلك أنتم لا شأن لكم بالدفاع عن عبد الاله الذي هو – قبل أن يكون وصياً – من حفدة رسولنا الأعظم ، ونحن أولى بالحنوّ عليه منكم ، وحيث خالف الدستور خلعه المجلس . فأعطاني الرجل بعض الحق ولكن بعد بضعة أيام تأزم الموقف من جديد فدعوت قائد الفرقة الجنرال فريزر للعشاء في فندق شط العرب لنتحدّث حول الموقف بغية تلطيفه فقبل الدعوة أولاً ثم اعتذر في اليوم التالي لأسباب ذكرها ، ورجاني أن أوافيه إلى محلّ قيادته في الباخرة لتناول العشاء فقبلت الدعوة وذهبت في الوقت المحدّد ، وأخذت معي الملازم الأول – العميد الركن شكري محمود نديم – الذي أصبح مؤخـــراً نائباً لرئيس أركان الجيش وهو من خيرة ضباطنا كفاءة . وبعد العشاء جرى حديث بيني وبينه وذكرت ما قلت له للقنصل وزدت عليه أموراً أخرى قائلاً :

نحن العرب من صالحنا أن نمشي مع الإنكليز لسببين أولاً : لأن بلادنا محاطة بالإنكليز براً وبحراً ، وثانياً لأنهم أغنياء وأن الألمان بالنسبة فقراء وطبيعي من صالح الإنسان أن يكون جاره غنياً حتى إذا لم يستفيد منه يأمن شره ولكن الجار الفقير لا يفيده وأنتم الإنكليز في الوقت الذي نحن نطلب منكم بيعنا أسلحة تحتم عليكم المعاهدة أن تبيعونا أحدثها فتتنصلون بأعذار ما أنزل الله بها من سلطان ، بل الأكثر من ذلك تهدوها للأتراك وتمرروها بقطاراتنا وتعاملونا معاملة ناكرين الجميل . مع أنا حالفناكم في الحرب العالمية الأولى وكنا السبب المباشر لنصركم في فلسطين بشهادة الجنرال اللنبي فقلبتم لنا ظهر المجن بعد الهدنة ، وأتيتم لنا باتفاقية سايكس – بيكو سنة ١٩١٦ التي مزّقت بـــلادنا إرباً إرباً بينكم وبين الإفرنسيين ثم

شفعتموها بوعد بلفور المشؤوم في سنة ١٩١٧ وبموجبه أصبح لليهود وطناً قومياً ومنذ ربع قرن وأنتم تمكنوهم من تدفق الهجرة المشروعة وغير المشروعة وتمنحوهم الأراضي الأميرية وتمكنوهم من شراء الكثير منها وتزودوهم بالأسلحة لتشكيل جيش يهودي وها أن نوري السعيد جاملكم الآن في حربكم مع الألمان وقطع العلاقة وسلمكم سفيرهم غروبة ومن معه خلافاً للعرفِ الدولي والآن وزير خارجيتكم إيدن يطلب من وزير خارجيتنا توفيق السويدي ليوافيه إلى القاهرة ويطلب منه فيها أن يقطع العلاقة مع الطليان فلماذا كل هذا التدخل؟ إن المعاهدة لا تفرض علينا قيوداً مثل هذه وأن نجاريكم إلى هذا الحد ونحن بعد أن قطعنا العلاقة مع الألمان لا نخشى قطعها مع الطليان ولكن لماذا نقاطعهم ومقابل أي شيء؟ وأنتم لم تطلبوا ذلك من صديقتكم تركيا وها أن سفير الألمانلا يزال في أنقرة بل الأعظم من هـــذا أن إيرلندة لم تقطع علاقتها مع المحور وأشياء كثيرة ذكرتها للجنرال فريزر فقـــال لي: معك حق ببعض الذي تقوله ولكن المدنيون لا يسمعونا نحن العسكريين. فقلت له ولكنك أنت عين لندن وأنا عين بغداد فلنذهب بالطائرة سويةً إلى بغداد وأنت تقنع كورنواليس وأنا أقنع رشيد عالي فكرر قوله إننا العسكريون غير مسموعي الكلمة عند المدنيين فقلت له إن لم تفعل ذلك فستواجه أنا وإياك كمحاربين غـــداً ــ قلت له ذلك وأنا أعني بكلمتي غداً المستقبل وبعد عشر ساعات تقريباً أي بعد بزوغ فجر ٢ مايس ٤١ وقع الاصطدام وكان الرجل بعد انتهاء هذه المحادثة كان لطيفاً معي حيث أبقى جماعة الحرس التي استقبلتني الى قبيل المساء لتودعني في الساعة ٢٠٠٠ وكانت هذه مجاملة فوق العادة لأن جماعة الحرس تصرف عند حلول الظلام.

نهضت باكراً في اليوم التـــالي للذهاب إلى المتصرفية بمناسبة حلول ٢ مايس ــ وهو ذكرى اعتلاء الملك فيصل الثاني العرش ــ وبينما

كنت أعلّق الأوسمة على صدري ، أخبرني آمر لواء المشاة السابع العقيد رشيد جودة بأن الاصطدام وقع في الحبانية فأمرته أن يعبر شط العرب ليلتحق بلوائه الذي كنا سحبناه من البصرة ليعسكر في « كرمة علي » وأنا أيضاً التحق اليهم بعدما أعمل ما يجب لسحب الفوج المعسكر في « جبيلة » بين البصرة والميناء وعند ذاك أتاني العميد المتقاعد أحمد رشدي ومعه معاون مدير الميناء ، وهو ميجر إنكليزي ، يحمل شعوراً طيباً نحو العراقيين وطلبا مني الذهاب إلى الجنرال فريزر لعلنا نستطيع أن نقوم بعمل فيه خدمة للطرفين ومع أن الاصطدام وقع فعلاً في الحبانية والذهاب معهما إلى الجنرال فريزر لا يخلو من مجازفة وخلافاً لقواعد الحرب ولكني وافقتهما لعلي بهذه المواجهة أخلّص الفوج من الأسر وهكذا ذهبنا سويةً ولكن الرجل الذي كان لطيفاً معي إلى آخر درجة في الليلة الماضية أصبح غير ذلك الرجل . ومعه الحق ولكن أيضاً كان يجاملني إلى درجة أنه سمح لي بالمرور أنا وهيأة ركن القيادة فضلاً عن أنه وافق على أن يعبر بالفوج ويترك سلاحه تحت حراسة شرطة عراقية ولم ألح كثيراً لتخايص الفوج مع أسلحته لأني رأيت أثناء الحديث ضبّاط ركنهم يأتوه ويوشوشون في أذنه وربما كانوا يطلبون القبض عليّ كأسير إذ كيف يسمحون لقائد الفرقة أن يفلت منهم ولكنه لم يوافقهم على رأيهم فودعته شاكراً وذهبت إلى وكيل المتصرف صالح حمام الذي كان موقفه من الثورة مشرفاً — ورجوته أن يواجه الجنرال ليساعدني على أخذ الفوج إلى الضفة اليسرى من شط العرب بكامل أسلحته فوعدني بذلك . وبعد ذهابه عبرت شط العرب وعبر معي الفوج بكامل أسلحته وهكذا التحقنا إلى قواتنا المعسكرة في « كرمة علي » ولكن ... أتتهم الطائرات وقصفتهم فردوا عليها بالنار وأسقطوا واحدة من تلك الطائرات وفي اليوم التالي انسحبنا إلى « القورنة » فوصلناها بعدما خربنا الجسر وهناك وافانا متصرف العمارة ماجد مصطفى وكان هو وقائمقام القورنة

وفيق السعيدي فقاما بمعاونتنا خير قيام من الوجهتين الحربية والتموينية وفي اليوم التالي طلبوني من بغداد فذهبت اليها بعدما أصدرت الأوامر اللازمة إلى رشيد جودة ، ومن بغداد ذهبت إلى الديوانية للالتحاق بمقر فرقتي فرأيت المتصرف يحاول نقل عائلته فأشرت عليه أن لا يفعل ذلك لأن الأهلين سيحصل عندهم عدم اطمئنان فوافق على رأيي .

بقيت في الديوانية متخذاً الترتيبات اللازمة لمنع تقدم الفرقة من البصرة وكذلك اتخذت التدابير اللازمة الدفاعية والهجومية لطائراتهم التي كانت تزورنا بين الفينة والفينة حتى يوم ٢٦ مايس حيث طلبت من بغداد وبلغت بلزوم ذهابي إلى « روما » لأترأس البعثة التي كانت قد ذهبت قبلاً لشراء أسلحة من المحور وكان هذا الظاهر من إرسالي وأما في الباطن فكان إبعادي مقصوداً إذ كيف يسمح الموقف الحربي أن يسحبوا قائد الفرقة من الجهة الحربية وفرقته عليها العبء الكلي لمنع تقدم الفرقة البريطانية من الجنوب ؟ خاصة وأن البعثة كانت سافرت قبلاً وهي ليست بحاجة إلى رئيس بل الغاية واضحة وهو إبعادي من الديوانية . وأقول أعظم من هذا أنهم كانوا في أشد الحاجة إلى قائد فرقة مثلي لأن الوضع الحربي آنذاك هو أن صلاح الدين الصباغ كان مشغولاً بقيادة الفيلق من مركز القيادة ببغداد ، وفهمي سعيد كان قد انسحب على الطريقة المعلومة بعد أن قصفته الطائرات البريطانية نيراناً حامية وهو في مواضعه الدفاعية أمام قاعدة « الحبانية » وانسحابه إلى الفلوجة وبالتالي إلى بغداد بالطريقة المعلومة كان قد انتقدها صديقه بالروح وزميله صلاح الدين الصباغ في كتابه (الفرسان الأربعة) الأمر الذي أوجب أن يسحبوا اسماعيل حقي الآغا ، العميد المتقاعد من قنصلية حلب ، ليسلموه قيادة الفرقة التي كانت في جبهة الفلوجة : وأما البطل (أو الطبل) كامل شبيب الذي ثارت هذه المعامع كلها من أجله فقد ضم رأسه وجبن وكان « أسد علي وفي الحروب نعامة » .

نعم بلّغت بلزوم السفر إلى روما وكانت قد سقطت « الفلوجة » أما كيفية سقوطها فمعلومة وذكرها الصباغ في مذكراته وكانت طريقة مخزية وعلى أثر سقوطها هذا تنشط الوصي وعاد بالطائرة إلى الحبانية مع نوري السعيد وجميل المدفعي وعلي جودة ليدخلوا بغداد تحت حراب الإنكليز ومعاونة قائد الجيش العربي الأردني « كلوب » وخوفاً من أن يتّصل الوصي بابراهيم الراوي وهو في الديوانية قرروا ابعاده وتأكيداً لذلك أخبرني العميد الركن نور الدين محمود الذي كان آنذاك مـديراً للحركات بعد عودتي من أوروبا في عام ١٩٤٥ أن رشيد عالي خابر وكيل أركان الجيش أمين زكي بأن الوصي وصل الحبانية ولئلاّ يتّصل بابراهيم الراوي فيجب إبعاده من الديوانية بأية مهمـة كانت وهكذا عينوني كرئيس بعثة لأسافر إلى روما.

الحركة إلى روما

في يوم ٢٧ أيار تركت بغداد بالقطار الذي نقل الملك فيصل الثاني إلى « أربيل » ثم واصلت السير إلى « الموصل » وفي اليوم التالي ركبت الطائرة الإيطالية للذهاب إلى روما فحدث فيها عطل وهي في الجو ونزلنا لنستأنف السير بعد تصليحها وفي اليوم ٣٠ من الشهر تركت الموصل وهو اليوم الذي ترك فيه القادة بغداد مع رشيد عالي وتوجهوا إلى «طهران» تاركين الشهيد يونس السبعاوي في بغداد وكان قائد الفرقة ووكيل المتصرف العميد قاسم مقصود يعرف حق المعرفة حقيقة الموقف في بغداد وأن الجماعة « شمعوا الخيط »[1] في طريقهم إلى طهران فكان من الواجب بل من الشهامة عليه أن يخبرني لئلا أسافر لأن الأمر الذي يوجب سفري إلى روما » انتفى بانتهاء الحرب وهذه مثلبة لقاسم مقصود فإن عدم إخباري

---

(١) مثل عراقي عامي بمعنى الهروب.

أوجب تركي العراق وبقائي في بلاد المحور أربع سنوات قضيتها بعيداً عن أهلي ووطني وتحت غارات جوية متواصلة كما سيأتي البحث عنها ولكني أرجع وأتمثل بقول الرسول « لو اطلعتم علي الغيب لأخرتم الواقع » صدق رسول الله .

وصلت طائرتنا إلى « رودوس » فبتنا فيها وغارت طائرات العدو علينا فيها في تلك الليلة ولكن الله سلّمنا فاستأنفنا السير في اليوم التالي ووصلنا « روما » وفي ساعة نزولي من الطائرة ذهبت رأساً إلى المفوضية العراقية لمواجهة الوزير المفوض مزاحم الباجه جي الذي أرسل إلى روما من « فيشي » ليسهل أعمال البعثة ولما قابلني مزاحم قال : « بأن الحرب العراقية الإنكليزية قد انتهت » فقلت له : « وأنا أرجع إلى بغداد » . قال : « إن جميل المدفعي شكل الوزارة » فقلت له « لا يهمني الشخص الذي يشكل الوزارة والمهم أني جندي أتيت بمهمة خاصة والمهمة الآن انتهت وعلي أن أعود إلى بغداد حالاً » فرد علي وقال : « يوجد طريقان يوصلاكم إلى بغداد أحدهما بالقطار عن طريق استانبول ، والأخر بالطائرة عن طريق حلب » قلت له : « إني أفضل الطريق بالطائرة بقصد السرعة . وعلى أثر ذلك تركت والبعثة المشكلة من : آمري الأسراب : حفظي عزيز ، اسماعيل فتاح ، وابراهيم جواد ، ومرافقي عبد الرحمن الخوجه ، وذلك في يوم ٦ حزيران . وصلنا إلى « رودوس » ففوجئنا بغارة ليلية كسابقتها واستأنفنا سيرنا في اليوم التالي فوصلنا « حلب » فجاء لاستقبالنا في المطار القنصل الإيطالي وبعد الترحيب بنا قال : إن الإنكليز والديغوليين هاجموا حلب بالطائرات اليوم صباحاً والألمان رحلوا بطائراتهم ونحن على وشك أن نترك حلب وأنتم إذا دخلتم حلب فسيأسروكم الإفرنسيون وعليه إني أشير عليكم أن تتزودوا بالوقود حالاً وتعودوا إلى « روما » قلت له : « كيف نعود بعدما وصلنا هنا لنحاول أن ندخل حلب لعلنا نتمكن من التخفي

فيها ثم الذهاب إلى بغداد قال : « إذاً غيّروا ألبستكم بألبسة مدنيّة وآخذكم بسيارتي وعلى مسئوليتكم وأدخل بكم حلب » فأمرت بإنزال متاعنا من الطائرة لنرتدي البستنا المدنية وإذ يوافيني كل من اسماعيل فتاح وابراهيم جواد ويقولا لي : سيدي طالما يوجد طريق يوصلنا إلى بغداد بالقطار عن طريق استانبول فلماذا نعرض أنفسنا إلى الخطر بالذهاب إلى حلب ؟ الأوفق أن نرجع إلى « روما » ونذهب إلى « استانبول » بالقطار وهما قالا ذلك هل لكونهما قصفا قوات الإنكليز في الحبانية ويخافان من العقاب ؟ لا أدري على كل كان رأي وجيه فقبلته إلا أن حفظي عزيز قال لي : سيدي أنا متعب ولا أرغب في العودة إلى « روما » إذا تسمح لي وعلى مسؤليتي أذهب إلى حلب وأدبّر وصولي إلى بغداد فسمحت له بذلك ووصل بغداد بعد شهرين وبصعوبة الأمر الذي جعل أولي الأمر يعتقدون أننا عدنا إلى روما على أثر سماعنا أن جميل المدفعي شكل الوزارة إذ أن نوري السعيد قال لي بعد عودتي من أوروبا إلى بغداد في أيلول سنة ١٩٤٥ قال « لو أتيت إلى بغداد بعد وصولك حلب لأصبحت رئيساً لأركان الجيش » . لقد كذب ورب الكعبة إذ هو يعلم حق العلم أن الوصي غاضب عليّ وربما كان يرسلني إلى « نقرة سلمان » وقد بقي غاضباً عليّ حتى رحل من هذه الدار بالطريقة المعلومة فكيف يسلّمني رآسة أركان الجيش لا هو ولا الانكليز يوافقون . .

فرجعنا إلى روما وقصدنا المفوضيّة فأعلمنا مزاحم أن العلاقات قطعت بين الحكومة العراقية والإيطاليين وأن وزارة الخارجية الإيطالية تقول أنك أنت والبعثة أحرار في طلب الجهة التي تريدون السفر اليها . فقلت له إذاً أرجوك الاتصال بوزارة الخارجية الإيطالية لتسهل أمر سفرنا إلى بغداد . فقال إن العلاقات قد انقطعت بيننا وأن اتصالنا بوزارة الخارجية أصبح مستحيلاً وأن الكولونيل الإيطالي الذي انتدب

كضابط ارتبط بينكم وبين الوزارة الخارجية ليساعدكم على حصول التأشيرة ؛ إذ على أثر وصولنا روما ، أنزلتنا الحكومة الإيطالية في أحسن فندق وخصّصت لنا كولونيلاً لمساعدتنا وليرافقنا في جميع مواجهاتنا مع رئيس أركان الجيش الإيطالي وغيره من المسؤولين وجعلوا تحت إمرتنا سيارتان على طول وهكذا فإن مزاحم النبيل الذي كان في فيشي وزير مفوض وأمرته وزارة رشيد عالي ليأتي إلى روما خصيصاً لمساعدة البعثة بتسهيل جميع أمورها يستكثر علينا التوسط لدى وزارة الخارجية لنخرج وإياه سويةً هو إلى مقر عمله ونحن نذهب إلى بلد محايد حتى نهايـة الحرب ، ولكن أبت مروئته عمل هذا المعروف إن لم أقلّ إن هذا من أخصّ واجباته فذهب وتركنا للأقـدار لنبقى أربع سنوات عجاف في الغربة وتحت رحمة غارات جوية متواصلة فكان عمله هذا مماثلاً لعمل قاسم مقصود « وكل إناء بالذي فيه ينضح » والخير في ما اختاره الله « والخير في ما وقع » صدق رسول الله .

تركنا مزاحم في « روما » وذهب هو إلى « فيشي » ولكن أبو صباح « شلفه » أي أخرجه نوري من الخدمة وذهب ليسكن في « جنيف » بسويسرا وبعد سفره كنا كلما نطالب بالعودة يماطلون ولا سيما وأن رشيد عالي الذي كان في استانبول واعتزم المجيء إلى روما وبرلين فأبرق إلى وزارتي الخارجية الإيطالية والألمانية ليحولوا دون عودتي إلى بغداد وبحجة أني من أنصار الوصي « لاحظت برجيلها ولاخذت سيد علي »[1] رشيد عالي الذي أبعدني من العراق بعد أن وصل الوصي إلى الفلّوجة الآن يغالط نفسه فيطلب إلى المحور ليحولوا دون عودتي إلى بغداد لأنه يريد قائداً مرموقاً مثل الراوي حسب زعمه في معيته مع الوزيرين : ناجي شوكة ومحمد حسن سلمان مضافاً إلى فوزي القاووقجي وكامل الكيلاني الذي كان سفيراً في أنقرة . بقيت أطلب من الطليان بإصرار

(١) مثل عراقي عامي يعرفه العراقيون يقال بحق الذي يبقى بين بين .

ليسمحوا لي بالعودة . ولكن كنت أضرب بحديد بارد وفي ذات يوم قالت الوزارة الخارجية الألمانية : أن السفير الألماني فون ماكنزن يرغب في توجيه دعوة اليك لزيارة برلين . فقلت لهم إني أرفضها رفضاً باتاً وأرفض كل دعوة توجب تركي « روما » لأن حكومتي أرسلتني إلى هنا بمهمة خاصة والمهمة انتهت فإني باق هنا حتى نهاية الحرب في حالة عدم سماحكم لي بالذهاب إلى بلدي ولم يكن رفض هذا حباً بروما أو بغضاً ببرلين بل لأن حكومتي أرسلتني إلى روما وذهابي إلى برلين ليس له موجب . بعد مدة قالوا لي الطليان اسمح إلى اسماعيل فتاح وابراهيم جواد أن يذهبا إلى برلين لمدة أسبوعين فقط فمانعت أيضاً فجاءا إلي وقالا : سيدي إذا بقيت تعاكس طلباتهم حينذاك لا يسهلون أمر عودتنا إلى بغداد فالرجاء أن توافقهم بطلبهم الأخير فوافقت فذهبا ولم يعودا لا خلال أسبوعين ولا خلال شهرين .

فضقت ذرعاً في « روما » وصار الجميع تدفع لهم رواتب أما أنا فقد أبيت أن آخذ أي راتب فطلبت من وزارة الخارجية الإيطالية أن يسمحوا لي بالذهاب إلى استانبول فقالوا : أن الحكومة التركية لا توافق . قلت لهم أني مستعد أن أحصل لكم على الموافقة . فذهبت إلى السفير الأفغاني عبد الصمد خان — وقد كان مسؤلاً عن شؤون الرعايا العراقيين — ورجوته أن يحصل لي على مواجهة السفير التركي ففعل وذهبت لمواجهته في السفارة وكان اسمه راغب بك . فكتب إلى حكومته وبعد أسبوع جاء الجواب « إن تركيا ترحب بقبول البعثة وإنها خصصت لنا مرفأين قرب قبرص « فتحي » و « مريريس » وعندما أعلمت وزارة الخارجية الإيطالية بذلك لم توافق . وأخيراً قالت لي الوزارة المذكورة : « إن المحور يهيء الآن حملة لمهاجمة العراق وأنت كنت قائد فرقة في جيشك وستقود الفرقة الإيطالية وتشترك في الحملة . فقلت لهم « سبق أن قلت لكم أني أرفض كل عمل ينافي المهمة التي أتيت من أجلها وفضلاً عن ذلك فإني لست

من الرجال الذين يحاربون جيش بلادهم . قالوا إنك قبل هذا رفضت دعوة سفير ألمانيا الفون ماكنزن لزيارة « برلين » والآن ترفض التعاون مع المحور بقيادتك الفرقة الإيطالية والاشتراك في الحملة التي ستتوجه إلى العراق وعليه فإن المحور سيعاملك معاملة قاسية . قلت لهم فليعمل المحور ما يشاء وعلى أثر ذلك اعتقلوني .

اعتقالي في آريتسو

أرسلني الطليان ومعي مرافقي عبد الرحمن الخوجه إلى قرية نائية في الشمال تدعى « آريتسو » تبعـــد حوالي الـ ٢٠٠ كم أعن « روما » وهناك خصصوا لي راتباً ولكني رفضت الذهاب لأخذ الراتب فكانوا يسلموه إلى مرافقي وهو يأتيني به وكانت المعاملة هنا في آريتسو لا بأس بها لأن موسوليني شخصياً أوصى أن يعاملونا برفق لأن المبعدين هنا عند حلول الظلام كان على كلٍ منهم أن يأتي إلى محل سكناه إلاّ نحن فإننا يمكننا قضاء السهرة حيث نشاء . وبينما نحن نعاني الوحدة بانقطاعنا عن العالم تلقينا كتاباً من وزارة الدفاع ببغـــداد تاريخه ٥ تموز سنة ١٩٤١ يتضمن إحالتي إلى التقاعد حسب الفقرة (د) بحجة عدم الكفاءة وقد بلغته لنا السفارة الافغانية . ما هذا الظلم الفاحش ؟ ابراهيم الراوي اللواء الركن يسحب من قيادة فرقته ويرسل إلى « روما » ليرأس بعثة تأتي بالأسلحة والمعدات من المحور وذلك على أثر وصول الوصي من « عمان » إلى « الحبانية » بعد سقوط الفلوجة ولئلا يتصل الوصي به ؟

وبالمناسبة أود أن أنشر هنا شهادة بحقي لوزير الدفاع صدرت عام ١٩٣١ . وهي بمضمونها الصريح تبطل النظرية التي بني عليها أمر إحالتي على التقاعد

وزارة الدفاع
بغداد
الإدارة
التاريخ ١٩٣١
الرقم —

إلى : المقدم السيد ابراهيم حمدي الراوي مقدم لواء المنطقة الجنوبية.

لقد تبين من خلاصة التقرير السرّي السنوي المرفـوع بحقكم سنة ١٩٣١ أنكم تصلحون جداً لوظيفتكم الحالية وأنكم من ضباط الركن الممتازين يستفاد منكم في خدمات الأركان ويمكنكم أن تكونوا آمـر وحدة من الدرجة الأولى وأنكم ذو سجايا متينة وبسالة فائقة ونشيطون ومما يقتدي بأخلاقكم الحميدة .

جعفر العسكري
وكيل وزير الدفاع

فضابط مثل هذا تنطق الشهادات الرّسميـة بأنه من ذوي الكفاءة الممتازة ومن ذوي الأخلاق الحميدة يحال على التقاعد لعدم كفائته قاتل الله السياسة والأغراض .

في تلك الآونة جاء لزيارتي صهري سليم الراوي الذي هو ابن عمي وأقرب الناس إليّ يشهد الله أني ما عرفته في باديء الأمر لشدة الصدمة وتأثيرها على نفسي ولكنْ صرت أناجي نفسي لماذا تؤثر هذه المعاكسات عليك ؟ إنها قد تسيء إلى صحتك فتبتلي بمرض لا يرجى شفائه — لا سمح الله — وهناك الطامـة الكبرى . الست الراوي الذي خرجت من « تربة » في سنة ١٩١٩ جريحاً وتاركاً من النقـود والمتاع ما يساوي ١٥٠٠ جنيه ذهب ؟ وأنت حينذاك في سن ٢١ (أي في عمر الزهور) ومع أنك بقيت لا تملك درهماً واحداً فقد تحملت الصدمة وقلت أني أحسن

حالاً من أخواني الستين ضابطاً الذين استشهدوا وخسروا أرواحهم وأموالهم . ولقد مضى على هذه الحادثة قرابة الربع قرن وأنت الآن أكثر نضجاً وأشد إيماناً فتحمل الصدمة يا ابراهيم واتعظ بما قاله الرسول الأعظم : « لواطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع » : أين الرجل الفذ العبقري العصامي يسن الهاشمي الذي عجزت النساء أن يلدن مثله ؟ انه لم يبق حياً بعد انقلاب بكر صدقي أكثر من ثلاثة أشهر فتوفي رحمه الله عليه وهو ابن ٥٥ سنة . بل أين صبيح نجيب وابراهيم كمال اللذان اتهمهما نوري السعيد بمقتل رستم حيدر ؟ صبيح نجيب الذي كان مثل الحديد صحةً ونشاطاً مات بعد أن اختل عقله وهو ابن ٥٦ سنة وعليه فليحاربك الوصي ومن والاه من المستعمرين والأذناب ، وليعادوك الذين كنت تخلص لمبادئهم كرشيد عالي وأمثاله وليعاملك المحور بأقسى معاملة لكونك رفضت أن تكون طعماً لمآربهم فبقيت مخلصاً لبلادك ولمبادئك القومية ومرتاح الضمير فاقنع بما قدره الله لك وهو خير الرازقين ونعم المولى ونعم النصير .

مرت الأيام والشهور ونحن منقطعون عن العالم حتى عنّ لي أن أكتب إلى المفتي الحاج أمين الحسيني ـ الذي كانت منزلته عند موسوليني أرجح من منزلة رشيد عالي ، مع أن الأخير كان رئيساً للوزراء لأربع مرات ـ نعم كتبت إلى المفتي ولم أتسلم الجواب مع أنه كان في « روما » وكان بالإمكان بعد يومين آخذ الجواب فشفعته بثان بعد أسبوع ولكن بعد ٤٥ يوماً أخذت الجواب مع أنه كان أرسله بوقته فتصور أيها القارىء مثل المفتي يرسل إلي كتاباً كان المفروض أنه قد يصلني بعد يومين ولكنه لم يصلني إلا بعد ٤٥ يوماً وهكذا مرت الأيام والشهور على هذه الوتيرة وإذ آخذ برقية من المفتي يقول فيها : « أن الدكتور أبو غنيمة سيأتي إلى آريتسو يصطحبك إلى روما » . .

مرت الأيام بل الشهور ولم يأت أبو غنيمة[1] لماذا ؟ لأن صديقنا رشيد عالي علم بأن المفتي سعى لدى وزارة الخارجية الإيطالية لإزالة الحيف الذي أنا فيه، وأنه توفق في مسعاه وسيخرج الراوي وسينضم إلى زمرة المفتي. وكان المفتي ورشيد عالي « جحران بلباس »[2] ببغداد لكنهما اختلفا ببلاد المحور ولكن على أي شيء اختلفا ؟ على الزعامة ! من الأول ؟ من الثاني ؟ نعم سعى رشيد لدى الألمان لإبطال سعي المفتي لخلاصي من الاعتقال ، وبعد مضي قرابة إحد عشر شهراً قمت بمسعى شخصي وكتبت عريضة إلى موسوليني مباشرة ومع أن البريد لا يقبل عرائض خصوصية باسم موسوليني فإرسلتها مع شخص مؤتمن تعرّف عليه عبد الرحمن الخوجة إذ كان والد صديقته وقلت له ما يلي :

إني رئيس البعثة العسكرية ابراهيم الراوي أتيت بمهمة خاصة إلى روما وكنت ضيف الحكومة الإيطالية المعزّز. أرسلت معتقلاً إلى أريتسو للأسباب التي أرتأتها حكومتك ظلماً وعدواناً وعوملت هنا معاملة سيئة لم يعاملني بها الإنكليز الذين أسروني في الحرب سنة ١٩١٥ مع أنهم أسروني في خط الحرب وكنت أراسل أهلي بالعراق وأنتم هنا منعتموني من الاتصال بالعالم وإذا كانت حكومتك قد رأت مما يوجب ذلك فإني مستعد أن أحاكم أمام محكمة إيطالية لإثبات براءتي .. الخ وإذا بموسوليني يكتب على عريضتي « هذا حق » وعندها رأت الحكومة الإيطالية أن تفرج عني فقالت للسيد رشيد عالي : لا يمكننا الآن إلا إطلاق سراحه فاستمهلهم فخامته وأرسل اسماعيل فتاح إليّ ليقول لي : إنه يوافق على

---

(١) الدكتور ابو غنيمه دكتور بالطب وشاعر وقومي والأمير عبد الله فعلا كان كلفه بتشكيل وزارة ولم يقبل ولكن أخيراً « بعدما شاب راح الكتاب » صار سفيراً يمثل المملكة الأردنية الهاشمية في عهد الحسين في طهران ودمشق حيث الآن .

(٢) مثل عراقي عامي معناه كانا على وفاق تام « دهن ودبس » .

(٣) الدوتشي لقب موسوليني معناه الحاكم المطلق .

إطلاق سراحك بشرطين الأول : أنك تترك « روما » وتأتي إلى «برلين» للتعاون معه . الثاني أن لا تتصل بالمفتي حتى ولا بناجي شوكة . عجيب والله ها أن رشيد يعلن وعلى رؤوس الاشهاد أنه هو السبب المباشر لمنعي من العودة إلى بغـــداد ، وأنه أخيراً أمر باعتقالي وبالمعاملة السيئة الـــتي عوملت بها من قبل دول المحور !! فقلت إلى اسماعيل فتاح قل لفخامته أني أوافق على الشرط الأول مكرهاً ولا أوافق على الشرط الثاني ، وإني لست برجل يقبل أن يفرض عليه بأن لا أتصل بفلان وفلان ولا سيما وأن المفتي صديقي وله دالّة عليّ فإنه سعى كثيراً لإطـــلاق سراحي وناجي شوكة كذلك صديقي وكان وزيري وأنت تعرف أكثر مـــن غيرك من هو ناجي شوكـــة الذي تمنعني من الاتصال بـــه ولم تثق بـــه فكيف تزامله ؟ ناجي شوكة هذا الشخص الوطني النظيف في طوال سني حياته ولا يزال وهو من خيرة رجال العراق مبدأ وكفاءة وقد أشغل عدة وظائف مرموقة في الدولة ولو أريد أن أسهب وأذكر خصاله الحميدة وسجاياه الممتازة لاحتجت مجلد الموانع ولكن هنا أكتب باختصار بعض ما قام به من أعمال ومن أراد الاطلاع على أكثر فليطالع كتاب الوزارات للسيد عبد الرزاق الحسني وفيه الكثير من تلكم الأعمال المشرفة . نعم ناجي كان : أولاً أحد الضباط الذين التحقوا بالثورة العربية الكبرى وهو منذ كان معاوناً لمتصرف بغداد رشيد الخوجه في بدء الحكم الوطني أي في آب سنة ١٩٢١ وجرى التصويت على مبايعة فيصل لعرش العراق كان من القلائل الذين لم يبايعوه لأنه كان مرشحاً من قبل البريطانيين فضلاً عن هذا فهو جمهوريّ المبدأ منذ ذلك الوقت الذي كان فيه الجمهوريون قلائل يعدون على أصابع اليد ، ولما أصبح متصرفاً واصطدم بفيصل قائلاً لجلالته أنا موظف كما أنت موظف ثم صار رئيساً للوزراء وكان مثالا للرجل الكفوء لمبدأه الوطني ولإخلاصه للواجب فاصطدم بالملك وبالإنكليز كما هو مسطر في كتاب « تاريخ الوزارات » . ثم صار سفيراً في تركيا لمدة

طويلة وكان يمثل بلاده أحسن تمثيل وكانت الحكومة التركية وعلى رأسها أتاتورك ثم عصمت اينونو يحترموه ويقدرون سجاياه الأمر الذي أوجب أن توفده ممثلاً لوزراتك أنت يا رشيد في سنة ١٩٤١ أوفدته مع نوري السعيد إلى أنقرة لما له من دالّة ومركز ممتاز عند الأتراك. أما نوري فإنه طلب الذهاب ليكون رقيباً عليه ولكن الرجل في غفلة من نوري اتصل بسفير ألمانيا فون باپن واتفق وإياه على أمور ذكرها تفصيلاً « الحسني »في وزاراته ثم ذهب إلى أنقرة بعد تأزم الموقف العسكري آنذاك إذ كان في غير صالح العراق فذهب واستطاع لبحث وساطه تركيه التي عرضتها بين الحكومتين وكاد الإنكليز ان يقبلوابشروط كانت في صالح العراق ولكن تعنّت صلاح الدين الصباغ صار حائلاً دون التوصل إلى الحل المرضي وهذا أيضاً مسطور كتاب الاستاذ الحسني « الأسرار الخفية »بصورة دقيقة ومفصلة.

رجع اسماعيل فتاح ليعرض على رشيد ما قلته له وبعد بضعة أيام من هذه المحادثة أطلقسراحي وعدت إلى « روما » هناكتعرفت على الدكتور محمد حسن سلمان وأهل بيته وكان وزيراً للمعارف في وزارة رشيد، وعلمت منه أنه هو أيضاً على غير وفاق مع رئيسه، كما فهمت أخيراً بعد ذهابي إلى برلين أن كثيراً من العراقيين والسوريين البارزين على خلاف مع رشيد أمثال: علي الصافي، وجابر عمر، وعبد الحميد الهلالي، ومنير الريّس، وعفيف الطيبي وغيرهم. وبعد بضعة أيام استدعتني وزارة الخارجية الإيطالية فوقع الحوار التالي بيني وبين « غيرائيللي » الذي كان سفيرها في العراق كما يأتي:

غ — الحكومة الإيطالية آسفة للمدة التي قضيتها في الاعتقال وعلى كل هي ليست السبب المباشر، وأن الحكومة الإيطالية تنظر بعين العطف إلى استقلال العرب ووحدتهم.

أ — جوابي على الشطر الأول من حديثك أن الذي وقع مضى، ولا

يهمني كثيراً . أما جوابي على الشق الثاني وهو المهم في نظري : فإني أشكر شعور الحكومة الإيطالية ولكن الاستقلال يؤخذ ولا يعطى . ونحن العرب سنسعى بكل قوانا للحصول على الاستقلال . وأما قضية الوحدة فسنسعى لها سعياً حثيثاً إذ لا حياة للعرب إلا بوحدتهم وأنا أحد الضباط الذين حاربوا الحكومة العثمانية المسلمة لأجل أن يستقلوا ويتوحدوا والآن نحن العرب أيضاً مستعدون لمحاربة أية حكومة تناهض رغباتنا هذه سواءً أكانت تلك الحكومة إنكليزية ، أو روسية ، أو تركية ، أو المانية ، أو افرنسية ، أو إيطالية نعم يا قارئي الكريم قلت أو إيطالية وإني جالس في مقر وزارة الخارجية الإيطالية وأقولها صراحةً إلى ممثلها السفير . ثم إن الحكومة الإيطالية أرادت أن تطيب خاطري لتعوض عما قامت به من اعتقال فعينت لي كولونيلاً كضابط ارتباط يذهب بي إلى طبيب الملك عندما وجب مداواة عيني وإعطائي عوينات وأرسلوه معي إلى فينيسيا وبقينا في الفندق بضعة أيام في ضيافتهم وهناك عرفني الكولونيل على ملك الأفغان المخلوع « أمان الله خان » وكان رحمه الله يحسن اللغة التركية فجلسنا نتحدث أكثر من ساعتين وكنا مسرورين ببعضنا إلى درجة أن زوجته الإيطالية حضرت ومعها كريمتها فاطمة فبعد أن عرفني بهما اعتذر هو بعدم الذهاب معهما للتفسح مفضلاً الاسترسال بالحديث معي وحتى بعد عودتنا إلى روما دعاني على الإفطار وكنا حوالي عشرة أشخاص من ضمنهم ناجي شوكة وأمين الحسيني وصلينا التراويح سويةً. أذكر هذه الحادثة عن تمسكه بدينه وهو ملك مخلوع وساكن بروما إذ الإنكليز كانوا السبب لخلعه عن عرشه في سنة ١٩٢٩ إذ أشاعوا عنه وعن زوجته ثريا أموراً ما أنزل الله بها من سلطان .

ذهابي إلى برلين

بعد أن بقيت في « روما » شهراً ونيف الشهر توجهت إلى برلين

بحسب الوعد للالتحاق بمعية رشيد عالي والتعاون معه فنزلت ومرافقي عبدالرحمن الحوجه في فندق إيدن ، وهو من الفنادق الممتازة ، ولا يجوز السكن فيه لمدة أكثر من أسبوعين ولكن بصفتي ضيفاً على حساب وزارة الخارجية الألمانية ، سكنت فيه نحو سنة وقد خصص لي ثلاثة غرف إحداها لاستقبال ضيوفي ومع أني آكل شارب فقد خصصوا لي راتب يعطى إلي شهرياً ما يكفي لي وزيادة وعندما علم غروباً بقدومي قال ما الذي جاء بالراوي إلى هنا؟ هذا من أعز أصدقاء الوصي . نعم غروباً عندما كان سفيراً لألمانية في بغـــداد وكان يركب الخيل لصيد ابن آوى وكان يرى الوصي دائمـــاً يلاطفني وأحياناً يأمر المصور أن يصورنا ونحن نجتـــاز الموانع .

بقيت في برلين وكنت محط أنظار إخواني من العراقيين والسوريين والفلسطينيين والمصريين حتى المغاربة . أذكر منهم على سبيل المثال : علي الصافي ، وجابر عمر ، محمد حسن سلمان ، عبد الحميد الهلالي ، شبلي كامل حسن ، عبد اللطيف الكمالي ، عبد الأحد داود ، صادق الحاج علي ، حكمة سامي ، محمد نجل الشريف شرف ، يونس بحري ، منير الريّس السوري ، فوزي القاووقجي ، عفيف الطيبي ، مصطفى الوكيل المصري ، يوسف الرويس والمنجي سليم التونسيان ، واصف كمال ، وموسى الحسيني الفلسطينيان ، وبهاء الدين الطباع وغيرهم . وفي أحد الأيام أراد رشيد عالي مني أن أكتب كلمة لتذاع في الراديو وحدد لي الموضوع فكتبتها وأذيعت بعد أن أدخل عليها أموراً أسندها إلى نفسه وحذف ما حذف الأمر الذي جعلني أن لا أشفعها بثانية وهو رجل له سجايا وخصال لا تنكر إنها جيدة ولكن ــ رحمه الله ــ كان يسمع أخاه كامل وآخرين مما جعل يبتعد عنه أكثر الشخصيات البارزة التي أعجبت بمزاياه . وقد اختلف كما قلت آنفاً مع المفتي . ولذا نحن شكلنا كتلة محايدة مني ومن محمد حسن سلمان ، وعلي الصافي ، وجابر عمر ، وعبد الحميد الهلالي ،

ومنير الريّس ، وموسى الحسيني وكانت العلاقة بيننا وبين رشيد في الظاهر على أتمها يدعينا إلى جميع الحفلات والدعوات التي يقيمها في داره. واصطحبني مرتين خارج برلين مرة مع عائلته إلى « دريسدن » عاصمة ساكسونيا سابقاً الرابطة على نهر الألب ، ومرة كلانا فقط إلى « فرنكفورت » وبينما كنا نتجول مع حاكمها العسكري وهو جنرال نازي في فرق الاس إس مررنا بمعتقل فيه بريطانيين فقال الحاكم لماذا يبقوا على هؤلاء الخنازير ؟ ما أقساكم أيها الألمان تقولوا هـــذا الكلام على أسرى وهم أقرب الناس اليكم عنصراً . ولو أردت أن أسترسل فيما عمله الألمان مع الأسرى والمعتقلين لاحتجت ليس إلى مجلد واحد بلى إلى مجلدات لكني أضرب صفحاً عن ذلك . وهم حاربوا العالم أجمع حتى حلفائهم الطليان لم يكونوا آمنين منهم ، إذ كانت في إيطاليا من الجيوش الألمانية من الكثرة إلى درجة أنها لما عقدت الهدنة بين إيطاليا والحلفاء وتسلـــم الحكم المارشال بادوليو ، لم يتمكن الحلفاء من إنزال قواتهم فقد سيطر الألمان خلال ٢٤ ساعة على إيطاليا كلها . إلاّ أني كعربي أحبذ القساوة التي عاملوا بها اليهود ، وهم بلا شك أهلاً لها وأن هتلر ما قام بأعماله الشنيعة ضدهم إلاّ لكونهم كانوا أساءوا كثيراً إلى الشعب الألماني قبيل الهدنة للحرب العالمية وبعدها وهم لاقوا من اضطهاد فهم أهل له بدليل شهد شاهدٌ من أهلهم فقد ذكر الدكتور أحمد سوسه في كتابه « في طريقي إلى الإسلام » : أن مشكلة اليهود المعقدة لا يحلّها إلاّ اليهود أنفسهم لأنهم هم الذين عقّدوها . إذ ما من يهودي في العالم سواءً أكان عربياً أو إنكليزياً روسياً أو إيطالياً ، إفرنسياً أو إسبانياً ، تركياً أو إيرانياً فانه لا يخلص للشعب الذي يواطنه . بل هو يهودي قبل كل شيء ولذا فإن العالم أجمع يبغضهم فإن موسى جاء قبل عيسى وقبل محمد ، ومع هذا فأتباع موسى ١٥ — ٢٠ مليون وكان هذا قبل أن يقضي هتلر على جموع كثيرة منهم ، وأن اتباع كل من عيسى ومحمد مئات الملايين لماذا ؟ لأن كل شخص

يمكنه أن يكون عيسوياً أو محمدياً لكنه لا يستطيع أن يكون موسوياً لأن اليهود يعتبرون أنفسهم «شعب الله المختار» وما هي الحقيقة إلا «شعب الله المحتال» أما الرّبا فمحرم بينهم، ولكنه يحل لهم إذا تعاملوا به مع الآخرين باعتبار أن ملك الآخرين ملكهم، وأنهم يستحلّون استرجاعه بأية طريقة كانت. ويقول الدكتور سوسة بعد أن أسلم وسمى نفسه أحمد عند عودته من أميركا إلى بيروت جاء للحاخام ليعقد له وقال له لا أعقد لك وأنت تريد التزوج بغير يهودية، وأنه أعطاه مبلغاً قدره ١٠٠ روبية فعقد لي فوراً. إذاً فاليهودي عنده المال فوق كل اعتبار ثم يورد الشيء الكثير. وهذا ما جعل هتلر يقاصص هؤلاء الخونة ناكري الجميل ولما وصلنا إلى «برلين» كنا نرى النجمة الصفراء على البسة كل يهودي أو يهودية لئلا يتعامل الناس معهم حتى أنهم كانوا يمنعوهم من الجلوس على الكراسي في القطارات أو على المصطبات التي في الحدائق. وبعد مدة صرنا لا نرى يهودياً واحداً، فقد جمعهم هتلر في المعتقلات وعاملهم بما كانوا يستحقونه من عقاب حتى أنه لحقهم إلى هنغاريا، وكانوا هناك من الكثرة بحيث سموا العاصمة «يودابست» لكثرة عددهم فيها، وقد ذكر لي الدكتور أبو غنيمة أنه شاهد بعينه يهوداً يحفرون خنادق طويلة ليقبر فيها زملاؤهم معهم.

كنا نقضي أوقاتنا في المطالعة والترويض، وكانت الغارات تتوالى ليلاً ونهاراً في حين مع أن مارشال الجو غورينغ سبق أن قال في بدء الحرب: سوف لا يتمكن الإنكليز من التحلق لا فوق «برلين» ولا حتى فوق بلاد الرايخ كلها والألمان إذا حلّقوا فلا تسموني غورينغ بل تسمّوني «ماير» وهذا اسم يهودي فلما صارت الغارات تتلو الواحدة بعد الأخرى لتدك حصون «برلين» وتنشر الرعب فيها، فان امرأة كانت تقوم بمقام الجابي في الترام صاحت «وصلنا إلى محطة ماير» مع أن اسم تلك المحطة كانت «محطة غورينغ» فأخذوها إلى السجن ولما سمع

بالحادث أمر بإطلاق سراحها . فما هذا الغرور يا غورينغ ؟ لقد أصبحت غير قادر على أن ترسل طيارة واحدة إلى سماء لندن . ولا شك في أن الألمان أبطال من كل الوجوه وهم عباقرة في كل شيء كما تكلمنا عن غورينغ وغروره فاني أتكلم الآن عن سيده هتلر وغروره :

١ ـ إنه عندما داهم الألمــان الشتاء القارس سنة ١٩٤٠ وهم في روسيا أمام « ستالينغراد » وكانوا ذهبوا اليها ببدلات صيفية لأن الحرب كانت أعلنت في ٢١ حزيران سنة ٩٤١ أشار رئيس أركان الجيش براوخشش على هتلر بلزوم أخذ خطوط دفاعية أمام ستالينغراد على أن يستأنفوا الهجوم في الربيع فنحّى هتلر براوخشش ، وأعلن قائلاً : « أنا القائد العام للجيش الألماني وسأدخل ستالينغراد ولا توجد قوة في العالم تخرجني منها » شدعودة يا سيد هتلر هذا الغرور أنت من تكون ؟ كنت نائب عريف في الحرب العالمية الأولى وكنت آمر حضيرة ولنفرض أنك قدت فصيلاً فهل يحق لك أن تنحّي « براوخشش » الذي قاد الجيش الألماني مــن نصرٍ إلى نصر خلال ما ينوف على السنتين من سني الحرب ؟ هذا المرشال البروسي العبقري الذي توارث المجد العسكري كابراً عن كابر تخطئه وتنحيه بالتالي لا إنك لا تدخل ستالينغراد بل اضطررت إلى الانسحاب القهري كما سبق وانسحب قبلك نابليون العظيم .

٢ ـ إنك تحديت العالم الغربي وأعلنت للعالم أجمع بأن الذين يحاربونك أحرار في النزول في أي مرفأ يريدون الإنزال فيه ، وأنك ستسحقهم بمجرّد نزولهم ، وها هم ينزلون في « نورماندي » وعلى رأس هذا الجسر عبروا حتى وصلوا « برلين » وأعطوك درساً قاسياً . أنت الذي خالفت وصية بسمارك وكذلك بكتابك « كفاحي » أيدت تلك الوصية الخالدة وهي « عدم المحاربة في جبهتين » أنت كنت في حرب مع الإنكليز بعد أن انتصرت على فرنسا وهولاندة وبلجيكا وبولندة والإنكليز اللذين كنت على وشك الانتصار عليهم لماذا تفتح جبهة جديدة وتحارب حليفتك روسيا ؟

ـ إن غرورك هذا أدى إلى مقتل ثعلب الصحراء المشير رومل العبقري لمجرّد أنه غير نازي بعد أن أسمعك من النصائح التي لو كنت أخذت بها لتحسنت الحالة .

٤ ـ لما تآمر عليك بنوا جلدتك وأرادوا القضاء عليك ـ كما أراد العراقيون القضاء على عبد الكريم قاسم في شارع الرشيد ببغداد ـ عفواً يا هتلر أنك أجلّ من أن تقاس بهذا الشعوبي الذي تنكر لهذا البلد الأمين ، وانحرف عن مبادىء ثورة تموز الخالدة ، ونكّل بالقوميين الأحرار شر تنكيل ، حتى الشيوعيين الانتهازيين فإنه لم يرضهم ، وذهب غير مأسوف عليه « إلى جهنم وبئس المصير » وأنت الرجل العصامي الذي ضحى في سبيل بلاده زهرة شبابه وحتى كنت لاتكلف خزينة الدولة براتب بل كنت تعيش على ريع كتابك « كفاحي » ـ إذ كل من يتزوج من الألمان عليه أن يشتري « كفاحي » وحتى أن أخاك كان صاحب محل كسائر الناس وليس كمثل شقيق الزعيم الأوحد أبو عدنان الذي أصبح بين عشية وضحاها من المثرين .

لقد تطرقت إلى أمور خارج موضوع مذكراتي بل هي من اختصاص الألمان أنفسهم ولكني كعربي أسالم من يسالمنا ، وأعادي من يعادينا إذ أني بالدرجة الأولى أبغض الإنكليز .. إذ انهم أعدائنا ـ رقم ١ منذ أتوا باللقيطة إسرائيل بوعد بلفور المشؤم حتى يومنا هذا وأما الأميركان فأصبحنا نكرههم أكثر لتأييدهم اللقيطة من عهد ترومان الذي أصر على قرار التقسيم واعترف بعد دقيقة من إعلان استقلال اللقيطة . والأميركان استمروا في الدعم حتى أنهم في مارت أعلموا وزير خارجيتهم أنها « تحمي من إسرائيل » وكذلك صرخ وزير دفاعها مكنمارا في نيسان سنة ١٩٦٧ أن الولايات المتحدة تقدم مساعدة دفاعية إلى إسرائيل .. وأما فرنسا المستعمرة وما عملته في سوريا ولبنان وفي شمالي أفريقيا فحدث عنه ولا حرج ولولا العاقل الرصين الجريء الجنرال ديغول لما حصلت الجزائر

على استقلالها بمثل هذه السهولة. أما موقف ديغول المشرف بعد نكسة ٥ حزيران ١٩٦٧ فيتّصف بالاتزان والانصاف وبعد النظر فقد أنصف العرب بمحنتهم وبالجرأة لأنه هو الوحيد من الإفرنسيين الذين خاصم الصهيونية علناً وبدون مواربة. إذ:

١ - إنه قبل كل شيء منع تسليم الـ ٥٠ طائرة من نوع ميراج التي كانت اللقيطة أوصت عليها قبل حزيران سنة ١٩٦٧ ودفعت ثمنها.

٢ - جعل فرنسا كلها من جانب العرب مع أن الصهاينة كان لهم الكلمة العليا في فرنسا، لأنهم هم المسيطرون على المصارف، وعلى دوائر الدولة بأجمعها، وعلى المجالس النيابية حتى على البعض من زعماء حزب ديغول. وما سيطرة عائلة روتشليد الصهيونية إلا أشهر من أن تذكر. وبين عشية وضحاها استطاع ديغول العظيم أن يحوّل وجه فرنسا من باطل اليهود إلى حق العرب لمجرد أنهم قاموا ضد رغبته إذ أعلن على رؤس الأشهاد أنه: «يخاصم كل من يبدأ بإعلان الحرب» وحيث ثبت عنده أن اليهود هم الذين بدأوا الحرب فقد خاصمهم بحــقّ. ولله درك يا ديغول ألا تخشى اليهود ومكرهم؟ وهل لا تتّعض بما عملوه بهيتلر عندما خاصمهم وأراد أن يخلّص العالم من موبقاتهم وجرائمهم فألبوا العالم عليه لبينما خسر الحرب مندحراً ومات منتحراً فانتقموا من الشعب الألماني نفسه شر انتقام وأذلّوه وأرغموا حكومة بون على أن تدفع الملايين بل المليارات مــن الماركات كتعويض عما لحق اليهود خلال الحرب من خسائر كمــا أجبرت حكومة بون على أن تمشي في ركابها، وتجاريها في سياستها، وتزوّدها بأسلحة ثقيلة وخفيفة وأعتدة وتجهيزات، وتتعاون معها في الحقل الذرّي لتملكها القنبلة الهيدروجنية وها أن كثيراً من ضباط اللقيطة يتدرّبون على أيدي القادة الألمان وصارت حكومة بون تأتي بأعمال أوجب أن يقطع العرب أجمع - عدا تونس - علاقاتهم السياسية معها. كل هذا ترتكبه حكومة بون وأنفها راغم بزعم أن أميركا راضية بذلك وقاك الله

يا ديغول شرّ اليهود وخبثهم ودسائسهم . وأما الطليان وما عملوه من الخراب والدناءة في « ليبيا » وقتلهم المجاهد الشيخ عمر المختار قتلة نكراء وأما الروس فإن موافقتهم الوحيدة للأميركان في هيأة الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين كان عملاً شأئنا لكنهم عدلوا موقفهم مؤخراً بإعطائهم الرئيس جمال عبد الناصر السلاح في سنة ١٩٥٥ فكان نقطة تحول في مستقبل العروبة ، إذ لولاه لما انتصر رائد العرب على الإنكليز والإفرنسيين واللقيطة إسرائيل في عامه سنة ١٩٥٦ أثناء الاعتداء الثلاثي مع مشاركة الروس في تحويل السدّ العالي ومؤخراً تصريحهم أنهم سيساهمون في تمويل سد الفرات فضلاً عن موقف خروشوف المشرف في سنة ١٩٥٦ وأما الألمان الذين كان العرب في مشرقهم وفي مغربهم يريدون نصرهم على الحلفاء ، ولا سيما العراق الذي قام بحركة مايس ١٩٤١ الجريئة — وهي الحركة التي كانت في الحقيقة لصالح الألمان بطريقة غير مباشرة — فقد ثبت من وقوع الحوادث أن حركة مايس كانت مرتجلة وغير مدروسة ، وأن العراق دفع اليها دفعاً حسبما ذكره تشرشل ذلك في مذكراته إذ كان يريد حكومة موالية لحكومة وكانت الحكومته العراقية آنذاك من ذلك الطراز الذي لا يستكن لكن لِمَ ايها الألمان لم تستغلوها ؟ ألكونها ما كانت داخلة في خططكم أو أنكم كنتم تريدن التقدم نحو العراق عندما تهاجمون روسيا وتصلون إلى القفقاس فحينذاك ترسلون القوة اللازمة باتجاه العراق لاحتلاله ؟ ولكن الآن أي في مايس ١٩٤١ حصلت حالة توجب أن تستغلوها فتضغطوا على الأتراك أكثر مما ضغطكم لتمروا بالقطار المساعدات الحربية ، والأكثر من هذا ترسلون بالجو بسرعة فائقة أسلحة وأعتدة أكثر بكثير مما أرسلتم . وأنا لست بذلك الجندي الذي يخطىء قادة الألمان العباقرة ، بل الواقع كان شاهداً على ذلك ألستم يا ألمان في تلك الآونة بالذات قمتم بحركة إنزال في « كريت » . أليس كان ارسال بإمكانكم القوات والأسلحة والأعتدة ومن ثم إدامتها التي

أنزلتموها جواً إلى كريت كان يمكن إنزالها في العراق ؟ وإن كان العراق بعيداً بالنظر إلى كريت ولكن عندكم قواعد في سوريا وهذا ليس أنا الذي أقوله بل ذكره المستر تشرشل في مذكراته وربما إنكليز آخــرين ينتقدون بما يشابه هذا الانتقاد وأنا والله ما كنت أريد ذكر هذه الانتقادات لولا إني اطلعت فيما بعد : أن تشرشل نفسه في مذكراته انتقدهم من هذه الوجهة خاصةً أن هذا الانتقاد أي أن مساندة حركة مايس كان في صالح العراق وصالح الألمان معاً . إذ أنكم يا ألمان لو ساندتم حركة مياس :

١ – لكنتم في غنىً كثير عن الحوادث مستقبلاً أي أعني أن انتصاركم في العراق ينقذ الجارة إيران فلا تذهب ضحية خلال ٢٤ ساعة ولا سيما وقد كان شاهنشاهها بجانبكم .

٢ – بانتصاركم في العراق كنتم عملتم أعمال في الشرق الأوسط ولا سيما ، في فلسطين ومصر ما يجعلكم في غنىً عن التقدم في تونس وليبيا وارتطامكم بمخفض القطارة والعلمين الحصين نعم أيها الألمان إن العرب كانوا من المعجبين بكم إن لم أقل من المحبين لا حباً بكم بل اعتقدوا انكم بانتصاركم سيهلك مستعمروهم أمثال الإنهكليز والإفرنسيين والطليان وأنهم لم يبتلوا بعد باستعماركم ولكن العرب اليوم يكرهونكم كراهة تحريم فاقت كراهتهم لأية حكومة أخرى و « على نفسها جنت برّاقش » .

نعم إن عملكم الأخيرومساعدتكم اللقيطة مساعدات جمة ، أوجب أن عشر حكومات عربية مرة واحدة تقطع علاقاتها الدبلوماسية ولكني مع كل هذا أذكر للحقيقة والتاريخ البعض من سجايا الشعب الألماني الجبار وهذه الغارات المثالية خلال الحرب الثانية لم تحد من عزمه ، ولم تفت في عضده ، وكانوا عقب كل غارة سواءً أكانت ليلاً أو نهاراً يصلحوه حالاً التخريبات التي تقع ويقدمون تضحيات عديدة عن طيب خاطر وقد كانوا يحاربون في جبهات عديدة حتى أن حليفهم « موسوليني » لما أقدم على مهاجمة اليونان ، ومع أن المهاجم عادةً هو الذي يختار المكان

والزمان وساعة الصفر ، فقد ارتدت قواته على عقبيها تجرّ أذيال الخزي والعار . ولو لم ينجدها الجيش الألماني لتعقبوهم إلى روما . ومع أن الحكومة اليونانية غلبت أمام حكومة عبد الحميد العثماني ومن ثم أمام أتاتورك بقواته الهزيلة التي خرجت من الحرب العالمية الأولى ، وهي منهوكة القوى ولم تملك شيئاً إلاّ الإيمان حتّى شخص « موسوليني » عندما تآمر عليه أقطاب حزبه – وبينهم صهره الكونت شيانوا – لم يخلصه من سجنه إلاّ طيار ألماني بحركة جريئة عديمة النظير . ومهما استرسلت في ذكر سجايا الشعب الألماني فإني لا أفيه بحقه فالألمان مطبوعون على حب الجندية وضبط النفس والطاعة العمياء ويعشقون الجندية فهي متأصلة بدمائهم إذ عندما الوالد يهدي ابنه بمناسبة عيد ميلاده بدلاً من الساعة اليدوية أو آله تصوير فإنه يهديه مدفع أو رشاش أو دبابة . وإني أذكر في نيسان سنة ١٩٤٥ أي قبل الهدنة بنحو أربعين يوماً – وكان كل شيء يدل على أن الحرب منتهية بخذلان الألمان – وقد سألت ذات يوم بنتاً ألمانية كان عمرها حوالي العشرين سنة هل أنت متزوجة ؟ قالت لا ! قلت من هو الشخص الذي ترغبين أن تتزوجيه ؟ قالت « ضابط » فسألتها وإذا رزقت طفلاً ذكراً فماذا تريدين أن يكون ؟ قالت «ضابط طيار» شعب يحب الحرب والضرب وفي كل الظروف حتّى أن رجلاً إنكليزياً لم يحظرني اسمه يحلل نفسيات الشعوب وعندما يأتي على وصف الألمان يقول : تصوّروا أشخاصاً من أمم مختلفة جالسين في ليلة عيد الميلاد وكلهم في أنس وسلام ، وإذا بالألماني منهم يأخذ شجرة السلام « ويضرب بها الشخص الذي كان أمامه بدون سبب ، وبلا مقدّمات مما يدل على جبلينه على الاعتداء والحرب .

أما وإنا في صدد ذكر مزايا الشعب الألماني فأود أن أختم بحثي هذا بذكر حادثة تنبيء ما هم عليه من خلق يتميزون به على الشعب الإنكليزي أو الإفرنسي أو الإيطالي . فإن البنت الألمانية إذا أرادت أن تعبث

وتصادق شخصاً ما فإنها لا تعبث من أجل المادة بل هي تصرف على نفسها كما يصرف صديقها على نفسه، أي على حدّ قول الموصلي «كلمن قهوتو من كيسو» إلا أنها تقبل منه الهدية في عيد ميلادها أو ما شابه. وأذكر يوماً أن صديقي فرج[1] توما — وقد كان له صديقة فخابرها وطلب مجيئها إلى الفندق فقالت له سأحضر بعد أن أخبر زوجي فلشدة حذره قال لها: لا لا أريد مجيئك ولا تخبري زوجك. فقالت له بل سأخبره وسأحضر وبالفعل أوصلها زوجها إلى الفندق وهو زوجها بدوره ذهب إلى خليلته التي ربما أخبرت زوجها بذلك. وهذه العملية مع أنها لا تشرف في نظرنا نحن الشرقيين ولكنها ترينا نفسية الشعب الألماني إن عبثهم لا لقاء المادّة. وفي الأيام الأخيرة من الحرب، ولكثرة ما قتل من شبابهم بالملايين فكّر الألمان أن يستعيضوا عما ضيعوه من دماء وهل يقبلون بمبدأ تعدد الزوجات أو يسمحون بالإباحة؟ فقرروا الإباحة وعليه أصدر هتلر أمراً بالحصول على الشباب الألماني بأية طريقة كانت، بعدما كان النازيون يعدون أنفسهم هم الآريون وكان نشيدهم «ألمانيا فوق الجميع» وكان فيلسوفهم عندما يصنّف الشعوب يجعل أنفسهم في الصدور أما نحن العرب ففي البزايز مثل اليهود» في الرقم الثاني أو الثالث عشر وبعد مراجعة رشيد عالي والمفتي رفعونا من تلك المنزلة إلى أحسن منها. نعم! شعب ذو حيوية وذو مزايا ممتازة خرج من حربين عالميتين مخذولا مهيض الجناح لكنه بين عشية وضحاها يصبح وهو أعز حالاً وأرفه عيشاً من الذين انتصروا عليه، حتى أن وزير مالية أميركا ذهب اليهم ليأخذ قرضاً منهم، والحلفاء حائرون بأمرهم: انتصروا عليهم في الحرب العالمية الأولى، لكنهم بعد الهدنة رجعوا يساندونهم ويمدونهم بأسباب

---

(١) فرج توما رجل عراقي ذو خلق حسن وموظف ممتاز كان يشتغل في دائرة الجنسية ببغداد وهو حذر لدرجة إذا حرر كتاب إلى أهله في بغداد يحرره بالإنكليزية لئلا يشتم منه ما يريب إذا كتبه بالعربية.

الحياة ، فإذا بشعبهم خلال خمس سنوات من حكم هتلر : يمزّق معه معاهدة « فرسايل » ويهيء جيشاً يحارب العالم بأجمعه . ثم يرجعون يغلبونه في الحرب العالمية الثانية ويفرضون عليه شروطاً قاسية ومن ثم يساعدونه مرة أخرى وينشلونه من ورطته وإذ نرى خلال أقل من عشرين سنة يفوق المارك الألماني حتى الدولار الأمريكي قوة ومتانة ولِمَ هذا كله ؟ لأنهم يعلمون حق العلم أنهم إذا قضوا عليه فإن أوروبا كلها تتبلشف .إذ هم السد المنيع أمام روسيا وشيوعيتها والآن فإن أخشى ما تخشاه روسيا . هو الشعب الألماني وهذا مما جعلها تعارض دائماً في أن تكون لها قـــوة نوويّة .

تعدّدت الغارات على ألمانيا بدون رحمة ولا سيما بعد أن دخلت أميركا الحرب . كانت الطائرات الألمانية عندما تذهب إلى لندن أو غيرها من المدن الإنكليزية للإغارة تترك قواعدها بعد حلول الظلام ، وبعد أن تلقي قنابلها تعود إلى هذه القواعد قبل بزوغ الفجر ، وهكذا الطائرات الإنكليزية كانت تغادر قواعدها بعد حلول الظلام فتلقي قنابلها عـــلى أهدافها في «برلين» أو غيرها من المدن الألمانية ثم ترجع إلى قواعدها قبل بزوغ الفجر . ولكن الأمريكان عندما دخلوا الحرب صاروا يغيرون على بلاد المحور ليلاً ونهاراً وأذكر مرة عندما كنا في فيينا ذهبت وصديقي فرج توما ظهر أحد الأيام إلى محطة القطار للسفر إلى «بادن » ولزيارة أصدقائنا يوسف سرسم وخليل عقراوي اللذان كانا يدرسان الطب وبينما نريد ركوب القطار وإذ الغارة قوية ، وفي حالة مثل هذه ـ أي عندما تحصل غارة سواءً أكانت ليلاً أو نهاراً ـ فإن على كل شخص أن يذهب إلى أقرب ملجأ . ففي ألمانيا جميعاً ولا سيما « برلين » فيها من الملاجىء ما تكفي لاستيعاب جميع سكانها ؛ ومعنى هذا أن في كل مطعم أو كازينو أو فندق بل وفي كل بيت توجد ملاجىء ، فضلاً عن الملاجىء العامة التي عملتها الحكومة في محلات مختلفة تسع المئات بل الآلاف ، حتى

أنهم عملوا ملاجىء فوق الأرض سموها «بونكر» أما التي تحت الأرض فيسموها «كيلار» وهذا البونكر الذي سميته أنا «البرج المشيد» الوارد في الآية الكريمة «أين تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة» فإن هذا البرج الذي يدخله تصون حياته مائة في المائة لأن ببناية المسلح يجعله منيعاً أمام القنابل حتى وإن كانت ذاتَ العشرة أطنان مع أنه في الحرب العالمية الثانية كان وزن أكبر قنبلة ستة أطنان. وهذا للبناء الشامخ ذو الست أو سبع طبقات التي تسع حوالي الـ «١٦,٠٠٠» شخص وفيه كراس ومصاطب ومكيفات للتدفئة والتبريد، وأطباء وصيادلة، والطابق التحتاني تخصص للشيوخ وللرّضع وللأطفال. ولما حصلت الغارة - موضوعة البحث - ظهراً كنا في المحطة ذهبت وفرج توما إلى أقرب ملجأ فدخل صاحبي إلى الملجأ وبقيت أنا في الباب لأتفرج على الطائرات المغيرة والتي تصدّت للهجوم عليها فلما بدأت تلقي حممها، تركت المحل إلى الملجأ وإذا يتساقط على رأسي من السقوف قزاز وغـبره من شدة الصدمة التي حصلت من القنبلة التي وقعت بالقرب من باب الدار. فدخلت الملجأ الذي كان فيه ما يقارب الـ ١٠٠ شخص وإذ بنوره مطفي والجميع في ذعر فلما رأيت صاحبي فرج قلت له: سأخرج ثانية لأكمل التفرج، فاستغرب ورغب أن يمنعني فخرجت وإذا القسم الأعلى من باب الدار الذي كنت واقفاً تحته محطم وفي واجهة الدار ما يقـارب الأربعين شباكاً تحطمت جميع زجاجاتها. وعلى أثر سماعي أزيز قنبلة، هربت مرة ثانية إلى الملجأ وإذا بأنبوب ماء يتفجر وهكذا كلما أذهب إلى الملجأ وأعود أرى منظراً شبيهاً بما قبله والسماء مغطاة بالطيارات المغيرة وبالطائرات الألمانية اللاتي تصدت لها وبعد حوالي الساعتين انتهت الغارة فخرجنا لنتوجه إلى محلنا سيراً على الأقدام حيث الأسلاك الكهربائية مهشمة والترام

معطل ولا سيارات إجرة لنقلنا ، وإذا بنا نسمع في الطابق الثالث من البناية القريبة منا رجلاً يلعن الإنكليز ويقول : كلما أملك من أثاث احترق ولم يبق منه إلاّ القليل وها أنه يحاول جمعه وتخليصه .

واصلنا السير وإذا بطائرة حليفة ساقطة في الشارع والناس يتفرجون عليها فصرنا نرى أنواع المشاهد حتى وصلنا إلى مطعم لنتغدى وإذا به لا يزال مغلقاً فواصلنا السير إلى سينما فوجدنا شخصاً عنده بطاقتان فاشتريناهما على أساس أننا بعد الغداء نذهب إلى السينما فلما تغدينا وذهبنا اليها كانت الحالة اعتيادية . ماذا نعمل ؟ هكذا كانت الحالة . بينما أنت تريد الطعام وإذا بغارة . وبينما تريد تحلق وإذا بغارة ، وبينما وبينما تريد النوم وإذا بغارة والعادة كما ذكرت . عند وقوع الغارة على كل شخص أن يذهب إلى أقرب ملجأ بعد أن يأخذ معه ما خف حمله وغلا ثمنه وبعد ان تنتهي الغارة وبينما أنت خارجاً من الملجأ إلى دارك وإذا بموجة أخرى تفاجأك قبل أن تصل إلى محل سكناك فنعود ثانية إلى الملجأ ، وبعد انتهاء الموجة الأخيرة نعود إلى مساكننا وإذ بعد منتصف الليل غارة جديدة . وكثيراً ما كنت أبقى في فراشي ولا أذهب إلى الملجأ بعد منتصف الليل وليكن ما يكن وهذه بالطبع مغامرة إذ أن الدكتور مصطفى الوكيل المصري ذهب ضحية غارة وهو في فراشه رحمه الله فقد كان من خيرة الشبان المؤمنين . وذات يوم ونحن في فندق إيدن أتت غارة قوية فرغبت في التفرج عليها بدلاً من ان أذهب إلى الملجأ فصعدت إلى سطح الفندق فجاءني مرافقي عبد الرحمن الخوجة ليقول لي : سيدي ما هذه المجازفة ؟ نحن في الملجأ تحت الأرض والملجأ يهتز بنا وأنت فوق السطح في الطابق الخامس ؟ وأحياناً وأنا أستحم وإذا بقنبلة تسقط بالقرب مني ومرة سمعنا إشارة « الفور الأرم » أي « قبل الأنذار » وهذه الإشارة تعطى كما سبق وقلت ــ عندما تتجه الطائرات المغيرة نحو بلدة ما ففي هذه الحالة ينتخب الشخص المحل الأكثر أماناً ليذهب اليه فتركنا الفندق ــ أنا

واسماعيل فتاح ـ وتوجهنا إلى « البونكر » أي الملجأ وكان من القرب من حديقة الحيوانات ، وقرب وصولي إلى البرج أعطيت إشارة «الإنذار » فاقترحت على اسماعيل فتاح أن لا نستعجل وندخل البرج ولنتفرج على الطائرات وإذ بسماء برلين يعج بطائرات الحلفاء وباشرت الطائرات المغيرة تسقط المظلات المضيئة لتكشف الأهداف الواجب رميها ، وحلقت الطائرات الألمانية واختلط الحابل بالنابل وفتحت البروجوكتورات المتمركزة في محلات عديدة من برلين فأحالوا الظلام نوراً وعندما توجه الأضوية على طيارة ما فإن كانت الطائرة ألمانية فإنها ترسل منها إشارات مقرّرة ومعروفة لدى الطرفين ليتركوها على قاعدة « ماني حمد » وإذا كانت الطـائرة سعادية فتبقى الأضوية ملازمة للطائرة الموجه عليها ملايـين الكيلواط بحيث يجعلوا الملاح لا يرى طريقه إذا ارتفعت الطائرة المعادية ارتفعت الأضوية معها وإن انخفضت انخفض معها وهكذا أن شرقت وإن غربت فالأضواء تبقى ملازمة لها ويبقى ملاح الطائرة حائراً ماذا يعمل إذ لا يرى الطريق حتّى يتخلص مما هو فيه وفي هذه الحالة تأتيها طائرة ألمانية مقاتلة تصب نيرانها عليها ، وفي الوقت نفسه توجه عليها النيران الأرضية مـن مدافع ضد الجو إلى ان يسقطوها . وحيث أن « ألبونكر » ـ الذي نحن واقفون بالقرب منه يحمل على سطحه مدافع ضد الجو ـ وفي نهاية الحرب صار يستعملها نساء ألمانيات ـ تباشر تلك المدافع توجه نيران قنابلها على تلك الطائرة المغيرة وخوفاً من سقوط شظاياها علينا ، تركنا محلنا أنا واسماعيل فتاح وذهبنا إلى « البونكر » مكتفين بهذا القدر من المشاهدة وهذا الوصف الذي شرحته تكلفنا مخاطرات جمة إذ نحن أولاً معرضون للخطر من أن تقع علينا شظايا من قنابل الطائرات المغيرة أو من قنابـل مدافع ضد الجو الرابظة على سطح البونكر الذي نحن واقفون بالقرب منه ، وثانياً أن الدوريات الألمانية إذا رأتنا أثناء الغارة ونحن غير داخلين إلى « البونكر » خاصة ونحن أجانب يعتقدون أننا نرسل معلومات إلى

الطائرات المغيرة كجواسيس .

وصفت لك أيها القارىء هذه الغارة التي أسقط على برلين فيها آلاف القنابل وها أني أشفع الوصف بغارة أشدّ منها وقد ألقي خلالها عشرات الآلاف من القنابل المحرقة يتخللها قنابل متفجرة وكنت في تلك الليلة ذاهباً ومعي بهاء الدين الطباع إلى دار محمد حسن سلمان وعندما باشرت القنابل تتساقط ، ذهبنا إلى الملجأ في نفس الدار وكانت الكراسي تتساقط ونحن جالسون عليها ولكثرة القنــابل المحرقة فإن حصة دارنا كانت حوالي العشرين ، وحصة دار رشيد عالي سبعاً وثلاثون قنبلة . وبهذه الكثرة صارت القنابل تتساقط بدون رحمة والحرائق تندلع نيرانها في كــل الجهات وكنت أترك الملجأ وأطلع إلى الحديقة ليطمئن محمد حسن وزوجته وطفلتيهما لأريهم أني في العراء ولا أخشى الخطر فكيف وهم في الملجأ ؟ وهكذا انتهت تلك الغارة التي جعلت برلين شعلةً من نار فتركنا الدار مشياً على الأقدام لمدة أكثر من ساعة حتى وصلنا إلى محل إقامتنا . وقد نبّهت هذه الغارة المفزعة محمد حسن وأهل بيته ليتركوا برلين ومخاطرها والالتجاء إلى استانبول حيث حصلت زوجة محمد حسن على تأشيرة خروج من تركيا بطريقة غريبة وذهبا إلى صوفيا لتستقل الزوجة القطار وعند حركة القطار بقي محمد حسن مختفياً حيث ركب بقصد توديــع زوجته وطفلتيهما إلى أن وصلوا إلى تركيا سالمين فقبلتهم تركيا كلاجئين سياسيين واستضافتهم إلى نهاية الحرب .

ذهابي إلى النمسا

في أواخر سنة ١٩٤٣ م ، وعلى وجه التحديد في شهر تشرين الأول ، رأت برلين أعنف غارة في حياتها إذ ظلت الطائرات تقذف بحممها في موجة أثر موجــة حتى أحالت برلين إلى خرائب في جميع حاراتها ،

وظلت البلدة لثلاثة أيام في شدّة متناهية . مطاعمها مغلقة ، والحالة متعسرة في كل جانب ، الأمر الذي أوجب أن يقرّر الألمان إخلاء عاصمتهم من الأشخاص غير الضروريين الساكنين فيها وكنت من جملتهم فطلبوا إلي أن أختار البلد الذي أرغب السكن فيه فاخترت صوفيا على أمل أن أهرب منها — كما هرب قبلاً محمد حسن سلمان — لا سيما وقد كان فيها كامل مروة صاحب جريدة الحياة في بيروت ، ولكن الألمان شعروا أن وراء انتخابي لهذا البلد ما وراءه فمانعوا أولاً بحجة أنهم لا يستطيعون تدبير المخصصات بالعملة الصعبة فقلت لهم أني لست بحاجة إلى مخصصاتكم وأنا أدبّر نفسي — لأن المفتي قال لي سرّاً أنه يتمكن من إيصال ما يكفيني من مخصصات — ثم قالوا انتخب بلداً داخل ألمانيا فانتخبت «ويانة»

وسافرت اليها في وقت كانت طائرتنا تحوم فوقها والطائرات المغيرة ترمي بحممها فرجعت بنا الطائرة إلى « براغ » وبقيت فيها إلى انتهاء الغارة فذهبنا اليها وكان الألمان قد هيأوا لي شقةً ، وخصصوا لي طباخة ويعدّ هذا منتهى الإكرام فإن الكثير من القادة والمنفذين حتى البعض من الوزراء لم تكن لديهم خادمة . وقد بقيت في « ويانة » نيف وسنة تجرعت خلالها المرّ من الغارات خاصةً بعد الإنزال في « صقليّة » وفي شمالي أفريقيا ، وكنا عندما نريد أن نذهب في الليل إلى المطاعم ، نتعثر في الطرق للظلام الدامس والأضوية الخافتة جداً . كان التعتيم في الدور وفي المطاعم والمقاهي في منتهى التحفظ وويل للشخص الذي يرى أقل ضوء من غرفته إذ يأتيه المراقبون وينتهروه بشدة فكانت المعيشة بالنسبة لي متيسرة وأفضل من الغير باعتباري حامل جواز دبلوماسي ، وكان يعطى لي من البطاقات ثلاثة أضعاف ما يعطي للغير تقريباً إذ لا يمكن للشخص أن يعطي له الطعام إلا بالبطاقات . ويومان في الأسبوع لا يعطي اللحم بل يعطي بدلاً منه السمك أما السكاير فقد خصص للذكر مثل حظ الأنثيين أما نحن الأجانب فكنا نشتري ما يعوزنا في السوق السوداء مثلاً — كنا

شتري الكيلو من اللحم أو الدجاجة الواحدة بخمسين ماركاً أي أربعة دنانير ونصف ، وكيلو التفاح بخمسة ماركات أي نصف دينار ، وكيلو الشاي بألف مارك أي ما يقارب التسعين دينار ، والكيلو القهوة بثلاثة آلاف مارك.
ولما اشتدت الحالة لكثرة الغارات سافرت مع ابن عمي سليم الراوي ومرافقي عبد الرحمن الخوجه وبهاء الدين الطباع والشريف محمد نجل الشريف شرف إلى مدينة «آخنزي» في التيرول النمساوي المجاور لسويسرة ، وفيها بركة كبيرة طولها حوالي ٧ كم وعرضها حوالي ٥ كم وتمخر فيها بواخر صغيرة تحمل الواحدة منها حوالي المائة شخص تنقل بهم إلى الفنادق المتناثرة على الشواطىء وهذا المصيف من أحسن المصايف.

صادف بعد وصولنا إلى «آخنزي» ببضعة أيام أن حلّ رمضان المبارك ومع أني مسافراً فقد قرّرت إداء فريضة الصوم لقوله تعالى «وإن تصوموا خيرٌ لكم» صدق الله العظيم. وفي صباح اليوم الأول خرجت من الفندق وإذا بالبنات الألمانيات. والنمساويات والإيطاليات المشهورات بالحسن والجمال ، متمددات على الشاطىء بعضهم يتشمّسن ، ومنهن نزلن في البركة للاستحمام ، ومنهن يمشين على الساحل بالقدّ الممشوق ، وكان النظر اليهن يجعل الصوم في خير كان فابتعدت عنهن واستأجرت قارباً ونزلت البركة ولما كنت غير متمرّن كما يجب للتجذيف فقد كان القارب يذهب إلى جهة غير مقصودة تارة وطوراً ينقلب بي. فخرجت وذهبت إلى الفندق وقرّرت الذهاب إلى قرية «أويبين» التي تبعد عنا بالقطار حوالي ٣٠٠ كم حيث يسكن فيها الحاج أمين الحسيني لاتمام فريضة الصوم هناك ــ لأن الصوم مع النظر إلى هذا الجمال الصارخ لا يتفق ورب الكعبة ــ فأخذت القطار مع بهاء الدين[1] الطباع في اليوم الثاني من رمضان وتوجهنا إلى «أويبين» فاتفق عند وصولنا المحطة أن رأينا علي الصافي في طريقه إلى «أويبين» ومن الذي لا يقصد «أويبين» مقر الحاج أمين المدلّل

---

(١) بهاء الدين الطباع رجل لبناني طيب السريرة وكان معلم الكشافة في بغداد.

الساكن في قصر فيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ؟ من فواكه لا مقطوعة ولا ممنوعة ، وفرش موضوعة وزرابي مبثوثة ، وموائد ممدودة عليها كل ما لذّ وطاب من مآكل عربية شهية مطبوخة بيد أمهر الطباخين شرقيين وغربيين مع أنواع المشروبات غير المحرمة . ومائدة الحاج العامرة هذه يتغدى ويتعشى عليها يومياً وبلا انقطاع من العشرة أشخاص فما فوق عدا الدعوات المستمرةِ للرجال العظام من ألمان وغيرهم . أي نعم رشيد عالي والمفتي كان كل منهما مترفهاً من ناحية المعيشة حتى أن الفوهرر هتلر ما كان متنعماً مثلهما فإن سيّد ألمانيا كان يأكل مثلما يأكل أي جندي ثم يأتي المدللّون في الدرجة الثانية في بلاد المحور بعد رشيد والمفتي ومنهم ناجي شوكة ، ومحمد حسن سلمان ، وكامل الكيلاني شقيق رشيد وفوزي القاووقجي ، وصاحب المذكرات . وأما الدرجة الثالثة فمنهم : علي الصافي ، جابر عمر ، حكمة سامي ، محمد سلمان ، عباس حلمي ، عفيف الطيبي ، سليم عبد الرحمن ، مصطفى الوكيل ، كمال واصف ، منير الريّس ، صفوة الحسيني ، موسى الحسيني ، ويوسف عبد الأحد ، عبدالرحمن الخوجه وغيرهم كثيرون من سوريين وعراقيين وفلسطينيين ومغاربة . وكان يوجد تلاميذ أمثال شبلي كامل حسن ، صادق الحاج علي ، محمد البربوتي ، جواد الدبوني ، ناجي عبد الرزّاق وغيرهم فكان بعض لهم راتب قليل لا يكفيهم وكان مثلاً شبلي وصادق يستدينون مني لسد الكلفات . وبعد رمضان رجعنا إلى محل سكنانا في آخنزي وذات يوم عنّ لي الذهاب إلى « براغ » فذهبت اليه مع الأخ علي الصافي فذهبنا إلى الفندق وهناك التقينا باسماعيل حسن الذي كان مذيعاً في قصر الزهور ببغداد . وبينما كنا جالسين في البهو تعرفنا على رجل أجنبي يدعونا إلى العشاء خارج الفندق فقبلنا الدعوة وجلسنا وحسب الأصول بدأت الأقداح تدار والباسقات معنا على المائدة وقد امتدت الجلسة إلى قبيل منتصف الليل ، وبعد الانتهاء من الأكل والشرب جاءتنا قائمة الحساب ففيها ما

يقارب اﻟ (١٥٠٠) مارك أي نحو ١٤٠ دينار ذلك لأن الأكل والشرب في هذه الوليمة لم يكن مشمولاً بالبطاقات الرسمية ولو كانت بها لما حلّت هذه المصيبة . وإذا بصاحبنا الذي دعانا غير مشكور يهرب منا فماذا العمل ؟ وكيف نسدد هذا المبلغ الجسيم ؟ قمنا نحن الثلاثة وتقاسمنا المبلغ وأنفسنا صاغرة إذ دفع كل منا ٥٠٠ مارك وخرجنا نتعثر بأذيال الخجل والندم فمن كان عاتب عليك يا ملعون الوالدين حتى تدعينا إلى مثل هذه الوليمة ؟

أتيت بهذا المثال لأريك أيها القارىء حالة المعيشة أيام الحرب إذا تذهب إلى أرقى المطاعم وتأكل بالبطاقات فالدفع يكون لكل وجبة من مارك واحد إلى ماركين ، ولكنها بدون بطاقات تكلف المبلغ المرقوم والألمان ما كانوا يعطون بطاقات إلى اليهود لا للأكل ولا للملبوس وكان أكبر بروفسور يهودي يكون ممتناً فيما إذا يخدم عندك بأكل بطنه وفي إمكان أي أحد أن يعاشر أي حسناء يهودية لأجل أكلة أو سيكارة . وفي أيام الحرب في ألمانيا كل شيء كان متيسر عدا الفاكهة والقهوة والشاي والسكاير توجد صعوبة للحصول عليها مثلاً الفاكهة يعطوها للأطفال وللرضع ، والشخص يذهب إلى القهوة ويأتوا له بقهوة أو شاي فباللون لا بالطعم ومع أني الذي كنت في بغداد لا أعد من المدخنين فقد اشتريت من هنغاريا ما يقارب ٦٠٠٠ سيكارة مرة واحدة بآلاف الماركات ، وكذلك في بغداد ما كنت من الذين يشربون الشاي إلا نادراً فصرت أشتري الكيلو الشاي بألف مارك لأن المرء – كما قيل – حريص على ما منع وكذلك لأجل التباهي . وبهذه المناسبة أذكر حادثة وقعت وهي أن يوسف سرسم الذي كان يدرس الطب ذهب إلى المستشفى ليتمرن على العمليات كجراح ولكن مدير المستشفى بدلاً من أن يجعل شخص أجنبي يتمرّن على العمليات الجراحية كان الأوفق أن يرجح عليه شخص ألماني ليدربه ويرسله إلى الجبهة فقال المدير إلى يوسف :

أنت تفرّج نظرياً فقط . وحيث كان يوسف بحاجة جداً للتمرين العملي لأن الجراح كالقصاب عليه أن يقصّب حتى يتمرن وإلاّ فما هي الفائدة من التفرج ولكن صديقنا يوسف قدم قليلاً من الشاي إلى البروفسور وإذ به يسمح له بإجراء العمليات بدلاً من النظرية . لم يكن هذا البروفسور عاجزاً عن شراء الشاي بالسوق الأسود ولكن كما قلت سالفاً الألماني لا يريد مخالفة القانون وكذلك خوفاً من العقاب . وأن الغستابو إذا علموا بذلك فإنهم يقاصصونه قصاصاً صارماً . بعدما تفرجنا على معالم براغ أنا وعلي الصافي رغبنا بالعودة إلى برلين فركبنا القطار السريع وكان مزدحماً لدرجة أن البعض صار يركبون فوق سطح القاطرات ، وبعضهم لم يجد محلاً حتى للوقوف . فدخل إثنان منهم إلى المرحاض أما نحن الإثنان اللذان كنا من ركاب الدرجة الأولى كنا واقفين على أرجلنا ومتلاصقين ببعضنا لدرجة لا يتمكن الشخص من الدوران على نفسه وعلى هذا الحال سار بنا القطار فوصلنا إحدى المحطات فنزلت لقضاء الحاجة إذ كما قلت أن مرحاض قطارنا كان مشغولاً بشخصين من الركاب . توجهت لأستقل القطار وإذا به يتحرك قبل وصولي اليه فبقيت حائراً ماذا أعمل؟ فسألت متى يأتي القطار العادي لاستأنف السير به؟ فقيل لي بعد ثلاث ساعات تقريباً . فقلت لأذهب إلى البلدة لأتغدى ثم أرجع وأركب القطار وأما ألاخ علي الصافي فقد أخبر المسؤلين في القطار عن تأخري وأخبره بأني أحد الأشخاص المهمين وأني ضيف وزارة الخارجية . الألمانية فصاروا يسألوا عني باللاسلكي من مختلف المحطات وأنّى لهم معرفة محلي الذي أنا فيه إذ لم أراجع المسؤلين في المحطات . وهكذا ركبت القطار العادي عصراً وفي الساعة ٢٢٠٠ نزلنا إلى محطة لننظر قطاراً آخر إذ علمت أن قطاراً سريعاً سيأتي في منتصف الليل ولكنه قطار عسكري خاص فانتظرته وعند وصوله ذهبت لمواجهة المسؤلين فيه وأريتهم جواز سفري الدبلوماسي فرأوا أن حامله جنرال عسكري في الحكومة العراقية وما أدراه ذلك الضابط

الصغير أن الحكومة العراقية تلك هي معه أو عليه ؟ وقدر أن الرجل الذي يحمل جواز سفر دبلوماسي لا بد وأن له منزلة خاصة فوافق على ركوبي فركبت ووصلنا دريسدن فبت فيها على أن أستأنف الركوب صباحاً . وهذه درسدن التي قضيت ليلتي فيها بعد شهر تقريباً تعرضت لغارتين ذهب من جرائهما ما يقرب من الربع مليون شخص وفي صباح اليوم التالي أخذت القطار إلى برلين وصدقني أيها القــارىء إذا قلت لك أني الرجل المهم الحائز على بطاقة الدرجة الأولى لم أتمكن ليس من الجلوس على كرسي بل أحياناً أقف على رجل واحدة . وما وصلت برلين إلا بشق الأنفس حتى نزلت في محطة ـ غير المحطة المخصصة لنزولنا عادةً ـ إذ كانت مخربة من القصف وهكذا كانت الحالة في الأيام الأخيرة أي قرب نهاية الحرب في أشد الضيق الأمر الذي فكرنا أنا وعلي الصافي ومنير الريس نترك برلين لنتخلص من الغارات المتتالية فقررنا الذهاب إلى « فيينه » حيث يقيم هناك جابر عمر وموسى الحسيني ـ وكان الأخير أحد الذين اتهموا بقتل الملك عبد الله في القدس وعلى أثرها أعدمــوه وهو شاب مثقف وجريء مثل ابن عمه الشهيد عبد القادر الحسيني الذي دوخ اليهود في موقعة قسطل في سنة ١٩٤٨ .

عندما قررنا السفر إلى فيينه ، أخبرت وزارة الخارجية برغبتي هذه فزودتني بكتاب ما معنــاه إلى كافة من يراه « إن الجنرال ابراهيم الراوي ومرافقه نجدة الشواف هما ضيفا وزارة الخارجية فيجب بذل كل مساعدة لهما » وهكذا تركنا برلين في أواخــر شباط سنة ١٩٤٥ ووصلنا « فيينه » وإذا بالغارات أيضاً متتالية وبدون انقطاع حيث يوجد هناك معمل « زايس » للنواظير والعوينات ومصنع « كروب » للمدافع والأعتدة وهكذا أصبح السكن حتى في « فيينه » غير ممكن إذ في يوم من الأيام كنت واقفاً بجانب جابر عمر إذ انفلقت قنبلة تبعد عنا حوالي الـ « ٣٠ » متر وهكذا قررنا أنا ومنير الريّس أن نترك فيينه ونذهب إلى

« آخنزي » لنتمكن من الهرب إلى سويسرا إذ الحرب اقتربت من نهايتها وكلما اقتربت اشتدت الأزمة وكثرت المخاطر فركبنا القطار في أول مارت سنة ١٩٤٥ وبصعوبة وصلنا إلى «آخنزي» إذ كانت الثلوج تنزل بكثرة من ١ ـ ١٠ مارت أي ٢٤٠ ساعة بدون انقطاع ومن آخنزي اتصلنا بشخص كان في « شرونس » على الحدود السويسرية يقوم خلسةً بتهريب الأشخاص إلى سويسرا واتفقنا معه على يوم ١٥ نيسان حتى تذوب الثلوج ونتمكن من السير على الطرق ولكن في أول نيسان طلبت من عندنا السلطات أن نترك «آخنزي» حيث فيينا سقطت وأتى اللاجئون بكثرة إلى آخنزي ولأجل أن تسكنهم السلطات وهم أهل البلد ، طلبت منا نحن الغرباء ـ ولو كنا حاملين توصية من وزارة الخارجية ـ أن نترك البلد فتركناها ورحنا إلى قرية أقرب منها إلى الحدود وراجعت السلطات وأريناهم التوصية المعطاة لنا ، وأفهمهم منير الريّس أني من الشخصيات العزيزة على المحور : كرشيد عالي وكالمفتي الحسيني فسمحوا لنا وانتظرنا هناك على أمل ان يحل الموعد أي ١٥ نيسان وإذ قبل الموعد أي في يوم ١٠ نيسان ذهب الدليل والأشخاص الذين معه ليجتازوا الحدود إلى سويسرا بدون أن يخبرونا ، وعند الحدود اجتازها قسم ، وقسم آخر لم يتمكن فعاد وشعرت بهم الحكومة فأعدمتهم . وعلى أثر هذه الحادثة اختفى الدليل ولم نتمكن من الاتصال به وكانت العمولة التي يأخذها الدليل من كل شخص خمسة آلاف مارك أي حوالي ٤٥٠ دينار أما أنا فقد كان عندي ٩٠٠٠ مارك ومنير عنده ألف وفي هذه الآونة وإذ تأتي موجة من اللاجئين إلى القرية التي نحن فيها وإذ بالسلطات توعز الينا بلزوم تركنا القرية . تركناها وذهبنا إلى أقرب قرية إلى الحدود وتخفينا فيها وكنا ستة أشخاص أنا وخمسة من أخواننا السوريين في غرفة واحدة فيها سرير واحد أنا أنام عليه ، والخمسة الآخرون ينامون على الأرض . وهناك تمكنا من الاتصال بالدليل الذي كان اختفى وضرب لنا موعداً في يوم ٣٠ نيسان فانتظرنا وإذ في يوم

٢٦ ــ ٤ سمعت أن عمالاً افرنسيين سيجتازون الحدود حيث سمحت لهم الحكومة الألمانية ؛ إذ المعامل توقفت عن العمل لما أصابها من تخريبات فأخبرت جماعتي بالأمر فقررنا الذهاب معهم. وفعلاً في يوم ٢٧ ــ ٤ ذهبنا سويةً لنجتاز الحدود وعندما أتينا إلى الحدود، أعطينا إلى الألمان كلما نملك من نقود وما يزيد من حاجاتنا من ملابس ودخلنا الحدود السويسرية أي في المدخل المقفل بين الحاجزين الألمانية والسويسرية وإذ السويسريون يمنعونا من الدخول إلى حدودهم خاصةً أنا شخصياً عندما اطلعوا على جواز سفري وصرنا في أشد ساعة من الوجل: ولكن الله سلمنا فاتصل حرس الحدود بالسلطات العليا فسمحت لنا بالدخول فاجتزناها ــ والحمد لله ــ وما دخلنا هذه الحدود، حتى فرحنا فرحاً لا مزيد عليه وكأننا خلقنا جديداً إذ مضى عقب أربع سنوات رأينا خلالها الأمرين من الغارات المتوالية ولا نعلم هل سنقع بيد الروس أو الإنكليز وماذا سنرى من الإهانات والاعتقالات؟ وفعلاً فإن أخواننا الذين بقوا ولم يتمكنوا من الهروب مثلنا عندما وقعوا بيد الروس والإنكليز اعتقلوهم وأهانوهم وبعضهم، لم يتمكن من العودة إلى العراق إلا بعد سنتين، وبعضهم مثل رشيد عالي وإثنان سوريان هما جميل الميداني وصاحبه التجوا إلى ابن سعود وكذلك المفتي وجماعته وصلوا إلى بيرن بطائرة أعادتهم السلطات السويسرية من حيث أتوا. وهكذا رأوا أخواننا من المصاعب ما تقشعر منه الأبدان إذ كامل الكيلاني وأهل بيته وعائلة رشيد عالي وجزمي وحكمة سامي ونجم الدين السهروردي ومحمد سلمان وغيرهم ضاقوا الأمرين في المعتقلات. وأذكر حادثة وقعت لسفير الافغان تظهر لك مدى الصعوبات وهي: أن الروس عندما دخلوا برلين مسكوا السفير الأفغاني الله نواز الذي لم يكن محارباً ضدهم وكانت زوجته وأطفالها في «زيوريخ» فبدلاً من أن يسمحوا له بالذهاب بالقطار ويصل اليهم بعد ٤٢ ساعة أخذوه وأركبوه القطار بالدرجة الثانية من برلين إلى موسكو، ومن هناك ذهب بالطائرة إلى بغداد

قاهرة—زيوريخ إذا كانت معاملتهم مع سفير دبلوماسي غير معادي بل ذو علاقة جيدة معهم فأذاقوه الأمرين لبينما اتصل بعائلته فكيف اذاً قبض الروس أو الإنكليز علينا ونحن في نظرهم من المتعاونين مع المحـــور ؟ فالويل ثم الويل وهكذا يا صاحبي إذا قلت أننا فرحنا كثيراً عندما دخلنا إلى البلاد السويسرية في سيارتين كبيرتين — وكنا حوالي ٥٠ شخصاً — فتلقونا بكل ترحاب ، حتى أن الأهالي صاروا يرمون علينا الورود والسيكايـــر والحلويات إلى أن أتينا إلى محل قيل لنا أنه نحجز فيه حوالي الأسبوعين فقال لي أصحابنا الخمسة السوريين «خلصنا يا جنرال» فراجعت السلطات وأريتهم جوازي الدبلوماسي ، وبعد الاتصال بسلطة عليا سمحوا لنا بالمرور وأتينا إلى قرية بالحدود الإفرنسية وإذ يسمحوا للأخـــوان السوريين باعتبار أنهم سوريين وحاملين جواز سفر إفرنسي، وبقيت لوحدي وقضيت ليلتي وأنا في أشد حالة من القلق . . كيف وأخواني السوريون باعتبار كنت مستأنساً بهم يذهبون وأبقى لوحدي في هذا المصير المجهول ؟ ولكن ها أن كما قيل في المثل العامي «ما تضيق إلا وتفرج» أو كما قال شاعرنا العربي :

ضاقت ولما استحكمت حلقاتها   فرجت وكنت أظنها لا تفرج
فلعلّها ولعلّهـــا ولعلّ من   عقّد العقـــود يحلّهـــا

في اليوم التالي أتاني ضابط وأخذني إلى القطار بأحترام زائـــد إذ الجندي المراسل يحمل حقيبتي والضابط ألبسني المعطف، وهكذا وصلنا إلى «أولتن» فقضينا ليلتنا بأحسن فندق فيها كضيف على الحكومـــة السويسرية وفي اليوم التالي تركناها وذهبنا بالقطار إلى «بيرن» العاصمة وأنزلوني في فندق وقالوا لصاحبه «هذا ضيف يسكن ويأكل ويشرب والدفع مؤخراً بينما ينجلي الموقف» وهذه المعاملة التي عوملت بهـــا كضيف محترم وقد علمت مؤخراً أن السفارة البريطانية في بيرن هي التي أوعزت إلى الحكومة السويسرية أن تعاملني باحترام بعد أن اتصلت بالسفارة القائمة بالنيابة عنها في برلين ، وعلمت مما هو مدون في محفظتي

لديهم بأني عوملت من المحور معاملة قاسية ، وأن الحكومة الإيطالية اعتقلتني أحد عشر شهراً ، وأن سيرتي كانت حيادية ولست من المتهالكين على التعاون مع المحور ... الخ مما جعل السفارة البريطانية أن تعطي برقية إلى لندن وصورة منها إلى بغداد : « إن الجنرال ابراهيم الراوي التجأ إلى سويسرا ويجب أن يعامل ككبار الضباط البريطانيين » وحال وصولي إلى بيرن سألتني السلطات السويسرية عن الأشخاص الذين أعرفهم في سويسرا فقلت لهم : إني أعرف ثلاثة أشخاص وهم : الأمير شكيب أرسلان ومزاحم الباجه جي ، وثابت عبد النور فسمحوا لي الاتصال فطلبت من الفندق أولاً شكيب أرسلان من جنيف وإذا بزوجته تكلمني فعرفتها بنفسي ، وسألت عن الأمير قالت هو الآن في « زيوريخ » وهي بدورها سألتني عن رشيد عالي وعن المفتي فأخبرتها عنهما وسألتها عن ثابت عبد النور قالت هو في لوزان . فأقفلت الخط وطلبت ثابت ورحب بي كثيراً فطلبت مجيئه فقال إني لا أتمكن من المجيء اليك فأنت تعال .
وفي اليوم التالي ذهبت اليه وهذا كان في ٢–٥–٤٥ أي قبل الهدنة بتسعة أيام فأبرقت برقيتين إحداها إلى بغداد باسم رشيد الخوجه ليخبر أهلي والأخرى إلى ابن عمي جميل الراوي الذي كان وزيراً مفوضاً في جده وطلبت منه إرسال دراهم لأني مريض ومحتاج . وكان ذلك بحسب تعليمات ثابت إليّ إذ لو أني لم أقل له في البرقية بأني مريض فإن الحكومة السويسرية لا تسمح بالدينار العراقي بالحوالة . ورجعت إلى بيرن ، وهناك علمت بقصة البرقية البريطانية . وعندما تلقت وزارة حمدي الباجه‌جي هذه البرقية بقيت في حيص بيص ماذا تعمل والسفير البريطاني في بيرن يقول كذا وكذا ؟ وظلوا في حيرة من أمرهم هل يرسلوا إلي دراهم ويطلبوا مجيء إلى بغداد وأنا المغضوب عليه من الوصي ؟ فذهب أخي عبدالمجيد الراوي إلى وزير المالية صالح جبر وقال له اسمح لي أن أرسل اليه مقداراً من الدراهم ، فسمح ، فأرسل إلي ٣٠٠ دينار وكذلك أرسل إلي ابن عمي جميل بجدة ليحوّل

إليّ بواسطته ٢٠٠ دينار وهكذا بعد أسبوع من كتابتي البرقيتين وطلبي الدراهم ، وصلتني ٥٠٠ باون وكان الباون يومئذ يساوي حوالي ١٧ ماركاً سويسرياً فقال لي الضابط الملحق الإنكليزي أنت أصبحت ثرياً فكتب لي كتاب إلى البنك السويسري ووضعتهـا فيه ودفعت حساب الفندق وأعطيت الف مارك إلى ثابت عبد النور، إذ كان في أشد الحاجة ، وأعطيت إلى آخرين فلسطينيين وأردنيين ما تيسر من الماركات وصرت أسافر إلى جنيف لألتقي بالأمـير شكيب أرسلان وبمزاحم الباجهجي . كذلك سافرت إلى زيوريخ لزيارة عائلة السفير الأفغاني الذي كان الروس أخذوه من «برلين» إلى «موسكو» لأنه كان صاحب فضل عليّ إذ زودني بالوثيقة الذي ترجمتها

المفوضية الملكية الأفغانية في برلين — رقم١٦٨—٤٥

شهادة

تشهد بهذا المفوضية الملكية الأفغانية القائمة بأعمال العراق أن المدعو سعادة الجنرال ابراهيم باشا الراوي كان يسكن في برلين منذ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ وكان مكوثه هنا إجبارياً .

لم يتدخل صاحب السعادة الراوي باشا في أية قضية سياسية حتى الآن وكان دائماً حيادياً بالكلية ، وكما تبين للمفوضية أنه كان قد قطن في إيطاليا ثم أرسل إلى ألمانيا .

إنه قد حاول مراراً شخصياً وبواسطة المفوضية الأفغانية الرجوع إلى وطنه العراق ولكن لم يتوفق في ذلك ورغم ذلك أن سعادة الراوي باشا لم يشتغل في أي عمل سياسي . وكانت قد جابهته متاعب مختلفة ورغم ذلك فقد حافظ على حياده التام .

وإضافة إلى ذلك تؤيد المفوضية أن الراوي باشا كان المثال الحسن للضابط العربي ولم يتدخل في الشؤون السياسية .

برلين في ١٠ شباط ١٩٤٥

المفوض الأفغاني

(ختم المفوضية الأفغانية)

وكان هذا السفير الأفغاني مسؤولاً عن شئون الرعايا العراقيين وقد طلبت منه أن يتوسط لي لدى الألمان بالعودة إلى بغداد فلم يوافقوا .... وفي زيوريخ تعرفت على بديع شريف ، وعلي الراوي ، وأمين الراوي ، الذين كانوا يتابعون الدراسة هناك ، وكذلك تعرفت في بيرن على الدكتور جهاد جدّوع شقيق عبد الجبار جدوع مؤسس المصرف العقاري الذي هو الآن في الكويت على ما أعتقد وكان الدكتور جدّوع يدرس الطب في « بيرن » وقطعت عنه الإعانة الحكومية فكان بحاجة جداً إلى الدراهم ولا سيما وهو متزوج بسويسرية وله منها طفلة فأعطيته من الدراهم ما فيه الكفاية ثم أعادها بعد عودته إلى بغداد بعد أن فتح له عيادة وأخيراً توفي إلى رحمة الله وكان ساعدني في بيرن على أخذ باخرة تركية تتحرك من « سيت » قرب « مرسليا » وهكذا تركت سويسرا في أواخر تموز ١٩٤٥ بعدما بقيت فيها قرابة الثلاثة أشهر وتوجهت إلى استانبول فلما علم الأتراك الذين كانوا معي في الباخرة بأني أحمل جواز دبلوماسي وكانت معهم ساعات وغيرها من الأشياء الممنوع إدخالها ، أودعوها عندي وبعد التفتيش أعدتها اليهم .

نزلت من الباخرة إلى الجمرك فطلبوا مني أن أفتح الجنطة فأريتهم جواز سفري وإذا بهم يؤدون التحية ولم يفتحوا الجنطة وكنت أيضاً أحمل معي ١٠٠ ليرة عثمانية ذهب اشتريت الواحدة منها في بيرن بـ٣٢ مارك

سويسري من البنك ، وهذه المائة ليرة بعتها في استانبول إلى توفيق الحسن بـ ٥٠٠ دينار أي اشتريت كل ليرة بدينارين وبعتها بخمسة دنانير وهذه التسهيلات الكبرى التي رأيتها في ألمانيا والنمسة وفي الحدود السويسرية وهنا في استانبول كلها بفضل الجواز الدبلوماسي الذي أخذ مني في استانبول عند وصولي اليها على يد القنصل العراقي عبد الرحمن الفلاحي بناء على تعليمات وزارة الخارجية وأعطاني بدلاً منه جواز عادي .

بقيت في استانبول بضعة أيام سافرت بعدها بالقطار متوجهاً إلى بغداد ، وأرسلت برقية إلى بغداد بذلك . وصلت حلب وإذ بالإنكليز يأتون إليّ وينزلوني فيها ويمنعوا ذهابي إلى بغداد ولم يكتف الإنكليز بذلك بل أخذوا كل ما معي من جواز سفر وأوراق وتصاوير من جملتها صورة تجمعني ورشيد عالي والمفتي الحسيني ويونس بحري ومحمد سلمان وأنا بالبدلة العسكرية . وكانت هذه الصورة صورت لنا في ٢ مايس ١٩٤٤ في برلين إذ كنا نحتفل بذكرى الثورة وكان الإنكليز يستجوبوني صباحاً ومساء ويسألوني أسئلة عن تاريخ حياتي من يوم ولدت حتى وصولي إلى حلب . وكانت عندهم محفظة عني يعلمون فيها الصغيرة والكبيرة من حركاتي وسكناتي مثال ذلك : قالوا أعطيت لك وثيقة في شباط سنة ١٩٤٥ من وزارة الخارجية الألمانية سطر فيها ما يلي : « ألى كافة من يراه يجب تسهيل أمور الجنرال ابراهيم الراوي ومرافقه نجدة الشواف » وكانت هذه الوثيقة ؛ أعطيت إلي ولم يعلم بها إلا علي الصافي وجابر عمر ومنير الريّس وقد أعطيت لي في شباط . ومزّقتها في ٢٧ نيسان – ٤٥ على الحدود السويسرية هذا يعني أن للإنكليز جواسيس فيمكن أن أحدهم استنسخ صورتها بالآلة الطابعة .

راجعت القنصل العراقي في حلب عبد الكريم محمود وسألته : بأي حق ينزلوني الإنكليز من القطار ويمنعوا سفري إلى بغداد ويأخذوا جواز سفري ؟ وما معي من أوراق وتصاوير ... الخ ؟ ها إني ذاهب إلى بغداد

وهناك حكومتي إذا رأت حاجة إلى المحاكمة أو غيرها فأنا مستعـد ؟ ولكن ماذا يستطيع أن يعمل القنصل العراقي أمام غطرسة الإنكليز الذين احتلوا العراق ثانية وها هم يسيطرون على مصر وسوريا ولبنان ؟

تركت « حلب » وذهبت إلى « دمشق » فنزلت في « فندق أمية » بعلم السلطة الإنكليزية لأنهم لم يكملوا استجوابي هناك طلبت هاتفياً سفيرنا السيد أحمد الراوي فأتاني إلى الفندق وأعلمته بما جرى لي مع الإنكليز والرجل « ما كذّب خبر » جزاه الله خيراً » فقد اتصل بهم حالاً من الفندق هاتفياً ، وكلمهم فإذا بهم يعتذرون ويقولون : إن ما جرى كان بناء على طلب السلطات السورية وها نحن نكتفي بالأجوبة التي أخذناها ونعيد له جواز سفره وأوراقه مع التصاوير . .

وصولي إلى بغداد

رأيت وأنا في « دمشق » أعز صديق لي وهو حامد الوادي فأخبرته بما حدث لي منذ مغادرتي بغداد حتى وصولي إلى « الشام » فأشار علي أن لا أواصل سفري إلى « بغداد » بل من المستحسن أن أذهب إلى « عمان » للسلام على الملك عبد الله إذ كنت مرافقه الأول وكان حامد المرافق الثاني لجلالته يوم كنا في الحجاز . ولحامد منزلة كبيرة عند عبد الله حتى أنـه اشغل منصبه رئيس ديوانه مدة طويلة حتى أن الملك رغب مرة أن يشكل وزارة لولا ممانعة الإنكليز الذين كانوا غير مرتاحين لسلوك حامد فقبلت نصيحته فقام وخابر الملك والرجل ــ جزاه الله ــ رحّب بمجيء فتركت « دمشق » وتوجهت إلى « عمان » وإذ بمرافق الملك يستقبلني من بُعد عدة كيلومترات خارج عمان ، وكان موفوداً من جلالته وأنزلوني في « فندق فيلا دلفيا » ضيفاً على الحكومة وبعد أخذي قسطاً من الراحة ذهبت إلى « قصر رغدان » للسلام على الملك ، وعندما دخلت وسلّمت

عليه وأنا حاسر الرأس كعادتي ناسياً أني خالفت البروتوكول الأردني خاصة وأن الملك من المحافظين جداً حتّى أنه عندما يأتي إلى بغداد فإن جميع الأشخاص الذين يذهبون للسلام عليه كانوا يلبسون السدائر أو ما شابه لتغطية روؤسهم ، بادرني الملك بالقول ـ عندما رآني حاسر الرأس ـ ما هذا؟ ولما رأى أني ارتبكت قال ألا تخشى من الزكام؟ وهكذا أنقذ الموقف ـ رحمه الله ـ ورحب بي خير ترحيب ولما حانت صلاة المغرب قمنا للصلاة وإذا أنا بجانبه وأريد أن أصلي وأنا حاسر الرأس كعادتي فاعترض وهو يقول : حتّى في الصلاة وأنت حاسر الرأس؟ « يا عيال هاتوله صمادة وعقال ليلبسها ويصلي » وهكذا بقيت لابساً الكفية والعقال حتّى وصولي بغداد وقد أرسلني في اليوم التالي إلى « القدس » « ورام الله » وفي اليوم الثالث أو الرابع من وصولي « عمان » غادرتها في سيارة يقودها ولي العهد طلال مزوّداً بكتاب مفتوح إلى ابن أخيه الوصي عبد الإله ، يوصيه بي خيراً وبالحاح وسلمني إياه وعند وصولنا إلى « الرمادي » رأيت الكثير من وجهائها قد خرجوا لاستقبالي ولأني من مواليد بلدهم ولي فيها ذكريات وكذلك التقيت بعائلتي ورشيد الخوجه وجميل الراوي الذين حضروا من «بغداد» لملاقاتي . وعند وصولنا إلى «بغداد» خرج عبد الإله لاستقبال طلال في « قصر الملح » ولما قدمني إلى سموه كان الشرر يتطاير من عينيه ولما رأى الوزراء ورئيس مجلس الأعيان الشيخ صالح باش أعيان أن الأمير لا يزال غاضباً على الراوي فقد سلّموا علي مكرهين سلاماً فاتراً . صالح باش أعيان عندما كنت قائد فرقة في الديوانية وأزور « البصرة » لتفتيش حاميتها يتزاحم مع حامد النقيب ومصطفى طـه السلمان وعبد الرزاق المير وكل منهم يريد أن يأخذ الراوي إلى داره ضيفاً مكرماً .

وعادة الناس للأصنام تعبدها من حطّة الناس لا من رفعة الصنم

تركنا « قصر الملح » فتوجهت إلى « بغداد » بمعية الأمير طلال

وإذ بي أرى مدير الشرطة العام عبد الجبار الراوي عند جسر الخير فرحّب بي خير ترحيب جزاه الله خيراً ورجوت الأمير طلال أن أذهب إلى داري مع الذين جاءوا لاستقبالي فأبى وأصرّ على أن أذهب مع سموه لأتغدى معه فذهبت بالمعية شاكراً ومودعاً بعدما تغدينا سويّة في «القصر الأبيض» .

ما كنت أظن أن يلاقيني عبد الإله بهذا الملقى في قصر الملح ؟ وأنا ضيف عمه الملك عبد الله والمزوّد بتوصية قوية منه والمرسل برفقة ولي عهده طلال . والملك عبد الله عدا أنه عمّ الوصي و عميد العائلة الهاشمية لكن له دالة على عبدالإله فقد آواه ومن معه بعدما طرد من عاصمة ملكه والتجأ إلى « عمان » هارباً ومخلوعاً وبالتالي ساعده بإرسال قائد جيشه كلوب مع قوة أردنية مكنته من دخول بغـــداد تحت حراب الإنكليز ولكن قاتل الله الأحقاد .

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب   ولا ينال العلى من طبعه الغضب

بعد وصولي ببغداد ببضعة أيام ذهبت وعبد اللطيف نوري إلى البلاط لمواجهة الأمير الوصي فإذا به يقابل عبد اللطيف ويرفض مقابلتي وبعد أكثر من أسبوع جاء الملك عبد الله إلى بغداد وقال لي : أطلب مواجهة الوصي قلت لجلالته « لا أطلب لأنه رفض مقابلتي قبلا »

راجعت لاستلام راتب تقاعدي فعلمت أني محروم بموجب الفقرة التالية :

« من يبق خارج العراق سنة فأكثر بدون عذر شرعي يحرم مـــن التقاعد » .

هذا منتهى الظلم والغبن ألست أيتها الحكومة العراقية أنت الـــتي أرسلتيني إلى إيطاليا بمهمة رسمية ؟ ألم أحاول مراراً وتكراراً العودة إلى بغداد فلم أحصل على الأذن ؟ ذلك كله بالملف الموجود في وزارة الخارجية العراقية . فقد كان عبد الصمد خان سفير الأفغان في روما المسئول عن

شئون الرعايا العراقيين أخبر الوزراء الخارجية العراقية بأمري ، وكذلك كنت راجعت الله نواز سفير الأفغان في « برلين » ليتّصل بالحكومة الألمانية فيوافقوا على عودتي إلى « بغداد » فلم يوافقوا وهو بدوره أخبر وزارة الخارجية العراقية بذلك ولكن هكذا شاءت إرادة الأمير عبد الإله .

تقصدت أن أقوم بأعمال تنافي رغبات الوصي فمثلاً : كنت أذهب إلى « أبي غريب » لأزور : الشريف شرف ، وناجي شوكة ، ومحمد حسن سلمان ، وعلي محمود الشيخ علي ، وأمين زكي ، ومحمد علي محمود وغيرهم ، وكانت التقارير عن هذه الزيارات ترسل من قبل المقدّم عبدالقادر حسين . وبعدها انتميت إلى « حزب الاستقلال » وأصبحت نائباً للرئيس الشيخ محمد مهدي كبه . وكان المعتمد داوود السعدي ، وسكرتير الحزب فائق السامرائي . أما أقطاب الحزب الآخرون فكانوا : عبدالرزاق الظاهر ، عبد الرزاق شبيب ، اسماعيل الغانم ، خليل كنة ، عبد المحسن الدوري ، صديق شنشل ، عبدالرحمن خصير ، قاسم حمودي ، وكلهم من المغضوب عليهم . من قبل عبد الإله وفي تلك الآونة جاء الملك عبد الله إلى « بغداد » فذهبت لزيارته فقال لي : إن الوصي زعلان كثيراً عليك فاستغربت وقلت : لماذا ؟ قال لأنك انتميت إلى « حزب الاستقلال » فسألت جلالته وما هو الضرر من الانتماء الى حزب الاستقلال ؟ فقال « لأنه حزب رشيد عالي ، قلت هذا غير صحيح لأن « حزب الاستقلال » ليس حزب رشيد ولا حزب أي شخص آخر وأن للحزب منهج ومبادىء شرحتها لجلالته . وهي مصادق عليها من قبل الحكومة . فقال إذاً ليأتي إلي من يمثله . فذهبت وكلمت الشيخ محمد مهدي وداوود السعدي وفائق السامرائي وصديق شنشل فلم يقبل أحد منهم بالذهاب اليه .

على أثر سقوط وزارة حمدي الباجهجي وتشكيل الوزارة برآسة توفيق السويدي – وكان وزير الداخلية فيها سعد صالح – أفرج عن بقية المعتقلين وسمح بتشكيل الأحزاب ، فبرزت للوجود خمسة أحزاب

وهي ١ ـ حزب الاستقلال : وهو قومي متطرّف ٢ ـ حزب الأحرار : حكومي يميني معتدل ٣ ـ الحزب الوطني الديموقراطي : يساري معتدل ٤ ـ حزب الاتحاد الوطني : يساري وسط ٥ ـ حزب الشعب : يساري متطرف . وقد أراد نوري السعيد أن يشلّ الأحزاب كلها وليشغلهم بأمور جانبيه هو يشرف عليها فجمع الرجال البارزين من النواب والأعيان ووجهاء البلد والأحزاب الخمسة بقصد تشكيل لجنة باسم « لجنة الدفاع عن فلسطين » فانتبهت الأحزاب إلى تلك اللعبة ، ولم يوافقوا ، عليها بل قرروا لوحدهم القيام بهذا العمل القومي وصاروا يجتمعون في الأسبوع مرة . وعندما يجتمعون مثلاً في « حزب الاستقلال » يترأس الجلسة الشيخ محمد مهدي كبه ، واذا اجتمعوا في « الحزب الديموقراطي الوطني » فيترأس كامل الجادرجي الجلسة ، وهكذا الأمر في الأحزاب الأخرى وكان الذين يحضرون هذه الجلسات : حزب الاستقلال ويمثله : ١ ـ الشيخ محمد مهدي كبه ٢ ـ ابراهيم الراوي ٣ ـ فائق السامرائي . وحزب الأحرار يمثله : كامل الخضيري ٢ ـ داخل الشعلان ٣ ـ محمد جميل والحزب الديمواقراطي الوطني يمثله ١ كامل الجادرجي ٢ ـ حسين جميل ٣ ـ محمد حديد . حزب الاتحاد الوطني ويمثله : ١ ـ عبد الفتاح ابراهيم ـ ناصر الكيلاني ٣ ـ مهدي الجواهري . حزب الشعب ويمثله ١ ـ عزيز شريف ـ توفيق منير وآخر لا اتذكر اسمه وصارت الأحزاب تجتمع بانتظام وتعالج القضية الفلسطينية وقد قامت بأعمال مشرفة وهي معروفة لدى الجميع . وعلى أثر ذلك أوعز الوصي لمن يتوسّط لدى الشيخ محمد مهدي كبه ليطلب المقابلة إلى اللجنة التنفيذية للحزب وفعلاً حصلت الملاقاة إذ ذهبت اللجنة وكنا ١ ـ محمد مهدي كبه ٢ ـ ابراهيم الراوي ٣ ـ داوود السعدي ٤ ـ فائق السامرائي ٥ ـ عبد الرزاق شبيب ٦ ـ اسماعيل الغانم ٧ ـ خليل كنه ، وكانت المقابلة جافة لأن الوصي كان يعدّ هذه الهيئة من أعدى أعدائه إذ كانو ا كلهم معتقلين لعدة سنوات وكان منهم المبعد

لأربع سنوات « عدا الرئيس الشيخ كبة » . فصار الوصي يسئل الرئيس : كيف كنتم تتعاونون أنتم أيها الاستقلاليون القوميون مع الأحزاب اليسارية؟ فقيل له : نحن لم نتعاون معهم إلا في قضية واحدة هي قضية فلسطين . فسأل سموه وكيف وجدتموهم ؟ فكان الجواب أنهم في هذه الناحية طيبون ، وكنت أثناء هذه المقابلة الوحيد العضو الذي لم تتلاق عيناه بعيني ثم خرجنا من عنده ونحن أشدّ كرهاً من ذي قبل في نظره إذ لم تناسبه هذه الأجوبة . ثم استقالت وزارة السويدي وتشكلت الوزارة برآسة أرشد العمري الذي قال إلى ابن عمي جميل الراوي « وقد كان المدير العام للأشغال والمواصلات : طالما ابن عمك في حزب الاستقلال فإني لا أعينه كمتصرف أو كمدير عام حتّى ولا أعيد له راتبه التقاعدي . فسأله لماذا ؟ قال له لأنه منتم إلى حزب هو ضد العرش . كذلك وزير الدفاع سعيد حقي قال لي : أن الوصي يقول : طالما ابراهيم الراوي في « حزب الاستقلال » فسيظل محروماً من التوظيف ومن الراتب التقاعدي . ثم شكل الوزراء نوري السعيد وبحسب العادة التي اتبعها طوال حياته السياسية رغب أن يأتي بمجلس نيابي كما يشتهي بحيث يرضى عنه الأسياد « الإنكليز والوصي ومن لف لفهم » فرشحت نفسي للنيابة عن قضاء « الفلوجة » وعلى الأصول كان المرشحون يذهبون لمواجهة الباشا ليجسّوا النبض . فذهبت وواجهته ، فقال بالحرف الواحد : « أنت كابراهيم الراوي تطلع نائب ولكن كشخص منتم إلى حزب الاستقلال لا تطلع نائب » . معنى هذا يريد إغرائي بالنيابة لأخرج من الحزب كما أغرى وأخرج خليل كنة فخرج على حزبه وجعله نائباً ثم وزيراً مزمناً فإذا به يصبح أشدّ عداوة للاستقلاليين من أعدائهم الحقيقيين ، بل إنه طبع كراساً مليئاً بالطعن والقذف في زملائه القدامى لمجرد إرضاء الوصي ونوري .

ذهبت إلى « الفلوجة » مراراً لمواجهة خوالي شيوخ عشيرة الجميلة

وغيرهم من الأصدقاء الذين اعتز بمعرفتهم لأني من مواليد « الرمادي » وأعرف الكثير من عشائر اللواء والوجهاء ، وأخيراً ذهبت في يوم الانتخاب وإذ بالفلوجة فضلاً عن قائمقامها « أحمد العامر » وشرطته فقد أتى اليها المتصرف « عبد الوهاب الدباغ » وطوّق البلدة بالشرطة ورشاشاتها لِمَ كل هذا ؟ لئلا ينتخب المنتخبون الثانون إبراهيم الراوي وبالفعل وقبل أن يجتمع المنتخبون الثانون انتخبوا والأصح عيّنوا : خليل كنة وحامد الوادي والأخير وإن كان أنه عراقي المولد فإنه ما كان حائزاً على الجنسية العراقية أي لم يكن عراقياً ولكن الباشا أراد أن يكون فكان. وكان المتصرف لطيفاً معي فأرسل إلي خبراً أن أقدم عريضة بانسحابي واوُرخها في تاريخ سابق لهذا اليوم لئلا أحرم من المائة دينار — وهي التأمينات — وكان المرشح الرابع عبد العزيز العريم قد حصل من الآراء ما تجعله يحصل على التأمينات. وهكذا بقي — عبد الإله — يحاربني في رزقي ، ويحرمني من كل شيء ، فلا توظيف ولا نيابة ولا راتب تقاعدي ولا ... ولا ولولا أن المرحـــوم شقيقي عبد المجيد يصرف علي وعلى عائلتي طيلة هذه السنوات ، لكانت الحالة على أسوأها. وكلما تشكل وزارة الدفاع لجنة للنظر في موضوع صرف راتبي التقاعدي ، من رفيق عارف وأمثاله المتزلفين المنافقين يوعز اليهم شاكر الوادي — صنيعة عبد الإله — بضرورة مشاكستي مع أني قضيت مع شاكر الوادي ثمان سنوات دراسة في الرشدية والأعداد والحربية في عهـــد الأتراك وزمالة في الجيش العراق ما يقارب العشرون سنة لم نختلف خلالها إن لم أقل كنا أصدقاء وكرخيين ، وهو من سكنة الفلاحات وأنا من سكنة سوق الجديد ، ولكن عندما رأى هذا المتزلف أن الوصي ساخط علي فمجاراة لسموه بل الأحرى نفـــاقاً وتزلفاً ورياءاً صار يعاكسني :

أوردها سعـــد وسعد منشغـــل   ما هكذا يا سعد تورد الإبل

حصولي على راتبي التقاعدي

كان قد مضى علي ثمان سنوات ونصف وأنا بدون راتب. آنذاك قال لي نوري : « وافق على إعطائنا إياك من وصولك إلى بغداد ثم طالب بالمدة التي قضيتها في بلاد المحور !! » فسمعت نصيحته خاصةً وأن رئيس لجنة المتقاعدين عبد القادر صالح قال لي : « أنت خذ من وصولك إلى بغداد والباقي عليّ » وبالفعل قدمت عريضة إلى مجلس الوزراء قائلا فيها : « إني أوافق على إعطائي الراتب التقاعدي من يوم وصولي إلى بغداد على أن أحتفظ بحقي للمدة التي قضيتها في بلاد المحور » وهكـــذا أعطوني الراتب للمدة التي قضيتها في بغداد، وبعدها طالبت بإعطائي الراتب للمدة التي قضيتها في بلاد المحور، وبالفعل برّ الشهم عبد القادر صالح بوعده، وقررت اللجنة إعطائي الراتب فميزت المالية على الأصول فاجتمعت لجنة التمييز برأسه محمود خالص[1] وعضوية، فخري الطبقجلي وأحمد طه وهنا جامل رئيس اللجنة محمود خالص الوضع القائم فخالف احقاق حقي ولكن الشهم فخري وصاحبه الشجعان لزما جانبي وهكذا خلال شهر أو شهرين استلمت راتب لثمان سنوات ونصف فبلغت نيفاً وأربعة آلاف دينار كنت في أشد الحاجة اليها إذ شرعت أنا وشقيقي المرحوم عبـــد المجيد في بناء الدار التي أسكنها الآن والتي كلفتنا بناؤها سنة ١٩٤٩ ـ ٥٠ ما يقرب الـ ١٠٠٠٠ دينار. قصيت لك يا قارىء هذه القصة لأريك أنه « لو خليت قلبت » وأن عراقنا الحبيب فيه من الرجال ما يفتخر بهم أمثال فخري الطبقجلي وأحمد طه ولا تأخذهم في الحق لومة لائم جاعلين نصب أعينهم « عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة » « وخير الناس من ينفع

(١) محمود خالص لي معه صداقة قوية وكنت أتوسم فيه الرجولية من هذه الناحية كرجولية شقيقه أمين خالص ولكن شتان بين مشرق ومغرب ، وأما أحمد طه الذي التزم جانبي فليس لي به أية صلة معه بل ان واجهته في الطريق فلا أعرفه ولكن عدله جعله يلتزم الحق ولفخري اليـــد الطولى في إعطاء القرار لصالحي وفي السويداء رجال يحكمون بالعدل رغم أنف الوصي .

الناس » صدق رسول الله وشاعرنا العربي يقول :

ولمصائب الدنيا اتخذتك صاحباً ولـلأخرى لهـا الرحمـن

ولما رأيت الوصي ما زال ممعناً في محاربتي امتهنت الأعمال الحرة بالاتفاق مع يحي ثنيان ومدحت علي مظلوم وأخذت أعمالاً ترابية بما ينوف على المليون متر مكعب وبدلاً من أن أربح آلاف الدنانير فإني خسرت الآلاف لأني إذا كنت أرش موظفي الري فاربح الآلاف وإلا أخسرها وهكذا فضلت أن أخسر بشرف بدلاً من أن أربح بغيره وكان هذان السببان أولهما : وهو الأهم للحديث القائل : لعن الله الراش والمرتش والرائش » وثانيهما لأني منتم إلى حزب الاستقلال الذي من مبادئه مكافحة الرشوة . بعدها اشتغلت بالتجارة فخسرت كذلك مبلغاً محترماً وكان شقيقي يمدني بالمال كلما احتجت . والتجارة والأعمال الحرة تحتاج إلى رجال لهم ممارسة ومعرفة خاصة بأهالي السوق ومعاملاتهم والموظفين وطرف إرضائهم ، ونحن العسكريون بعيدون عن أمثال هذه الطرق الأمر الذي جعلني خلال سنتين أو ثلاث أخسر أكثر من خمسة آلاف دينار ولما ضاقت بي الدنيا من تلكم الخسارات الجسيمة ذهبت لمواجهة نوري فقلت له معاتباً : كيف أنت تتعاون مع شاكر الوادي ولم تتعاون معي قال لي : إن شاكر تصرف أحسن منك . قلت له كيف ؟ قال أنت الوصي يأتي إلى عندك في الديوانية ولا تتعاون معه . إني أفسر لك يا قارئي مغزى عتابي لنوري عندما قلت له أنت تتعاون مع شاكر الوادي ولم تتعاون معي معناه أن شاكر يعد في نظر نوري أنه اليد اليمنى في حركة بكر صدقي التي قتل فيها صهره جعفر العسكري ، ونوري يعلم جيداً أن شاكراً يعد بطريق غير مباشر من قتلة جعفر . وبالفعل كان أحاله إلى التقاعد بعد مقتل بكر صدقي ولكن شاكر الوادي مدلل عند الوصي والإنكليز بل هو جاسوسهم فلا يستطيع مخاصمته ولهذا فإنه مضطر للتعاون معه لبينما تواتيه الفرصة ويطرحه . مرة قال لي نوري أريد

أن أعينك في وظيفة هامة لا يعلم بها إلا الوصي ووزير الدفاع شاكر الوادي وهي : بما أنك كنت قائد فرقة في الجنوب ولك اطلاع تام على المنطقة من البصرة إلى بغداد ، ولك فيها معارف كثيرون يثقون بك ، وإذا حدث ودخلنا في حرب وانسحبنا من بغداد ، تكون أنت مسؤولاً عنها وما يعمل فيها من تخريبات جسور وقناطر والسيطرة على ما يجري فيها من حوادث وما يجب أن تتخذ من إجراءات وو .... الخ ولكن معرفة هذه الأمور تحتاج إلى دورة ليعلموك فيها الإنكليز ما يجب. قلت له أن هذا العمل لا يوافقني. قال لي كيف وأنت الرجل النشيط الثوروى ، خاصة عندما كنت في الحجاز قمت بأعمال باهرة مثل هذه؟ قلت له هذه الأعمال لا تشبه تلك. فما كدت أجابهه بهذا الجواب حتى وصاح في وجهي : «أنتم الاستقلاليون تقولون عني أني إنكليزي وتتهموني وو ... الخ .. » وما كدت أسمع صراخه حتى تركت الغرفة وخرجت غاضباً وبينما أريد امتطاء سيارتي وإذا به يرسل علـي ويقول لي : «ابراهيم اعفيني إني صحت عليك قل لي ماذا تريد؟ قلت له أنت تعلم ماذا أريد فقام وخابر الوصي من أجلي. والحق يقال هو كان أحياناً يريد معاونتي ولكن شدة حقد الوصي كان يحول دون ذلك. ولما رأيت أن الوصي ما يزال عنيداً وممعناً في محاربتي ، قررت أن أواجهه وأصارحه. وحيث أني كنت مشتركاً في صيد ابن آوى وكنت أتواجه معه في تلك الرياضة فقد طلبت المواجهة معه فحدد لي وقتاً فاجتمعت به في البلاط وقلت له إلى متى تبقى غاضباً عليّ؟ فقال قصور الصديق لا ينسى بسهولة » قلت له طالما تقول صديق اجلس معي وحاسبني فقال : هنا في البلاط الوقت ضيق وليس مساعداً للحساب وعند سنوح الفرصة سأطلبك إلى قصر الرحاب ونجلس سوية للمحاسبة وبعدها اجتمعنا وجرى حوار بيننا قلت له في نهايته أليست لي حسنات تشفع لي؟ قال لي « إن حسناتك كثيرة » قلت له طالما تقول أن حسناتك كثيرة فالله سبحانه وتعالى يقول « إن الحسنات يذهبن

السيآت »إن كان هناك سيآت . ولكنه لم يقنع بما قلت فبقي غاضباً حاقداً إلى أن لاقى وجه ربه بالطريقة المعلومة .

الحرب العربية — الإسرائيلية سنة ١٩٤٨

دخلت الحكومات العربية السبع في حرب مع اليهود في ١٥ مايس سنة ٤٨ واشتغلت كعضو وبعضاً كنائب رئيس لجمعية إنقاذ فلسطين المشكلة من : السادة امجد الزهاوي ، حسين فوزي ، عبدالرحمن خضر ، محمد الصواف ، طاهر عارف ، ابراهيم عطارباشي ، جميل الأورفه لي ، ومحمود فهمي درويش وصرنا نجمع الإعانات ونجند الأفواج ونسلحها ونرسلها إلى فلسطين وها إني أسطر صورة من كتاب كانت الجمعية قد زودتني به وأرسلتني إلى دمشق بمهمة خاصة :

بسم الله الرحمن الرحيم
وأعدّوا ما استطعتم لهم من قوة

جمعية إنقاذ فلسطين	الرقم ٨—١٦٠
المركز العام	التاريخ ١٧—٤—١٩٤٩
بغداد	
رقم التلفون ٥٩٤٥	الموضوع ....

« إلى من يهمه الأمر »

يرجى التفضل بتسهيل مهمة صاحب هذه الهوية سعادة أمير اللواء الركن المتقاعد السيد ابراهيم باشا الراوي نائب رئيس هـــذه الجمعية وإبداء كافـــة المساعدات الممكنة لسعادته مع العلم بأنه موفد بمهمة خاصة تتعلق بشؤون هذه الجمعية مع مفتشيه التطوع العامة في الشام شاكرين فضلكم ودمتم .

المدير العام

وأخيراً قررت أن أذهب إلى فلسطين وأشترك فعلاً بقيادة وحدات تنسبها لي القيادة العامة. وبينما كنت متهيأً للسفر – وقد أعلن ذلك بالراديو – وإذا بالهدنة الأولى تفرض ومن ثم الهدنة الثانية على الطريقة المعروفة وهكذا انتهت هذه الحرب المشؤومة بانتصار اليهود وبخذلان العرب. وأسبابها ما كانت والله أن اليهود انتصروا حرباً ولكن خيانات ملوكنا ورؤسائنا إذ:

١ – أن فاروق كان له في إيطالية ملايين الليرة[1] ولأجل أن يستفيد منها اشترى أسلحة فاسدة وأعطاها إلى الجيش المصري وبدلاً من أن تذهب القنبلة إلى العدو كانت ترتد إلى الخلف. وتقتل الجنود.

٢ – عبد الله كان يجتمع بابن غوريون وبغولدا ماير خلال الحرب وكان قائد جيشه كلوب يفشي إلى اليهود الخطط الحربية، وكان عبدالله القائد العام للجيوش العربية بحسب قرار جامعة الدول العربية وقائده كلوب سلّم اللد والرمله إلى اليهود بطريقة مخزية.

٣ – عبد الاله ونوري السعيد لم يكونا مخلصين أو جادين فبمواقفهم المعلومة وهيأة قيادتهم المشكلة من صالح الجبوري ورفيق عارف وأمثالهم فإن الأعمال التي قاموا بها لم ترض الرجل التركماني مصطفى راغب حيث قدم استقالته لما رآه من أعمال تجري في الخفاء تشمئز منها النفوس الأبية وحكاية (ماكو أوامر) مشهورة لدى الخاص والعام.

٤ – شكري القوتلي ورياض الصلح ومواقفهم المايعة كل هذه مجتمعة سببت النكبة ولكن صدقني أيها القارىء إذا قلت أنه مع كل هذه الخيانات المبيتة والموعز بها، ما كان العرب ليغلبوا نتيجة معارك حربية حيث أن:

١ – التفوق الجوي كان في صالح العرب ٢ – التفوق البحري كان

---

(١) الليرة عملة إيطالية والدينار العراقي كان يساوي ٧٠ لير ولكنه الآن أصبح يساوي أكثر من الف لير.

في جانب العرب ٣ ــ تل أبيب كانت مطوقة من : أ ــ تقدم الجيش المصري من استقامة غزة . ب ــ تقدم الجيش الأردني من استقامة رام الله ج ــ تقدم الجيش العراقي من رأس العين بحيث كانت تل أبيب تحت منزل المدافع العراقية . وأما انتصار الجيش العراقي بقيادة الرجل المؤمن عمر علي بقوات جد قليلة من قوات اليهود المهاجمة « في جليل » تثبت أن اليهود ليسوا رجال حرب وكانت معنويات جنود العرب في القمة ولكن موافقة رئيس وزراء مصر النقراشي على قبول الهدنة الثانية وما أعقبها من اختلاطات وتدخلات ترومان وهيأة الأمم المتحدة التي كانت مجتمعة سببت وللأسف نكبة العرب بضياع فلسطين . وحتى في « رودس » أثناء المحادثات للتسوية حصلت يهود على أراض من شرقي الأردن بطريق الغباوة وأخيراً حصلوا على المثلث العربي بعد انسحاب الجيش العراقي . كل هذه الأمور خسرها العرب نتيجة الخيانات والاستهانة بالأمور وأرى كان ضياعنا لفلسطين نقطة تحول في مستقبل العرب ووحدتهم للأسباب التالية :

١ ــ لولا ضياع فلسطين لما كان انقلاب حسني الزعيم سنة ١٩٤٩ بسوريا ولما أبعد شكري القوتلي من وطنه .

٢ ــ لولا ضياع فلسطين لما قتل الملك عبد الله في القدس .

٣ ــ لولا ضياع فلسطين لما قامت ثورة مصر الكبرى في ٢٣ تموز سنة ١٩٥٢ بقيادة الزعيم أبا خالد وطرد فاروق وما تلاه من نتائج في صالح العرب والغاء الأحزاب المنفسخة وطرد الإنكليز من قاعدة السويس وتأميم القناة والانتصار على الإنكليز والافرنسيين واللقيطة إسرائيل سنة ١٩٥٦ وبالتالي قيام الوحدة بين القطرين : المصري والسوري .

٤ ــ لولا ضياع فلسطين لما ارتقى العرش الملك حسين بن طلال الجريء الذي عمل أعمالاً مشرفة من جملتها طرد كلوب من الجيش الأردني .

٥ ـ لولا ضياع فلسطين لما قامت ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ في العراق وتبديل نظام الحكم الملكي إلى جمهوري ، وما حل بعبد الاله ونوري والتخلص من حلف بغداد الذي كان علّة العلل هذا الحلف الذي وضعت أسسه في تل أبيب وتبناه أبو صباح قلباً وقالباً وأخيراً التقرب الذي حصل بين الحكومات المتحررة : العربية المتحدة، والعراق، والجزائر، وسورية، واليمن .

٦ ـ لولا ضياع فلسطين لما حصلنا على النتائج الطيبة من استقلال الجزائر والجمهورية اليمنية وطرد عائلة يحي حميد الدين « وعسى أن تحبّوا شيئاً وهو شرّ لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون » صدق الله العظيم . نعم إن ضياع فلسطين قد هز الضمير العربي وجعل الوعي العربي ينمو بسرعة في كل بقعة من بلاد العرب من المحيط إلى الخليج . وفلسطين هي بالتالي للعرب إنشاء الله طال الزمان أو قصر إذ ليس من المعقول أن تبقى إسرائيل ونيف و ١٠٠ مليون عربي يطالبون بألحاح بمحوها من خارطة العالم . وهل من المعقول أن تعيش دولة على الصدقات ؟ كل سنة والعجز في الميزانية بازدياد ومطرد . استفادت اللقيطة من :

١ ـ التعويضات المفروضة على ألمانية فرضاً ٢ ـ من القروض الداخلية والخارجية . ٣ ـ من المساعدات من جميع يهود العالم .

١ ـ أما التعويضات الألمانية فقد انتهى أمرها وسوف لن تعطي بعد اليوم ماركاً واحداً إلى اليهود بعد أن زال عهد أديناور وايرهارد وجاء إلى الحكم ذو النزعة النازية كيسنجر وانكان الآن يجاملها إذ إن ذلك لأجل خاطر أميركا . إن المانيا سوف لا تبقى مدى الدهر تراعي خاطر أميركا خلافاً لرغبة شعبها خاصة وأن ألمانيا الديموقراطية هي التي تمثـــل آراء الشعب الألماني الحقيقية ، وهي دائماً في جانب العرب وعدوة لدودة لإسرائيل وقد قامت بينها وبين الدول العربية علاقات دبلوماسية وتمثيل سياسي .

٢ ــ أما القروض الداخلية والخارجية فإن لها حدوداً إذ سيأتي الوقت الذي يصبح من المستحيل فيها تسديد تلك الديون أو حتّى فوائدها.

٣ ــ المساعدات من يهود العالم فسوف يأتي يوم يحجم اليهودي عن تقديم هذه المساعدات. واليهودي المتأصل بدمه حب المال سيقول: إلى متى أدفع وأراهن على الحصان الخاسر؟ واليوم يوجد كثيرون من اليهود الشرقيين والغربيين وفي طليعتهم ليلنتال صاحب الكتاب المعروف «ثمن إسرائيل» والذي يقول أن راية إسرائيل ليست رايتي. نعم كثير من يهود العالم يرون أن من صالح اليهود عدم تشكيل حكومة تسبب كره العرب لهم وبدلاً من أن يتجمعوا في فلسطين ويعيشون على كد بعضهم البعض فإن من صالحهم ــ كما كان شأنهم في السابق ــ لأن يعيشوا في أقطار المعمـــورة على حساب الشعوب الأخرى. ثم هل من المعقول أن إسرائيل تبقى حتّى ولو بلغت نفوسها مع الوقت ٣ أو ٤ أو حتّى خمسة ملايين وهي في قلب البلاد العربية التي يبلغ عدد نفوسها نيف و ١٠٠ مليون؟ والمتصلة بلادهم الواحدة بالأخرى من المحيط إلى الخليج؟ وهي تناصبها العداء في السر والعلن، وتطالب بالقضاء عليها قضاءً مبرماً. وهذا ما لا أقوله أنا العربي المتفائل، بل إن كثيراً من الغربيين والشرقيين وفي طليعتهم گلوب يقول: إن الصليبيين بقوا في القدس حوالي أكثر من مائة سنة ثم طردوا وهكذا إسرائيل سيكون مصيرها الطرد انشاء الله. الوقت معنا يا قارئي الكريم ولا أقول هذا واستهين بإسرائيل وبالصهيونية العالمية وبالذين من ورائها بل اعتمد على الله سبحانه وتعالى وقوة العرب وإمكانياتها ونمـــو الوعي في شعوبها.

أما الاختلافات هذه الواقعة الآن بين بعض الملوك والرؤساء العرب فشيء طبيعي، وفي الحديث «اختلاف أمتي رحمة» وأن جمع الا نيف و ١٠٠ مليون عربي على فكرة واحدة وهدف واحد ومصير واحد أمراً من الصعوبة بمكان على الأقل ولا سيما في الوقت الحاضر بعدما نمنا لفرصة

طويلة تحكم بنا فيها الشعوبيون من مماليك ، وسلاجقة ، وبويهيين ، وصرنا عرضة تارة لغزو الطورانيين جنكيز وحفيده هولاكو ، وطوراً بالحكم العثماني الذي امتد نيفاً و ٤٠٠ سنة وما لحقنا من مضار وأخيراً الاحتلال البريطاني البغيض وكذا الافرنسي والإيطالي ولم نفق من سباتنا هـذا الطويل الا منذ ١٠ حزيران سنة ١٩١٦ أي إعلان الثورة العربية الكبرى. أتريدنا أيها القارىء خلال نصف قرن أن نحي مجد السلف الصالح الذي كانت تمتد حدوده من المحيط إلى الخليج وإلى الصين والسند والهند وما وراء الأنهار والبحار وحتّى حدود فرنسا وسويسرا؟ أما يكفيك أن بني قومك الآن لهم أربع عشرة راية خفافة في هيأة الأمم المتحدة والحبل على الجرار؟ وأن الما يقرب أو يزيد على الـ ٥٠ مليون عربي تحررت حكوماتهم وسائرين على طريق واحد بعدما تخلصوا من ملوكهم وروؤسائهم السائرين في ركاب المستعمرين؟ إرفع النظارة السوداء واستبدلها بأخرى بيضاء وتفاءل ولا تيأس والتفاؤل أمل وحياة ، والقول المأثور «تفاءلوا بالخير تجدوه» سردت كل هذه الوقائع للذكرى ولتعلم أن العرب بخير وأنهم واصلون إلى غاياتهم مع الزمن إنشاء الله.

ذهابي إلى كابل

في سنة ١٩٥٣ نقل صهري محمد سعيد نعمان ، المفتش الاختصاصي في وزارة المعارف ، إلى مديرية المعارف بالموصل فذهب إلى هناك وفي غرة آب سنة ١٩٥٣ ذهبت مع زوجته كريمتي عليّة وخالتها إلى الموصل وقضيت ليلة ليلاء لم أذق لها طعم الكرى إى كنا في أول الباحورة[1] ومدينة الموصل المبنية حيطانها بالصخور والجص تشع الحرارة منها ليلاً. وعند الصباح جاء لزيارتي الوجيه مصطفى الصابونجي الذي له مواقف وطنية رائعـة

(١) تعبير عراقي وهي سبعة أيام أشد أيام الصيف حرارة من ٣١ تموز الى ٦ آب.

طيلة الحكم الوطني وكانت تربطني به صداقة قوية فأخذ يشكو لي شدة الحر وكثرة الغبار الأمر الذي يضطره إلى أن ينام في « السرداب » ليلاً ونهاراً وأن أشغاله كثيرة وأنه مرهق حريص على تمشية أشغاله بنفسه وكان يشرف على معمل السمنت فضلاً عن كثرة أعماله التجارية والعمرانية وكان يومئذٍ في نهاية العقد السابع فرغبت أن أنصحه – نصيحة صديق صدوق – قلت له جلبي : أحكي لك حكاية : لي أخ كبير اسمه عبد المجيد الراوي يذهب كل سنة إلى لبنان للاصطياف ومن يوم يذهب إلى أن يعود يقطع الاتصال بأهله وأخوانه فلا يراسلهم لئلا يشغل نفسه بأخبار عائلية وبأشغال مزرعية فيستفيد من الاصطياف كما يجب تاركاً همومه إلى غيره . هذا مثلاً واحد أما الثاني فهو أن لي صديق اسمه توفيق الحسن . وهو رجل عصامي وكوّن له ثروة وكان لا يملك من حطام الدّنيا شيئاً بل كان عاملاً في « خان بافي » ولكنه رجل ذو همة وعزم ومستقيم وصادق في معاملته فحالفه التوفيق والآن أصبح من ذوي الوجاهة والثراء ، يذهب هذا الرجل كل سنة للاصطياف في لبنان أو في تركيا ومنذ أن يترك بغداد حتى يعود اليها فإن شأنه شأن صديقه أخي عبد المجيد ، وهو ترك شغل عائلي أو تجاري خلفه ولا يراسل أهله مدة غيابه والأكثر من هذا كله أنه ذات يوم وهو في دمشق وإذا بالتاجر الذي كان عنده يفتح تلفون إلى بغداد وبعد انتهاء المكالمة التلفونية قال له جلبي : أتحب أن تكلم عبد الغفور قال له لا . أتعرف يا عزيزي مصطفى الصابونجي من هو عبد الغفور الذي لم يرغب توفيق في مكالمته ؟ عبد الغفور هو أقرب قريبه وزوج بنته والساكن معاً في دار واحدة معه فضلاً عن أنه وكيله في جميع أشغاله ووالد أحفاده والتلفون مفتوح و « مخابرة بلاش » ولا يكلف نفسه بمكالمته لئلا يسمع ما يكدر صفو اصطيافه . فأنت يا جلبي الله مفضل عليك اترك الموصل وما فيها من أشغال وأعمال واركب طائرة غداً واذهب إلى أي محل شئت واعرض نفسك للتحليل و.... الخ . وبعد أسبوع قضيته في

سرسنك عدت إلى الموصل وإذ أرى الحلبي قد تأثر بالنصيحة فغادر الموصل بالطائرة وقال لصهري : ليت عمك الراوي كان مصاهرك منذ عشر سنوات ونصحني هذه النصيحة .

وفي اليوم التـــالي من مواجهتي مع الصابونجي تركت « الموصل » وذهبت إلى « دهوك » مع صهري حيث قام بتفتيش المدارس وبعد الانتهاء ذهبنا إلى القائمقام ، وكنا مدعوين عنده على الغداء ، وحيث كان الطقس حاراً جداً ، رغبت في الذهاب إلى مصيف سرسنك لأقضي بضعة أيام فيه ورجوت القائمقام أن يتصل بإدارة الفندق هاتفياً لحجز غرفة فيه فخابر مشكوراً وأخبروه أنه لا توجد أي غرفــة للحجز ومن هنا يفهم أن مصايف العراق من القلة لا تكفي لمن يريد الاصطياف إذ هي محدودة .

١ ــ في سرسنك يوجد فندق وغرف صغيرة لسكنى من حالته دون الوسط وهنا كلها تكفي لاصطياف ١٠٠ شخص فقط

٢ ــ مركة سور توجد فيها دور وغرف تكفي إلى اصطياف حوالي الـ ٦٠ شخصاً .

٣ ــ صلاح الدين فيه فندق ودور تكفي لاصطياف حوالي الـ ٦٠ شخصاً .

٤ ــ في شقلاوة فنــدق وعشش تكفي لاصطياف حوالي الـ ٢٥٠ شخصاً .

٥ ــ في الحاج عمران فندق وخيمة تكفي لاصطياف ١٥ شخصاً فقط .

ولذا فإن الكثير من العراقيين يذهبون إلى لبنان وإيران وتركيا وإلى مصايف أوروبا خاصةً في سويسرا والنمسا . ويا حبذا لو تعني الحكومة بأمر المصايف لتوفر لها العملة الصعبة ، ولتريح الأهلين من السفر إلى خارج العراق .

عندما أخبرني القائمقام بعدم وجود غرفة في الفندق ، رجوت منه الاتصال بالعميد الركن علاء الدين محمود حيث كان آمراً لمعسكر التدريب في « سكرين » القريبة من « سرسنك » فاتصلت به ومع أنه هو رجـل طيب ولطيف ، لكن لي عليه دالّة إذ أنه كان ملازم ثاني في سنة ١٩٣٢ في الفوج الرابع الذي كنت آمره ومقره في كركوك فقال لي : « سيدي تعال وأنا أدبر لك محل » وبالفعل توجهت إلى « سكرين » ودبر لي غرفة في فندق سرسنك وهي الغرفة المخصصة إلى الطبيب عندما يذهب من الموصل إلى فندق سرسنك للإشراف على حالة المصطافين .

وكان من جملة المصطافين في فندق سرسنك صديقي عبد الرحمن الجليلي . وفي المساء كنت وإياه جالسين سوية ونشرب الشاي وإذ بالأمر الوصي يمر من أمامنا ممتطياً جواده فأراد أن يلاطفني فقال : ابراهيم : ألا تريد ركب الخيل ؟ فقلت له بالطبع . واستمر في طريقه إذسموه يعرف أني من المولعين بركب الخيل وحيث رأيت أن الجليلي أبدى رغبة لركوب الخيل فإني بعد عودة الأمير والتقائنا به رجوته أن يأمر بتخصيص لكل منا جواداً فأمر الحرس الملكي وصرنا أنا والدكتور نركب سويةً في مساء كل يوم وكان الجليلي يشكو من الصرامة التي استعملها معه في مسيراتنا وفي اعتقاي أن كل رياضة إن لم يصحبها العنف لا تأتي بالغاية المطلوبة ولذا كنت أطبق هذه العادة مع صديقي أي نخرج من الطريق العام ومسيرنا يتخلله طفر موانع والحبب والحضر وتسلق تلول والانحدار إلى الوديان وهكذا في يوم كنا عائدين من مثل هذه المسيرات وإذ بالجليلي يذهب لينام مبكراً فبقيت لوحدي ووجدت جماعة يلعبون الورق : شوان بابان ، وغالب السهيل ، وآخرون فجلست معهم للتّفرج وإذا بشخص يمسكني من الخلف ــ وكانت الساعة حوالي الثانية عشرة ــ ويقول « مسكتك يا ابراهيم » فأدرت رأسي وإذا بالأمير عبد الآله قلت له خير سيدي ؟ قال « لزمتك تلعب الورق » قلت لسموه إني لا ألعب ولكني أتفرج

فجلس وطلب قدحاً من الويسكي وصار يعب والهواء عليل ، والجو رائق ، فصار حوار بيني وبينه دام حوالي الساعتين وكانت خلاصته : أن موقفي في حادثة كانون الثاني سنة ٩٤١ كان سليماً من ناحيتي شخصياً إذ أني أحد المؤمنين حقاً بأن على الجندي أن لا يتدخل في السياسة ، وأن حكومة رشيد عالي أبعدتني عن بغداد بحجة أترأس البعثة التي كانت سبق وسافرت إلى روما وذلك بعد سقوط الفلوجة ومجيء سموك إلى الحبانية لئلا تتصل بي وأنا في الديوانية . وقد حكيت له الحكاية من أولها إلى آخرها أي من وصولي إلى روما وسماعي بأن الحرب العراقية الإنكليزية انتهت ، وكيفية مجيء إلى حلب وعودتي منها ثانية إلى روما ، وعند وصولي اليها علمت بأن العلاقات قطعت بين الحكومتين : العراقية والإيطالية ، فأردت العودة إلى بغداد فمنعني المحور من العودة ، وأراد أن أتعاون معه في حملة ضد العراق ، وأن أتسلم قيادة فرقة إيطالية فأبيت وكيف أنهم اعتقلوني لمدة أحد عشر شهراً وبينما أنا في الاعتقال بلغت بإحالتي إلى التقاعد وو ... الخ كل هذا تريك أني موظف دولة وليس من حقي كجندي أن أتدخل في السياسة وهذا رأيي أحي عليه وأموت ولا أحيد عنه قيد شعرة مهما لاقيت من مصاعب من أجله والدليل على أن موقفي كان سليماً ، أن الحكومة العراقية لم تر مني أي شائبة حتى تحاسبني عليها إذ كنا نحن خمسة قواد فرق ثلاثة منهم شنقوا وهم : صلاح الدين، وفهمي وكامل وواحد طرد من الجيش واعتقل وهو قاسم مقصود وأما أنا أحلت إلى التقاعد ظلماً وعدوانا . انتهى حديثي مع الوصي .

الآن يا قارئي أرجو أن لا تفهم من كلامي هذا مع الوصي بأني كنت أستجديه أو أريه خضوعاً أو رياءً أو نفاقاً أو أني أخطىء القائمين بحركة مايس كلا ثم كلا أبداً إذ لو تتذكر ما سطرته آنفاً في الصفحات السابقة لعلمت أني كررت ما قلته وأعيد وأكرر أن مبدئي عدم تدخل الجيش في السياسة حتى أني عندما زرت الكويت في أيلول سنة ١٩٦٦ صرحت لصاحب

جريدة الرأي العام برأيي هذا فنشرت جريدته ما صرحت به في عددها (١٣٥٢) الصادر في ١٩ أيلول ١٩٦٦ وعنها نقلته رويتر ومنها نقلت جريدتا الحياة والنهار البيروتيتان » وتجدها في هامش هذه الصفحة [1] وأتيت له الأمر الذي جعل حكومة ناجي طالب العسكرية أن تمنع « الرأي العام » من دخولها إلى بغداد وحيث لم ترق هذه الفكرة لا يا صاحبي ناجي أنا زميلك ولست خصمك وليست لي مآرب شخصية في تصريحي هذا ، ولكن خذها أنت ومن على شاكلتك من الزملاء العسكريين من زميل مجرب ومخلص « أن الجيش يجب أن يبقى بعيداً عن السياسة » إذ أن بتداخله يبتعد عن واجبه الأساسي ، وهو أن يدرب نفسه ليل نهار ليصبح حصناً حصيناً وسياجاً منيعاً لرد كيد العدو خاصةً والعرب في حالة حرب مع إسرائيل .

بعد انتهاء الحديث مع الوصي – الذي طال حوالي الساعتين – وكان الجوّ مساعداً للتفهم أي كما ذكرت آنفاً كانت نسمات الهواء في سرسنك

---

(١) وسأله رئيس التحرير : ما رأيك بإقالة البزاز . وأجاب اللواء الراوي :

أنا من الناس الذين لا يحبون تدخل الجيش في السياسة ، فللجيش مهمة مقدسة . هذا كان رأيي منذ زمن بعيد حينما كنت قائد فرقة ، ولم يتغير رأيي .. عندما اختلف رشيد عالي الكيلاني مع الأمير عبد الإله . لجأ عبد الإله إلى بيتي . وكان عبد الإله حقوداً اجتمعت فيه كل الصفات الرديئة ، فكان لا بد أن يقع الخلاف . ولو أنهم في تلك الأيام عملوا على عدم تمركز العسكريين في موضع يمكنهم من السيطرة .. لما حصل ما حصل في عام ١٩٤١ . كانت في بغداد تلك الأيام فرقتان عسكريتان يضغط قائداهما على المدنيين لتجري الأمور وفق ما يريدان ، وكنت قائد فرقة في الديوانية : وقد اقترحت عليهم يومذاك أن ينقلوا واحداً من القائدين إلى مكاني ، وأن ينقلوني إلى بغداد وبذلك يتخلصون من ضغط العسكريين . وقد تم الاتفاق بالفعل على ذلك وتلقيت أمر الانتقال ، وقبل أن أركب سيارتي متوجهاً إلى مقر عملي الجديد ، تلقيت مكالمة هاتفية بأن النقل قد ألغي .. لقد عرف القائدان بالأمر فضغطا لإلغاء النقل وكان حدوث حركة ١٩٤١ نتيجة طبيعية لتمركز العسكريين في نقطة حساسة . ومنذ حركة ١٤ تموز التي خلص الجيش فيها البلاد من الحكم الفاسد ، حتى اليوم ، والكراسي تستهوي العسكريين وهذا ليس في العراق فقط بل في كل مكان .. ولا يجوز مطلقاً أن يسيطر العسكريون . حتى لا يصبح الخصم هو الحكم . قد يقال أن عبد الناصر نجح بواسطة العسكريين . ولكن لا يجب أن ننسى أن الرئيس عبد الناصر عندما استعان بالعسكريين قطع كل صلة لهم بالجهش ليبقى الجيش بعيداً عن السياسة . اهـ

رائعة وكان سموه بين الفينة والفينة يعبّ أقداح الويسكي فقمنا وقال : واجهني في بغداد .

نزلنا إلى بغداد وكان الدكتور فاضل الجمالي رئيساً للوزراء فأعلمته بالحوار الذي جرى بيني وبين الوصي ، ورجوته أن يواجـه الوصي فاتفقا على أن أرسل إلى «كابل» كوزير مفوض ثم أرسلت ترجمة حياتي إلى الحكومة الأفغانية فرحبت بي ، وكان عبدالله بكر وزيراً للخارجية في نيويورك فوافق بطبيعة الحال وهكذا انتهت هذه الشكليات بسلام — والحمد لله — وأرسلت إلى مجلس الوزراء للموافقة وإذا بالأمور تنقلب رأساً على عقب . خير إنشاء الله ؟ كان محمود الدرّة يصدر «جريدة المواطن» ويذكر فيها الحوادث الهامة التي عصفت بالبلاد في العام ١٩٤١ وكنت شرحت له وإلى المؤرخ الوطني عبد الرزاق الحسني كيفية مجيء الوصي إلى الديوانية. والحديث الذي جرى بيني وبينه تفصيلاً ليسجل للمستقبل على أساس أن كلاً منهما مؤرخ يعتمد على أخلاقهما الوطنية إذ سبق أن اعتقلا لمدة طويلة وإذا بصديقي الدرّة «الثمينة» ينشر عن غير قصد الحوار المذكورة في سلسلة مقالاته . ولم يكد يطلع عليها صاحب السموإلاّ وتكهرب وجن جنونه وعليه أوعز إلى الدرّة بأن لا يسترسل في ذكر أبحاث مثل هذه ، كما أمر بوقف جريدته ، ثم أوعز إلى مجلس الوزراء أن يجمد مشروع إرسالي إلى كابل وهكذا انتهت هذه التمثيلية على هذه الشاكلة .

اشتدي يا أزمة تنفرجي

مضى على هذه الحادثة سنة وإذا بصالح جبر يكلمني هاتفياً ويقول : تفضل الى داري . فذهبت اليه وهو حينذاك لم يكن في الحكم ولكن وزنه آنذاك كان وزن نوري السعيد ، فقصّ عليّ — رحمه الله — القصة التالية : قال : —

إني الآن عدت إلى بغداد ، وكنت في روما ، وهناك واجهت سفير الشعب الأفغاني لدى الحكومة العراقية عبد الصمد خان ورأيتــه زعلاناً كثيراً وغاضباً على الحكومة العراقية فسألته ما الخبر ؟ فقال : منذ بضعة أيام رآني هنا وزير الخارجية الأفغانية السردار نعيم ، وهو في طريقه إلى نيويورك وقال لي : من الآن ولمدة ثلاثه أشهر إن لم ترسل الحكومة العراقية سفيراً لها إلى « كابل » تترك بغداد حالاً وتسافر إلى « كابل » لأن الحكومة العراقية منذ نيف وثلاث سنوات لم ترسل سفيراً لها إلى الأفغان . وأضاف صالح إلى ذلك قوله : فطيبت خاطره ووعدته خيراً ثم دعوته إلى حفلة عشاء زيادة في الإطمئنان وقلت له : بمجرد وصولي إلى بغداد سأعمل ما يرضيك . فغادرت « روما » وأتيت إلى « بيروت » في طريقي إلى « بغداد » وإذ بي أرى الوصي وأقصّ عليه القصة تفصيلاً واقترحت على سموه أن أحسن شخصاً يذهب ليمثلنا هو ابراهيم الراوي .

انتهى حديث صالح جبر . فقلت له أشكرك وأنا غداً سألتقي بالوصي في صيد ابن آوى فهل ترى أن أفاتحه بالموضوع ؟ قال نعم .

ولما كان الجيـــل الجديد لا يعرف عن لعبة صيد ابن آوى فها إني أشرحها بهذه المناسبة :

هذه اللعبة حركة رياضية عنيفة وممتعة . لها موسم خاص هو الربيع حيث يظهر فيه ابن آوى ليصيد ما يقتات به فيصيدوه بالطريقة التالية :

تجتمع الخيالة في أول يوم من الموسم في قصر « الرحاب » في الصباح الباكر ، ويحضر الحفل لافتتاحه الملك والوصي ، والخيالة وهم خليط من الضباط العرب والإنكلـــيز والأميركان وغيرهم ومن الجنس اللطيف الراغبات في ركوب الخيل ، ويحضره كذلك إناس لمشاهدة الافتتاح ، ولم يكونوا من راكبي الخيل كالسفير البريطاني وغـــيره من الدبلوماسيين وبعدما يأكلوا ما لذ وطاب ويشربوا نخرج إلى خارج البلدة ومعنا كلاب

الصيد التي يأتون بها باللوري فهي مختصة لصيد ابن آوى وعندما يظهر ابن آوى تلحقه الكلاب وهو أسرع منها فتندفع الخيالة حينذاك وتعقب أثره بالسرعة المتناهية لتمنعه من الهرب ، ولتلحق به الكلاب . والمنطقة التي تجري فيها المعركة عادةً في موسم الربيع فهي كلهـــا زروع وأخاديد والأرض مطربسة بالمياه وتوجد في طليعة الخيالة الراكضة وراء ابن آوى جماعة خاصة لهم لباسهم الخاص ، وهم الحكم الذين سيحضرون المعركة بين الكلاب وابن اوى . هذه الجماعة ايضاً يشتركوا في الركض وراء الكلاب ليكونوا شهوداً لرؤية اول شخص يحضر المعركة اذ يعطى الفائز الذنب او الرأس مكافأة له باعتباره اول شخص من مجموعه نحو الـ ١٠٠ خيال . فتصور أيها القارىء الوضع وها إني أزيده ايضاحاً :

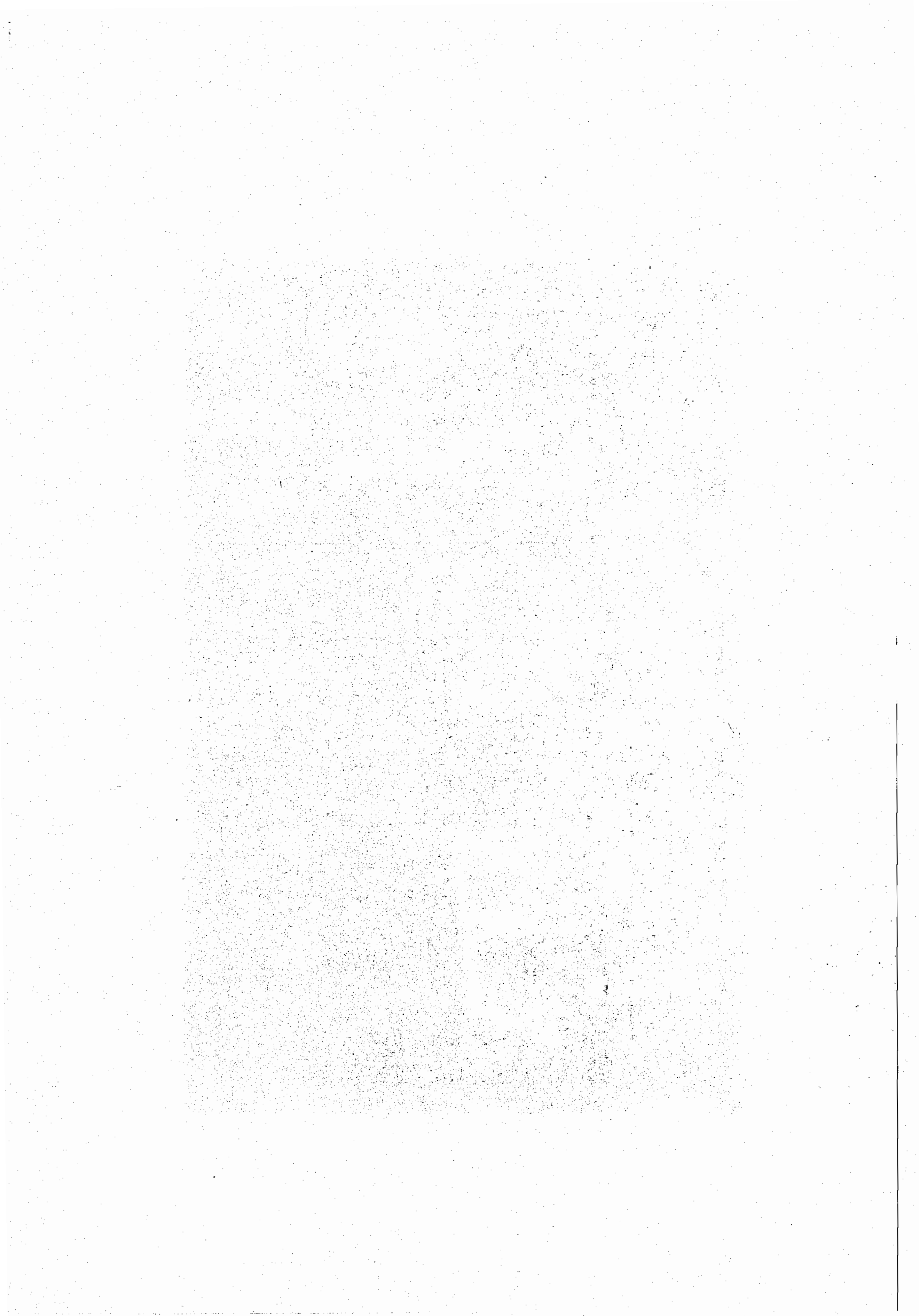
في ارض منبسطة مزروعة وفيها اخاديد وسواقي وهي مطربسة بالمياه وعليها ما يقارب الـ ١٠٠ خيال وكل خيال له مراسل معناه هناك « ٢٠٠ » خيّال تركض حضراً [(١)] وهم من الجنس الخشن واللطيف وهذا المجندل على الأرض ، وذاك المطروح في النهر وحصانه يكاد يرفسه او ينام عليه بكلكله ، وبين الخيالة من هو مستجد بامتطاء الخيل ، وفيهم الطبيب ، والمحامي ، والموظف ، وكلهم من ابناء الذوات ، لأن لا يحضر صيد فيه الوصي الا اذا كان من ابن الذوات ، وان لم يكونوا منسوبين الى الجيش لكنهم هواة يدخلون دورة لثلاثة اشهر فيتدربون فيها ليشاركوا في هذه اللعبة التي يتبناها الوصي واذكر منهم الاطباء : نجيب اليعقوبي ، سالم الحيدري ، مهدي فوزي ، قاسم البزركان ، غالب اسماعيل ، احمد سهيل ، فكرة شوقي ، خليل الألوسي ورشاد عبدالواحد ومن الطيارين يوسف عزيز الذي كان يصطحب معه اثنين من أبناء شقيقته انجال عميد الركن منير سعيد ومن الشرطة طه الشيخلي والملازم حسين — العميد حسين الجميلي — ومن

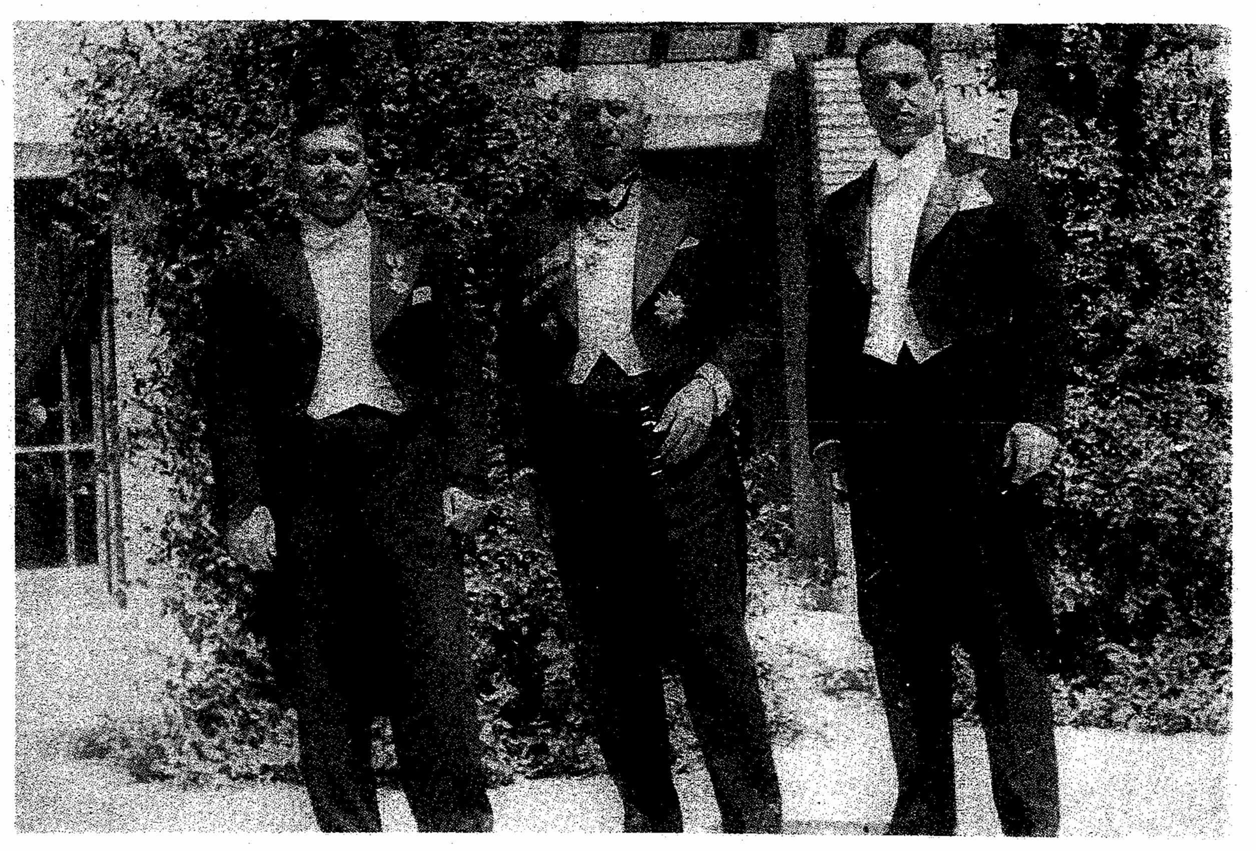
---

(١) حضراً تعبير عسكري معناه الهذب الطويل وبالعربي العام ترس العنان .



منظر ثان لحفلة تخرّج الكلية العسكرية وصاحب المذكرات فيها





صاحب المذكرات في «كابل» وإلى يمينه السيد نجم الدين حمودي ، وإلى يساره السيد صلاح حامد



الوجهاء طالب السهيل وغيره وهكذا تنتهي هذه اللعبة بعد مضي اربع او خمس ساعات فنعود الى قصر الرحاب لتجد ان الاستحضارات هناك من مشروب ومأكول . المشروب لي ولأمثالي هو الصودة وعصير البرتقال ، وللامير وامثاله الويسكي والجن . وبينما كان الامير يعب اقداح الويسكى فتحت لسموه الموضوع الذي كلمني عنه صالح جبر فتقبله بتحفظ اذ كان حينذاك نوري السعيد رئيساً للوزراء ، ونوري لا يرضى نجاحاً لمشروع كان صالح جبر قد تبناه بعد الانتهاء من المشروب توجهنا نحو المائدة الملكية المثقلة بكل مالذ وطاب من خراف على أنواعها السليك[1] والمحشي وكذلك السمك والدجاج والمخضرات والنواشف والمشروبات وأنواع الحلويات ومختلف الفواكه وبعد الانتهاء وكانت الساعة قاربت الى ١٥٠٠ أخذ كل واحد يتوجه الى داره شاكراً ومودعاً ، وهكذا تتكرر هذه اللعبة في محل آخر مثلاً فان كانت على حساب الجيش فتنتهي الأكلة بالوشواش ، أو تكرر وتنتهي الأكلة في أبي غريب في دار طالب السهيل ، أو في بستان حافظ القاضي في الزعفرانية ، أو في مزرعة شيفق نوري السعيدي . انتهى وصف هذه اللعبة الممتعة الشنيعة التي لا يشترك فيها إلاّ فارس لا يشق له غبار وهي تكون في الأسبوع مرتين أو ثلاث وتستمر حوالي الأربعة أشهر .

أرجع إلى الموضوع وأقول : بعد مواجهتي الوصي ذهبت لمواجهة نوري ، الذي لي معه معرفة منذ سنة ١٩١٠ ، إذانه في سنة ١٩١٠ كان نوري في بغداد وكان قد مضى على تخرجه أربع سنوات فدخل الامتحان مع الضباط المرشحين للدخول في كلية الأركان ونجح . وبينما هو على وشك السفر إلى استانبول وإذ تلامذة صف صبيح نجيب ونوري فتاح وعبد المجيد الأنكرلي وعبد الرحمن شرف واسماعيل نامق وعباس الشالجي متهيئون للسفر إلى استانبول ، حيث أكملوا الصف الإعدادي العسكري

---

(١) السليك أكلة حجازية لذيذة جداً يسلقون الخروف ويطبخون الرز بمائه بطريقة خاصة بأهل الحجاز .

في بغداد . وعادة عندما يذهب كل سنة إلى استانبول الصف المنتهي من الإعدادي ، يرافقه ضابط مع رعيـــل خيالة للمحافظة حتّى وصوله إلى استانبول ولذا كلف الملازم الأول نوري ليصحب الصف . وعند وصوله الرمادي ، كنت فيها وكان عمري آنذاك ١٥ سنة إذ كنت تلميذاً في الصف الثاني إعدادي عسكري . فدعونا نوري إلى دارنا مع عبد الحميد الأنكرلي وكانت هذه أول معرفة لي بنوري ثم بعدها صار لي اتصال مستمر في استانبول من سنة ١٩١١ – ١٩١٤ وزمالة واشتغال في القضايا العربية وفي سنة ١٩١٦ – ١٩١٨ زمالته في الثورة العربية في الحجاز ، وفي سني ١٩٢٣ – ١٩٤١ زاملته في تأسيس الجيش العراقي والخدمـــة في جميع الثورات التي وقعت في الشمال وفي الجنوب ، من عربية وكردية وآثورية ويزيدية وبرزانية هذه كلها مجتمعة تجعله يريد معاونتي في حالة إذا ما رأى أن الوصي لا يمانع إن لم أقل هنا أن له شبه رغبة . وعلى كل فإني لم أظهر له بأن لصالح جبر دخلاً بالموضوع « لئلا يفسدها » فذهب نوري إلى البلاط وواجه الوصي واتفقا على أن يرسلاني إلى كابل .

في اليوم التالي ذهبت وصديقي تحسين علي لحضور حفلة افتتـــاح مستشفى النعمان إذ كان محمد حسن سلمان وزير الصحة قد دعانا لحضور افتتاحه وبينما أنا وتحسين واقفان وإذا بالوصي ونوري يقبلان علينا بعد الانتهاء من الافتتاح وهما يتناجيان عندما رآنا وعند مرور نوري بي قال لي : غداً واجهني . فذهبت اليه فأخبرني بما اتفقا عليه من إرسالي إلى «كابل» . وهكذا حلّت العقدة إذ صدرت الإدارة الملكية بذلك خلال أيام معدودات ، وتركت بغداد بالطائرة في مارت سنة ١٩٥٥ فوصلت كراجي وقضيت ليلتين أو ثلاث فيها . وكان الطقس حاراً ومرطباً واجهت فيها فاضل الجمالي وهاشم الحلي وكانا راجعين من مؤتمر « باندونغ » ثم تركت كراجي بالطائرة ومررنا « بلاهور » ونزلنا في « بشاور » وهناك – وأنا في الفندق – سمعت أن خلافاً وقع بين الحكومتين المسلمتين : الأفغانية

والباكستانية حول قضية « البشتو » فأتاني أحد مراسلي الجرائد الإنكليزية الذي علم أني ذاهب إلى «كابل» وسأل رأيي حـــول الموضوع وكان جوابي هذا أول تصريح رسمي يذاع عني وأنا لم أصل السفارة بعد ، ولم أقدم أوراق اعتمادي فقلت له : إن رأيي – وأنا أمثل حكومة إسلامية – في خلاف أخوي نشأ ويا للأسف بين حكومتين إسلاميتين موقف المسلم من أخيه المسلم كما قال الله سبحانه وتعالى : «إنّما المؤمنون أخوة» وكما قال تعالى أيضاً : « وأصلحوا بين أخويكم » . وما في معنى هذا واختصرت الحديث

كان للقنصل الأفغاني الصافي – الذي أصبح مؤخراً سفـــيراً لحكومة في بغداد – له رغبة في الذهاب إلى «كابل» لأمور تخصه عائلية أو حكومية وحيث كان الخلاف على أشده بين الحكومنين إذ هجموا الباكستانيين على القنصلية الأفغانية وأنزلوا علمها وحرقوه انتقاماً لما فعله الافغانيون، إذ هجموا في «كابل» على السفارة الباكستانية وأنزلرا علمها وأحرقوه وهجموا على دار السفير وعملوا فيه العجائب ، من تخريب وأراد « الصافي » أن يستفيد من فرصة ذهابي كممثل للحكومة العراقية وأن يظهر إكراماً لي ولعائلتي ليتمكن من الذهاب برفقتي . أركبني في سيارته وبعد أن قطعنا نحو ١٥٠ كم أرجعنا الباكستانيون عندما علموا أن القنصل الأفغاني برفقتي فعدنا إلى « بشاور » واستأجرت سيارة ماراً بممر « خيبر » التاريخي فـ« جلال أباد » – كابل وبعد قطع حوالي ٣٠٠ كم أي ١٥٠ كم باكستانية في طريق مبلط و ١٥٠ كم أفغانية في طريق غير مبلط . إذ كانت البلاد الأفغانية حينذاك والبالغ نفوسها نيف و ١٢ مليون والمجاورة الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي وإيران والهند وباكستان كانت محرومة من تبليط كيلو متر واحد خارج العاصمة ، وحتى العاصمة نفسها آنذاك فإن الطرق فيها ليست مبلطة كلها ، ولكن بمرور الوقت وذلك عندما علموا أن جمال عبد الناصر سيمر بكابل بعد رجوعه من مؤتمر باندونغ – بلطوا شارعاً واحداً إكراماً له . ولما علموا أن ملك المملكة السعودية سيأتي إلى

كابل ، بلطوا شارعاً آخراً . وعندما علموا أن اسكندر ميرزه رئيس جمهورية باكستان سيزور كابل بلطوا شارعاً ثالثاً وهكذا تم تبليط معظم شوارع العاصمة أما الآن فالطرق كلها مبلطة في العاصمة أما في خارجها فقد جرى التبليط بمئات الكيلومترات وبمسافات مختلفة وسأصف لك الحالة يا قارئي عن شعب هذه الدولة الصديقة المسلمة الشجاعة وكيف كانت من قبل وكيف تطورت بالآخر :

الأوضاع العامة في بلاد الأفغان

عندما وصلت « كابل » كانت الحالة على أشدها بين الباكستانيين والأفغانيين بسبب قضية « اليشتو » وكان الإنكليز الذين سببوها إذ أنهم في سنة ١٩٤٨ عندما حصلت الهند وباكستان على استقلالهما لم يحلوا قضية اليشتو بطريقة مرضية ليبقى الخلاف بين الحكومتين كما أنهم لم يحلوا قضية كشمير بطريقة ترضي الهنود والباكستان . وأن البشتو التي يبلغ نفوسها نحو السبعة ملايين ألحقت بباكستان في الوقت الذي يرى الأفغانيون أنه كان يجب أن تلحق بهم . إن بلاد الأفغان كان يحكمها شخصان هما السردار داود والسردار نعيم وهذان الشخصان هما أبناء عم الملك ظاهر شاه ومتزوجان من شقيقتيه . أما السردار داود فكان رئيس وزراء ووزير دفاع ووزير داخلية ، وأما السردار نعيم فكان نائب رئيس وزراء ووزير خارجية وكان يحكمان البلاد حكماً ديكتاتورياً . وقام السردار داود بعمل ضد رغبة الملك والوزراء ، وضد رغبة اعمامه المشير شاه ولي ومحمود شاه فأوعز بقيام مظاهرة تذهب إلى السفارة الباكستانية وإلى دار السفير وتشرع في تحطيم ما تشاء ، وتنزل العلم وتحرقه ، ولولا إسراع سكرتير السفارة العراقية نجم الدين حمودي ، وأخذه أعضاء السفارة الباكستانية وحمايتهم في سفارتنا ، لكانت حياتهم في خطر . وأعقب ذلك أن كل من الحكومتين سحب سفيرها . وأصبح الخصام في عنفوانه .

عندما ترتبت زياراتي مع الوزراء ، ومع رئيس الديوان ، ومع عم الملك المشير شاه ولى ، الذي كان قام بعمل رئيسي مع شقيقه نادر شاه عندما استولوا على الملك من « باجه سقا « بعد خلع أمان الله خان عام ١٩٢٩ والأفغانيون يلقبون شاه ولي بفاتح كابل ، ورتبته مشير ورجل محترم ومحبوب وترأس الوزارة مدة ١٥ سنة في زمن شقيقه نادر شاه ، ونجله ظاهر شاه وباعتباري رجلاً مسلماً يمثل حكومة صديقة ومسلمة ويحب الطرفين فقد وجهت لسموه نصيحة خالصة وهي : أن يتوسط بصفة كونه عميد العائلة المالكة لحل القضية بالتي هي أحسن لأن الحكومتين الجارتين يعتنقان الدين الإسلامي الحنيف الذي يأمر بحقن الدماء ، والعيش بسلام ووئام ، ونبذ البغضاء والأحقاد . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذا الحل السلمي هو في صالح العائلة المالكة مباشرةً وأتيت له بمثال حي وحساس وهو ما قام به ملك مصر الملك فاروق من أعمال طائشة سببت زوال الملك الذي أسسه محمد علي باشا منذ نيف و ١٠٠ سنة والله سبحانه وتعالى يقول : « واتقوا فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » معنى هذا مثل ما سبب فاروق بزوال الملك الذي أسسه جده محمد علي لأعماله الطائشة ، كذلك إن أعمال السردار داود الطائشة ربما تؤدي زوال الملك الذي أسستماه أنت وشقيقك نادر شاه . وقد رأيت من سموه تجاوباً وهكذا ودعته وكما قلت سابقاً أنه كان غير راضٍ عن أعمال داود .

زيارة جمال عبد الناصر إلى كابل

إن الرئيس جمال بعد عودته من مؤتمر « باندونغ » مر بكابل والتقينا به إذ كان الوقت رمضان والملك دعى سفراء الحكومات الإسلامية إلى الإفطار وبعد المداولة تقرر أن تشكل لجنة تمثل خمس حكومات إسلامية للتوسط في حل قضية البشتو التي كانت أعقد من ذنب الضب وهؤلاء

الوسطاء هم : أنور السادات ممثل العربية المتحدة ، عبد الرحمن[1] فيصل السعود يمثل المملكة السعودية . سفير إيران يمثل المملكة الإيرانية . سفير تركيا يمثل الجمهورية التركية ، وصاحب المذكرات يمثل الجمهورية العراقية فذهبنا إلى كراجي وقمنا بتقريب وجهات النظر فكانت موفقة لا بأس بها ولكن القضية بقيت وما تزال باقية وها قد مرت عليها ١٤ سنة ولم تحل بعد . والأفغانيون ناس طيبون ذوو نفوس سخية وشجاعة نادرة حافظوا على استقلال بلادهم آلاف السنين ، وهم محاطون بالصيق الشعبية ، وبالاتحاد السوفياتي ، وإيران ، والهند ، والباكستان ، اللتان كانت تحكمهما إنكلترة ، وهم يحبون العرب وخاصة العراق حباً جماً ، وحبهم للعراق متأصل فيهم منذ أيام الدولة العباسية وارتباطهم الشديد بها وأذكر مثلاً من ذلك الحب المتأصل بدمائهم :

أتاني كتاب من وزارة الخارجية العراقية يرشحون فيه هاشم جواد لمنصب في هيأة الأمم وتريد من الحكومة الأفغانية أن تعضدها في هذا الترشيح فذهبت وواجهت وزير الخارجية السردار نعيم ، وعرضت لسموه القصة فقال : « نحن الأفغان حاضرون إلى كل ما يوئيد القضايا العربية ليس في هذه حسب ، بل في أمثالها لأنكم أنتم العرب لكم الفضل علينا إذ هديتمونا إلى الإسلام » . فشكرته وقلت له : « ولكن الإيرانيين أيضاً هديناهم للإسلام مدى التاريخ ولكنهم عذبونا » قال : « هوئلاء حلفائكم » يقصد أنهم وأنتم في حلف ميثاق بغداد وكانت هذه نكتة بارعة . والحكومة الأفغانية آنذاك لا تحب الحكومة العراقية كحكومة لأنها في ميثاق بغداد ، ومعنى هذا هي حليفة الحكومة الباكستانية وصديق عدوي عدوي ، ولكنهم لطيبة قلوبهم وسلامة طواياهم وتمسكهم بالدين الإسلامي تجعلهم يحبوا العرب

---

(١) عبد الرحمن عم الملك فيصل السعود وصار وزيراً في إحدى الوزارات وهو رجل طيب ومثقف كان أرسله ابن أخيه الملك سعود ومعه جمال الحسيني إلى كابل لحل الخلاف بين الحكومتين الأفغانية والباكستانية .

حب العبادة حتى يوجد شخصان هما جبير أنصاري وقيس بن ليث من العرب الذين استشهدوا حين فتح كابل فعملوا لهما مقـــبرة تضاهي مقبرة الملك نادر شاه والد الملك الحالي لشدة تمسكهم بالإسلام فإنه من المستحيل أن تري في شهر رمضان أي شخص في دائرة أو في شارع أو في سوق في طول البلاد وعرضها يدخن أو يأكل أو يشرب محافظة لشهر رمضان المبارك. وأنا مرة صليت تراويح في جامع «بغمان» قرأ فيها الإمام خمسة أجزاء أي في كل ركعة حزب من القرآن ولهـــم عادات طيبة منها: أن المهر المقدم للمرأة ولو كان لبنت الملك فيجب أن لا يزيد عن ربع دينار وإذا توفي شخص فلأجل أن لا يدخنوا وأن يلقلقو المعزون أثناء قراءة القرآن فإن صاحب المصيبة يذهب إلى الجامع فيقصده المعزون ويدخلون الجامع بأحذيتهم ويجلسون لسماع قراءـــة القرآن وبعد ان يتلوا ثلاثة من القراء كل منهم بقدر مايقرأ الإمام في الفريضة تخرج وجبةمن المعزين وتأتي الأخرى وهكذا تتعاقب الوجبات لمدة يومين وذلك في كل يوممن الساعة التاسعة إلى الثانية عشرة. وهذا ما يجعل أهل المصيبة أن لا يشغلوا أيضاًبالمعزين، وطهي الطعام، وغيره من صرف دراهم. وعندنا في الأيام الأخيرة معظم أهل المصيبة رفعوا الأوقات الصباحية واكتفوا بالمسائية، وربما يأتي يوم من الأيام الثلاثة تكون إثنان وربما تكون كلها في الحسينيات والجوامع أو في صالة التربية الإسلامية. والأفضل من هذا كله أنك تعطي نفقات هذه المراسيم من طعام وقراء وإجرة محل إلى العمل الفدائي الفلسطيني أواقلاً إلى جهة خيرية أخرى من حماية أطفال إلى مكافحة التدرن إلى الهلال الأحمر، وهذاأضعف الإيمان إذ الإيمان كله أن نصرف كل جهودنا إلى أعمال الفدائيين الأبطال الذين بيضوا وجه العرب والإسلام بيض الله وجوههم ونصرهم على أعدائهم الذين قال الله عنهم: «أشد عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا» أي اليهود أشد عداوة لنا حتى من المشركين. والأفغانيون عندهم روح رياضـــة

وفروسية نادرة المثال إذ عندهم لعبة خاصة بهم يقال لها « بوزكش » تقام سنوياً بحضور الملك والوزراء والسفراء والوجهاء والعوام في يوم عيد استقلالهم ، إذ يجتمع من الفرسان ما يقارب السبعين فينقسمون إلى ثلاث فرق كل فرقة لها علامة خاصة بلباسها ويأتون بجلد عجل محشو ما يقارب وزنه ١٠ ــ ١٥ كيلوغراماً ويضعونه على الأرض ثم تأتي جماعات تمثل الفرق الثلاث فتلتف حول الجلد ، والمطلوب أحدهم أن يرفعه من على الأرض وهو راكباً حصانه ، وبدلاً من أن يضعه أمام يضعه بين ساقه وبطن الجواد ، ويذهب به حضراً فتلحق به الخيالة الآخرون ليأخذونه ، ويسقط هذا الجرم الثقيل أحياناً فيأتي خيال آخر وهو بأقصى السرعة فينتشله ثم يتعقبه آخر ليأخذه ويذهب به إلى المحل اللازم لوضعه . وتدوم هذه اللعبة ساعتين أو ثلاث حتى تنتهي بفوز إحدى الفرق وهذه وشدة مراسها لا يقدرها إلاّ الفارس المغوار إذ كيف يتمكن شخص وهو على حصانه أن ينزل بدون أن تمس الأرض برجله فيحمل جرماً وزن ١٠ ــ ١٥ كغ ويضعه بين ساقه وبطن الجواد ويذهب به حضراً فتلحق به الخيالة الآخرون ليأخذوه منه ؟ هذه منتهى الفروسية حتى أن الروس المشهورين بفروسيتهم في القفقاس يندهشون حينما يشاهدوا هذه اللعبة ، ذلك أن الأفغان عملوها أمام خروشوف وبولغانين عندما أتيا إلى الأفغان في عام ١٩٥٦ فانبهرا . والفرسان الذين يقومون بهذه اللعبة ليسوا من الغوات بل من الهواة وفيهم من عمره ينوف على الستين بلحاهم الطويلة ، وبألبستهم الأهلية . وبعد انتهاء اللعبة يعطي الملك الجائزة إلى الفرقة الفائزة وبعدها يذهب الملك والوزراء والسفراء وكبار رجال الجيش والشرطة وغيرها من الدوائر وقليل من الوجهاء لتناول الغداء ، وبعد الطعام فان التشريفاتي يذهب بكل سفير على حدة ليقدمه إلى الملك للتهنئة ولما جاء دوري وذهبت لجلالته قلت : سيدي إني خيال منذ أكثر من ٤٠ سنة وكنت آمر خيالة في الجيش العراقي ومن البارزين في لعبة الكرة والصولجان وإني أهنئكم على هذه الفروسية النادرة المثال .

نعم إن الشعب الأفغاني له سجايا حميدة وخصال مجيدة وهو الذي أنجب جمال الدين الأفغاني الذي من تلامذته الإمام محمد عبده وسعد زغلول ومصطفى المنفلوطي وغيرهم ، وأنا شخصياً كانوا يحبونني كثيراً ويعاملونني معاملة خاصة ولما علموا أني كنت خيالاً ولي رغبة في الركوب فصار وزيرالدفاع يرسل لي في الأسبوع ثلاث مرات من خيل الملك ولما علم سفير العربية المتحدة بذلك ، وهو أيضاً كان من هواة الركوب — طلب أن يعطوه جواداً فرفضوا وكذلك أعطوني سيارة شفروليت جديدة بالقيمة الرسمية ولما سمع سفير العربية المتحدة بذلك واجه رئيس الوزراء ومن ثم وزير المالية وطلب منهما أن يعطوه سيارة مثلما أعطوني بتلك القيمة فلم يعطوه وأنا مع علمهم اليقين بأني أحبهم كثيراً كذلك كنت في الدعوات الرسمية وغير الرسمية لا أقدم المشروبات الروحية في السفارة وكانت هذه الناحية توافق حسياتهم الإسلامية وكذلك يرونني دائماً وخاصة في أيام الجمع وأنا أصلي وأحياناً بجانب عم الملك محمود شاه الذي سبق وترأس الوزارة لمدة سبع سنوات وكان وزير للدفاع عندما أتى إلى العراق في سنة ١٩٣٦ خلال أيام انقلاب بكر صدقي وحضر صلاة العيد في مسجد البصرة عندما كان تحسين علي متصرفاً فيها . ومحمود شاه لشدة ولعه بالرياضة كان له خا ج كابل حديقة عامرة وفيها ساحة تنس وحوض سبح يذهب اليه السفراء ومن يتبعهم كل يوم أحد وكذلك له حديقة ممتازة في«باغمان» التي تبعد عن كابل ١٩ ميلاً يرتادها الأهلون على مختلف طبقاتهم .

لما وصلت كابل كانت العلاقات العراقية — السوفيتية مجمدة بحسب رغبة نوري السعيد فكان منتسبوا السفارة العراقية مقاطعين السوفييت والصين الشعبية والحكومات الشرقية أي لا يزورون ولا يزارون فقلت في نفسي : « ما لي وهذه اللغوات » خاصةً وسفراء الحكومتين والأميركية والإنكليزية يتزاورون معهم وكذلك سفراء الحكومات الثلاث ، التركية والباكستانية والإيرانية الذين هم والعراق في ميثاق بغداد

وأنا ما هو وزني تجاه تلكم الكتلتين الشرقية والغربية ونوري السعيد ملكي أكثر من الملك ؛ فقررت أن أتخذ خطة خاصة فيها منفعة لبلدي ولو أنه إذا سمع نوري سيغضب حينذاك وكل ما يعمل فيعيدني إلى التقاعد وأعود إلى بغداد وإني في غير حاجة إلى الكرسي والحمد لله خاصةً بعد تعييني هذا الذي يعتبر بمثابة رد اعتبار إذ كنت محروماً من الوظيفة من سنة ٤١ــ٥٥ أقول أن تعييني الأخير يعد رد اعتبار إذ مع الأسف البلد يرى الشخص معتبراً إذا كان في الوظيفة الحكومية أما غيره فليس له مثل هذا الاعتبار ولو كان فاروقاً في ثرائه بل إن ذلك المثري يتزلف إلى الموظفين كل حسب درجته والوجيه يرى نفسه سعيداً فيما إذا أصبح عيناً أو نائباً أو حتى عضو بلدي في أمانة العاصمة أو في اللواء أو في القضاء أو حتى في الناحية فقمت أدعو سفراء الكتلة الشرقية بأجمعهم ويدعونني وأصبحنا « دهن ودبس» معهم شأني مع الكتلة الغربية ومرت سنة تقريباً ونحن على هذا المنوال إلى أن أحد السفراء السخفاء يسأل وزارة الخارجية : هل نختلط مع سفراء الكتلة الشرقية أم لا ؟ لم هــذا السؤال يا سخيف ؟ والمفروض فيك أنك تستعمل عقلك وتأخذ خطة تناسب مصلحة بلدك خاصة وأن الله سبحانه يقول : « ولا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم» فما كان من وزارة الخارجية إلاّ أن تعطيه الجواب بالسلب وترسل صورة منه إلى جميع السفارات ولما أتاني هذا التبليغ كتبت إلى الخارجية أرجو إعفائي من هذا القيد لأن الوضع في كابل لا يشابه أوضاع الممالك الأخرى إذ أن المحيط هذا ضيقٌ ومحظور على موظف السلك الدبلوماسي أن يختلط بالأهلين في بيوتهم فجائني الرد مؤكداً بوجوب عدم الاختلاط عجيب والله الدبلوماسيين إن لم يختلطوا ببعضهم في حفلات وفي لعبة التنس أو لعبة البريدج فكيف يحصلون على المعلومات اللازمة الاطلاع عليها ؟ .

عندما كنا في المانيا نقل لي ناجي شوكة ــ حيث كان سفيراً في أنقرة خلال الحرب العالمية الثانية ــ إن سمعت زوجته ــ أم طلال ــ في حفلة ما من

زوجة رئيس الجمهورية عصمت أينونو أن زوجها قال : سوف لا أزج تركيا في الحرب إلا عند سماعي صوت المدفع وحيث أنه أطرش فمعنى هـذا لن يدخل الحرب إلا عندما تحتل العاصمة ، وهنـاك أمثلة كثيرة مثل هذه تخرج كلمة من فم دبلوماسي أو دبلوماسية في حالة سكر أو عفواً فسيتفيد منها المقابل بدون تعب وهل السفير إلا جاسوس رسمي لحكومته ؟ والجاسوس إن لم يختلط فكيف يحصل على مبتغاه . الخلاصة أني بعد أخذي التأكيد بالمنع من الاختلاط صرت لا أدعي سفراء الكتلة الشرقية ولا يدعوني قرابة سنه وإذ تأتي مناسبة في تشرين الأول سنة ١٩٥٧ أي مرور أربعين سنة على الثورة الروسية فوجه لي السفير الروسي الدعوة وكان في الوقت نفسه هو عميد السفراء فلم أذهب أيضاً للدعـوة ولكن صدقني يا قارئي العزيز إذا قلت لك : أن السفير الإنكليزي والأميركي وسفراء ميثاق بغداد الثلاث التركي والباكستاني والإيراني كلهم ذهبوا إلى الدعوة إلاّ جنابي لم يذهب لم ؟ لأن نوري لا يريد ذلك وفي هذه الدعوة الخاصة كانت لدى السفير الروسي رغبة شديدة بأن ألبي دعوته لأني كنت علمت مؤخراً أن مستشار السفارة وهو رجل مسلم جاء حديثاً إلى السفارة وكان يود مواجهتي اليست هذه سخافة من سخافات الحكومة العراقية الملكية التي كانت ماشية في ركاب الغرب أكثر من الغرب أنفسهم ؟.. وبعد يومين أو ثلاث من هذه الدعوة ذهبت إلى حفلة كوكتيل ؛ بالسفارة الهندية وهناك التقيت بالسفير الروسي وقلت له : « إني أشكرك على الدعوة التي وجهتها لي وكنت أرغب كثيراً في تلبيتها ولكن **حكومتي خاطئة** فهي تمنع قبولي تلبيتها فضحك وقال إني أعرف ذلك قلتهـا وأنا محاط بالسفراء الغربيين من كل جانب وكل منهم فاتحاً أذنه وعيونه ليلتقط سماع ما يهمه وعندما خرجنا من السفارة سويةً مع السفير السعودي فؤاد باشا الخطيب ركبنا في سيارة واحدة وقلت له : يا باشا قلت للسفير كذا وكذا فقال :

هذا لا يقوله إلاّ أمثالك إذ كيف يقول سفير إلى سفير **حكومتي خاطئة** ولما كسر جمال عبدالناصر احتكار السلاح وأدار بوجهه نحو الشرق فأخذه من جيكوسلوفاكيا بعدما امتنع الغرب أن يبيعه وبالعملة الصعبة في الوقت الذي كان الغرب يهب السلاح إلى اسرائيل بدون مقابل. أقول عندما جمال أنذرهم: بأنهم إن لم يبيعوه فسوف يندمون إذ سيدير وجهه نحو الشرق فلم يعبأوا بإنذاره فأخذ السلاح في سنة ١٩٥٥ وتعهد أن يدفع ثمنه قطناً بدلاً من العملة الصعبة فكانت هذه الحركة الجريئة نقطة تحول لحياة العرب ومستقبلهم. إذ لو كان — كما وقع وحصل العدوان الثلاثي عليه في سنة ١٩٥٦ م — فماذا كان يعمل جمال؟ إذ تمكن من الوقوف بوجه الاعتداء الغادر وهذا مما جعلني أن أذهب إلى السفارة الجيكوسلافاكية وأتشكر لهم باسم العرب على هذه المساعدة القيّمة. وعندما حدث الاعتداء الثلاثي من إنكلترا وفرنسا ومخلب القط اللقيطة إسرائيل أرسل نوري السعيد احتجاجاً صورياً على لسان وزير خارجيته برهان الدين باش أعيان وقطع العلاقة مع فرنسا ولم يقطعهــا مع الإنكليز. أما الملك سعود فإنه قطع العلاقة مع كل من إنكلترا وفرنسا وحتّى أنه قطع البترول عنهما وحينذاك قلت للسفير السعودي: أن الملك سعود أظهر وطنية أكثر من أبيه عبد العزيز. قال لي كيف؟ قلت أن عبد العزيز لو قام بتنفيذ مقررات بلودان السرية وقطع البترول عن الأميركان كما ضحى العراق آنذاك وقطع البترول من الضخ إلى «حيفا» لتبدل الموقف آنذاك. ولكن بارك الله بالملك سعود لموقفه المشرف وعندما تحصل حفلات دبلوماسية والعادة في مثل هذه الحفلات عندما يدخل أي سفير يسلم على كل من السفراء والآخرين من المستشارين وزوجاتهم صادف كلما يدخل السفير الإنكليزي ويسلم على الآخرين وعندما أراه مقبلاً ليسلم علي أترك محلي وأذهب لأتحدث إلى شخص آخر وأفوت عليه فرصة السلام. ولما تكررت هذه الحالة شكاني إلى سكرتيري نجم الدين حمودي وقال له كلما اتجه

الى سفيركم لأسلم عليه يدير لي ظهره ويذهب لمكالمة سفير آخر . قلت له كيف يريدني أن أصافحه وابتسم في وجهه في الوقت الذي يعد نفسه حليفاً لي في ميثاق بغداد وتهجم حكومته مع حكومة فرنسا بأساطيلهم البرية والجوية والبحرية مع العدو اللدود اسرائيل على شقيقي جمال عبد الناصر بدون سبب مبرر اللهم إلاّ لأن جمال أمم القناة وقد كان من حقه أن يفعل ذلك وقد استغلت ٨٧ سنة ولم تبق من مدة الامتياز سوى ١٢ سنة وقد شقت بسواعد المصريين ومن منهم لم يؤمم في بلاده ؟ إن أيدن وغي موليه وابن غوريون الذين هجموا على جمال ليطيّروه فطيّرهم ورد كيدهم في نحورهم . إذ كان يعتقد إيدن بعد ذهاب جمال يأتي بحكومة موالية ليرجع ويحتل القناة . وغو موليه يريد ذهاب جمال الذي يساعد جيش التحرير الجزائري ليتمكن من استعمار الجزائر مدى العمر . أما ابن غوريون يريد ذهاب جمال ليستولي على سيناء وغزة والقنـــاة ويوسع رقعة حكومته ليجعلها من النيل إلى الفرات ولكن الله سبحانه وتعالى ووقفة جمال الجريئة وانضمام الجيش العربية المتحدة وشعبه تحت قيادته وصموده في « بور سعيد » وغيرها في البحر والشعوب العربية من المحيط إلى الخليج تشد عضدة وتقتفي أثره خاصةً بعد قطع أنابيب النفط في سوريا وسقوط الجنيه الإنكليزي وبالتالي معاضدة هيئة الأمم المتحدة ووقفة رئيس الولايات المتحدة الجنرال أيزنهاور وآخر المطاف صدور الإنذار الروسي الذي كان قنبلة زمنية انفجرت في وقتها وجعلت الحالة على حافة حرب هذه كلها مجتمعة ردت كيد الأعداء في نحورهم .

حديثي مع رئيس وزراء تركيا عدنان مندريس

زار رئيس وزراء تركيا عدنان مندريس «كابل» فدعاه الملك ودعى السفراء على شرفة الطعام الغداء في حديقته العامرة في « باغمان » والأفغانيون لهم ذوق في تنظيم الحدائق بل يتفوقون على جيرانهم الإيرانيين فجلسنا

نتجاذب أطراف الحديث مع الوفد المرافق لمندريس وكان بينه عضو مهم رئيس الكتلة البرلمانية في المجلس ووزير داخلية سابق وقد أفضيت له بحديث نقله فيما بعد إلى عدنان مندريس وفي ليلة سفره دعى رئيس وزراء الأفغان والوزراء والسفراء لحفلة عشاء وداعيّة في السفارة التّركية فجلست مع عدنان مندريس على أريكة واحدة في الحديقه والجمع الغفير كله واقفين وعيونهم متجهة الينا. فقال لي: نقلوا لي حديثك. قلت له أعيد نقله اليكَ يا عدنان بك — وإني عل علمٍ يقين بأن الحديث الذي سأنقله اليه سينقله بحذافيره إلى نوري السعيد وربما ينقله إلى حلفائه الإنكليز والأميركان وأنا لا يهمني إذ كلما يستطيع أن يعمله نوري السعيد — إذا زعل — يقول: «جيب غراضك وتعال». والحديث كان كما يلي:

قلت لعدنان، نحن العرب — ولم أقل له نحن العراقيون — لا تّهمنا كتلة شرقية أو كتلة غربية حتّى ميثاق بغداد — مع العلم أنا وإياه في ميثاق بغداد — نحن العرب يهمنا شيء واحد هو «إسرائيل» هذه اللقيطة التّي خسرنا معها الجولة الأولى في سنة ١٩٤٨ وأن أسباب خسارتنا تلك الجولة معلومة لدى الخاص والعام.. وسندخل الجولة الثانية معها باذن الله بعد أن نستكمل ونتهيأ عسكرياً — وحديثي هذا كما قلت كان في سنة ١٩٥٦ وعبد الناصر كان قد أخذ السلاح من جيكوسلافاكيا في سنة ١٩٥٥ وبينما نتهيأ عسكرياً تريد الجامعة العربية تطويق إسرائيل وقد وضعت خطة لذلك. وأن الحكومات الاسلامية والعربية جميعها لم تعتّرف بأسرائيل فضلاً عن أن الحكومات الهندية واليونانية والإسبانية وغيرهم من الحكومات اللاتنية لم تعتّرف بها، أما أنتم الأتراك الذين عشنا وإياكم نيف و ٤٠٠ سنة وأنتم مسلمون ونحن مسلمون ونحن شرقيون وأنتم شرقيون ونحن جيران العمر فإنكم لم تعتّرفوا بإسرائيل فقط بل جعلتّم أنفسكم جسراً لصادرات إسرائيل وأن ٥٠٪ من صادرات إسرائيل تخرج عن طريقكم. قال هذه مبالغة. قلت له: يوجد عندي تقرير في السفارة وأنا مستعد لإحضاره وفيه

بأن ٥٢ في المئة من صادرات إسرائيل أنتم جسرها . فكيف لا نعتب عليكم ونريدكم أن تقفوا إلى جانبنا ؟ فكان جوابه : إن سبب هذا أميركا وأنهم بحاجة إلى معونتها . انتهى الحديث .

أنا أعلم حق العلم أن احتجاج مندريس بأميركا ولو كان وجيهاً إلى درجة ما – كما سبق فاحتججت به ألمانيا الغربية حينما دفعت التعويضات إلى اللقيطة ولكن أعتقد جازماً أن الأتراك – الحكومة وليس الشعب – إذ أن الشعب يحب العرب حب العبادة – والأتراك لا إنهم لا يحبون العرب الأن وحسب ، بل ترقى ذلك إلى زمن السلطات سليمان القانوني وعندما كانوا هم في أوج مجدهم وفي الوقت الذي كانوا ينجدون لويس ملك فرنسا ولم ينجدوا العرب في الأندلس عندما أضعناها وحتى أنهم آووا اليهود في استانبول ولم يئووا العرب . والأتراك يعلموا جيداً أننا ذووا ماض مجيد وعندما نتوحد أونتحد تكون لنا مكانة مرموقة في الشرق الأوسط بل في العالم يزاحوا بسببها عن الطريق إذ هم يمتلكوا الآن أقوى جيش في الشرق الأوسط وعندهم ما يقـــارب ٢٠ – ٢٥ فرقة محشديها في الحدود الروسية كسد للمنفذ الشيوعي الأمر الذي يجعل الأميركان أن يمدوهم بمساعدات عسكرية واقتصادية كثيرة ولذا فليس من مصلحة الأتراك والإيرانيين أن تكون وحدة عربية حينذاك لا إنكليز ولا أميركا تمدها بشيء . أما الآن وقد مضى على هذا الحديث ثلاثاً وعشرون سنة وأن الأتراك في عهدهم الجديد – بعد انقلابهم العسكري – وخاصةً في عهد رئيس الجمهورية الحالي الجنرال جودة صوناي ورئيس وزرائه سليمان ديمريل فقد غيروا ما كانوا عليه من قبل ، وصاروا يعاملون جارتهم روسيا معاملة حسنة . كذلك غيروا سياستهم نحو العرب إلى الأحسن وصاروا يعاملون إسرائيل معاملة تختلف عن معاملتهم السابقة وهم الآن يعترفون بحق اللاجئين الفلسطينيين خاصة بعد زيارة رئيس جمهوريتنا ورئيس وزرائه ووزير الخارجية إلى تركيا وزيارة المسؤلين الأتراك إلى العراق

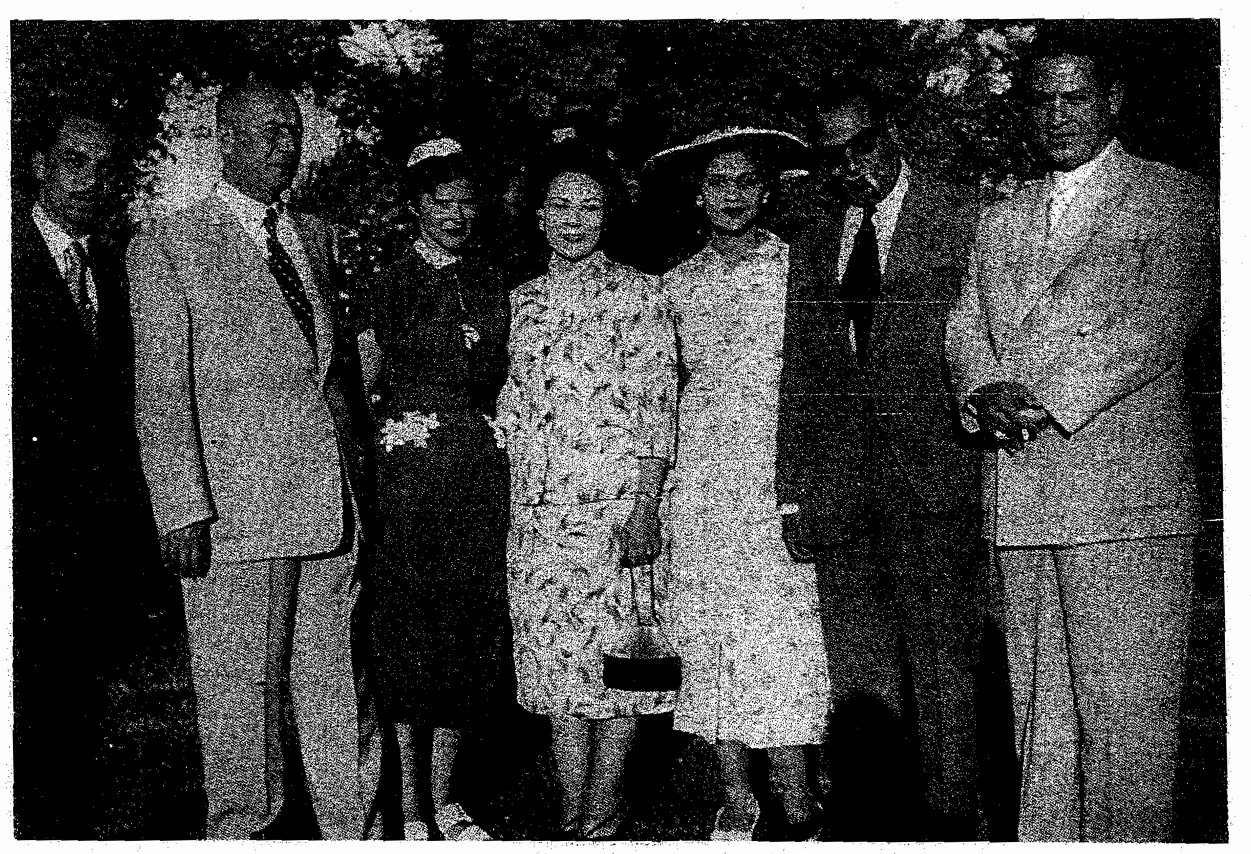
فقد تحسن الوضع مع هذه الجارة . كذلك تحسن الوضع مع الجارة الثانية إيران بعد زيارات مماثلة للأولى ونحن العرب عامة والعراق خاصة من صالحنا أن تكون سياستنا مع هاتين الجارتين المسلمتين اللتين معهما حدود مشتركة تنوف على الا ١٥٠٠ كم . وعلينا نحن العرب أن نرتبط مع جارتينا ولو أن إيران اقتطعت حوالي الا ٥ كم من شط العرب واغتصبت تركيا اسكندرونة ومع كل هذا نغض الطرف ونقول الالفة أحسن من الفرقة التي تكون في صالح المستعمرين .

وفي سنة ١٩٥٦ وبعد مرور سنة على « مؤتمر باندونغ » طلبت الحكومة الإفغانية من سفراء الحكومات الإسلامية ولا سيما تلك التي اشتركت في ذلك المؤتمر ليلقي كل منهم كلمته فذهبت وسفراء العربية المتحدة والمملكة السعودية وإيران وتركيا وأندونيسيا وكل منا ألقى كلمته في الراديو وكانت كلمتي كما يلي :

بعدما أثنيت على « مؤتمر باندونغ » وما أثمرت مقرراته من منافع جمة للاسياويين والأفريقيين صرت أشيد برجال الشرق العظام الذين كافحوا الاستعمار أمثال : جمال الدين الأفغاني من المملكة الأفغانية ، وأتارتورك من تركيا . وسعد زغلول من العربية المتحدة . وسعود الأول من المملكة السعودية . وفيصل الأول من العراق . ومصدق من إيران وكان هذا بيت القصيد . فإني كممثل للحكومة العراقية أمدح مصدق العدو الالد وهو سجين الشاهنشاه الذي أنا وإياه في ميثاق بغـداد . فكيف أمدح مصدقاً على رؤس الأشهاد وأذكر سجاياه وجرأته النادرة المثال التي لولاها لما حصل العراق على المناصفة من أرباح النفط ؟ فعندما أمم مصدق النفط كانت شركات النفط تدفع إلى الحكومة العراقية ٤ شلن ذهباً على كل طن تستخرجه ولئلا تدفع كثير من الشيلنات فما كانت تستخرج أكثر من ٢-٣ مليون طن ولكن لم تمض عشر سنوات حتى ارتفع هذا الاستخراج إلى ٧٠ مليون طن وبعد أن أمـم مصدق



صاحب المذكرات مع وزير الدفاع الأفغاني « حكمة خان » في كابل



صاحب المذكرات في حفلة « كوكتيل » في السفارة العراقية بكابل

اضطرت الشركة أن تستخرج ما يقارب الـ ٢٠ مليون طن لتعوض ما خسرته في إيران ، كما قبلت بعد مبدأ المناصفة وأنفها راغم . هذا الرجل العجوز الذي لم يكن يملك بالمجلس النيابي سوى ٨ نواب تمكن أن يجعل المجلس والشعب يتفقان إلى جانبه . وقد خدم العراق وإيران بل والشرق خدمة عظيمة بهذا التأميم . وأن سفير إيران في كابل شكاني إلى حكومته بأن سفير العراق يشيد بذكر سجايا مصدق سجين الشاه الآن مع أنه حليفنا في ميثاق بغداد . أما أنا فلم يكن ليهمن رضا هذا أو غضب ذاك فإن همي الوحيد : إرضاء الله وضميري والقيام بما يحتمه الواجب علي لخدمة بلادي وأني متمثلاً بقول شاعرنا العربي :

إذا رضيت عني كرام عشيرتي   فلا زال غضباناً علي لئامها

تشبثي للنقل إلى المملكة السعودية أو غيرها

لما علمت أن وزيرنا المفوض في المملكة السعودية أمين المميز يشاكس السياسة السعودية ونقل إلى بغداد بسببها كتبت رسالة خصوصية إلى نوري السعيد لينقلني إلى « جده » فأقوم بخدمة قد ينتفع بها بلدي خاصة وأنا قضيت في الحجاز نحو السبع سنوات ١٩١٦–١٩٢٣ ولي معرفة تامة بأحوال تلك البلاد وأصدقائي فيها كثيرون وإني هنا في « كابل » أكاد أكون مجمداً لا أحلّ فيها ولا أربط كما كتبت كتاب آخر إلى أخي عبد الكريم الراوي ليواجه علي جودة الأيوبي ، وهو صديق لي فيواجه الباشا لمعاونتي وبعد مدة قصيرة جاءني كتابان من بغداد أحدهما من أخي يقول فيه : إن علي جودة واجه نوري وكلمه في الموضوع وأنه في القريب العاجل سيبرق بالموافقة . أما الكتاب الثاني فقد جاءني من نوري نفسه يقول فيه أنه أوعز الى الخارجية بما يلزم وأن النقل سيتم بعد الإجراءات الروتيني وهكذ شددت الرحال مجازاً الى بغداد لأعقّب القضية بنفسي بعد مضي الوقت ولم آخذ نتيجة تبشّر بخير .

تركت « كابل » بسيارتي وعقبت طريق كابل ــ فندهار ــ هرات ــ مشهد ــ طهران ــ بغداد قاطعاً مسافة ما يقارب ٤٠٠٠ كم في طريق صحراء ليس فيه أي شيء ولم يعبد منه غير ٢٠٠ كم بين طهران ــ بغداد والمسافة بين كابل والحدود الإيرانية حوالي الـ ١٧٠٠ كم ومن الحدود إلى مشهد ٣٠٠ كم ومن مشهد إلى طهران ٩٥٠ كم وبغداد ــ طهران حوالي الـ ١٠٠٠ كم وكان الطقس شتاءً وجبال همدان مكسوة بالثلوج الأمر الذي لم يمكننا من اجتيازه إلاّ بعد أن رجعنا ثانية إلى همدان واتصلت بمحافظها الذي أمر ــ مشكوراً ــ الكاسحات لتنظيف الطريق من الثلوج وهكذا وصلت بغداد بعد أسبوعين من الرحلة الشاقة فراجعت نوري وذكرته بما وعد فقال بعد الانتهاء من إجازتك راجعني ، فراجعته فصار يسوّف فأخذت إجازة مرضية وراجعته بعد انتهائها وإذا به يقول لي : أن الوصي زعلان من جديد عليك . قلت خير انشاء الله ؟ قال اطلع على مذكرات صلاح الدين واطلع على ما ذكره صلاح أعنك في الصفحة ١٢ . إذا أنك من مؤيدي صلاح وجماعته وأنك لا تؤيد الأعمال التي قام بها الوصي بل وتشجبها فقلت له وما تريدني أن أفعل ؟ قال أكتب تصريح في الجرائد وقل فيه : أن صلاح الدين كذب فيما قاله وأنك لا تزال مخلصاً للعائلة المالكة . وأنا نوري بدوري أكتب تصريحاً بعدك وأنشره على صفحات الجرائد أقول فيه : إن هذا « المحروق الصفحة » « على حد زعم نوري » كاتب عني كذا وكذا وسأرد عليه وأبين مثالبه في صفقة الأسلحة التي اشتراها من جيكوسلافاكيا ؛ ولا تقل للوصي أن نوري قال لي ذلك بل اجعل نفسك أنك مطلع عليها من تلقاء نفسك فخرجت منه ولم أعده بشيء .

عجيب والله ! كيف أكذّب صلاح الدين فيما قاله وهو الواقع وأن ذلك

ما حدث فعلاً؟ ذهبت إلى الوصي وواجهته وقلت له : سموّك زعلان عليّ من جديد بعد أن اطلعت على ما ذكره صلاح في مذكراته؟ قال : لا أنا لم أطالعها إنما أخبروني عنها. قلت له : إني أتيت من «كابل» ومعي حوائجي كلها، وليس لي نية العودة اليها. فسألني إلى أين تريد الذهاب؟ قلت إلى (جده). قال جده لا يرغب أحد في الذهاب اليها. قلت أنا أرغب فيها وإني في أول تعييني قلت لسموّك إني ذاهب إلى (كابل) للاستجمام إذ ليس فيها مجال للخدمة وأنا لي من الخبرة والسمعة والمكانة في البلاد العربية ما يمكن أن أنفع بلادي أكثر من أي مكان آخر وبالفعل بقيت في البلاد الأفغانية مجمداً فوعدني أن يرسلني إلى (جده) وخرجت منه وإني عالم علم اليقين أنه سوف لا يفعل ذلك لأنه لا يريد تنفيذ رغباتي ولأنه يعلم جيداً أن الراوي لا ينفذ رغائب الشخصية فالأمير يعتبر نفسه الوارث الشرعي لعرش الحجاز ويريد الآن الشخص الذي يناوي السعوديين بحق أو بباطل وهكذا مرت الأيام والشهـور وأنا في بغداد ولم تظهر أي علائم تبشر بتلك الوعود وإذ بوزارة نوري تسقط ويشكل الوزارة علي جودة الصديق الذي كان توسط لي عند نوري ليساعدني على نقلي وكان وزير خارجيته علي ممتاز المحمود السيرة والصديق الذي يرغب في مساعدتي فذهب كل منهما إلى الوصي وكلماه لتنفيذ وعده وإذا به يقول لهما : كيف نرسله إلى (جده) ولم تبق من مدة الإعارة التي هي ثلاث سنوات إلاّ قرابة السنة الواحدة ثم يعاد إلى التقاعـد؟ وهكذا فتّ بيدهما ولم يتمكنا من عمل أي شيء لي. ومرة أخرى أظهر حقده المتأصل في نفسه حتى حلّ شهر رمضان وأنا مجاز في بغداد فدعى البلاط المتقاعدين ممن هم برتبة عميد فما فوق على الإفطار أما أنا أمير اللواء الركن الذي أمثل بلادي في البلاط الأفغـاني فلم يدعني ولسبب أعماله هذه وأمثالها سبب زوال ملك بني هاشم الذي تعب في تأسيسه وتشييده كل من فيصل وخليفته غازي ولم يتعظ بالملك فاروق الذي سبق وسبب

ضياع ملك تعب في تأسيسه وتشييده محمد علي وخلفائه من بعده .

أعطيت ملكاً فلم تحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعه

قضيت في بغداد نيفاً وسبعة أشهر قسم منها بإجازة اعتيادية ، وقسماً آخر مرضية ، وقسماً بدون راتب ، ولم تكن لي رغبة العودة إلى كابل أي إلى حياة كلها دعة وخمول وكانت رغبتي الذهاب إلى جده لأجد حياة ونشاط وخدمة للبلد ولكن حزازات سيدنا الأمير حالت دون ذلك .

في تلك الآونة طلبني علي ممتاز ورجاني بإلحاح أن أذهب إلى «كابل» ووعد :

١ ـ أن يحسب لي المدة التي قضيتها في بغداد بدون راتب أنها كانت من جراء الخدمة .

٢ ـ أنه يستدعيني قبل انتهاء مدة الإعارة .

وهكذا ذهبت إلى كابل وبرّ علي بوعده إذ احتسب تلك المدة خدمة ، ثم طلب مجيء إلى بغداد قبل انتهاء مدة الإعارة وبقيت فيها حتى انتهائها وأعادني إلى التقاعد في مارت سنة ١٩٥٨ وذلك بعد مضي ثلاث سنوات وهي المدة القانونية للذين هم ليسوا من منتسبي السلك الدبلوماسي ولكن هذه القاعدة القانونيّة تطبق عليّ وعلى أمثالي ولما حان وقت تطبيقها على طارق العسكري ـ نجل رضيعته ـ الباشا نوري قام في المجلس النيابي وطلب تعديل هذه المادة التي تحول دون إنهاء إعادة ذلك النجل المدلل في الخدمة فما كان من المجلس الكريم : إلا أن يلبي رغبته ـ والكريم يلبي ـ إلا أن الشهم حسام الدين جمعة أراد أن يستفيد من هذا التعديل أنا وأمثالي الذين احيلوا إلى التقاعد بها ولكنه لم يتوفق .

ثورة ١٤ تموز سنة ١٩٦٨

بعد مرور شهر أو شهرين على هذه الحوادث انفجرت ثورة ١٤ تموز المباركة بقيادة الضباط الأحرار المغاوير، وتجاوب الشعب معهم وهكذا قضي على الحكم الفاسد الذي كان من جملة مفاسده أن يتسنّم عبد الاله الوصاية على عرش الملك فيصل الثاني الذي كان الشعب العراقي يكنّ له العطف لأنه نجل غازي المحبوب ولأنه حرم عطف والدته الملكة عالية التي كانت ترعاه والتي كانت قبل وفاتها — رحمها الله — قد أخذته مع شقيقها عبد الاله ووالدتها وذهبوا جميعاً لزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة لتأخذ عهداً من أخيها عبد الآله في حجرة الرسول بأن لا يغدر بأبنها كما غدر بوالده غازي — كما هو مشهور — فإنها كانت غير مطمئنة على ابنها من أخيها عبد الاله. نعم إن فيصلاً الثاني نشأ وترعرع في كنف خاله وتحت مراقبته وسطيرته وربما سمع بالشائعة التي كانت تقول (إن عبد الاله ونوري كانا تآمرا على قتل غازي) وهكذا مع شدة ذكائه نشأ بليداً وجباناً مع أنه نجل غازي البطل الذي كان أثناء الحركة الأثورية كنائب ملك قد أيد الوزارة الوطنية التي كان أقطابها يس الهاشمي ورشيد عالي وحكمة سليمان وأيد ما قام به من أعمال قائد القوات بكر صدقي خلافاً لرغبة والده المستوحاة من الإنكليز عندما كان في سويسرا يعالج نعم نشأ فيصل الثاني بليداً وجباناً ومن الأمثلة على ذلك :

١ — عندما أتيت من كابل بإجازة — وأنا أمثله في البلاط الأفغاني طلبت المواجهة فخصص لي اليوم الاثنين وفي الساعة العاشرة فلما ذهبت إلى البلاط أدخلوني على عبد الاله ولم يدخلوني على جلالته فخرجت من عنده وبينما هممت بركوب سيارتي إذ يأتيني أحدهم ليقول لي : تعال لمواجهة الملك فدخلت وبعد التحية المعتادة قلت : جلالتك تفضلت

وزرت العواصم : دلهي وكراجي وأنقرة وطهران ، وهذه كلها متقاربة وقريبة من «كابل» خاصةً وأن جلالة ملك الأفغان ظاهر شاه سبق له قبل بضع سنوات أن زار «بغداد» فكانت المجاملة تقضي بردّ الزيارة لعاصمة هذا البلد الإسلامي الصديق الذي يكن للعرب عامة وللعراق خاصة كل ودٍ وتقدير. قال جلالته : «أحطت علماً.» فخرجت وأنا آسف على شبلٍ الغازي كيف ساكت على معاملة مثل هذه وأمثالها نعم نرضى أن يدخلوا الزائر على عبدالإله بعد خروجه من عند الملك وليس قبل الملك خاصة وأني ممثله في «كابل» فإني لا أمثل عبد الآله الذي كان آنذاك ولياً للعهد.

٢ ـ عندما كان جلالته في لندن ، وكان رئيس مرافقيه من الضباط الأحرار أحمد يحي الذي صار وزير داخلية في عهد عبد الكريم قاسم كان يرشده على أمور في صالح المملكة ، ومن عادة عبدالاله كان يأمر الذين يدخلون للسلام على جلالته أن لا يفاتحوه حول أي أمر يخص المملكة بل يكلّموه عن حالة الطقس وعن الرياضة البدنية ليجعله بعيداً عن شعبه وما يريده فذهب جلالته وأخبر خاله بما يوحي اليه رئيس مرافقيه فيقرر عبد الاله تبديل الضابط الحرّ رئيس المرافقين فيتوسل الملك بخاله أن لا يفعل ذلك ولكن خاله لا يجيبه. أرأيتم بلاهة أكثر من هذه ؟

٣ ـ عندما كان في مجتمع حافل بالوطنيين والأجانب من إنكليز وأميركان وغيرهم واقتضى للأمير أن يكلم جلالته لم يكلّف نفسه ويذهب اليه ليكلمه بل ـ وهو واقف في محله ـ كان يناديه قائلاً : فيصل ـ ويؤشر له بإصبعه له ـ تعال. فيأتي جلالته وهو صاغر. أهكذا تعامل الملك يا عبد الاله ؟ ولو كنت خاله وأكبر منه سناً ؟ فأنت قبل كل شيء ولي عهده وتعد أحد رعاياه ويقضي العرف والقانون أن تذهب بنفسك وتعرض على جلالته ما ترغب فيه إذ ليس من حقّك ـ يا صاحب السمو الملكي ـ أن تهينه علناً وأمام هذا الجمع الغفير من الناس

في وقت يعدّ هو سيد هذا البلد الذي أكرمك وآواك ، كما أكرم وآوى والديك من قبل . ومن تكون أنت الذي أتيت لاجئاً وكنت أحد موظفي وزارة الخارجية الصغار وكنت تذهب إلى برلين وليس في إمكانك دفع ثمن خياطة البدلة ؟ أليس هذا صحيحاً يا علي الصافي ؟ إذ أنت نقلت لي هذه الحادثة . ثم وأنت يا عبد الإله وأنت لم تكمل تحصيلك في كليـــة فيكتوريا وأنت ذلك الغرّ الحجول تصبح بين عشية وضحاها الوصي على عرش العراق بعد مقتل غازي الذي كان يطالب بضم الكويت إلى العراق . ويجتمع مجلس الوزراء واذا بشقيقتك « عالية » وشقيقة غازي الأميرة راجحة اللتان لقنوهما شهادة زور ليؤدياها إلى مجلس الوزراء وهي : أن غازي قبل وفاته أوصى لك بالوصاية على نجله الطفل فيصل . إن غازي كان يكرهك كراهة تحريم فكيف يوصي لك بالوصاية ؟ ثم يجتمع المجلس النيابي ليبدي رأيه القاطع ويحضر آنذاك الملك عبد الله من الأردن ــ وهو لما يزل يطمع في عرش العراق حيث بويع به قبل عشرين سنة عندمـــا بويع أخاه فيصل بالملك على عرش سوريا في ٨ آذار سنة ١٩٢٠ ــ كذلك كان يوجد طامع ثالث في الوصاية وهو أحق من الكل وكان أليق وصي وآمن وصي لحماية العرش وهو الأمير زيد ولكن قاتل الله الظروف إذ لسوء حظ العراق كان زيد متزوجاً من أمرأة تركية مطلّقة فتدخل الجيش آنذاك وحال دون ترشيحه بتلك الحجة الواهية لئلا يكون ابن زيد ولياً للعهد . لماذا لا يكون الشخص المتزوج من امرأة تركية وصيّاً على العرش يا قادة الجيش الأشاوس ؟ وتخافون أن يكون نجله ملكاً في المستقبل ؟ وهل كان هذا الخوف بمحله أيها القادة العظام ؟ قولي لي بربكم من هي أم المعتصم نجل هرون الرشيد الذي مشى عـــلى « العمورية » بـ ٨٠,٠٠٠ فارس ممتطين الخيل البلق وخلص الهاشمية التي استجدت له إذ قالت (وا معتصماه) ؟ والمأمون أخوه من كانت أمه أليست هي فارسية ؟ هذا الخليفة الذي كان عصره يعد العصر الذهبي

العباسي وغيرهما كثير من الخلفاء الذين كانت أمهاتهم غير عربيات وأتوا بالعجائب . بل قولوا لي بربكم هل يمكنكم تعداد الخلفاء العباسيين الذين بلغ عددهم الـ ٣٧ خليفة من كانت أمه عربية غير ألأمين وأمثاله من الندرة بمكان ؟ ولما هذا التعصب الذي لم يكن بمحله . ألم يكن الرسول الأعظم متزوجاً من قبطية فأنجبت له ابراهيم ؟ ولو قدّر الله لابراهيم أن يبقى حيّاً أليس كان أولاده أن يكونوا خلفاء وملوك على العرب والعجم باعتبارهم أحفاد رسول الله ؟ ولكن كما قلت مراراً أقول الآن وأشدّد على القول بأن هذا كله كان من سيآت تدخل الجيش بالسياسة . إني لدرجة ما معكم وأريد أن يتزوج ملوكنا وأمرائنا وحتى نحن الأشخاص الآخرون من العربيات لقول شاعرنا العربي العامي :

عرّب وليدك عرّبو   النار مـــن مجباسهـــا
الطيب في عرك النساء   اللّي عريب ساسهـــا

وهذا الشعر لا يحتاج إلى أيضاح إذ معناه تزوج عربية لأن الطيب في عرقها . نعم يا ليت طه الهاشمي لم يتزوج امرأة تركية ، تلك الامرأة التي تحكمت ، به لا يليق بطه الذي كان وزيراً للدفاع في زمن الملك غازي وكان عليه أن يودع جلالته بالقطار ولكن زوجته التركية منعته من ذلك وهذه الحادثة نقلها لي مرافقه محمد زكي القرة غولي شقيق نوري القرة غولي

الحوادث بعد ١٤ تموز

بعد اندلاع ثورة ١٤ تموز عين لرآسة مجلس السيادة نجيب الربيعي فذهبت اليه للتهنئة بعد العشرين من تموز وإذا بي أجد عنده عبد الكريم قاسم فسلم عليّ عند الخروج ، وكانت هذه أول ملاقاة لي معه . وبعدكم يوم رغبت في الذهاب إلى عبدالسلام محمد عارف لتهنئته وحيث كانت

مواجهته في الداخلية صعبة جداً ، ذهبت إلى مدير الشرطة العام طاهر فاتّصل بعبد السلام وأخبره عن رغبتي في زيارته فقال ليتفضل الآن فذهبت وهنأته فقال : تتذكر عمو — فكان يسميني عمو حتى بعد أن أصبح رئيس جمهورية — عندما كنت قائد فرقة في الديوانية ورغبت أن تأخذني مرافقاً عندك فقلت لي : إنك وكيح[1] » ولذا لم تأخذني وأخذت عبد الرحمن الخوجه بمحلي فقلت له : لو لم تكن وكيحاً لما قمت بالثورة ! فضحكنا وودعته وانصرفت .

وللحقيقة أقول : عندما كنت قائد فرقة بالديوانيةو برتبة لواء ركن ، كان كل من عبد السلام ، ورشيد مصلح ، وعبد العزيز العقيلي ، برتبة ملازم ثان عندي ، وكذلك كان كل من طاهر يحي ، وناظم الطبقحلي ، ملازم ثان في الكتيبة الثالثة التي كنت آمرها وكنت برتبة عميد ، كان كل من هؤلاء الخمسة بارزاً في عمله . وبعد مرور شهر على الثورة برزت شواهد على أن عبد الكريم قاسم هو الكل في الكل وقد سيطر على الجيش وعلى الثوار وعلى الثورة ومنتجاتها . وفي تلك الآونة صدرت الجرائد وفيها خبر هام وهو أن عبد الكريم قاسم سيقوم ببناء مصحّات للمسلولين فسررنا لهذا القول وقد أراد تحسين علي الذي كان نائب رئيس مكافحة التدرّن مواجهة عبد الكريم قاسم ليشكره باسم الجمعية . وحيث كنت مقتش الجمعية ، كلفني تحسين أن أرتب المواجهة لأن لي دالّة على الضباط الذين يسهلون لي هذه المواجهة فواجهناه وبعد الحديث المعتاد خرج لتوديعنا إلى الباب وقال لي بالحرف الواحد : « أنت قائدي ! أنت أستاذي ! نحن تلاميذك » مع أني إلى ذلك التاريخ لم أكن لاعرف عنه شيئاً إذ لم يسبق أن اشتغلنا سويةً . وبعد شهر أي في أيلول رغبت الذهاب إلى فيينا لمعالجة أخي عبد المجيد فذهبت إلى أحمدصالح العبدي ، وكان هذا عديلاً إلى ابن عمي سليم

---

(١) وكيح تعبير عراقي أي وقع ولكن لا تعطى معنى مشاكس أو مجادل بل تعطى معنى شاطر .

الراوي وقلت له : أبو ميسون رجاء خابر الزعيم وقل له عني أني أريد الذهاب إلى فيينا وأني أود مواجهته فقال له الزعيم : « أني أجي إلى عنده وليس هو يأتي إلي» وكان عنده مدير الشرطة العام طاهر يحي فأتى الإثنان إلى غرفة العبدي لمواجهتي وبعد الحديث المعتاد قمت لأودعه فكرّر كلامه السابق: « أنت قائدي ! أنت أستاذي نحن تلاميذك » .

ذهبت إلى فيينا ورجعت بعد خمسين يوماً فذهبت إلى أحمد العبدي ورجوته مخابرته للسلام عليه فخابر مرافقه وصفي طاهر فأجابه «مشغول» ولا أدري هل كانت كلمة مشغول منه أو من مرافقه اليساري الذي لا يريد أن يتصل القوميون بزعيمه اليساري ؟ إذ في تلك الايام انكشفت الأمور وخرج الوزراء القوميون من الوزارة أمثال : جابر عمر ، وصديق شنشل ، وفؤاد الركابي ، وكان قد أبعد عبد السلام إلى بون كسفير . ومن ذلك اليوم صرت حرباً عواناً على «الزعيم الأوحد» أحاربه في السرّ والعلن لما إنحرف وصار يؤيّد الشيوعيين خاصةً بعد تشكيل «محكة المهداوي» ومحاكماتها المعلومة لدى الخاص والعام :

١ – عند وقوع الاعتداء الجريء على « الزعيم الأرعن » عبد الكريم قاسم في شارع الرشيد ، ذهبت مساءً إلى دار نجيب الربيعي فوجدته راجعاً إلى داره متأخراً ونائماً فلم أشأ أن أزعجه . وفي اليوم التالي ذهبت صباحاً لمواجهته في مجلس السيادة . وقبل دخولي عليه دخلت إلى سرية الحرس لأزور المسجونين أمثال : عبد المجيد العريم ، واسماعيل الغانم ، وطه الفياض ، وغيرهم واستأنست بهم لأن معنوياتهم كانت على مستوى عالٍ خاصةً منهم طه الفياض إذ قال : « هذا الثمن » وهو يقصد المثل المعروف « ومن يطلب الحسنا لا يغله المهر » وعند خروجي منهم رآني خضر العباس صاحب جريدة بغداد التي كانت تهاجم الشيوعيين بشجاعة فرجاني أن أعرج على مجلس السيادة لأكلم الربيعي بحقه لأن لسيادته عطفاً خاصاً عليه ، فخرجت وذهبت لمواجهة الربيعي وبعد التحية قلت

له : عبد الكريم قاسم الآن طريح الفراش في «مستشفى دار السلام» لا يحل ولا يربط فالواجب القومي يقضي عليك أن تذهب أنت وأحمد العبدي وتقولا له : أنت مريض الآن وصحتك غالية علينا ولذا نقترح عليك أن تذهب إلى روسيا للمعالجة ثم تضعانه في طيـارة وترسلاه إلى موسكو. هذا أولاً وحيث يوجد الآن منع تجول يمكنكم أن تقبضوا على من تعتقدون بضررهم أمثال : عبد القادر اسماعيل ، ورضوى، والمهداوي ووصفي ، وماجد ، وطه الشيخ ، الخ من مدنيين وعسكريين من الذين اشتهروا بميولهم اليسارية وتسجنوهم وتشكلون وزارة قومية ومجلس ثورة بجانبها ومتجانس معها وبهذا تخدم البلد خدمة لائقة فقال. «العبدي غير مستعد» فقلت له أنا أضمن لك إقناعه. فنكس رأسه–أي جبن– رحمه الله. كما جبن مرة أخرى عندما كلم عضو مجلس السيادة الشيخ محمد مهدي كبة عبد الكريم قاسم وقال له : عليك أيها الزعيم أن تتبع أمرين هما : «١–أن تكون فوق الميول والاتجاهات» ٢– «أن تمشي مع الرئيس جمال عبد الناصر في سياسه قومية موحدة فلا ينازع أحدكما الآخر» فسأله الزعيم «من العايل؟» فقال له القضية ليست من هـو العائل أنت أو هو بل القضية : مصلحة العرب والعراق تقضي أن تكونا يداً واحدة تعقبان هدفاً واحداً ومصير واحداً وإلاّ فأنا في حلّ من التعاون معك.

قال لي الشيخ فقدّمت استقالتي ، وكان خالد النقشبندي مستعداً بأن يقدّم استقالته أيضاً لو كان الربيعي اتفق معنا ، لكنا ثلاثتنا سوية نقدم استقالتنا وحينئذ كان يقع عبد الكريم في وضع محرج جداً ، ولكن الربيعي جبن ولم يوافق على تقديم الاستقالة الجماعية مع أنه كان ذو رواتب تقاعدي محترم ، وليس للشيخ راتب تقاعدي وليس هو ثري ولكنه–حفظه الله– ذو إيمان بالله ومبدئه القومي فآثر الانعزال ورفض أن يقبض الراتب الذي كان يرسل اليه وهو في داره حتى بقي أكثر من سنة ولم تقبـل

استقالته بدليل : نشر تصويره وتاريخ حياته كعضو في مجلس السيادة في الدليل العراقي الذي أخرجه السادة : أحمد سوسه ومصطفى جواد ومحمود فهمي درويش ، وهم الذين كلفهم الزعيم بو ضعه وأنفق على إخراجه مبالغ طائلة فقد سألوا ننشر صورة الشيخ محمد مهدي كبه كعضو في مجلس السيادة ؟ قال لهم نعم إذ لحد الآن لم تقبل استقالته .

٢ ـ بعد بضعة أيام من مواجهتي للربيعي حلّ عيد الأضحى . وبدلاً من أن أذهب إلى مجلس السيادة للتهنئة ؛ أخذت بسيارتي الذين كانوا يريدون زيارة رياض ابراهيم الحاج حسين من أهل وأصدقاء وذهبت إلى يعقوبة وزرت المسجونين وسلّمت عليهم أمثال : رياض ابراهيم ، تحسين معلي جعفر قاسم حمودي وسمير عزيز النجم والسائق علي حسون المحكوم عليه بالسجن مدة عشرون سنة والذي كانت الهدايا تأتيه من أهل يعقوبة الكرام من « منّ السماء » وغيره وهو بدوره يطعمنا من الهدايا المقدمة اليه .

يجود عليه الخيرون بمالهم وهو بمال الخيرين يجود

بقيت معهم حوالي الساعتين ورأيتهم في حالة معنوية ممتازة . وكان الشهر شهر رمضان وهم صائمون ، وكانوا يصلّون التراويح . هؤلاء الفتية التي آمنت بربها وبمبدأها القومي وكان أول من تجرأ بمحاولة لقتل الزعيم ولكن لسوء حظه أو لحسن حظ العراق ما أراد الله قتله آنذاك ولله في خلقه شون .

٣ ـ عندما أبعد شاكر مصطفى سليم إلى « خانقين » آخذت بسيارتي زوجة وطفليهما وذهبت بهم إلى خانقين التي تبعد عن بغداد حوالي ١٦٧ كم على ملأٍ من الناس وفي دائرة الأمن ونحن ركاب ثلاث سيارات ، كنا نتغدى مع شاكر المبعد من قبل الزعيم إلى خانقين واهلها خليط من الكرد والتركمان لئلا يهتم به أحد ولكن أهل خانقين الكرام ضربوا الرقم القياسي في جميلهم مع ضيفهم شاكر الشاكر لصنيعهم الجميل فإنهم :

ا ـ جاءوا إلى السجن بسرير وفراش وراديو وثلاجة وو ... الخ .

ب ـ كانوا في كل يوم يرسلون الطعام اليه ثلاث مرات .

ج ـ إذا رغب في شراء شيء وأرسل أحداً ليشتريه من السوق ، فإن الحاجة تصل اليه مع فلوسه . وزيادة في الإكرام في يوم وصولنا كاد شخصان يتخاصمان إذ كان كل منهما يريـد أن يضيفنا نحن ركاب السيارات الثلاث إلا أن شاكر حل المشكل بينهما إذ تقاسمونا . لله دركم يا أهل خالقين النجباء وبخ بخ لعملكم الجميل هـذا الذي خيب ظن الزعيم قاتله الله وأخزاه

٤ ـ عندما أصدر المجتهد الأكبر السيد محسن الحكيم فتواه المشهورة ضد الشيوعيين وهي : « أن الامرأة تكون طالقة فيما إذا كان زوجها شيوعيـاً » في ذلك الوقت ذهبت إلى النجف الأشرف واستصحبت صديقي معي المحامي فاضل معله الاستقلالي ، وذهبت إلى دار السيد المشار اليه وقلت له : ابراهيم الراوّي يشد الرحال من بغداد إلى النجف ليقول الى سماحتك : « جزاك الله خيراً عن العرب والمسلمين بإصدارك تلك الفتوة الجريئة التي كان تأثيرها في العراق وخارجة عظيمة » .

٥ ـ عندما جائت جماعة كشموله وغيرها من الموصل إلى بغداد ليحاكمهم المهداوي اللعوب ، وكان عددهم ينوف على الـ ١٠٠ شخص ، أقمنا لهم دعوة عشاء في محلتنا في هيبت خانون وذبحت لهم عشر ذبائح و ٣٠ دجاجة مع ما لحقها من رز ومخضرات وفواكه وحلويات وكان ذلك في المقهى الذي كان قبل أيام قد اتخذه فريق من الشيوعيين من محلتنا محلاً لإقامة مأتم بسبب موت الشيوعي القذر كامل قرانجي ! !

٦ ـ سلّحنا شباب محلتنا أسوةً بباقي المحلات حتى أصبحت الأعظمية من القلاع التي يحسب لها الزعيم الف حساب ، وكثيراً ما كانوا يسمعونه كلاماً لا يرضيه عند مروره من « جسر الأئمة » في طريقه إلى « الكاظمية » .

٧ ـ خاتمة المطاف كان احتجازي أربعة أشهر في داري للسبب التالي :

في سنة ١٩٦١ م ـ والزعيم في عنفوان سيطرته ـ ذهبت للاصطياف في استانبول وزرت القنصلية العراقية وجرى الحديث بيني وبين القنصل جواد شلاش وكيف أني كنت أزور عمه بالنجف محسن شلاش عندما كنت قائد فرقة بالديوانية وأنه وأنه .. الخ وإذ جاء ذكر الزعيم بالمناسبة فبدأت كالسيل الجارف أهـدر وأقول : كيف هذا الزعيم « الفعله[1] التركة » لم نتخلص من شره ؟ وكيف أن الغريري وجماعته هجموا عليه في شارع الرشيد وقتلوا سائقه وجرحوا مرافقه وأصابوه بعدة طلقات ولم يمت ؟ وبعد انتهاء الحديث خرج القنصل لتوديعي ومعـه شخصان أحدهما ثابت مشتاق ـ شقيق طالب مشتاق ـ والثاني الذي قال لي عنه : أقدم لك عدنان ابن حامد شقيق الزعيم . وإذ بنجل شقيق الزعيم يسمع الحكاية من أولها إلى آخرها وهي كلها طعن في عمه . على أثر ذلك أن القنصل أرسل تقريراً مطنطنا إلى بغداد وربما شفعه ابن شقيق الزعيم بثان . عدت من استانبول إلى بيروت فوجدت الدكتور محمد حسن سلمان فقـال لي : وصلني مكتوب من شقيقك عبد الكريم يقول فيه : إن تقارير عديدة وردت بحقك والأوفق أن لا تتعجل بالمجيء إلى بغداد . فلم أستمع إلى هذه النصيحة لأني من القائلين : إن الذين ينعمون في بلدهم في السراء عليهم أن لا يتركوه في الضرّاء وهو في محنه لأني أعدّ أولئك إنهم انهزاميين والبلد إذا لم يدافع عنه أبنائه أيام الشدة فلا خـير فيهم في أيام الرفـاه والشيوعيون والشعوبيون وأذنابهم هـذا الذي يبتغوه نيش الرعب من تحطم الأعصاب بالخوف والهلع فيخلوا لهم الجو كما فعلت أحزاب اللقيطة إسرائيل بعد حوادث قبية « ودير ياسين » وفي « حيفا » وغيرها

(١) الفعله التركه تعبير عراقي عامي معناه ذكر صفاته السيئة .

وشفعتها بعد في ٥ حزيران سنة ٦٧ في الضفة الغربية وفي « غزة » . بقيت في بيروت أحد عشر يوماً ووصلت بغداد في يوم الجمعة وإذ أبلغ بحضور دعوة بمناسبة افتتاح قناة الجيش في يوم الاثنين أي بعد وصولي بغداد بثلاثة أيام . حضرت الحفلة وإذا بالزعيم يخطب على بعد ١٢–١٥ متراً وجميع الحضار ينافقون له ويصفقون إلاّ ابراهيم الراوي فلاحظني سيادته وشعر بأني أجل من أن أصفق . وكان على يميني مدير عام الدكتور عبد الرحمن الجوربه جي وعلى يساري مدير عام الإسكان سلمان الجنابي اليساري وبالقرب مني حاخام اليهود ساسون خضوري فالتهبت أيديهم بالتصفيق تزلفاً ونفاقاً وعين عبد الكريم موجهة إليّ تريد مني المشاركة ولكن هيهات : فجاء اللواء الركن عبدالرزاق حمودي لزيارتي بعد أن انتهى الاحتفال وعدت إلى داري وإذا بأفراد الأمن يحومون حول داري وفي الليلة صدر أمر الاحتجاز بحقي وبحق عبد الرزاق . وإذ بجندي من الأمن خصصت له غرفة في داري للمبيت فيها وفي كل يوم أوقع في دفتر للأمن وآخر للشرطة . وكان كلمن يزورني من الاصدقاء ترسل أسمائهم وأرقام سياراتهم للاستخبارات . وفي ذات يوم جاء لزيارتي تحسين علي وابراهيم عطار باشي وآخرون فسأل جندي الأمن من سائق سيارة ابراهيم عن الأشخاص الزائرين فقال له : أنا اليوم استلمت السيارة ولحد الآن لم أعرف اسم عمي . وعبد الرزاق حمودي باعتباره كان آمر مدفعية ، كان احمد العبدي ضابط ركنه طلب مواجهته فرفع عنه الحجز وذلك بعد مرور ثلاثة أشهر تقريباً وآنذاك ذهب تحسين علي لمواجهة مدير الأمن العام عبدالمجيد جليل فقال لتحسين : أنا أريد مساعدته ومع أنه وصلنا بحقه مسجلاً من بيروت وفيه أنه تكلم على الزعيم كلام خشن ولكني لم أخبر الزعيم به ، وعليه أرجوك قل له ليقدم عريضة يرجو فيها العفو لنسمح له بالخروج . قال له هو لا يقدم أية عريضة وأنت تعرفه . يقصد تحسين بكلمته أنت تعرفه إذ سبق وزرنا نحن الإثنان (أنا وتحسين) مدير

الأمن لتسهيل سفر تحسين إلى الخارج ، وبينما نحن في غرفته قلت لمدير الأمن مجيد أنت معلق آيات قرآنية وعبارات وطنية . قال لي : « هذا ما أمرني به الزعيم والزعيم قومي ووطني » قلت له إذا كان الزعيم قومي ووطني فكيف يقول : « إني أؤيد كل ما قاله المهداوي » ؟ قال لأن ذلك الوقت كان الموقف يقضي أن يؤيد المهداوي . وحلف مدير الأمن بطلاق امرأته أن الزعيم قومي حتى قال . مرة رفعت له تقرير ضد القوميين المزيفين وسقطت كلمة المزيفين أثناء الاستنساخ فارسل عليّ وقال : مجيد أنا قومي وأنت قومي كيف ترفع تقريراً ضد القوميين ؟ وثنى مدير الأمن الحلف بطلاق امرأته أن الزعيم وطني وقومي . مسكين أنت يا مجيد زعيمك لاقومي ولا وطني ولا شيوعي . وبهذه المناسبة أذكر أن أحمد العبدي كان يسهر عند عديله ابن عمي سليم الراوي وكان الوجيه أحمد الجليلي ــ وهو من أصدقائي العزيزين ــ رجائي أن أطلع العبدي ليرفع عنه الحجز وأمور أخرى أريد أن أحدثه عنها فذهبت إلى دار سليم وصار لي حديث مع العبدي دام أكثر من ساعتين وكان يعب أقداح الويسكي خلالها كنت رجوته أن يرفع الحجز عن الجليلي فرفعه وكلمته عن قضايا أخرى أنتجت أن تصدر جرائد قومية مثل جريدة الحرية لقاسم حمودي وأخرى غيرها وخلال الحديث قال لي :

إن الزعيم قومي وليس شيوعي . ومرة نحن جالسون وهتف الشيوعيون : « حزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي » فأدار وجهه علي وقال ما هذا القول الهراء ؟ إذاً إن العبدي أيضاً كان يعتقد أن زعيمه قومي وربما كان العبدي يبرر إخلاصه لزعيمه لكونه كان يعتقد أنه قومي ولذا عندما عاد العبدي مؤخراً من لندن كان أول تصريح له في المطار : « إنه يفتخر أن يكون جندي مخلص للزعيم » قاتل الله المنافقين أنّى يؤفكون . أتتك فرصة يا أحمد ما كنت تحلم بها كما وأتت الفرصة لنجيب الربيعي وكان بالإمكان أن تخدما بلدكما خدمة عظيمة وعظيمة جداً وتنقذوه من شرور عبد الكريم قاسم العراق ومن والاه

من شعوبيين . وأنت يا أحمد باعتبارك رئيس أركان الجيش تعد الرجل الثاني بعد عبد الكريم ولكن كلاً منكما جبن ، وربما الربيعي أيضاً كان يعتقد مثلك ومثل مدير الأمن : أن عبدالكريم قومي ليبرر بقائه في دست الحكم حتى يقبض لماذا يا نجيب جبنت لهذه الدرجة وسايرت هذا الشرير وأنت من آل ربيعة الشم العرانين ؟ وأنت شخصياً الرجل المسلم القومي المثقف ثقافة ممتازة ولك مكانة محترمة في البلد وفي الجيش خاصة ؟ ألم تقل لي يوماً وأنا عندك في مجلس السيادة : « أن تلفونك مراقب » فإن كان تلفونك مراقب وأنت رئيس مجلس السيادة والمهداوي يشنع عليك في محكمته فلماذا أنت جالس على هذا الكرسي ؟ وبدلاً من أن تزيح عبد الكريم من الحكم لو سمعت نصيحتي ولكن بالعكس فإنك تماديت بمسايرته جبناً ورياءً ونفاقاً ، بل والأكثر من هذا وأنت المعروف عنك حمامة المسجد توقع قانون الإرث الذي فيه مخالفة لما قال الله في حكم كتابه « للذكر مثل حظ الأنثيين » . وإنك يا نجيب وقّعت مرسوماً أعدم بموجبه كل من أخوانك وزملائك الأحرار ناظم الطبقحلي ورفعت الحاج سرّي وغيرهما وأنت تعلم أن حذاء كلّ منهم يشرّف زعيمك الأرعن .

بقيت محجوزاً في داري أربعة أشهر وإذ بأحد أصدقائي الجريئين الأوفياء وهو الحاج محمود رامز بينما كان جالساً في حماية الأطفال مع أصدقاء لي وله وإذ به يصرخ ويقول : يا جماعة هذا الراوي الذي ناذر نفسه لخير الناس يركض يميناً ويساراً وأنه الرجل القومي وأنه وأنه .. الخ يضام ولا يشفع له أحد ! والله ما هذه برجولة ! فقام وطلب مواجهة العبدي وعلى أثرها رفع الحجز وأطلق تلفون داري . وهنا أسجل مأثرة لعبدالكريم قاسم عمله معي عن قصد أو غير قصد لا أدري على كلٍ مع ما كان يعرف من التقارير التي كانت ترد اليه عن نشاطي ضده متحدياً إياه علناً كان بأمكانه أن يؤذيني أكثر : كإرسالي إلى نقرة سلمان أو البصية أو يوصي بتعذيبي كما سبق عندما سجن زملائه : حسين العمري ، ومحمود شيت خطاب ، وغيرهما ولكنه إنصافاً نفذ ما قاله لي مرتين وفي هذه المرة

أيضاً كررها وقال حينما أمر بحجزي في داري : لولا أنه هو قائدي وأستاذي وأنا تلميذه لعوّرته أكثر .

ذهبت وأخي عبد الكريم وتحسين علي وعبد الوهاب علي « أبو سمير » ونجله سهيل إلى سرسنك للاصطياف وإذ بي أرى بين المصطافين جلال الأوقاتي يتبختر وعندما يمر من أمامي يأنف أن يسلم عليّ . وذات يوم – وأنا جالس مع مدير المصايف رشيد مطلق – وإذا برشيد يقول : «إن جمال عبد الناصر مجنون» فقلت له «إن عبد الكريم قاسم مجنون وليس جمال وجمال كما طيّر نوري السعيد فإنه سوف يطيّر عبد الكريم» وعندما قلت له ذلك بهت الرجل ولكن أشهد لا هو ولا سلمان البياتي الذي كان مدير عام في الأسكان ويعد من اليساريين لم يقل أي منهما أي شيء . وبالطبع كان بإمكانهما أن يوصلا هذه الشتيمة إلى زعيمهم وأما صاحبنا عبد الوهاب الذي سمع هذه الكلمة اللاذعة ، وهو من أعز أصدقائي فقد نظر إليّ شزراً كأنه يريد أن يقول يا راوي مالك وهذه المخاطرات التي لا لزوم لها خاصة وأنت تسب الزعيم أمام جماعته المخلصين . لا يا صاحبي علينا أن لا نجبن » إذ « الساكت عن الحق شيطان أخرس » وأن نوري لو لم يسترسل ويمعن في مناجزة جمال لما قتل تلك القتلة الشنيعة والهفى عليه . نعم أقول وألهف عليه لأنه أجل من أن يقاس بعبد الكريم فإن لنوري ماضٍ لامع وله جهاد طويل في حقل القومية ولكن « لكل حصان كبوة ولكل سيف بنوة » وهكذا ذهب ضحية اجتهاد خاطىء حيث أنه بقي مؤمناً إلى آخر العمر بالسياسة الغربية مع كل ما عملت تلك السياسة من مآسٍ وإذلال للقومية العربية ومناصرتها بصورة خاصة اللقيطة إسرائيل من يوم إصدار الوعد البلفوري المشؤم حتى إدخالها هيأة الأمم وتزويدها بالمال والسلاح إلى يومنا هذا . « دير وجهك شوية يا أبا صباح إلى الشرق كما سبق ودار وجهه أبو خالد وحصل على ما حصل مو عيب اقتدي به ولو كنت أنت حاملاً رتبة فريق وهو حاملاً رتبة

صاغ وأنت السياسي المحنك ، وهو حديث عهد في السياسة ولكن الأمور بنتائجها » الرجل أثبت أنه هو السياسي المحنك وأنه القائد المحنك بدليل :

١ ــ هو السياسي المحنك إذ أنه لما عجز عن مماشاة الغرب ورأى بعين بصيرته أن الغرب ماش مائة في المائة في ركاب إسرائيل وتأييدها كركيزة لفكرتهم الاستعمارية وأنهم أعدى أعداء القومية العربية شاح بوجهه إلى الشرق وكسر الاحتكار وأخذ السلاح الجيكوسلافاكي .

٢ ــ هو القائد المحنك بشهادة عزيز علي المصري حيث قال : إن جمال هو الوحيد الذي خالف ــ معظم إن لم أقل ــ جميع أخوانه الذين كانوا قرروا عند الاعتداء الثلاثي أن يسلموا الأمر لغيرهم لتأتي وزارة تتفاهم مع الإنكليز والافرنسيين واليهود إذ لا قبل لهم بمحاربتهم ، وأنه عندما رآهم ــ وهم الأكثرية وهذا قرارهم ــ قال لهم : « باعتباركم الأكثرية لكم الحق في ما تفعلوه ولكن اسمحوا لي أولاً أن أجلب مسدس لأقتل نفسي أمامكم أولاً ثم نفذوا ما تشائون » حينذاك انحازت الأكثرية كلها إلى جانبه وهي التي تثق به وتعبده وفضلت أن تقاوم مهما كانت النتيجة طالما الزعيم الملهم جمال يرغب بذلك .

٣ ــ أثبت أنه القائد المحنك عندما سحب القوات المقاتلة من سيناء أمام القوات المعتدية الكاسحة لئلا تحاصر وتحرم منها القوات الرئيسية في القاهرة نعم إن أبا خالد أذهل المعتدين بهذا الانسحاب كما أذهل خالد ابن الوليد الروم بانسحابه من « موتة » بعد استشهاد الذين أمرهم الرسول على القوة التي أرسلها لقتال الروم وهم زيد بن الحارثة وجعفر ابن أبي طالب وعبد الله ابن رواحة .

٤ ــ إنه القائد المحنك حينما أذهل الشرق والغرب بحركته المباغتة الجريئة التي أرسل خلال ١٥ يوماً ما ينوف على ٤٠,٠٠٠ جندي بأسلحتهم الثقيلة والخفيفة وأعتدتها وتجهيزاتها إلى مسافة تبعد عن الوطن الأم إلى

اليمن الخضراء التي كانت ترزح تحت أعباء الجهل والجوع والمرض ، نعم أرسلها بوسائط برية وبحرية وجوية ومن هـذا يفهم أن القضية ليست قضية رتبة ومنصب وعمر . أنت أعلم الناس يا نوري أن الرسول الأعظم أمر أسامة بن زيد وعمره آنذاك ١٩ سنة على جيش فيه وتحت إمرتـه أمثال : أبو بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وفطاحل المهاجرين والأنصار وأنت تعلم أكثر من غيرك أن نابليون الذي دوخ العالم وقاد الجيش الإفرنسي ذو الأمجاد وعمره ٢٥ سنة وأن أنبيال والاسكندر وكانا في زهرة العمر ، قادوا الجيوش وفتحوا الأمصار . غض الطرف يا نوري ، وسر مع ابن عمك جمال ، خاصةً بعد الاعتداء الثلاثي تحت زعامة إيدن حليفك في ميثاق بغداد ، وسارع لشد أزر جمال الذي آزرته آنذاك جميع الشعوب العربية الواعية من المحيط إلى الخليج ؟ « ولكن لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » صدق الله العظيم . إني استميح القارىء عذراً من تكرار القول وإطنابي في مدح جمال ، والتهجم على نوري وبعض أفراد العائلة الهاشمية ، لأن مدحي وقدحي لم يكونا لغرض شخصي بل لاعتقادي جازماً أن المصلحة القومية هي التي توجب ذلك . إذ أني لا أحب جمال لسواد عينيه ولا رياءً ولا نفاقاً حتى ولا مصانعة بل لكون إسرائيل ومن ورائها الغرب لا يخشون إلا جمالاً وأعمالـه المجيدة في سبيل القومية العربية وكما قال مصطفى لطفي المنفلوطي في كتابه النظرات قولته المشهورة : « إننا نحب سعد زغلول لأن السياسة الإنكليزية غاضبة عليه ، وفي الساعة التي ترضى عنه السياسة الإنكليزية فنحن نتخلى عنه وينقلب حبنا بغضاً » . كذلك أنا أقول : « أني أحب جمال لكون إسرائيل ومن ورائها الغربيون والممالئون لسياستهم غاضبون من سياسة جمال القومية الوحدوية ، وفي الساعة التي ترضى عنه إسرائيل ومن ورائها فنحن نتخلى عنه وينقلب حبنا بغضاً ومقتاً وكرهاً له » وأما تنديدي بأعمال نوري وبأعمـال البعض من الهاشميين فلم يكن ذلك

لغرض شخصي – يشهد الله – إذ أن لنوري ماض مجيد في جهاده في سبيل القومية العربية حيث صدر بحقه الإعدام من قبل الأتراك من أجلها وذلك في سنة ١٩١٤ وإني زاملته في الجهاد عندما انفجرت الثورة العربية الكبرى في الحجاز سنة ١٩١٦ وزاملته في تأسس الجيش العراقي المحبوب ، وله اليد الطولى في إعطائي الراتب التقاعدي بعدما حرمت منه مدة ثمان سنوات ونصف ، وله اليد الطولى في أمر تعييني وزيراً مفوضاً في كابل بعدما كان الوصي غاضباً عليّ أشد البغض وما كنت أريد أن تختم حياته الملهمة بتلك الطريقة المحزية به من قبل الشيوعيين والفوضويين » ولكن « على نفسها جنت براقش ». كذلك أني ما كنت أود أن أتهجم على بعض الهاشميين ، وفي طليعتهم عبد الله ، لغرض شخصي إذ أني هاشمي – إذا صدقت أمي كما قالت العرب – . أنا الهاشمي لا ولن يريد أن يتهجم على أي هاشمي بدون حق ولا سيما الهاشميون وهم في الذروة من سادات العرب وأنا يعز علي ذكر مثالب أبناء قومي من بني يعرب أياً منهم خاصة إذا كانوا هم هاشميون من نسل من قال الله بحق جدهم « وإنك لعلى خلق عظيم » ولكن اتبع نصيحة الحضري الذي يقول في مقدمة كتابه : « الغاية من التاريخ هي أن الخلف عليه أن يتعظ بأعمال السلف ليتبع الصالح منها ويتجنب الطالح » ومذكراتي هذه كحوادث تاريخية توخيت اتباع هذه النصيحة الثمينة وكنت أريد كل هاشمي بل كل عربي أن يرجح المصلحة العامة على المصلحة الخاصة كما فعل الحسين بن علي عندما أضاع عرشه في سبيل قضية فلسطين بعد أن رأى بعين بصيرته أن الإنكليز أصدروا وعد بلفور المشؤم ، وعملوا اتفاقية سايكس بيكو التي بموجبها مزقوا البلاد العربية واستعمروها في الوقت الذي كانوا يفاوضونه سراً ويبذلون الوعود الخلاّبة جزافاً باستقلال البلاد العربيةلضمان تأييد العرب لهم .

حركة ١٤ رمضان

أريد أن أكتب نبذة عن الحوادث الأخيرة التي هي — وإن كانت معلومة لدى الجميع لقرب حدوثها ولكن كفعالة على (تاريخ العراق السياسي الحديث) أقول : إن تلك الحركة كانت نقطة تحول في الاتجاه نحو الوحدة لأن أولئك الأحرار قاموا بعمل بطولي أزاحوا نتيجته الطاغية عبد الكريم فخدموا العرب والعراق خدمة تكتب حروفها بالنور .

إن عبد السلام ، الذي كان العنصر الفعال في إنجاح حركة تموز ، كان آنذاك قليل خبرة في السياسة ، وقام بأعمال يمكن أن توصف « بالولدنة » واستغل اللئيم عبدالكريم قلة خبرته وولدنته . مثلاً عندما بدأت الثورة كان من الضروري أن يشكل مجلس ثورة ممن يعتمد على أخلاقهم وكفاءتهم ليدير دفة السياسة وحسبما نقل لي اللواء الركن علاء الدين محمود أن الضباط الأحرار الذين قاموا بالثورة كانت عندهم هذه الفكرة أي تشكيل مجلس ثورة وبالفعل اجتمعوا وجمعوا معهم من زملائهم الذين يعتمد على حسن نيتهم أمثال : حسين العمري وعبدالرزاق حمودي وعلاءالدين محمود وغيرهم فجلسوا وتذاكروا للاتفاق على الأشخاص الذين يجب أن يشكل منهم مجلس الثورة وقد مسك القلم والورق عبدالكريم وصار يكتب اسم فلان وفلان وإذ بعبد السلام يدخل عليهم — وعبد السلام المفضّل إذ كان آنذاك هو الكل في الكل واسم عبد الكريم ما كان ظاهر كثورة جمال عبد الناصر وزملائه عندمـــا كان جمال الكل في الكل ولكنه كان في الظل إذ أصبح محمد نجيب رئيساً للجمهورية . وعندما دخل عبد السلام على المجتمعين قال ماذا تعملون ؟ قالوا له نريد انتخـــاب مجلس للثورة قال : « لا ماكو لزوم » وما نطق بهذه الكلمة حتى مزق عبد الكريم الورقة التي كانت بيده حالاً وبدون نقاش لأن عبد الكريم هو الذي كان أوعز إلى عبد السلام أن يقول قولته هذه وقد استفاد ذلك

الشرير من سذاجة عبد السلام وجعله العوبة بيده ، إذ كان يرسله إلى كل لواء ليخطب في الناس بصفة كونه وزيراً للداخلية ونائباً لرئيس الوزراء ونائباً للقائد العام للقوات المسلحة ، وهو لم يكن قبل اليوم أكثر من مقدم آمر فوج بعيداً عن حبائل السياسة ودخائلها وخفاياها . وصار الشيطان الرجيم عبد الكريم يوحي اليه بتوجيهات خاطئة فكان هذا يتقبلها لسذاجته وبلهه وهذه التوجيهات صار يحاسبه عليها حين ما حاكمه المهداوي القليل الذمة وأن ما نقله لي أحد الضباط الأحرار ، وهو محمد سبع الذي كان الضباط يجتمعون في داره ، قال والعهد عليه : نحن حذرنا عبدالسلام عن أن تناط قيادة الثورة بعبد الكريم بل الأولى كان يجب أن تناط إلى ناجي طالب إذ كنا نعلم أن عبدالكريم يساري وحتى قيل أن له رقماً سرياً في الحزب الشيوعي وكان معلوماً لدى الجميع أنه كان منطوياً على نفسه وعندما يذهب إلى دار الضباط يحتل مقعداً لوحده وإذا صادف وكلمه أحد ما ؛ يأتي بحركات وإشارات غير طبيعية وأنهم يسمعون عنه كأعزب في ذلك السن من العمر كان يقضي ليالي حمراء وسهرات مغامرة بوكرية تمتد حتى الصباح فضلاً عن أنه ليس معروفاً عنه أنه من ذوي المبادىء القومية وبالجملة لم يكن مؤهلاً لهذا الأمر الجليل . نعم إن محمد سبع وأخوانه الأحرار لم يرشحوا عبد الكريم الذي كان هو ووصفي طاهر في خلية واحدة شيوعية بل حذروا عبد السلام منه ولكن هذا المسكين الأبله أصر على القول : أن القيادة يجب أن تناط بعبدالكريم حتى أصبحت كلمة « ماكو زعيم الا كريم » تلوكها الألسن وهو سادر في سذاجته أصرّ على رفاقه بقضية القدم لأن القدم له وزنه . ولكن يا مولانا يا عبد السلام إن قضية القدم ليست كافية لوحدها أن يناط مستقبل العراق الذي يؤثر على مستقبل العرب بأجمعهم أن يترأسه شخص يساري ليس له من مؤهلات الزعامة التي تتطلب عقيدة قومية وخلقاً رصيناً . والشيوعي يجب أن يبعد عن تسلم أي قيادة إذ الشيوعيون باعترافاتهم

في التحقيقات الجنائية التي أجراها معهم بهجة عطية عندمــا يتوجه إلى الشيوعي هذا السؤال : « عندما تتعارض مصلحة الوطن مــع مصلحة الحزب فأيّاً منهما تفضل » ؟ قال : « أرجح مصلحة الحزب عل مصلحة الوطن » . وهذا ليس عندنا فقط . هذه فكرة كل شيوعي في العالم. وأكبر مثال على هذا ما ظهر في الحرب العالمية الثانية عندما تقدم هتلر واكتسح فرنسا في بدأ الحرب العالمية الثانية أن الشيوعي الإفرنسي المشهور بوطنيته وكثلكته خرّب الطرق والجسور لأجل أن يرضى هتلر ، حليف ستالين ، الأمر الذي سبب الولولة وسرع الانهزام القهقري لجيشه . والشيوعي يمشي في ركاب اللقيطة إسرائيل ويهادنها خلافاً لمصلحة قضية فلسطين الشهيرة وأنا شخصياً أعتبر الأحزاب كالمذاهب الدينية أي أن لكل حزب مبادىء مسطرة ومقررة وكلها تخدم مصلحة البلد كما أن المذاهب الإسلامية كلها تتبع الأسس الخمس التي بني عليها الإسلام وهي ١ ـ الشهادة ـ الصوم الصلاة ـ الحج ـ والزكاة وليس بين هذه المذاهب قيد شعرة اختلاف في الأسس ولكن الشيوعي يسمع ما تأمر به موسكو فحسب سواء أكان إنكليزياً أو إيطالياً أو عربياً أو أميركياً أو افرنسياً أو مشرقياً أو مغربياً!

الجيش والرياضة البدنية

من عادة الجيش العراقي تشجيع الرياضة البدنية إلى أقصى درجة وذلك ليهيء سواعد مفتولة وأجساماً صلبة وعقولاً سليمة وقد قيل : « إن العقل السليم في الجسم السليم » وفي لعبة الكرة والصولجان مثــلاً يخصص لكل ضابط حصانين أو ثلاثة وذهابهم إلى الساحة وإيابهم منها يستعملون سيارات الجيش وإذا حصل للضابط حادث مزعج أثناء اللعب يعتبر كأن الحادث حصل من جراء الخدمة . وزيادة في التشجيع مسموح حتى الضابط الخفر أن يشترك في اللعبة هذه والإنكليز بصورة خاصة

كانوا من المشجعين للروح الرياضية حتى أنهم منحوا التلميـــذ العراقي فخري عمر ، الذي أرسلناه إلى ساندهر ست ، منحوه رتبة ملازم ثانٍ مع أنه لم يكن متفوقاً بالدروس ولكن لمجرد أنه كان متفوقاً في مدرسته بلعبة كرة القدم الأمر الذي أوجب أن يتسلم الكأس من يد الملك جورج الخامس . والإنكليز هم الذين علمونا لعبة الكرة والصوبجان والتمرين على صيد الخنازير وعلى صيد ابن آوى وغيرها من أعمال الفروسية . وهذه اللعبات ما كنا نمارسها في الجيش التركي لأنها لم تكن معروفة هناك ، ولأن ممارستها تكلف الجيش نفقات مالية كثيرة . والإنكليز الذين علمونا هذه اللعبات صرنا نبزهم ونتفوق عليهم بها على قاعدة « الصانع يصبح استاذ ونصف » وكثيراً ما تحصل مشادة بين الضباط العراقيين والإنكليز ومن جملتها مرة قال لي « الكرنل[1] أيدي) : ابراهيم : إذا تشكل فرقة — والفرقة عادة تشكل من أربعة أشخاص — لا تشكل كلها عراقيين قلت له لماذا ؟ قال « لأن العراقيين لا يطيعون بعضهم البعض والضبط بينهم قليل » فتأثرت من كلامه هذا فقلت في نفسي سأشكل الفرقة كلها من العراقيين وأريه سخف كلامه . وفعلاً شكلت فرقة من العراقيين فقط ودخلنا في المسابقة وكنا حينذاك ٤٠ ضابطاً بين عراقي وانكليزي . أي عشر فرق وكان اللعب على طريقة التسقيط أي كل فرقة تلعب مع الفرق التسع فإذا فازت تأخذ درجتان ، وإذا تساوت تأخذ كل منهما درجة واحدة ، وكانت النتيجة إذ بقيت فرقتي التي حصلت على ٩ درجات وكلهم عراقيون وفرقة الجوية البريطانية التي حصلت على ١٠ درجات وكلهم بريطانيون . وعندمـــا ذهبنا لنلعب اللعبة الأخيرة فمن شدة الحماس صار المتفرجون يراهنون علينا ، كما يراهنوا على خيل السباق ، ومن عادتي أن أؤدي صلاة العصر

---

(١) الكرنل ايدي هذا الضابط الإنكليزي كان قد أتى الى العراق قبل الحرب العالمية الأولى ويعرف عنه الكثير وهو قريب المندوب السامي هنري دوبس إذ كلاهما ايرلنديان وكان ذو نفوذ في الجيش العراقي خاصة عند جعفر ونوري .

قبل البدء باللعب . وجماعتي عندما يرون ذلك يستبشرون خيراً ويقولون : طالما الراوي أدّى فريضة الصلاة سنأخذ الكأس . وباشرنا اللعب وكل من اللاعبين صرف كل ما يملك من جهد ومن توفيق الله كنا نحن الفائزون

كان يوم سباق النهائي هذا في شهر آب وفي ٢٧ رمضان وقبيل الغروب وأنا كنت صائماً وإذا علمت يا قارئي العزيز أن الحصان الواحد لا يتمكن من اللعب مرتين متواليتين حتّى يستريح بعد كل لعبة ـ تقدر حينذاك أنا الصائم الوحيد بين جماعتي كنت العب أربع لعبات متواليات تستغرق كل لعبة ٧,٥ـ٨ دقائق وبين كل لعبة ولعبة ، وبقصد تبديل الحصان ينتهز اللاعب الفرصة في شرب الماء أو المرطبات والراوي محروم من هــذه الشربة ، والحال كما قلت في أعز أيام الصيف وفي آخر الشهر وقبيل الغروب وبتوفيق الله وعونه حالفنا التوفيق . فقدر الفرحة أنت ياسيدي القارىء وبعد الانتهاء من اللعبة يأتي المتفرجون وحتّى المغلوبون ليهنئوني باعتباري رئيس الفرقة وإذ بشخص مرموق يأتي لتهنأتي فشكرته إذ هو يرغب أن يعرّفني بنفسه صار يسألني بعض الأسئلة فهمت منها أن الرجل هذا هو المندوب السامي الجنرال كليتون وكان جاء إلى بغداد حديثاً بعد إنهاء خدمات المندوب السامي هنري دوبس . وحتّى لو كنت أعرفه حقاً إنه المندوب سامي فليس فيما كان لدي من الوقت أن أهتم به أكثر من الآخرين حيث أنه لما جاء لتهنئتي كنت في وضع المهمّ بنفسه ، أي كنت أريد أن أغسل وجهي من كثرة ما علق به من غبــار ، وأنشف عرقي والبس ملابسي وأتهيأ للإفطــار وفي اليوم التالي تصف جريدة التيمس اللعبة وتقول : « إن العراقيين لعبوا لعباً ممتازاً وبتعبيــة جيدة وطابــع الضبط كان بارزاً فيهم ، وحتّى أن أحد حصنهم مرر الكرة برجله إلى الهدف » . لا شك أن الكرنل أيدي قرأ هذا الوصف في الجريدة . وحيث كان هو مفتش الإدارة التي كنت ضابط ركن فيها ، فقد قصد الغرفة التي أنا فيها ورأى الكأس المهدى الينا بيدي لنكتب أسماء الفائزين عليه وتاريخ

اللعبة حسب العادة المتبعة ثم نأخذ تصويرنا نحن الفائزون ، والكأس منتصب أمامنا أو يمسك به رئيس الفرقة فقال أيدي . ما هذا ؟ قلت له الكأس وسنكتب عليه أسمائنا بالعربية . قال : كيف تكتبون أسمائكم بالعربية والعادة المتبعة لحد الآن أن تكتب الأسماء بالإنكليزية خاصة وأن المهدي هو إنكليزي بونام كارتر ، قلت سنكتب أسمائنا بالعربي وسنأخذ تصويرنا به . وبالفعل كتبت أسمائنا عليه بالعربية وأرخته . قال أيدي : أنتم فزتم بالصدفة . قلت لهِ فزنا عن جدارة واستحقاق . قال : لنلعب سوية فرقتي وفرقتك أثناء التمرين والرهن خمس روبيات . قلت له موافق . وكانت العادة أننا نلعب ثلاث مرات في الأسبوع . ذهبنا لنلعب وإذ بواحد من فرقتي لم يحضر في ذلك اليوم قال لنلعب في اللعبة القادمة من عشر روبيات . قلت له صار . ذهبنا لنلعب وإذ من فرقته واحد لم يحضر . قال في اللعبة القادمة من ١٥ ربيه . وكذلك لم نلعب فقال في اللعبة القادمة من ٢٠ روبيه . وفي اليوم الذي كنا نلعب فيه من ٢٠ روبيه أتى إلى الدائرة صباحاً وأخرج من جيبه ١٠٠ ربيه ورماها على المنضدة وقال : ابراهيم اليوم نلعب من ١٠٠ روبيه ، فما كان مني — ورأيته يريد الهرب — إلاّ أن آخذ ٢٠ ربيه من الـ ١٠٠ روبيه وقلت له : كرنل اليوم نلعب من ٢٠ روبيه هذه وأريته إياها ، وسنغلب وآخذها منك وأعطيها رسم دخولية في السباق المقبل إذ العادة أن رئيس الفرقة يدفع الرسم وكان آنذاك ٢٠ روبيه — وقلت له بهذا الرسم سندخل السباق ، وسنغلب ، وسنأخذ الكأس وهذا الذي حدث . إذ ذهبنا في ذلك اليوم في السيارة لنلعب وكان في السيارة بكر صدقي ومدير التجنيد العام عاكف وبينما نحن متجهون نحو الملعب وبقصد إغاظة أيدي فإن بكر صدقي ضرب كفاً بكف وعمل أشارة من الذي سيغلب الراوي أو أيدي ؟ وإذ به يقول لنفسه « الراوي » أما عاكف فتشجع وأراد أن يساير بكر في إغاظة أيدي فرمى بربية في الهواء وقال من الذي سيغلب ؟ وإذ بعد سقوطها قال « الراوي سيغلب » وبالفعل لعبنا وغلبنا وأخذت الـ ٢٠ ربيه

ودفعتها رسم دخولية في السباق المقبل إذ خلال كل شهرين تقريباً يجري سباق . وصادف في السباق هذا أن كان عدد الداخلين فيه ٥٦ ضابطاً منهم ٣٠ عراقياً و ٢٦ إنكليزياً ... أي ١٤ فرقة فلعبنا وكانت النتيجة أن الذين بقينا للعبة السباق النهائي فرقتـــان فرقتي وفرقة أيدي وكانت فرقتي مؤلفة من الأربعة العراقيين هم : رسول ولازار ومحمد خورشد وصاحب المذكرات ، وفرقة أيدي مؤلفة من : منه ومن الميجر فينك ومن عراقيين اثنين هما من أحسن اللاعبين أقصد بهما : محمود سلمان ونجم الدين علي . وفي اليوم الذي كنا سنلعب فيه السباق النهائي ، ذهب نوري إلى الملك فيصل وقال لجلالته : سيدي اليوم يوجد سباق مهم للغاية إذ حاصله مشادّة بين ابراهيم الراوي والكرنل أيدي ومن الصدفة أن الفرقتين ستلعبان اليوم في السباق النهائي — فأرجـــو حضوركم لإعطاء الكأس للفائز . قال له سأحضر . كذلك ذهب نوري إلى الملك علي وقال لجلالته القول نفسه فوعده بالحضور . وفي اليوم الموعود ذهبنا إلى الساحة لنلعب وأنا حسب عادتي أدّيت فريضة العصر قبل اللعب وجماعتي حسب العادة تفائلوا خيرًا وبعد الصلاة ذهبت لركب حصاني وإذ بنوري الذي كان جالساً بجنب الملك علي يصيح بأعلى صوته : « ابراهيم الملك علي يرغب أن تربح أنت » قلت له سيدي : في السباق الماضي أخذت الكأس من يد بريطانية — إذ كانت الليدي كليتون أهدتني إياه — واليوم انشاء الله — سآخذ الكأس من يـــد هاشمية » قال انشاء الله وضحك ولمـــا هممت بالركوب للمباشرة ، أتى المندوب السامي وقال : أنتم عين الأشخاص الأربعة الذين فزتم في السباق الماضي . قلت له نعم . قال والآن ستركبون عين الخيل التي كنتم راكبيها في السباق الماضي . قلت له نعم . وسؤاله هذا ذو مغزى وهو من الذين يحسنون هذه اللعبة وحتى أنه قضى نحبه على أثر عودته من لعبة البرلو المنهكة وهو الذي كان مهّد لمعاهدة سنة ١٩٣٠ وهي المعاهدة كانت لم ترض القوميين إلاّ أنه بموجبها دخل العراق عصبة الأمم ومنح

الاستقلال ، ورفع عنه الانتداب . وكلايتن هذا من الأوائل الذين كانوا في سنة ١٩١٦ مع كورنواليس ولورنس وستورس « هيأة المكتب العربي في القـــاهرة » في زمن ماكماهون الذي فاوض الحسين ابن علي . قلت له : أيها الجنرال إنك كما أتيتني في السباق الماضي وهنأتني على فوزي فسوف تأتي اليوم وتهنئني انشاء الله . وهكذا دخلت السباق بهذه المعنويات القوية .

ولتأثير المعنويات أذكر حادثتين إحداهما وقعت فعلاً وأنا شاهدها والأخرى حدثت في التاريخ . وأغلب الظن أنها صحيحة وهاكها :

قرأت في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : إن خالد بن الوليد حاصر « الحيرة » وطال الحصار وإذ بشخص من الحيرة يصل ليفاوض خالداً وفي أثناء المفاوضة رأى خالد أن صرّة معقودة في عمامتـــه وكان قساً فسأله ما هذه الصرة ؟ فقال له في هذه الصرة يوجد سم . فسأله ولم تحمله ؟ قال له : صممت على أخذه في حالة عدم نجاحي في المفاوضة لئلا أرجع الى جماعتي فاشلاً . فقال له أعطني هذا السم فأعطاه إياه فأخذه وقال : « بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم » والتهم السم فتمصر قليلاً وأغمض عينيه ثم فتحها وإذا هو بأتم صحة . فرجع القس وقال لقومه سلموا لهؤلاء الذين لا يؤثر فيهم السم لشدة إيمانهم بالله فسلموا . قلت أغلب الظن أنها صحيحة لأن المتحدثين عنها نصارى يشهدوا بشدة إيمان رجل مسلم . ويقال أيضاً أن رجلاً محكوماً عليه بالإعدام أرادوا أن يتأكدوا من أن المعنويات لها دخل كبير صاروا يشرّطوا في جسمه من الخلف ويسكبون مادة سائلة بلون الدم وهذا الرجل لكثرة ما شاهد من كمية السائل اعتقد أنه كله دم من جسمه فمات بين أيديهم . وهذان الحادثتان نقل ، والنقل يحتمل الشك واليقين ولكن أذكر المثال التالي الذي كنت أنا شاهد عيان فيه وهو : في ذات يوم وأنا في الديوانية أتاني رئيس الصحة عمر الأسطواني وهو ثقة ومن عائلة الأسطواني بدمشق الشام ومنهم قضاة ومفتون . وقال لي : حدثت

اليوم حادثة غريبة أنقلها اليك وهي : ذهبت اليوم إلى المستشفى فرأيت أن مضمد الخفر قد أعطى مريضاً علاجه وكان هذا العلاج قد وضع في قارورة كتب عليها « سموم » فسألته وقلت للمضمد هل أنت أعطيت دواء إلى المريض هذا ؟ وأشار إلى المريض بيده ؟ كيف تعطي المريض هذا العلاج الموضوع في قارورة كتب « عليه سموم » ؟ قال لي سيدي : أعطيته إياه وأنا قانع بأنه هو الدواء الصحيح . فقلت له ألا ترى ما هو مكتوب على القارورة ؟ وصرت أوبخه والمريض يستمع الينا وإذا به يموت لاعتقـــاده بأنه شرب دواءً مسموماً ثم ظهر أن الدواء المعطى للمريض كان صحيحاً وكلما هنالك أنه كان موضوعاً في قارورة كتب عليها (سموم) فمن هنا يتضح تأثير المعنويات أي أن خالداً الذي يلتهم السم وهو يعتقد جازماً أنه لا يؤثر فيه لإيمانه بالله بعدما قرأ الآية الكريمة ولم يفعل السم مفعوله به ، والآخر المريض يعطى له دواءً صحيحاً ولكنه اعتقد جازماً أنه أعطى له دواء مسموم فيموت . وهذا المثال الحي يعطينا برهاناً قاطعاً على قوة المعنويات وتأثيرها في الحياة . وهكذا دخلنا السباق وبهذه المعنويات القوية المدعمة بالثقة بالله فوفقنا الله وانتصرنا وكسبنا حلبة السباق . وبعد انتهاء اللعبة تهيأت لأخذ الكأس وإذا بالملك فيصل لم يحضر ، والملك علي الذي كان المفروض فيه أن ينوب محل أخيه ليعطينا الكأس ، أحجم وقال لتسلمهم إياه الليدي كليتون . وكانت العادة آنذاك أنه عندما تقدم الكأس يد بريطانية المهدي اليه يشكر المهدي باللغة الإنكليزية عبارة مألوفة تكرر ثلاث مرات فسألني أيدي باعتباري رئيس الفرقة ماذا ستقول ؟ قلت له سأشكرها باللغة العربية . قال كيف والعادة المتبعة إلى الآن القول باللغة الإنكليزية خاصة وكثير من الحضار هم إنكليز ؟ قلت له وكثير من الحضار هم من العرب . وفي هذه الأثناء حضر الملك فيصل وسلمني الكأس بيـــده فهتفت ثلاثاً بحياة الجيش والملك وبعد الانتهاء قال لي أيدي ماذا قلت ؟ قلت له شكرته باللغة العربية . معنى هذا من كثرة تأثره والغشاوة على

عينيه لم ير المهدي أنه هو الملك فيصل . وهكذا أتوا المهنين ومن جملتهم الجنرال كليتون . ذهبت في اليوم التالي إلى الصحف لأنشر الخبر ، إذ أني في فوزنا السابق لم أنشر أي شيء في الصحف ، ولكن بعد فوزنا الثاني ذهبت وأمليت العبارة التالية : « كانت عند الإنكليز قناعة ــ لكن صاحب جريدة العالم العربي سليم حسون صححها بقوله عند البعض من الإنكليز وهو الأصح ــ لا يمكن للعراقيين أن يكسبوا السباق في حالة تشكيل فرقة من عراقيين فقط لأنهم لا يطيعون بعضهم بعضاً ، وأن الضبط مفقود بينهم ، و ... الخ ولذا عليهم أن يشكلوا فرقة مختلطة منهم ومن الإنكليز ليكسبوا السباق . ولأجل أن أظهر خطأ هذه النظرية شكلت فرقة من العراقيين فقط ودخلت بهم السباق وكانت نتيجة ذلك أنا لو كنا كسبنا هذا لمرة واحدة فقط لكان في الإمكان أن يقال أن هذا الفوز كان من قبيل الصدفة ، ولكننا كسبنا في سباقين متتاليين وهذا معناه : أن هذا النصر كان نتيجة مقدرة وكفائة فائقة فحطمنا تلك الأسطورة . ونشرت الجرائد كلها هذه الشهادة فأخذت منها واحدة وقدمتها إلى أيدي ليطلع عليها بنفسه ، وكان يحسن اللغة العربية . ولم أكتف بذلك فأخذت تصويرنا مجتمعاً مع الكأس وأرسلته إلى القاهرة لينشر في المجلة المصورة وتحتها الشرح : بأن أربعة عشر فرقة للكرة والصولجان تشكلت في بغداد كانت مألوفة من ثلاثين عراقياً و ٢٦ إنكليزياً وقد دخلوا السباق وكانت النتيجة أن الفرقة الفائزة المشكلة من أربعة عراقيين وأسمائهم فلان وفلان .. الخ . لما وصلت المجلة أطلعت عليها أيدي فاستشاط غيظاً وإني لا أنكر أن الإنكليز كانوا يشجعون الرياضة البدنية في الجيش .

كنت آمراً للحرس الملكي في سنة ١٩٢٥ وقد دخلت أربع سباقات فكنت الأول في سباقين ، والثاني في الثالث ، والرابع في الرابع ، والسبب في أني أتيت رابعاً : المسافة كانت ميلين يتخللها طفر مواقع وأثناء الطفر سقط الركاب وبقيت بركاب واحد طوال مسافة الميلين ، وكان المضيّ

بالسباق بركاب واحد صعب جداً وحتى في هذا السباق لو كنت الأول لما كنت أكسب الرهان لأن الوزن نقص بسبب سقوط الركاب فإن لكل راكب وزن قبل السباق وبعد الفوز ومن جملة الضباط البارزين الذين كانوا يشتركون في السباق اسماعيل نامق ، نور الدين محمود ، صبري عبد القادر ، أيوب صبري ، نجم الدين علي وصاحب المذكرات

كان الكرنل أيدي يمارس الرياضة البدنيـــة طيلة الأسبوع في السبت والاثنين والأربعاء يلعب الكرة والصولجان وفي الأيام الباقيـــة يلعب كرة القدم مع تلامذة الكلية العسكرية الملكية ، ويلعب أحياناً الكولف وإذا صادف يوم لم يجد فيه ما يلعب يأتي إلي وأنا في النـــادي العسكري ويأخذني في سيارته لنخرج على طريق بعقوبة فنترك السيارة ونسير على الأقدام بضع كيلومترات يتخللها الركض . وكان معظم ضباط الإنكليز يذهبون في الصيف إلى انكلترا ويبقى هو في بغداد لئلاّ يحرم نفسه من لعبة الكرة والصولجان ، لأن هذه اللعبة تلعب في الصيف باستمرار إما في الشتاء ، خاصة في موسم الأمطار ، يتعطل اللعب بها . وهو يذهب إلى إنكلترا في الشتاء ليقضي إجازته وله في ذلك مآرب أخرى . وكان طوال أيام السنة ينام فوق السطح وكلما اشتد البرد يكثر من الأغطية فإذا نزل المطر ينزل ولكن ليس إلى الغرفة بل في الطرمة [1] وذات يوم وفي عز أيام الشتاء وكان وكيلاً للجنرال رئيس البعثة العسكرية أراد أن يذهب إلى بعقوبة لتفتيش لجنة التجنيد فطلب أن يصطحب مدير التجنيد العام العقيد عاكف ويصطحبني معه كضابط ركن الإدارة فحضرت السيارة ولما هممنا بركوبها رأى معطفي بيدي فقال لي ما هذا ؟ قلت معطفي . فقال لي إني لا البس معطف . ثم قال لسائق السيارة ارفع « خيمة السيارة » فقال السائق « أنا ما جايز من نفسي » فسحب سيارته وذهب إذ كيف يرفع

---

(١) الطرمة تعبير عراقي يطلق على قسم الدار غير المكشوف .

السائق الخيمة ونحن في عز الشتاء؟ وكان البرد قارصاً والرياح شديدة وكانت عقيدة الكرنل أيدي أنه برفع الخيمة يحصل – على زعمه – ثلاث فوائد: الأولى أن السيارة تسير بسرعة أكثر، والثانية أنها تصرف بنزين أقل، والثالثة أنها في أثناء الكبوة ينجو الراكب من أن يصطدم بالسيارة. وعلى كل فقد جاء سائق آخر ووافق على شرطه ورفع الخيمة فركبنا وأنا باعتبـاري ضابط صغير وبرتبة رائد جلست إلى جانب السائق وهما قعدا في الخلف. تحركت السيارة فحصل ما كان يخشاه السائق الأول إذ كلمـا اشتدت حركة السيارة، اشتدت البرودة باشتداد الرياح. وكان الهواء غربي ولشدة برودته أخذت عيون أيدي تدمع وكلما حاول التجلد ازداد البرد حتى اضطر أن ينزل عن البغلة «على حد قول البغدادي» أي اصاخ للواقع ونزل من كبريائه ولبس معطفه وعندما رأيته أردت مداعبته وتحديه وهممت بنزع معطفي وإذ بيد تمسكني من الخلف. استدرت وجهي وإذا العقيد عاكف يقول ماذا تفعل؟ وأراد أن يمنعني من نزع المعطف فانسحبت من بين يديه ونزعت معطفي. وما اكتفيت بذلك بل رفعت سدارتي وهكذا بقيت بدون معطف وحاسر الرأس وصاحبي العقداء عاكف وأيدي كل منهما مرتدياً معطفه ويعلو رأسه سدارته أوخودته.

وصلنا بعقوبة ودخلنا إلى غرفة التجنيد وإذا برئيس اللجنة الملازم الأول منير مهيأ لضيوفه منقلة عامرة على أساس أن النار فاكهة الشتاء فتطفلت زيادة في المداعبة والتحدي مع صاحبي الكرنل فرجوت منير أن يأمر بإخراج المنقلة فأمر بإخراجها وما اكتفيت بذلك بل فتحت النافذة وصرت أتطلع إلى المساجين وأريته أن بين العراقيين يوجد من ينافسك إن لم أقل ما يبزّك. وبعد الانتهاء من التفتيش رجعنا إلى بغداد وهو بمعطفه وأنا بدونه. وهذه المداعبات وهذا التحدي في ذلك الوقت ومع شخص كالكرنل أيدى ذو المنزلة الرفيعة ما كان يقوم بها إلا قلائل كالراوي ولا كان يتقبلها برحابة صدر وروح رياضة إلا قلائل كالكرنل أيدي. ومرة قال

لي ما هذه رواة القرية الصغيرة أنجبت ثلاث بشوات – يعنيني وابن عمي جميل والسيد أحمد نجل الشيخ ابراهيم – وقامت بأعمـــال جريئة ضد الأتراك وضد الإنكليز وبالأخير ضد العراق؟ قلت له أن الراويين ذو نزعة استقلالية وهو يعرفهم جيداً إذ كان حاكماً عسكرياً في «عنه» أثناء الاحتلال وكان بقصد مداعبتي يقول لي من أين للرّاويين هذه البشرة البيضاء وزرقة العيون والشعر الأشقر؟ ربما يقصد أنهم ليسوا عرباً أقحاح ناسياً أو متناسياً إن سكنة الشمال دائماً بيض، بعكس أهل الجنوب ذوي البشرة السمراء، وذلك بالطبع من تأثير حرارة الشمس ولماذا أهالي سكنة خط الاستواء سود اليس من تأثير حرارة الشمس المحرقة؟ أنا شخصياً عندما بقيت في استانبول – أثناء دراستي العسكرية – صرت أكثر بياضاً ممّا كنت في بغداد ثم عند ذهابي إلى الحجـــاز وبقائي فيها حوالي الثمـــان سنوات صرت أكثر سمرة مما كنت في الهند.

نبذة من تدخلات الإنكليز ودسائسهم

بعد تخرجي من كلية الأركان عينت بمنصب مقدم لواء في المنطقة الجنوبية التي كان آمرها الفريق عبد اللطيف نوري، وفي تلك السنة كان الشيخ محمود – زعيم الأكراد المعروف – ثائراً وكان آمر المنطقة الشرقية خليل زكي قائماً بالحركات فطلب من دائرة الحركات أن يرسلوا اليه ضباطاً لمساعدته فأرسلتني وزارة الدفاع مع اثنين من الضباط هما: ابراهيم حمدي النائب وعباس فضلي فوصلنا «السليمانيّة» وكان اسماعيل حقي الاغا مقدم لواء المنطقة وحيث كنت أولاً أقدم منه وثانياً لأني ضابط ركن وهو ليس بضابط ركن فقد عينني خليل زكي بمنصب مقدم لواء للمنطقة الشرقية وأرسل ابراهيم حمدي كضابط ركن إلى أحد الأرتال وعين عباس فضلي لتدوير شئون الميرة بمقر المنطقة، وكانت الحركة من

دسائس الإنكليز إذ كانوا دائماً يشغلون الجيش بإخماد الثورات المحلية تارةً بثورة الشيخ محمود ، وآناً الشيخ خوّام ، وطوراً الشيخ أحمد البارزاني ، وبعضاً البزبديين وحيناً الأثوريين ، ليشغلو الجيش بمعارك جانبية ليحرموه من واجبه الأصلي وهو إحضار نفسه بالتدريب ليل نهار ليجاري جيوش العالم بالذود عن حياض الوطن في الملمّات وكذلك ليخلقوا الحزازات بين الطوائف وبين الملل والنحل ولتبقى خزينة الدولة خاوية على عروشها وليتحكّموا في مصير الدولة كما يشتهون . فشكّل خليل زكي ثلاث أرتال وهي : « وانكول » و « توكول » و « ثريكول » وكان رتلان أي وانكول وتوكول من كتائب الجيش أما الرتل الثالث فكان من خيّالة الشرطة وأن أمر الحركات لهذه الأرتال الثلاثة والتي عليها أن تتوجه لمحاصرة قوات الشيخ محمود والقضاء عليها على أن تساعدها الأرتال الباقية التي كانت تحت قيادة عبد الحميد الشالجي « شالكول » وأحمد رشدي «رشكول» ومجيد حسون « مجكول » أمر المحركات هذا فقد كتبته بيدي ، ولم يكن يعلم به أحد سوى خليل زكي الذي أمر بأصداره وحتى أن اسماعيل حقي الاغا الذي هو مساعدي ما كان ليعلم به . وزيادة في سريته لم يُبلّغ حتى إلى الحاج رمضان الذي كان عليه أن يتولى قيادة الأرتال الخيالة الثلاث التي ستتوجه لتطويق الشيخ محمود . وفي مساء ذلك اليوم ذهبت مع القائد لتوديع الأرتال ولتسليم أمر الحركات يداً بيد إلى الحاج رمضان . ذهبنا إلى محل التجمع في خارج البلدة فإذا بالأرتال متهيئة للحركة . وقفنا مع الحاج رمضان نتجاذب أطراف الحديث وكأننا لسنا في وضع معالجة أمر هام ، ولم يخبر خليل زكي الحاج رمضان بمضمون الأمر ويزوده بمعلومات تساعده لإنجاز مهمته الشاقة . فلمّا حلّ وقت الحركة سأل الحاج رمضان خليل زكي لقد حان وقت الحركة فهل أتحرّك؟ قال لـه لا انتظر قليلاً ، وبدأت الأمطار تهطل ، وأرتال الخيالة التي كان عددها ينوف على ١٥٠٠ خيال واقفة تحت الأمطار ومضى على وقت الحركة زمن

ليس باليسير وإذا بآمر المنطقة خليل زكي لم يصدر أمر الحركة إلى الحاج رمضان لماذا؟ لأن الإنكليز الثلاث الذين سيرافقون لم يحضروا بعد. وبعد استمرار هطول الأمطار كرر الحاج رمضان السؤال هل أتحرك؟ قال له لا. حينذاك تضايقت لآخر درجة وقلت لخليل زكي: سيدي لماذا لا تأمر الأرتال بالحركة وقد مضى على وقت الحركة أكثر من نصف ساعة وها أن الأمطار تهطل؟ إلاّ أن تحضر البرنيطة وتأمر بالحركة؟ ألم يعلموا هم بأمر الحركة؟ ولماذا تأخروا؟ وكان خليل زكي — رحمه الله — رجل محترماً ومؤدباً فلما سمع هـذا التحدي مني لم ينبس ببنت شفة لا أدري والله هل إنه قبل التحدي لأن ابن عمي جميل الراوي آنذاك هو وزير الدفاع؟ أم إنه رأى أني كنت محقاً بهذا التحدي؟ ولما علم الحاج رمضان أن ثلاث ضباط إنكليز سيرافقوه سأل خليل زكي: ما هـو موقفي مع هؤلاء الإنكليز؟ قال له «حاجي يعني أنت ما تعرف». السؤال من الحاج كان غريباً وليس بمحله، والجواب كان أغرب. عند ذاك أيضاً تطفلت وتداخلت وقلت إلى الحاجي: «حاج موقفك مع الإنكليز واضح حسب أوامر الجيش أي أنهم مستشاروك إن احتجت إلى المشورة وإنما أنت حر في اتباع مشورتهم أو عدم سماعها. إذ المسؤل لأول أنت شخصياً عن كل ما سيحدث». وبعد هذا الحوار حضر أبناء التيمس الثلاثة ولم يهتموا بالحضور بالوقت المحدد ولم يكلفوا أنفسهم بتقديم المعذرة لهذا التأخير. حينذاك وحينذاك فقط أخرج خليل زكي أمر الحركات من جيبه وأعطاه إلى الحاج رمضان بحضور الضباط الإنكليز ليريهم أنه لحد الآن لم يعطه إياه. هل انتبهت يا قارئي العزيز إلى مغازي هذه القصة الواقعية التي سردتها كما هي بدون زيادة أو نقصان؟ ولزيادة التوضيح أقول: في سنة ١٩٣٠ كان الإنكلـيز الكل في الكل فكانوا يفعلون ما يشائون، آخذين بنظر الاعتبار مصالحهم وخدمة امبراطورتهم. وكان العراقيون في أخذ وشد معهم بعضهم يماشونهم والبعض يصارحهم

وإناس ينافقون ويجاملون بل ويخونون ضمائرهم ويمشون بركابهم حتى النهاية والناس في حيرة من أمرهم إن ماشوهم يغضبوا الله والضمير ، وإن خالفوهم يغضبوهم وغضبهم ، غالي الثمن وفي موقفنا هذا هناك قوة ستتحرك لضرب متمرد مسند من قبل الإنكليز الذين تقضي مصالحهم بتطبيق قاعدة « فرق تسد » والمصلحة الوطنية تقضي بالقضاء على الحركة قبل استفحالها ، وآمر القوة — وهو الحاج رمضان — الذي سيذهب لتنفيذ خطة القمع لم يلق التشجيع اللازم إذ كان الواجب يقضي على خليل زكي أن يعلم الحاج رمضان بجلية الأمر قبل الحركة — مع العلم أن ما قام بـه خليل زكي وارد عسكرياً أي لم يخبر الحاج إلا عند الحركة عملاً بالقول المأثور « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » وهذا ما عمل الرسول عليه السلام فإنه أعطى أمراً مغلقاً إلى آمر السريّة وأمره أن لا يفتحه إلا بعد قطع مرحلة أو مرحلتين — ولكن الموقف هنا يختلف . هنا الإنكليز ذوي مصالح مخالفة لمصلحة البلد كان الأجدر بخليل زكي أن يعلم الحاج بالأمر ويوضحه قبل الوقت ، ويحذره من دسائس الإنكليز ومكائدهم لا أن :

١ — يؤخر حركة الرتل بعدما حان وقت الحركة .

٢ — يؤجل مرة آخر الحركة بعد هطول الأمطار وهذا مجرد أن الضباط الإنكليز لم يحضروا مع أن الواجب كان يقضي عليهـم أن يحضروا في الوقت المحدد .

٣ — لم يعط الجواب الشافي إلى الحاج عندما سأله عن موقفه مـع الإنكليز وأن يعلمه صراحة أنه هو المسؤل الأول وما هم إلا مستشارون .

٤ — لم يعطه أمر الحركة إلا بعد حضور الإنكليز الذين وصلـوا متأخرين وأوجبوا لبقاء ما يقارب ١٥٠٠ خيال تحت الأمطار فضلاً عن التأخر والوقت في مثل هذا الموقف من ذهب .

أنا لا أطعن في وطنية خليل زكي ، الرجل الذي قلت عنه أنه ضابط ركن قدير ومثقف ثقافة عسكرية وثقافة عامة جيدة وفي إدارته جدي ، ومحترم وغير متحيز ومؤدب ولكنه كان – رحمه الله – لا مناقشة بالأمثال وحاشاه « زمال بالكتاب » ما معنى هذا ؟ ذات يوم سألوا المفتي عبد الرحمن الملقب بالجلجلوتي وقالوا له : كيف وجدت شكري الألوسي ؟ فأجاب « زمال بالكتاب » الألوسي رحمه الله كان أجل من أن يوصف خاصة من قبل شخص كعبد الرحمن الجلجلوتي ! من هو عبد الرحمن ؟ لا يساوي قلامة ظفر بالنظر للعلامة شكري الألوسي ولكن من ناحية عدم المرونة والتقيد بالنصوص فإن الجلجلوتي ينفع بعلمه القليل أكثر من علامة عصره الألوسي .

لا يا مولانا خليل زكي الأمر خطير ، ولا بدّ له من معالجته حتى ولو اقتضت المعالجة بتضحية فيما إذا اقتضى وتغضب الإنكليز . فضلا عن انه كان في إمكانك أن تقوم بالأمر وتحترم مصلحة بلدك وترضي ضميرك بدون أن تغضب الإنكليز حسب القول المشهور « الغاية تبرر الواسطة » وذلك : باخبار الحاج رمضان قبل الوقت بالخطة صراحة وبدون أن يعلم الإنكليز وتشد أزره وتشجعه بكيفية تطبيق الخطة فلا يبقى مرتبكاً لا يعلم من الامر شيء إلاّ عندما تكون رجلاه بالركاب وآنذاك وآنذاك فقط وفي تلك الليلة الممطرة تجعله يفتح خريطته ليطبق ما جاء في أمر الحركات ويفتش عن المواقع بمشقة ويتحرك وهو لم يستوعب الهدف بعد كما يجب .

تحركت القوة ، وحصل الاصطدام بين الحاج والمشاورين الإنكليز ؟ إذ أن أمر الحركات يقضي أن يعقب الحاج الطريق الفلاني ، وأن التعليمات التي بيد الإنكليز تبين أن على القوة أن تعقب طريقاً آخر . فيصرّ الحاج الذي كنت سبق وقلت له أنه هو المسؤل عن كل ما يراه صالحاً وها أن الأمر الذي بيده يبين صراحةً أن يعقب الطريق الفلاني فعقبه غير ملتفت إلى اعتراض مشاوريه . وفي اليوم التالي حصل أيضاً اصطدام ثان شكى

الإنكليز بسببه الحاج رمضان إلى خليل زكي. وبدلاً من أن يشد هذا ازر صاحبه وبدون تحقيق إعاده إلى «السليمانية» وعين بدله اسماعيل نامق، وعندما وصل هذا بالأرتال إلى قرب المحل المقصود الذي كان المفروض أن يجدوا الشيخ محمود فيه وإذ «بالدار قفراً[1] والمزار بعيد» إذ سبق أن أخبروه حلفائه الإنكليز بالخبر قبل الحركة من السليمانية لئلا يقع في الفخ وينتصر الجيش العراقي. وهكذا وصل الحاج رمضان إلى السليمانية مغضوباً عليه؛ ولما كنت المسؤل أدبياً عما لحقه من أذى إذ كنت شجّعته على أن لا يرضخ لمشورة الانكليز إذا كانت في غير صالح الجيش وبالفعل سمع نصيحتي واصطدم بالانكليز الذين شكوه لدى خليل زكي، الذي سمع – ويا للأسف – شكواهم فصدقها بدون تحقيق وهذا ما جعلني لأجل أن أرفع الحيف عن الحاج أن أكتب كتاباً مفصلاً بكل ما حدث وكيف أن الإنكليز هم السبب المباشر الذين جعلوا الشيخ محمود يترك محله قبل أن يحاصره الجيش، وأن خليل زكي رضخ لهذه الشكوى الغادرة وغضب على الحاج رمضان الآن وهو في السليمانية شبه موقوف لمجرد أنه قام بواجبه العسكري خير قيام ولم يطاوع الإنكليز وقد أرسلت الكتاب هذا مع ضابط ليسلمه شخصياً بيد عبد اللطيف نوري الذي كان آنـذاك وكيل رئيس أركان الجيش، وبعد أن اطلع عليه سلمه بدوره إلى وزير الدفاع ابن عمي جميل الراوي، وجميل بدوره اطلع الملك فيصل عليه، فقامت حوله ضجة عظيمة في بغداد الأمر الذي أوجب أن يذهب وزير الدفاع بنفسه إلى السليمانية ليتأكد من صحة ما ذكرته في ذلك الكتاب. وصل وزير الدفاع وواجه خليل زكي والحاج رمضان واطلع بنفسه على كل شيء، وعند العودة إلى بغداد طلب من خليل زكي أن يصطحبني والحاج رمضان معه. وهكذا وصلنا بغداد والإنكليز مغتاظون مني أشد

---

(١) الدار قفرة والمزار بعيد مثل يضرب لاستحالة الأمر.

الغيظ حتى بعد الانتهاء من حركة الشيخ محمود مباشرة من قبل وزير الدفاع الذي حل القضية سلمياً . أراد الانكليز أن يثيروا أحمد البارزاني وأوعزوا إلى أولى الشأن في وزارة الدفاع أن يرشحوني أنا شخصياً لقمع الحركة البارزانية لينتقموا مني لما يعلموه من صلابة الشيخ أحمد ووعورة أراضيه وبينما أنا متهيء لما سيناط بي انتهت القضية بالتي هي أحسن إذ أن متصرف الموصل آنذاك عبد العزيز المظفر وقائد المنطقة بكر صدقي تفاهموا مع الشيخ أحمد وانتهى كل شيء بسلام . هكذا كان الإنكليز يحيكون الدسائس ويخلقــون المشاكل وكنا نكافحهم بصلابة معرضين أنفسنا لأشد المكاره وأن الله كان يعيننـــا لحسن نوايانا وهو نعم المولى ونعم النصير .

لعبة الكرة والصوبجان

هذه الرياضة أخذوها الإنكليز وغيرهم من الأوربيين من أسلافنا العرب الصيد الأشاوش ، حيث كانوا يمارسونها منذ كانوا في الأندلس . وبعد أن زالت دولة العرب وحكموا الأتراك عدة قرون ، اندرست هذه الرياضة الممتازة من بلادنا . فلما احتل الإنكليز العراق وصاروا المهيمنون على الجيش العراقي ، بعثوها من مرقدها وكنا نمارسها باستمرار حتى صرنا نبزهم فيها . وأذكر يوماً كنت متهيأ للذهاب للعب الكرة والصوبجان وإذ بوالدتي – رحمها الله – لشفقتها علي ولكونها لعبة خطرة أرادت أن تمنعني من ممارستها فقلت لها : كيف تريدنني أن أمتنع من ممارستها وهـــا أن زوجة الجنرال ديلي مفتش الجيش العراقي العام تحضر اللعبة لتتفرج عليها وزوجها يلعب وابنها الذي هو مرافق والده أيضاً يلعب وهي فخورة بمشاهدتهما ونحن عرب ومسلمون وإيماننا بالله أعظم من إيمانهم ، وأن الله يفضل العبد القوي على العبد الضعيف . وهذه اللعبة تكسبنا قوة ونشاطاً

ونحن العرب محتاجون إلى نساء لهن من الشجاعة أمثـــال ذات النطاقين « أسماء بنت أبا بكر » الصديق التي لم يملأ عينيها ابنها الفحل « عبدالله بن الزبير » حينما جاء ليودعها ليقاتل الحجاج قائد جيش عبدالملك بن مروان ، وعندما أرادت أن تضمه إلى صدرها رأته لابساً درعاً فقالت له : ما عهدي بك يا ابن الزبير جباناً قال لها : أخشى أن القوم بعد قتلي يمثلون بي . قالت : « لا يضير الشاة سلخ جلدها بعد ذبحها » إلى آخر الرواية المعروفة في التاريخ .

وأنت يا شبابنا من أبناء هذا الجيل الصاعد أثير فيك الحماسة لتهيء نفسك وتحصنها بالعلم وبالرياضة البدنية التي تجعل منك جسماً قوياً يتحمل المصاعب ، وتتبع القول المأثور « لا خير في امرىءٍ يعوقه الحر والبرد » ولا سيما في زماننا هذا ونحن نرى كيف أن الأممَ الغربية منها والشرقية يمتهنون الرياضة ويمارسونها باستمرار ، وأن إنكلترا وأميركا لم تعلنا التجنيد الإلزامي في بلديهما لإمكانياتهما ويشكلان جيوش متطوعة ولكن عندما أعلنت الحربان العالميتان الأولى والثانية كيف استطاعتا في مدة وجيزة أن يهيأ جيوشاً جرارة قوية . ذلك لأن ابنائهما لشدة ممارستهما الرياضة البدنية عندما يجندون جنوداً أو ضبّاطاً ويرسلوهم إلى شمال أفريقيا في عز الصيف وفي تلك الصحارى لقيادة الدبابات والمدرعات التي تغلي كالفرن ، بينما أنا وأنت من أهل البلاد الحارة نعيش داخل السراديب . وأذكر بهذه المناسبة أن ناظر كلية الأركان الجنرال الركن روثن روبنسون كان متقاعداً في جيشه لكبر سنه ، وكان أعصب وأعرج وكان يلعب الكرة والصوبلجان وكأنه ابن العشرين . هذه الأمم الحية عليها أن تعتني بأجساد شبانها من المهد إلى اللحد لتهيئهم لا لما ذكرته آنفاً حسب ، بل لتغزي بهم الفضاء والصعود إلى القمر والمريخ . وأحمد الله أننا الآن في العراق وكذلك في البلاد العربية الأخرى قد نبهنا لهذه الناحية وصار عندنا في كرة القدم وغيرهـــا لاعبون دوليون يشار اليهم بالبنان وحتى أن جمال عبد الناصر

وأخيراً جمهوريتنا أحدثت كل منهما وزارة لرعاية الشباب ليهيئوهم لتلك الملمات إذ أن الرياضة تكسب الشخص جسماً قوياً وخلقاً قويماً والإثنان ملازمان لبعضهما : وفي الحديث الشريف : العلم علمان علم الأبدان ثم علم الأديان وأن الذي لا يملك بدناً قوياً لا ينتفع منه دينه بل يكون عالة على نفسه وعلى قومه ونعيذ شبابنا من أمثال أولئك الخاملين الكسلانين . .

حياتي الرياضية

١ ـ كنت آمراً للفوج الرابع وعند عودتنا من قمع ثورة الأثوريين عسكرنا على شاطىء التراب الكبير فأنزلت الفوج بأجمعــه للسبح فيه وأنا معهم .

٢ ـ كنت آمر الكتيبة الثالثة فاستصحبها عصراً إلى نهر دجلة قرب المستشفى الجمهوري وأدخلها النهر بأجمعها من ضباط وجنود وخيل للسبح فيه .

٣ ـ أرسلتني الوزارة إلى «كركوك» لإمرة الفوج الرابع وبعد وصولي ببضعة أيام شكلت فرقتين للعبة الكرة والصولجان الأمر الذي أدهش الإنكليز هناك وخاصة رجال شركة النفط التي كانت لديها فرقتان تمارسان هذه اللعبة وقد شكلت هاتين الفرقتين من بعض آمري السرايا الذين كانوا في الخيالة منهم النقيب لطف‌الله فخري ، والنقيب مجيد ، وكذلك من آمر سرية النقلية كتلة اسماعيل حقي الاغا . فمن هؤلاء وضباط البطرية المدفعية واتصلت بشركة النفط وأخبرتهم بالأمر وصرنا نلعب معهم في التمارين وفي السباقات .

٤ ـ يوجد في كركوك ناديان : أحدهما عسكري والآخر مدني وهما مجاوران لبعضهما ولكن لا يوجد في أي منهما ساحة تنس فصرت وكيل

آمر منطقة ، لأن آمر المنطقة خليل زكي كان قد ذهب بالإجازة ، وكان المتصرف ابن عمي جميل الراوي فاستفدت من هذا الوضع وعملت ساحة تنس مشتركة يلعب فيها من يشاء من العسكريين والمدنيين وصرنا نلعب وكان عندي في الفوج الملازم الثاني علاء الدين محمود ــ اللواء الركن ــ والملازم الثاني حامد قطان ــ العميد الركن ــ والملازم الثاني جمال سعيد ــ ولكن أتعلم أيها القارىء عندما نذهب مثلاً إلى الحركات ونرجع نرى الساحة مملوءة بالثيّل لعدم ممارسة اللعب فيها .

٥ ــ ذهبت إلى السليمانية وإذا بالنادي الذي فيها خالياً من ساحة للتّنس أيضاً فعملت ساحة واشتريت قطناً وأعطيته لأهل السليمانيــة فغزلوه ، ثم أعطيت الغزل إلى جنودي أبناء الجنوب المتعودين على عمل الشباك التي يصيدوا فيها السمك فنسجوا لي شبكة وتسمى بالإنكليزية « نيت » وشرعنا في اللعب بالاشتراك وضابط الارتباط الانكليزي وزوجته .

٦ ــ تشكلت في السليمانية ثلاث فرق من الشرطة والمعارف والأهلين لكرة القدم فشكلت فرقة من الفوج من الضباط : علاء الدين ، حامد ، جمال ، سعد وصاحب المذكرات وستة من ضباط الصف والجنــود وكسبنا السباق وأنا برتبة عقيد وعمري آنذاك ٣٩ سنة وسلمني الكأس المتصرف أحمد توفيق .

٧ ــ ذهبت مع الفوج إلى « جبال هاورمان » وعسكرنا في المنطقة « كربايا » تتباعد من بعضها البعض تنوف على العشرة كيلومترات وكنت في كل شهر استصحب معي نائب المساعد جمال سعيد ، والطبيب سعيد الكاتب ، وأفتش السرايا راكباً حصاني في تلك القمم الشاهقة وعندما أكون في مقر الفوج وبعد التدريب آخذ الضباط وأذهب بهم إلى بركة ملآى بالمياه القارصة وآمر الضباط بالنزول والسبح فيهــا . وكان عنــدي مساعد الرائد سعيد فيقول لي سيدي (غير اموت إذا أسبح) فأقول له

المساعد من واجبه أن يتبع الأمر حيثما يذهب . فنزع ألبسته والضباط الآخرون يسبحون وبعد السبح بضع مرات صار سعيد هو الذي يطلب مني بإلحاح لنسبح ونحن في الهواء الطلق . هذا الذي كان يقول لي (غير أموت إذا أسبح) استساغها إذ كان خوفه في غير محله ولكن من حسن حظه هيأ الله له آمر فوج يشجعه على مثل هذه المغامرات .

٨ – ذهبت مع الفوج إلى « ديانه » و « راوندوزو » وكثيراً ما بعد التدريب اليومي اصطحب ضباط الفوج وأذهب بهم إلى نبع « جنديان[١] » بجوار رواندوز وهي عين ماء في جوف الجبل ملأى بمياه الثلوج ومحيطها حوالي ٥ م٢ و عمقها نحو المترين وإذا وضعت يدك فيها فمن الصعب أن تحسب من الواحد الى العشرة . واذا رميت فيها « الرقية » فانها تنفلق من شدة البرد . وعند وصولنا الى هذه العين كنت ادعو جميع الضباط للسبح فيها وكان طبيب الفوج احد اخواننـــا الحلبيين فقلت له : دكتور هيّا انزع واسبح قال لي : سيدي انا اعمل لكم الأكلة الفلانية . قلت : دكتور هيّا . قال سيدي اعمل لكم الحلوة الفلانية . ولما رأيته متردداً امرت ضابطين ان يرفعاه ويرمياه في العين بألبسته الكاملة وكان حاضراً هذه العملية رئيس بلدية راوندوز الذي اصبح اخيراً ممثلها في المجلس النيابي ويسكن في الدار الذي في سفح الجبل الذي فيها نبع جنديان قلت له : محمد علي كيف لو امرت ضابطين يرفعوك ويرموك في العين ؟ قال لي : انت آمر فوج تقدرْ ولكن اموت اذا امرت بذلك ، وكان عمره آنذاك نيف و ٥٠ سنة والراوي الذي من سكنة بغداد المعلومة درجة حرارتها يسبح في العين وعمره آنذاك ٤٠ سنة وهذا معناه ان الرياضة البدنية وممارستها تجعل ابن المنطقة الحارة يتحمل البرودة اكثر من ابن المنطقة المولود فيها . والذي يسكن في دار على بعد عشرات الياردات منها . وانا شخصياً عندما كنت اعوم فيها وباعتبار اني شافعي والامام الشافعي

---

(١) جنديان معناها عين الجن وهي في جوف الجبل .

يفرض على متبوعيه ان يقولوا « نويت اداء فرض الوضوء » عنـــد غسل وجوههم اقول بلا مبالغة كنت احاول ان اقول نويت اداء فرض الوضوء فان لساني لا يتحرك من شدة البرد ، وان جلدي من الزرقة بمكان ، والعين هذه داخل الكهف ولا ترى الشمس طيلة ايام السنة . واني سبحت في بلاد كثيرة من بلادنا وفي بلاد الغرب ، اي سبحت في بلادنا مثلاً ؛ في الزاب الكبير ، وفي الموصل اثناء نزول الثلوج فيها ، في شلالات « بيارة » و « طويلة » قرب « حلبجه » وفي شلال « بي خال » فوق راوندوز وفي « بشرّي » والأرز بلبنان . وفي الغرب : في فيينا ومياهها الباردة ، تأتي بالمواسير من أعلى قممها وفي برلين في الوقت الذي كانت درجة الحرارة ١٠ ـــ ١٥ تحت الصفر .

٩ ـ في سنة ١٩٤٤ عندما كنت في فيينا ، كنت على موعد مع صديقي فرج توما لزيارة يوسف سرسم وخليل عقراوي في بادن . وحسب عادتي بعد ان افيق من النوم وبينما كنت ازاول العاب رياضية سقطت ارضاً فتعورت لدرجة اريد النهوض فلم اتمكن الا بصعوبة وانا في هذه الحالة اتاني فرج واخذني الى البروفسور الذي امر بأخذ الاشعة وبالتالي وصف لي الذهاب الى الحمامات الساخنة . دخلنا الحمام واذا الجميع كلهم عراة بالزلط اي ربي كما خلقتني . لا وزره ولا هم يخزنون فجاريناهم لئلا نصير اضحوكة في نظرهم . بعد المداواة ذهبت الى غرفة فيها بخار شديد لدرجة ان الداخل اليها لا يستطيع المكوث فيها إلاّ اكثر من بضع ثوان اذ يتساقط العرق من جميع اطراف جسمه ، والرؤية معدومة فيها حتى ان الشخص لا يمكنه رؤية الشخص الذي يبعد عنه ياردا واحداً . أنا امكث فيها اكثر من المدة المقررة واخرج منها واذهب رأساً الى بركة كبيرة ماؤها كالماء المثلج وفي هذه البركة اسبح .

ذكرت هذه الامثلة وكان بامكاني اسطر غيرها واريك فيها ممارستي الالعاب الرياضية من ركوب خيل ، ولعب تنس ، وكرة قدم ، والكرة والصولجان ، وكرة المنضدة ، والسبح بالشط ، والمسيرات الطويلة لعشرات الكيلومترات

لاعوّد نفسي على الصعاب والمشقات وحيث « لا يكتمل ايمان احدكم حتى يحب لاخيه ما يحبه لنفسه » حسب قول الرسول ، كنت اعوّد اخواني الضباط والجنود على هذه المشقات لاجعلهم أعضاء نافعين الى هذا البلد ليخدمونه في الملمات ولنجاري الامم التي صارت ترسل ابناءها الى الفضاء بل واكثر من ذلك ترسل شخص من الجنس اللطيف للفضاء لتقوم بعمل شاق . وها ان امامنا اللقيطة اسرائيل تهيء ابناءها وبناتها لكل عمل شاق ، وهي تغلب سبع حكومات في سنة ١٩٤٨ وتغلب عشر حكومات في سنة ١٩٦٧ ، اذ الشعب كله مهيء رجالاً ونساء شيباً وشباناً صبياناً وكهولاً وتعويدهم على الأعمال الشاقة وتدريبهم لكل ما يقتضي للقيام بحرب مفاجيء وما يتبعها من استخبارات يقظة وشن دعايات سلبية وايجابية . وهذه اذكرها واكررها بقصد ان تكون الامة وخاصة جيشها المحبوب ليهيء نفسه ، ويهيء الشعب معه ليكون قدوة لجيوش امتنا العربية اذ الجيش العراقي هو من الجيوش التي تتطلع الامة العربية اليها وتطلب منه اكثر من غيره لما معروف عنه من خصال حميدة ورجولة وتضحيات هذا ما يجعلني اكرر للمرة العاشرة و حتى للمرة العشرين ان اصرخ واقول : **ايها الجيش المحبوب ابتعد عن السياسة** وهيء نفسك لمثل هذا المطلب لتتقدم في الطليعة لضرب اللقيطة ورميها في البحر ، والى النار وبئس القرار . هذا كل ما اريده من تعداد وذكر ما قمت به في الامثلة الآنفة الذكر لا بقصد المباهاة او التبجح - كما قلت - اذ ما يريد شخص مثلي ناف عمره وتجاوز على السبعين والحمد لله .

عودتي الى بغداد

في صيف سنة ١٩٢٣ وبينما كنت في « الطائف » رغبت العودة الى العراق الذي غبت عنه في نيسان سنة ١٩١٥ ولم تبقَ لي رغبة في البقاء في الحجاز لسببين : الاول : التحقنا الى الثورة لنحارب الاتراك ولنحصل على الاستقلال وننشيء جيشاً يكون خمرة الى جيش اوسع يسعى الى وحدة عربية شاملة

ومع اننا لم نحظ بالذي كنا نريده وحاربنا ولاقينا الصعاب من اجله لغدر حلفائنا خاصة الانكليز منهم ، ولكن هذا لا يمنع من استئناف الجهاد في سبيل تلك الامنية الغالية لهذا السبب انتفت الفائدة من بقائي في الحجاز لمدة اكثر ووجب ذهابي الى بغداد حيث مجال الخدمة اوسع وانفع . والسبب الثاني الذي جعلني اقرر الذهاب انه حصلت حادثة في « الطائف » اوجبت ذلك واليك خلاصتها :

عندما كنت في الطائف في سنة ١٩٢٣ كنت قائداً لقوة مشكّلة من لواء مشاة وبطرية جبلية وسرية رشاش ومراتب اخرى من صحية وغيرها . وكان ملحقاً بهذه القوة لواء هجانة ، وكنت تحت امرة امير المدينة المنـــورة الامير علي – كبير انجال الحسين – الذي كان آنذاك في الطائف لمراقبة الحوادث المنتظر وقوعها من قبل السلطان عبد العزيز وفي ذات ليلة وانا في « شبرة » التي تبعد عن الطائف نحو كيلومترين ، حيث يسكن الامير علي ، كنت أنا وصبري العزاوي وزير الدفاع والشريف شرف أمير الطائف نسهر كعادتنا عند الأمير وبعد انتهائها يرجع كل منا الى داره ، وبعد سهرة قصيرة دخلت الفراش واذ بالباب بعد هنيهة تطرق خرجت واذ العقيد عبد الجبار وهو مخمر على عادته وعاتبني لتوقيفي مراسله وطلب مني اطلاق سراحه فلم اوافق ولما ظهرت منه أوضاع تنافي الضبط العسكري فأمرت بارساله الى الثكنة وتوقيفه فيها . استيقظت صباحاً وذهبت توا الى « شبرة » لاعرض ما حدث الى الامير علي حيث ان العقيد عبد الجبار – وهو من باب الشيخ وكان برتبة نقيب في الجيش التركي اذ تخرج من الكلية العسكرية التركية قبلي بحوالي العشر سنوات ولكن هو كان برتبة عقيد وانا برتبة عميد – انا كنت آمره باعتباره قائد لواء الهجانة الملحق بجحفل اللواء الذي كنت آمره ، وعندما وصفت الحادثة الى الامير رأيته ممتعضاً لأن عبد الجبار كان في الوقت نفسه يشغل منصب المرافق الاقدم لسموه ، وسبق ان اوعز الي ان لا اقاصص عبدالجبار قبل إخباره ، وكان من اللياقة او من اللازم ان استأذنه قبل اقدامي على توقيفه . فرجعت الى الثكنة واذ عند وصولي اليها اصدر وزير الدفاع صبري العزاوي الذي تلقى امراً

هاتفياً من الامير بتوقيفي . وحيث ان صبري عدا انه بغدادي ، كان صديقي لآخر درجة فقد خصص لي غرفة الى جانب غرفته ومتوفر فيها كل شيء وقضيت ليلتي فيها ولكني استصعبت الامر للغاية إذ هذه اول عقوبة اراها في حياتي العسكرية التي دامت منذ دخلت الرشدية العسكرية في سنة ١٩٠٦ حتى تموز سنة ١٩٤١ التي احلت فيها الى التقاعد ، اي قرابة ٣٥ سنة ، وبينما أنا متأثراً من هذه المعاملة غير المتوقعة واذ بالحسين بن علي يسمع بالامر على جليته فأمر ولي عهده الأمير علي ان يخلي سبيلي حالاً ولم يكتف بذلك بل وجه لي وسام النهضة من الدرجة الثانية – اذ كنت احمل الثالثة – معنى هذا ان الحسين انتصر للحق خلافاً لرغبة نجله . وبعد هذه الحادثة كتبت الى الامير زيد وهو في بغداد ورجوته ان يطلبني بأي حجة كانت فطلب من والده ذلك وبينما وانا في « شبرة » عند الامير علي واذا بالحسين يكلم نجله الامير علي من جدة ويقول له : ان زيد طلب الراوي انت ماذا تقول ؟ فأخبرني الامير ومع انه كان في قرارة نفسه يريد ذهابي ولكنه اظهر انه لا يوافق فسكت خجلاً ، وهكذا اخبر والده الحسين انه لا يوافق وفي اليوم التالي كتبت الى الامير زيد ورجوته ان يكرر الطلب ، وهكذا كرر الطلب مشكوراً فاضطر الامير علي – اثر هذا الالحاح – ان يوافق ويسمح بمغادرتي الحجاز والذهاب الى بغداد فأتيت مكة المكرمة وذهبت لمواجهة الحسين لاشكره على تكرمه بتوجيهه وسام النهضة من الدرجة الثانية لي فقال رحمة الله عليه بالحرف الواحد : « يا ابني يا ابني هذا انت تزيّنه ما هو الذي يزيّنك ، يا ابني الوسام هذا كليل – يقصد قليل – بحقك ، يا ابني انا احبك مثل اولادي الأربعة » فشكرته على ذلك واراد ان يلطفني اكثر فقال : اريد ان تبقى واعملك قائد مكة مع ترفيعك الى رتبة فريق – اذ العادة المتبعة آنذاك في الجيش الحجازي الترفيع من عميد الى فريق لا الى امير لواء – فقلت سيّدنا شكراً ولكن الامير زيد طلبني ولا بد من ذهابي . فقال : يا ابني زيد الذي طلبك هو سيأتي الى مكة . قلت لجلالته اذاً عندما يأتي الامير زيد الى مكة انا آتي بمعيته .

قال اذاً انا معبّي لك – يقصد محتفظ لك – قيادة مكة فشكرته على عطفه وخرجت فأمر ان يحجز لي في الباخرة التي ستتوجه من جده الى البصرة مقاعد لاحد عشر شخصاً – وهم افراد عائلتي – وهكذا تركت مكة واتيت الى جده وعندما كنت في الطائف كان اهداني الشريف شاكر فرساً اصيلة اسمها الشنينه وهي كحيلة العجوز كان قد اشتراها بـ ١٠٥ ليرات عثمانية ذهب من سورية قبل الحرب العالمية الاولى وهذه الهدية الثمينة يعز على الشخص ان يهديها الى شقيقه ولكن شاكر رحمه الله كانت تربطني به صداقة قوية.

رغبت استصحاب فرسي هذه التي احبها كثيراً لاصالتها ولأنها هدية من صديق اكثر من عزيز، وهذا الاستصحاب اؤاخذ عليه ادبياً اي «كناقل التمر الى هجر» اذ ليس من المستحسن ان استصحب معي فرساً من الحجاز المفتقر الى الخيل، الى العراق المملوء بأمثالها. هذا من جهة ومن جهة اخرى كان الامير علي يرغب كثيراً ان اهديها الى سموه. ويعوضني المبلغ المحترم بدلاً منها واذا بربان الباخرة يمنع ركوبها بحجة ان الباخرة شاحنة ما يقارب ١٣٠٠ حاج ولا يجوز اركاب الخيل فيها فذهبت الى قائمقام جدة الحاج عبد الله زينل الذي هو صديقي ورجوته ان يكلم الربان بخصوصها فأرسل عليه بصفته مساهماً في الشركة صاحبة الباخرة وقال له: ارجوك ان تعتبرها فرسي الشخصي وتركبها الباخرة، فأبى ذلك متمسكاً بالاوامر التي معه وهكذا اعطيتها الى ابن عمي جميل الذي علمت مؤخراً انه اهداها الى الامير علي.

ركبت الباخرة وكان فيها – عدا الحجاج – الشيخ مهدي الخالصي المجتهد الكبير ومن زعماء ثورة عام ١٩٢٠ البارزين وكان رحمه الله في الكاظمية وارادت الحكومة ان تجري انتخابات وكان احد المعارضين فأبعده عبد المحسن السعدون بحجة تأدية فريضة الحج وارسل برفقته مدير شرطة الكاظمية السيد احمد الراوي فحصلت لي شرف الرفقة مع سماحته ولكنه نزل في «ابو شهر» لزيارة الامام الرضى في خراسان وتوفي فيها. واصلنا سيرنا الى البصرة ومنها الى بغداد وفي اليوم التالي ذهبت لمواجهة الملك فيصل والامير زيد للسلام عليهما وكانت معي هدية الى كل منهما من «مكة المكرمة» عقال مقصب مع صماده اي غتره حرير وبما ان الامير زيد كانت لي صحبة معه منذ تموز سنة ١٩١٦

وها نحن الآن في تشرين الثاني سنة ١٩٢٣ ، فضلاً عن هذا اشتغلت كآمر فوج ملحق بقوته غير النظامية وبما ان الشيء بالشيء يذكر اذكر نكتة وقعت آنذاك : وهي بعد خروجي من مكة بمعيته وكنا معسكرين في « القضيمة » التي كانت تبعد عن مكة مرحلة واحدة ، واذ في المساء ونحن نتعشى سوية واذا بسموه يسألني : ابراهيم هل تعرف الخضرة هذه التي تأكل منها الآن ؟ قلت نعم سيدي اعتقد انها دبّه — اي يقطين — فضحك وقال هذه ليست دبّه بل قشور الحبحب — اي قشور الرقّي — اذ في الحجاز يسمّون الرقي حبحب واليقطين دبّه والبطّيخ خربز — محرفة من قاربوز التركية — فضحكنا[1] وان الامير زيد كان عمره آنذاك حوالي ١٩ سنة وكان جميل الصورة لدرجة كانت فتيان مكّة يتغزّلن به . نعم الامير المدلل نجل الحسين ابا الثورة بالأمس يغادر مكة ويعسكر في القضيمة التي لا تبعد عن مكة إلاّ مرحلة واحدة في طريقنا الى رابغ لمعاونة الامير علي للقبض على حسين بن مبيريك امير عشيرة حرب الضالع مع الاتراك ، والخارج على بني قومه واذا بالخضرة التي يتعشى بها قشور حبحب ونحن لم نزل في بدء الثورة . من هذا يفهم كيف كانت المعيشة صعبة وكيف اننا سنقضي الايام المقبلة في ضنكٍ تحت الخيام ؟ ونحن اذ ذاك في شهر آب اللهاب فكيف به اذا كان في صحاري الحجاز القاحلة وتحت الخيام المهلهلة ؟ ولا تفهم يا قارئي العزيز اني اشكو او اتبرم بالعكس ذكرتها ولاريك اننا التحقنا وكلنا آمال كامرىء القيس الذي قال :

« نحاول ملكاً او نموت فنعذرا »

اذ كيف اننا غادرنا « سمر بور » بالهند ونحن كنا في ارغد عيش ، والانكليز متكفلون باعطائنا الرواتب ، وبايصال مكاتيبنا الى اهلينا بانتظام ، وانهم مجبورون

---

(١) يظهر أن الألمان لا يعرفون (الرّقي) فقد حدث — وأنا في برلين سنة ١٩٤٣ — أن جيء للدكتور محمد حسن سلمان برقية من إيتاليا فدفعها الى الخادمة لتهيئتها للأكل وإذا بها تسلقها بقشورها — كما تسلق البطاطا — وتجيء بها مسلوقة في صحن كبير .

ومرة أخرى أعطى الدكتور رشاد الديري رقية الى خادمته لتهيئها للأكل وإذا بها ترمي اللب في المزبلة وتأتي بقشورها منظفة في وعاء ليأكله الحضار « ولله في خلقه شؤون » .

على ايصالنا الى دورنا في نهاية الحرب . اقول نترك هذه الحياة الآمنة المطمئنة ونأتي الى الحجاز وهذه حالته كما وصفتها لك ، ونعيش مع البدو ونحارب الجندي التركي الشجاع في دفاعه وهجومه واذا ما تلقى الاتراك اي خبر عنا يعاملون اهلينا شر معاملة من سلب ونهب ، حيث كانت بغداد لا تزال بيدهم . واذا قدر ووقع احدنا اسيراً فهل يعاملوننا كأسرى حرب ؟ لا والله كيف يعاملوننا اسرى وهم يعتبروننا اننا منشقون عليهم خارجين على طاعة سلطانهم وخليفتهم راغبين الانفصال عنهم ؟ ولذا اقل جزائنا الشنق ان لم اقل يشفعوه بالتشهير .

بعد خروجي من عند الملك فيصل – بعد السلام عليه وتقديمي الهدية – دخلت على الامير زيد وبعد التحية وتقديم الهدية قال : انا مستعد لتعيينك في وظيفة عسكرية او مدنية فشكرته وخرجت وانا لا ازال لابساً العقال المقصب والغترة الحرير وواضعاً على اكتافي التاج وثلاث نجوم « رتبة عميد في الجيش الحجازي » واذ برئيس اركان الجيش نوري السعيد يتلقاني وهو خارج من عند الملك فيصل فأخذني في سيارته وذهب بي رأساً الى دار التدريب اذ شوقني على الدخول في الجيش وانه في المستقبل يبعثني الى لندن والى ... الخ هذا بعد ما رأى رغبة مني للجندية وعزوفي عن الوظائف المدنية وصادف في الاسبوع نفسه كانت الدورة مفتوحة ، وهي دورة يدخلها كل ضابط يرغب الانتساب الى الجيش حيث ان نمط تدريبنا سابقاً في الجيش العثماني كان على الطريقة الالمانية وهذه تختلف عن الطريقة الانكليزية ولذا ففي بدء تشكيل الجيش اخذ الضباط بما فيهم جعفر ونوري دخلوا فيها وكانوا المعلمون ضباط صف انكليز ثم دخلت الدورة وفي اليوم التالي وإذا بالراوي الذي كان برتبة عميد في الجيش الحجازي ، يصبح في الجيش العراقي برتبة نقيب اي طيروا منه التاج وابقوا له النجوم الثلاث . وحيث لا يوجد له محل شاغر يعين فيه دخل الدورة براتب جندي وهو عشرة او خمسة عشر ربية وعندما علم بذلك الملك استغرب واستعظم . قال لي : كيف قبلت بهذا ؟ قلت لجلالته : سيدي

نحن ما خدمنا في الحجاز بقصد المناصب بل خدمنا لغاية ولمبدأ ، والرتب مثل ما اتت سابقاً ستأتي لاحقاً . كيف لا يستغرب الملك هذه التضحية وهو كان مستعد ان يعين الراوي ان لم يكن بمنصب متصرف فأقل تقدير بمنصب قائمقام قضاء ، إذ ان علي جودة وجميل المدفعي ومولود مخلص وامثالهم الذين كانوا عقداء او عمداء في الجيش الحجازي او السوري اصبح كل منهم متصرفاً او وزيراً ولكن رجحت ان اقبل التصفية واكون نقيباً في الجيش لأني كنت اتعشق الجندية اولاً ثم لو اكون متصرفاً او قائمقاماً وطلب مني في تلك الايام التي كانت الانتخاب للمجلس التأسيسي على وشك واذا أكون آنذاك في الديوانية او الشامية او في ابو صيخر او الناصرية وطلبوا مني ان ينتخب من كان ضالعاً في ركاب الانكليز وانا ارغب كل الرغبة ان يكون النائب الذي يمثل رغبات الامة امثال : عبدالواحد الحاج سكر او علوان الياسري او عبد السادة او عبد المحسن ابو طبيخ او السيد نور الياسري وامثالهم الصيد الاشاوس الذين تزعموا ثورة سنة ١٩٢٠ واعطوا بني ساكسون درساً قاسياً ماذا كان موقفي آنذاك ؟ لا شك اني سأرتطم بالمفتش الاداري الانكليزي الذي يرغب بمساعدة من كان ماشياً في ركابه .

ارجع الى حديثنا . دخلت الدورة براتب جندي مشاة ، وبعد شهرين فتحت دورة الخيالة فالتحقت بها مع اخواني الفرسان امثال : احمد حقي جبارة ، اسماعيل حقي الآغا ، حسين فوزي والدكتور مهدي فوزي وفؤاد فوزي وعبد الوهاب والد جميل عبد الوهاب ، وعبد الهادي ، وحسين ناصرة وآخرون وبينما كنت تلميذاً في الدورة عينوني كآمر سرية في الكتيبة الثالثة الذي كان آمرها الحاج رمضان . وبعد مضي سبعة اشهر من دورتين المشاة والخيالة تخرجت واراد نوري ان يعينني آمراً للانضباط العسكري فرفضت فاستغرب كيف أني أرفض وظيفة مقرها في بغداد قلت له : اني لا ارغب ان اجلس على الكرسي من الآن اولاً اريد ان اطبق ما تعلمته في دورتي المشاة والخيالة ، وثانياً لاهيء نفسي للامتحان الذي سأدخله للمناصب التي سأترفع

اليها . اذ كانت العادة المتبعة ـ آنذاك ولا تزال ـ هي ان الضابط من الملازم الثاني حتى الرائد لا يستحق الترفيع ما لم يجتاز الامتحان للمنصب الذي سيرفع اليه . وعند ذاك عينني نوري مشكوراً الى إمرة الحرس الملكي وكان الحرس حينذاك مؤلفاً من سرية خيالة وفصيل مشاة لأني سأتمكن عملياً من تطبيق ما تعلمته نظرياً وكان آمروا الرعابل وقتذاك : الملازم الثاني جميل قبطان والملازم الثاني عبد الله الطيار والملازم الثاني اسماعيل كتخذا . واما آمر فصيل المشاة كان الملازم الثاني مظفر الدين ابراهيم فاشتغلت في امرة الحرس سنة واحدة ثم نقلت سنة ١٩٢٥ الى وظيفة ضابط ركن في الادارة وفي آب سنة ١٩٢٥ ترقيت لرتبة قائد وبعد ثلاث سنوات اي في آب سنة ١٩٢٨ ترفعت لمنصب مقدم ، وفي حزيران سنة ١٩٢٩ فتحت اول دورة لكلية الاركان واعلنوا شروط القبول فيها ، ومنها شرط يمنع قبولي حيث ان لا يكون المرشح قد مضى على تخرجه من الكلية العسكرية التركية اكثر من ١٢ سنة . وحيث اني كنت تخرجت في ٣٠ تموز سنة ١٩١٤ اي مضى على تخرجي ١٥ سنة ولما كنت احد المرموقين في وزارة الدفاع لأن نوري كان يرعاني والانكليز يقدرون مواهبي ، اقترحت على مدير الادارة العميد حميد ـ والد العميد محي الدين حميد ـ ومعاونه العقيد عبد اللطيف نوري الذي كان مسموع الكلمة عند العراقيين والانكليز معاً . اقول اقترحت على مدير الادارة ومعاونه ان يقترحا على وزير الدفاع : ان يكون المرشح عمره لا يتجاوز ٣٥ سنة اذ لو تمسكت وزارة الدفاع بالشرط الذي اشترطته وهو أن لا يكون المتخرج من الكلية أكثر من ١٢ سنة لما حصلوا على ضباط ذو ثقافة جيدة لأن الكلية العسكرية التركية التي تخرجنا نحن منها في ٣٠ تموز سنة ١٩١٤ اغلقت على اثر اعلان النفير العام في ٣ آب سنة ١٩١٤ وصاروا يدربون الصفوف الاعدادية في دورات قصيرة لاربع او لستة اشهر يخرجوا فيها « ضابط ناميزدي » اي برتبة رأس عرفاء « او ضابط وكيلي » اي نائب ضابط . معنى هذا بعد صفنا لم يتخرج ضابط من الكلية درس فيها ثلاث سنوات وتخرج ذو ثقافة عالية ولهذه

الاسباب مجتمعة قبل الاقتراح ونجحت في الامتحان وخاصة بالشخصية ١٠٠٪ وقبل معي في الدورة ١٥ ضابطاً تخرجنا منها كما يلي :

الرائد حميد نصرة ، النقيب نور الدين محمود ، النقيب قاسم شكري ، النقيب شاكر الوادي ، الملازم الاول اسماعيل صفوة ، الملازم الاول بدري اسماعيل وصاحب المذكرات بدرجة جيدة .

الرائد محمود الشهواني ، النقيب امين خاكي ، النقيب مظفر ابراهيم ، النقيب ابراهيم حمدي بدرجة كفؤ ، الرائد سليم اعظمية ، النقيب نعيم الياس ، الملازم الاول حمدي حسين ، الملازم الاول ابراهيم خليل لم ينجحوا . اما الملازم الاول سعيد سلمان فقد توفي خلال الدورة وكان من خيرة الضباط رحمه الله .

وكان معلموا الدورة : الآمر المقدم صبيح نجيب ، وكان من خيرة ضباط الجيش العراقي ، وكان الاول في صفه في الرشدية والاعدادي العسكري والحربية ، وحيث تخرج في سنة ١٩١٢ لم يتمكن من الدخول في كلية الاركان التركية بمناسبة اعلان حروب البلقان في سنى ٩١٢ و ٩١٣ والحرب العالمية الاولى في سنة ١٩١٤ ومع كونه لم يتخرج من كلية الاركان التركية فقد رشحته وزارة الدفاع لآمرية كلية الاركان مع وجود كثيرين من ضباط الركن المتخرجين من كلية الاركان التركية امثال : نظيف الشاوي، بكر صدقي ، حسين فوزي ، توفيق وهبي وامين العمري .

اما المعلمون الباقون في الدورة وهم : المقدم الركن امين العمري . والمقدم سليمان فتاح ، والمقدم بهجة صالح . وهم من خيرة الضباط . تخرجت من كلية الاركان ووزعونا على الوحدات .

وبعد بضعة اسابيع اتصل رئيس اركان الجيش طه الهاشمي بآمر المنطقة عبد اللطيف نوري هاتفياً طالباً اليه ان يرسل مقدم لواء المنطقة ابراهيم الراوي غداً لمواجهته ، وحيث كنت وابن عمي جميل الراوي الذي كان آنذاك وزيراً

للدفاع في دار واحدة ، سألته عما يريده الهاشمي ؟ فقال : سيكلفك بامرة القوة الجوية . قلت له انت ما هو رأيك ؟ قال من رأيي ان لا تقبل . فاستغربت ذلك ان لم اقل استنكرت ذلك . انّ طه كلف شاكر الوادي فرفض – ولكن الوادي لما كلف ان يكون المرافق الاقدم للملك فيصل قبل حالاً – طيب شاكر الوادي رفض، ابراهيم الراوي سيرفض، ربما سيكلف ثالث وسيرفض، فماذا يعمل طه ؟ هل سيأتي بروسي او بانكليزي او بافرنسي او غيرهم من الاجانب فيكون له آمر قوة جوية ؟. عجيب والله نحن المسلمون الذين نقرأ بقرآننا الآيات الكريمة امثال : « اذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعةً ولا يستقدمون » « ولكل اجلٍ كتاب » و « اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة » . أيجوز ان نخشى امتطاء الجو وابناء الامم الاخرى من مسيحيين ويهود وحتى من وثنيين يتسابقون افواجاً افواجاً الى امتطائه ؟ لا ورب الكعبة لا يجوز ان نجبن وعليه قررت ان اقبل تكليف طه حالاً . وفي اليوم التالي ذهبت اليه فكلفني وباشرت بالتدريب وكان معلمي ضابطاً انكليزي ، وحلقت ما ينوف على ٢٠ ساعة وصرت ارتقي بالطائرة وانزل بها في مطار الجولاء الضيق . ولأسباب لا استحسن ذكرها يعرفها المرحوم محمد علي جواد ، وكان هذا آمراً للقوة ، لم يتم تعييني . والخير في ما اختاره الله . بهذه المناسبة اذكر حادثة وقعت في اوائل ايام تدريبي كدت انا والمعلم الانكليزي نذهب الى عالم الخلود وهي : لم نكد نرتفع الى علو ١٠٠ – ١٥٠ يارد واذا بمحرك الطائرة يتوقف . وفي حالة مثل هذه لو عندنا مرتفع كافٍ مثل الف يارد او اكثر لكان في امكاننا ان نتحرّى السبب ونعالجه ونستمر على الطيران ولكن بما ان ارتفاعنا لم يكن الا في حدود ١٠٠ – ١٥٠ يارد فلم نتمكن من التحرّي على سبب توقف المحرك . والمعلم قبل ان يقول لي بالهاتف « I got it » اخذ القيادة وعمل مخالفات اولاً نزل بالطائرة في المحل الذي طرنا منه ، وهذا خلاف قوانين السّير اي الـ « trafic » والمخالفة الثانية نزل مع الرّيح في الوقت الذي تقضي قوانين الطيران النزول ضدّ الريح . وهكذا خلصنا من

من كارثة مميتة وعند هبوطنا فحصنا العلّة فوجدنا ان البنزين مقفول . لا ادري انا او المعلم قفله او بالاصل كان مقفولاً ففتحناه وصعدنا ثانية واكملنا تمريننا .

استمريت في الخدمة في منصب مقدمية لواء المنطقة الجنوبية لغاية ٢٣ ايلول سنة ١٩٣٢ اذ عينت آمراً للفوج الرابع في «كزكوك» ثم اشتركت في حركات تأديب الاشوريين سنة ١٩٣٣ وكنت في رتل امين زكي في «باسينكي بالا» وتسلقت جبل «بي خير» بالطريقة التي فعلتها سابقاً ، ثم عدت الى كركوك وذهبت مع الفوج في سنة ١٩٣٤ الى «السليمانية ومنها الى جبال «هاورمان» للقبض على جعفر سلطان ، الفار من الحكومة الايرانية ، وبعدها عدت مع الفوج الى بغداد . وفي اوائل سنة ١٩٣٥ تسلمت قيادة الكتيبة الثالثة ولم يمض شهران حتى تلقيت امراً في ٢٥ نيسان سنة ١٩٣٥ بالحركة لقمع حركة الشيخ خوّام، وبعد قمعها عدت الى بغداد . وفي سنة ١٩٣٦ قامت ثورة في الجنوب فذهبنا نقمعها وكان آمر الرتل العميد امين زكي .

وفي عام ١٩٣٥ لما اراد عبد الواحد الحاج سكر ان يقوم بحركة هوّسوا جماعته : «زم بحر وحيّد شيروفه» ؟ اي طغى بحر عبد الواحد فأي شيء يسده او يمنع طغيانه ؟ وكذلك عندما قام خوّام بحركة في عين السنة هوّسوا جماعته : «يا هو انتعشاه يا خويّم» اي مستهينين بالقوة المتوجهة الى تأديبهم وزاهدين فيما لديها من اسلحة وعتاد فقالوا : اي شيء نتعشاه يا خوّام ؟ وعندما قام رشيد علي بحركة مايس سنة ٤١ هوّسوا : «بس لا يتعلق بأمريكه» اي الانكليز اذا لم يستنجدوا بأمريكه كما سبق واستنجدت بهم في الحربين العالميتين فهم مغلوبون لا محالة . وهكذا انتهت هذه الحركة كما انتهت اخواتٍ لها من قبل بانتصار الجيش العراقي المقدام ولكن الى متى ايها الانكليز تلعب دسائسكم بتحريك هذه الدّمى الساذجة من عرب ، واكراد ، وآشوريين ، ويزيدين وتخرجوهم من طاعة حكومتهم التي تكن لهم كل محبة وعطف ؟ وبدلاً من ان يؤازروها تثوّروهم عليها لتصرف كل ما في خزانتها من وفر وليعيقوها من تطبيق خطتها الاصلاحيّة لتعمير البلاد وتثقيفها ولتشغلوا

الجيش بقمع هذه الثورات لئلا يجد وقتاً يتدرب فيه ويهيء نفسه لواجبه الاصلي من تجهيز وتثقيف وحضور التمرينات ليكون سياجاً حصيناً لوطنه المفدّى، ولتخلقوا الحزازات والطائفية و ... الخ؟. ولكن «على نفسها جنت براقش» هذا الجيش الذي ارادت تلهيه عن واجبه بهذه التمردات، اراد ان يعطي لها نهاية، ولذا بعد عودته من هذه الحركة الاخيرة بشهرين او ثلاث، وعلى وجه التحديد في ٢٩ تشرين الاول سنة ٣٦ قام بحركة انقلاب الفريق بكر صدقي الذي اصبح سيد الموقف وباشر بتدريب الجيش وتجهيزه وتثقيفه وتسليحه بطيارات «سافويا» من ايطاليا، ومدافع ضد الجو من المانيا، واسلحة على اختلاف انواعها من جيكوسلوفاكيا وها ان الذين تولّوا قيادة الجيش – بعد مقتله – ساروا على خطته واشتروا انواع الاسلحة من «جيكوسلوفاكيا» وصاروا يهيئوا انفسهم ليخرجوكم ايها الانكليز من هذا البلد الذي انختم عليه بكلكلكم وليذيقوكم الامرّين، ولكن لاسباب لا موجب لذكرها لم يحالفهم النصر، فاذقتوهم انتم الامرّين من اعدام، وسجن، ونفي، ومصادرة اموال منقولة وغير منقولة، ومن ثم – وهو بيت القصيد – اردتم قص اجنحته لئلا يقوم بحركة مماثلة في المستقبل فأتيتم بالجنرال رينتن وبواسطة وزير الدفاع اسماعيل نامق الذي بايعاز من اسياده عبد الاله ونوري قمتم بتقليص الجيش، ولولا ان الشهم تحسين علي الذي تولى وزارة الدفاع ووقف وقفته المعلومة اذ طلب منه عبد الاله بناءً على تقرير من رينتن: «الغـاء فرقتين واحالة ٤٠٠ ضابط الى التقاعد ولكنه ابى الاصغاء لهذا الامر المجحف بحق الجيش، وذهب الى «سرسنك» مستصحباً رئيس اركان الجيش واسماعيل صفوة ورفيق عارف وصار يحاجج الوصي بوخامة العاقبة فيما اذا وافق على الاقتراح وحيث كان عبد الاله مصراً على تنفيذ ما يريده الانكليز من اضعاف، بل وتشفٍ من هذا الجيش الذي اقصاه عن منصب الوصاية في مايس سنة ١٩٤١ وعندما رأى تحسين هذا الاصرار المخالف للمصلحة العامة، قدم استقالته جزاه الله الف خير، قاتلكم الله واخزاكم ايها الانكليز للؤمكم

وهذه دلائل امامنا، اذ ثورة المليون شهيد في الجزائر، وثورة كوريا وديان بيان فو، وثورة الابطال الفيتناميين وهم منتصرون على اكبر دولة في العالم وكبدوهم خسائر في الاموال والارواح اكثر مما خسروا في الحربين العالميتين الاولى والثانية لا تقاس واللقيطة اسرائيل بأميركا وعظمتها وكذلك الشعب الفيتنامي بملايينه العشرين يمشي على خطى الشعب العربي بملايينهم المائة إنشاء الله وانهم سينتصرون باذن الله طالما انهم شخصوا الداء وذلك بالسير على الطريق الصحيح الذي كان عليهم ان ينتهجوه منذ عشرين سنة، اي بعد حرب سنة ١٩٤٨ . على كلٍ فان العشرين سنة لا تقاس في حياة الامم فقد احتل الصليبيون من قبل بيت المقدس وبقوا فيه اكثر من مائة سنة ثم اخرجهم منها البطل المسلم المؤمن صلاح الدين ولعل الله يهيء لهذه الأمة بصلاح الدين ثانٍ بعد هذا الوعي الذي شمل الامة العربية من محيطها الهادر الى خليجها الثائر، ويطهر البلاد من ارجاس الصهاينة الذين دنسوها وتنكروا لكل القيم الانسانية، وها ان الرأي العام العالمي بعد ماكان يمالىء باطلهم أصبح يميل الى جانب حق العرب لما ارتكبته اسرائيل من الجرائم الوحشية من قتل وتشريد وتنديد واستعمال قنابل النابالم، وهجومهم الغادر على مطار بيروت الدولي وما احدثوا فيه من تدمير وتخريب وحرق، مما جعل رئيس جمهورية فرنسا شارل ديغول ان يفرض عليهم حظر الاسلحة وقطع الغيار — وهم بأشد الحاجة اليها لأن معظم اسلحتهم فرنسية — وهذا كسب للعرب غير قليل اذ كان قبلاً الشرق والغرب يمالئان اسرائيل بعد ان كان الشرق والغرب يحسبان الف حساب لوحدة العرب ووحدتهم اذ لكل منهم مطامع ومصالح في بلاد العرب الغنية بخيراتها، ولا سيما ببترولها ومعادنها الكبريتية، لذلك هي مخزن عالمي لما فيها من حبوب وتمور وفواكه وو ...الخ فضلاً عن ان موقعها السوقي الاستراتيجي والجغرافي جعلها ملتقى ثلاث قارات: افريقيا واوروبا وآسيا، وتظل على البحور العالمية من الهندي والاطلسي والاحمر والابيض وتتحكم بالممر المائي العالمي قناة السويس وفيها النيل والفراتان فضلاً عن الروافد الاخرى

التي لا تدخل تحت حصر، وتتحكم في طرف مواصلات عالمية من برية ومائية وجوية، وهذه البلاد الواسعة والغنية المرتبطة ببعضها البعض بدون أي عائق من الفاو الى طنجة.

وأنا شخصياً كنت قد قمت مع صديقين في سنة ١٩٦٣ هما: عبد الحميد الياسري ومحمد كردس ونجله بسيارة فولكس وأكن يقودها الأخ الياسري من طريق بغداد – عمان – دمشق – بيروت ومنها بحراً إلى الاسكندرية – ليبيا – تونس – الجزائر – المغرب وسبرنا غورهم ورأينا أبناء هذه الشعوب العربية كلها مجمعون على الوحدة وتخليص فلسطين من براثن الصهيونية العالمية، وقد رأينا في معظم ليبيا تصاوير لجمال عبد الناصر فسألنا السبب؟ فقالوا نحبه لأنه هو رمز للوحدة وفي داخل بيوتنا نعلق بدل الصورة الواحدة صورتان وأما في جزائر الثورة فأبناؤها كل منهم يقول أنا الذي سأنقذ فلسطين من الصهاينة. نعم هذه البلاد التي يقطنها ما ينوف على المائة مليون عربي ذو آمال وآلام واحدة وذو تاريخ مشترك وذو ماضٍ مجيد ويدينوا بدين الإسلام الذي أتى به نبيهم العربي القرشي المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ذلك الدين عندما كانوا متمسكين بمثله العليا عملوا العجائب، وفي خلال نصف قرن بينما كانوا لا في العير ولا في النفير، وإذا بهم يزيحون دولتي الأقاصرة والأكاسرة وأصبحوا سادة العالم بدون منازع. وكانت أوروبا آنذاك غارقة في بحر الظلام والجهل، وإذا بغداد والقاهرة ودمشق والقيروان وتونس وقرطبة والحمراء يحجها الناس من كل فجٍ عميق، ينهلون من منابع علومها ويستفيدون من مخترعاتها ونشروا الأمن والاستقرار والعدل في أرجاء هذه البلاد الشاسعة. وهذه شهادة من أحد عظماء فلاسفة الإفرنسيين «غوستاف لوبون» يقول: «ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب» نعم وحدة العرب ووحدتهم كانت وما تزال بعبعاً يخيف الشرق والغرب وفي طليعتهم الصهاينة حتى أن الجارتين المسلمتين: تركيا وإيران يخشون هذه الوحدة أو الاتحاد وهذا

أمر طبيعي إذ لو كنت أنا تركياً أو إيرانياً لكنت أخشى وحدة العرب فمن الذي يرضى أن يكون جاره قوياً ومتحداً وذو نفوس تزيد على المائة مليون وإمكانياتها تفوق الوصف وتكمل بعضها البعض خاصةً وهم ذو ماض لامع يعرفه القاصي والداني ولهم طموح ليعيدوا مجدهم الزاهر؟؟

إسهامي في حل القضية الكردية

ذهبت وصديقي، عميد الشرطة المتقاعد ظاهر حبيب إلى الدكتور عبد الرحمن البزاز في وزارة الداخلية وكان آنذاك وكيلاً لوزارة الداخلية ورجوته أن يرفع عن ظاهر الغبن الذي لحقه في عهد الطاغية عبد الكريم قاسم. وعند خروجي منه قال لي: أعندك مانع فيما إذا أرسلتك مع وفد إلى الملا مصطفى البارزاني؟ قلت له: ليس عندي مانع فقط عجل به لأني أرغب في الذهاب إلى لبنان. وفي صباح يوم الجمعة ــ وأنا في داري ــ تلفن لي البزاز قائلاً: إذا كنت لا تزال عند رأيك بمرافقة الوفد تفضل إلى رآسة الوزارة لمواجهتي فقلت له حاضر وذهبت على التو وعند دخولي غرفته رأيت:

١ ــ وزير الدفاع شاكر محمود شكري، عبد الجبار الجومرد، حسن عبد الرحمن، محمد صالح محمود، الدكتور كاظم شبر، علي حيدر سليمان، إحسان شيرزاد، نور الدين الواعظ، مالك دوهان، اسماعيل خير الله. فأخذ البزاز يخاطب الحضار ويبين لهم أنه: يريد إرسالهم إلى الملا مصطفى لحل القضية الكردية، وأن الحكومة الإيرانية ربما تريد استغلال الخلاف وعدم حله من أجل حل القضايا المعلقة بيننا، ولأقطع عليها الطريق قلت لسفيرنا في طهران أن يقول للحكومة الإيرانية بأني مستعد أن أعطي كل شيء إلى الأكراد ولا أتهاون وأعطي شبراً واحداً من شط العرب. وقال: إذا انتهيت من حلّ القضية الكردية فأفاوض الإيرانيين عن قوة. ثم أردف قائلاً: أني أرسلت منذ يومين وفداً من أخواننا

الأكراد إلى الملأ،وفيه أكرم الجاف ، زيد عثمان ، اللواء المتقاعد مصطفى وأرسلت معهم المواد التي قرأها علينا ليعرضوها على الملأ وما أنتم إلاّ رسل سلام أرجو الله أن تكون على يدكم حل هذه المعضلة . وعند الانتهاء من حديثه أخذ ثلاثة أشخاص يحاجونه وهم : عبد الجبار الجومرد ، واسماعيل خير الله، ومالك دوهان قائلين : أنهم لا يشاركوه الرأي بحل القضية سلماً،وأنهم يرون حلّها عنفاً، واعتذروا عن الذهاب مع الوفد ، فانفضت الجلسة وأنا أعاتب الجومرد القومي الذي له دراسات قيمة وله اطلاع واسع على التاريخ : ألست ممن اشتركوا في الإثم عندما قرر عبد الكريم قاسم إرجاع الملأ البرزاني من روسية إذ كنت وزيراً للخارجية ؟

تركنا غرفة رئيس الوزراء وتوجهنا إلى جامع الشاوي وصلينا الجمعة أنا والبزاز وحسن عبد الرحمن،ومن ثم ذهبنا إلى دار البزاز فتغدينا سوية، وفهمنا من البزاز أن الوفد لم يشكل اعتباطاً بل اتفق عليه جماعة مع الملأ ويفهم من قراءة الأسماء أنه مشكل من الطوائف والقوميات المختلفة وقد أراد البزاز أن يعوض عن « الذين تخلفوا » بإرسال علي الصافي، وسعد عمر،فاتصل بالصافي فلم يجده ، فأرسل في اليوم التالي سعد عمر ولكنه ذهب بسيارته وعاد إذ لم يتمكن من اللحاق بنا .

في صباح يوم الثاني ركبنا الطائرة إلى «كركوك» فاستقبلنا آمر القوة اللواء الركن صبري محمد علي ، ثم ركبنا طائرتي هيلوكوبتر فنزلنا في « سبلنك » حيث مقرّ الفرقة فاستقبلنا قائدها اللواء الركن زكي حسين وتغدينا عنده وصلينا الظهر ومن « سبلنك » ركبنا سيارات جيب وتوجهنا إلى « مضيق علي بك » فاجتزناه وبعد بضعة كيلو مترات ترجلنا حيث تبدأ روابي الجيش فاستصحبنا أحد أخواننا الأكراد سيراً على الأقدام باستقامة « الحاج عمران » وبعد مسيرة ثلاث كيلو مترات تقريباً توقفنا في محل كان فيه الشيخ لطيف نجل الشيخ محمود فاستأنس كلانا بلقاء صاحبه إذ كنت أعرفه قبلاً .

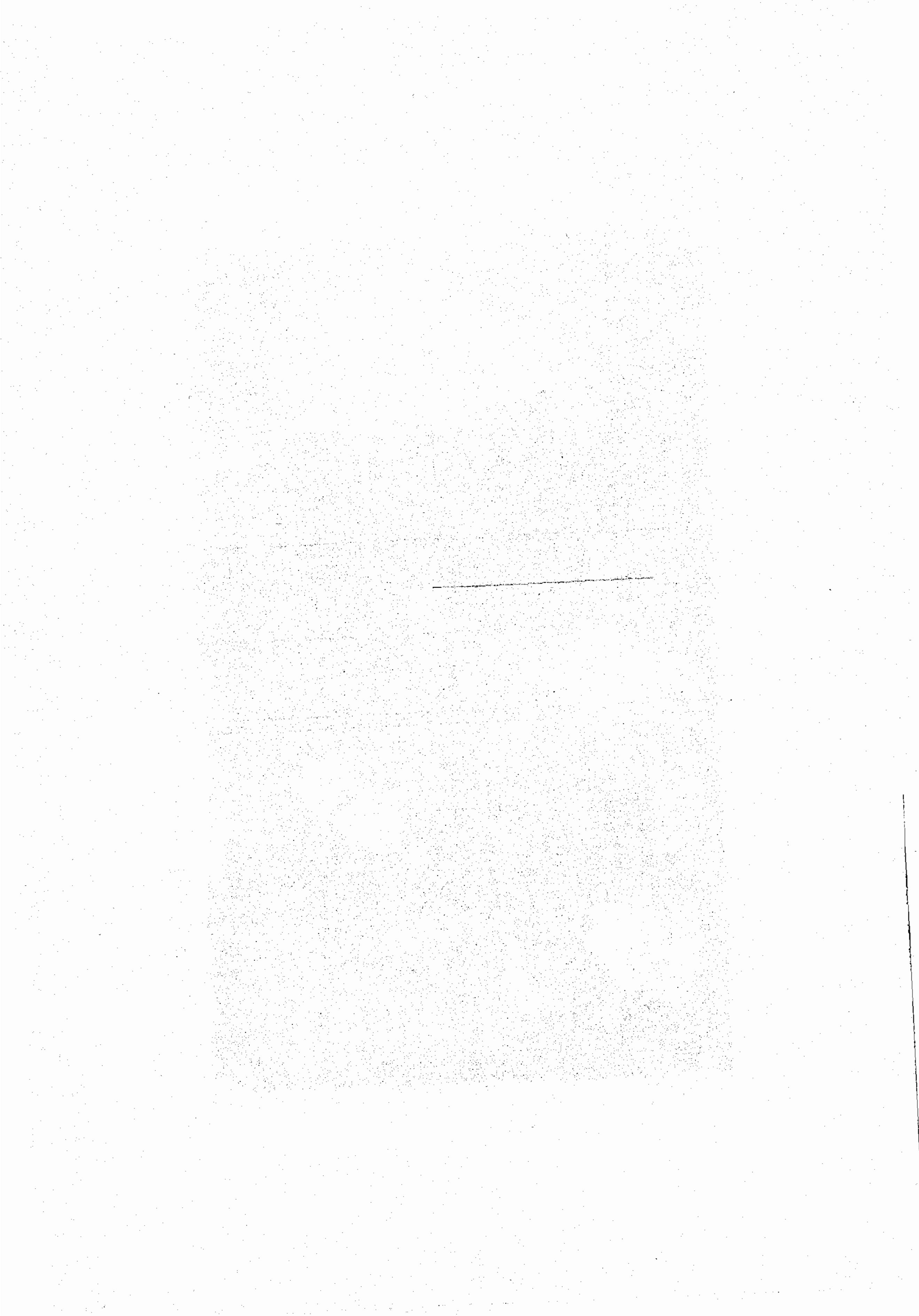
شربنا الشاي عند الشيخ لطيف، ثم استأنفنا التسلق مشياً على الأقدام نحو الكيلو مترين فاستقبلنا الملأ ادريس – أحد أنجال الملأ – ومعه سيارات جيب، وكان بإمكانهم الأتيان بهذه السيارات إلى المحل الذي نزلنا فيه إلاّ أن الطريق كان ملغوماً لئلا تتقدم سيارات الجيش ودباباته . فركبنا السيارات وكان سائق سيارتنا ضابط مدفعي وبعد مسيرة بضعة كيلومترات وصلنا إلى قرية « كلاله » فنزلنا من السيارات وإذا بالملأ يأتي لاستقبالنا فسلم علينا وذهب بنا إلى المحل المعد لنزولنا وهو « بناء المدرسة » وكان الملأ لطيفاً لا يدخل إلى محل إلا ويقدمني، حتى أنه كان يولع سيكارتي بنفسه . ولما جلسنا في الغرفة – وكنا في الغرفة حوالي العشرين – وباشر الملأ فوراً في الحديث وتبين : : أنه غير راغب بهذا الإنشقاق وأننا أخوة يجمعنا دين واحد، وقد عشنا سويةً مآت السنين ويقولون عني أني عميل أميركي أو الملأ الأحمر أو أو ... الخ وأنا لست انفصالياً بل أريد أن تعطى لنا حقوقنا كاملة، ونعيش سوية تحت حكم ديموقراطي . وكان عارف عبد الرزاق جاء إلى هنا ذات مرة، ثم جاء بعده طاهر يحي، وبعد ما يعودون لا يرسلون الوفود التي يوعدون بها وظل يسترسل بهذه الأحاديث وكان دائماً يستشهد بآيات قرآنية . وبعد الانتهاء من حديثه تكلم البعض من الأخوان ثم تكلمت أنا موجهاً كلامي إلى الملأ قائلاً : أنت تقول « أنا لست انفصالي » وهذا شيء جديد نسمعه – فأيدني بهذا الأخ حسن عبد الرحمن وأما قولك أنه أتى قبلاً كل من عارف عبد الرزاق وطاهر يحي ولم تظهر نتيجة من مجيئهما فإنا أقول : نحن الوفد الذي أتينا إلى هنا وكلنا في غنى عن هذا، ونحن جميعاً ليس لنا أي مصلحة شخصية من مجيئنا سوى المصلحة العامة والعيش سويةً في محبة ووئام ولولا أننا على يقين من أن البزاز الذي أوفدنا الى عندك إنه ذو نيّة حسنة ما كان أتيناً وأنا شخصياً أحمد الله وأشكره لأن في بغداد سيارتي وقصري على النهر وساحة حديقتي تنوف على ٥٠٠٠م اما حسن عبد الرحمن فهو وزير ونائب سابق ومحام ناجح يترك أهله في البصرة



صاحب المذكرات مع ابن صفته سفير تركية في كابل
عميد الركن : محمود سزائي



صاحب المذكرات مع سفير الأفغان وزوجته في حفلة « السفارة الأفغانية » في بغداد



والدكتور كاظم شبّر طبيب ناجح وبما يدرّه عليه « مستشفى ابن سينا » ما يغنيه من المتاعب، وكذلك باقي الأخوان، وعليك أنت أن تستفيد من هذه الفرصة المواتية خاصة وأنت تقول : « أنا لست بانفصالي » وهذا ما كنا نبغي. وبعد الانتهاء من الحديث الأخوي الذي فهم منه أن وجهات النظر متقاربة جداً قمنا إلى العشاء وكنت واقفاً على يمين الملاّ، وكان كاظم شبر عن يساره فقال لي تفضل ! قلت له : لا أمدّ يدي إلى الطعام حتى تقول لي : « لم يبق خلاف » وهذه عادة عربيّة كما هو معلوم فقال : لم يبق « أي شيء من خلاف » فتعشينا وعند منتصف الليل ودعنا الملاّ وذهب إلى مقره الذي هو على ما أعتقد في « الحاج عران » الذي يبعد عن « كلاله » حوالي ١٠ كيلومترات. وبعد الترويقة الصباحية تركنا « كلاله » عائدين على نفس الطريق والطريقة التي أتبناها بها أي ركوب الجيب أولاً ثم السير على الأقدام. وفي هذه المرة جيء للأخ محمد صالح محمود ببغل فركبه وعند المباشرة بالمسير تركت الجماعة وسرت بخطوات عسكرية إن لم أقل أسرع حيث كان الطريق منحدراً. وعندما وصلت إلى المثابة إي إلى ربايانا كان بيني وبين جماعتي كيلو متر واحد تقريباً فاستقبلني آمر اللواء الذي هو آمر حامية « رواندوز » وسألني عن النتيجة فأخبرته ففرح. وعند وصول الأخوان أخذنا الآمر إلى « راوندوز » بالسيارات وهناك ظهر أن محمد صالح – الذي كان راكباً بغلاً – يحتاج لغسل قدميه بمحلول البرمنكنات وبعد تناولنا المرطبات والقهوة ودعنا الجماعة شاكرين ووصلنا « سبلنك » بعد الظهر. وكان المفروض أن نتغدى في كركوك ولكن حيث وصلنا متأخرين تغدينا في « سبلنك » وعندما علم الجماعة بنجاح وفادتنا، فرحوا وبينما كنا نريد ركوب طائرات الهيلوكوبتر وإذا بهبوب الرياح يخفّ فودعنا قائد الفرقة وجماعتي شاكرين حسن ضيافتهم وامتطينا الطائرتين وكل منهما تسع ستة أشخاص، وكانت مريحة للغاية وكنت أركبها لأول مرة فوصلت « كركوك » فاستقبلنا فيها كالعادة

آمر القوة صبري محمد علي ، وشربنا المرطبـات وودعناهم شاكـرين ووصلنا المطار في « معسكر الرشيد » قبيـل الغروب فركبنا السيارات وتوجهنا إلى رآسة مجلس الوزراء لمواجهة البزاز الذي كان في انتظارنا وذكرنا له النتيجة ففرح الرجل،وذكرنا له أن الملاّ سيرسل وفده لإتمام ما اتفقنا عليه . وبعد استراحة قصيرة ودعنا البزاز ورجعنا إلى دورنا .

وفي اليوم الثاني وإذ بي اطالع في جرائد الصباح إن جلال الطالباني واجه رئيس الجمهورية ففزعت من هذه المواجهة في هذا الوقت بالذات وفتحت الهاتف وكلمت البزاز طالباً مواجهته فقال لي: تفضل إلى رآسة الوزارة فاتيته وقلت له ماذا عملت يا أبا عامر ؟ ولم هذه المواجهة ؟ وأنا شخصياً سمعت من الملاّ « أن جلال الطالباني خائن » وأعتقد أن الملاّ سيتوقف عن إرسال الوفد الذي وعد به وقد تحقق ذلك فعلاً إذ كان المفروض أن يصل الوفد في صباح ذلك اليوم وبينما نحن في هذا الحديث وإذ بالبزاز يتلقى نداءً هاتفياً من آمر القوة : بأن الوفد تحرك وسيصل بغداد غـداً ففرحنا وقلنا ان الأزمة فرجت ولله الحمد عـلى ذلك وعلى الأثر أخبر البزاز على حيدر سليمان هاتفياً بقوله : أبا عامل أخبرك أن الوفد غداً سيصل بغداد وعليه فأنت والجماعة غداً تذهبون إلى المطار لاستقبالهم وقال لي : أنت وعلي حيدر وكاظم شبر وحسن عبد الرحمن غداً تذهبون لملاقات الوفد . فتركته ورجعت إلى داري ، وفي اليوم التالي ذهبنا لملاقاتهم فاستصحبناهم وذهبنا لمواجهة البزاز وبعد حديث أخوي قال خذوهم إلى القصر الأخضر. وبعد الاستراحة هناك تأتون جميعاً في الساعة الثامنة لتناول العشاء وهكذا بعد العشاء والكل مسرور والحمد لله .

العمل الذي سيطهر البلاد المقدسة من أرجاس اسرائيل

كما حصل الفتح لصاحب الرسالة سيدنا ومولانا ومنقذنا محمد وأصحابه الطهر الكرام بدخولهم مكة المكرمة منتصرين بعد وقعتي « بدر » و « الخندق » فإن عمل « فتح » الذي بدأ في « غزه » في فاتح كانون الثاني سنة ١٩٦٥ والذي اشتد ساعده بعد نكبة ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ وما شمل نشاطه من الأراضي المحتلة بأجمعها، وما حصل له من دعم مادي ومعنوي من العرب والمسلمين عموماً، وما حصل مؤخراً من توحيد المنظمات الفلسطينية تحت رآسة البطل ياسر عرفات « أبو عمار »، وأن الفدائي الفلسطيني الذي نام حوالي العشرين سنة نهض الآن وأخذ المبادئه وقام بأعمال بطولية حتى أنه وسع دائرة أعماله إلى خارج البلاد العربية في « روما » و « أثينة » و « زيوريخ » وجعل إسرائيل تحسب له الف حساب للفدائيين الذين صاروا يكبّدونها الخسائر بالطائرات، والدبابات، وبالأسلحة الأخرى، وفي قلب «تل أبيب» وفي « حيفا » وما حرقوه في « أيلات » وما نسفوه من مآت الأطنان فضلاً عن قتل في الأرواح، وتدمير في المصانع والجسور، مما جعل الاقتصاد

الاسرائيلي يتزعزع لأن الجيش يكون دائماً على أهبة الاستعداد من غير أن يسرح احتياطه،وعدا هـــذا توقف الهجرة إلى إسرائيل بل ازدادت الهجرة من إسرائيل نفسها إلى الخارج وبذلك انقطع السوّاح الذين كانوا كبقرة حلوب تدر على إسرائيل من العملة الصعبة مورداً كبيراً . وها أني أقرأ اليوم في جريدة الحرية الصادرة في بغداد بتاريخ ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣٨٨ هـ المصادف ١٧ مارت سنة ١٩٦٩ : أن مئة الف عربي قد قدموا طلباً للانضمام إلى الفدائيين . من مختلف البـــلاد العربية فيهم : العراقي والسوري والسوداني والكويتي والمصري والتونسي وباقي الأقطار العربية،وها هو البطل « سرحان بشاره سرحان » البطل الفلسطيني يقتل روبرت كنيدي المرشح لرآسة الولايات المتحدة لمجرد أنـــه صرح بأنه سيعطي إسرائيل طائرات « فانتوم » في حالة فوزه في انتخابات الرآسة .

أجل أيها القارىء العربي لا تيأس فها أن تباشير الحياة باتت تطلّ على العرب،وها أن اسماعيل الأزهري الرجـــل المسلم المؤمن يدعو ملوك ورؤساء العرب ويعقد بينهم مؤتمر قمّة في « الخرطوم » وهـــو المؤتمر الذي كان من جملة مقرراته أن تبرعت المملكة العربية السعودية والكويت وليبيا بمبلغ مئة وثلاثين مليون دينار سنوياً لمساعدة العربية المتحدة والأردن،وأنهم يقررون عدم جواز المفاوضة إلاّ على أسس ترضي العرب وها أن الرأي العام العالمي يتحوّل إلى جانب العرب بعد أن اتضح الظلم الذي حاق بقضيتهم نتيجة الدعايات اليهودية المضللة،وها أن شارل ديغول الرئيس الفرنسي الجرىء يمنع إعطاء إسرائيل طائرات الـ « ميراج » التي كان معظم أثمانها دفع مسبقاً . ولم يكتف بذلك بل أصدر أمراً ــ بعد الاعتداء على مطار بيروت الدولي في كانون الأول ١٩٦٨ ــ بحظر جميع الأسلحة إلى إسرائيل وحتّى قطع الغيار التي هي في أشد الحاجة اليها . وعلى كل نحن العرب علينا أن نعتمد على الله وعلى أنفسنا بدون شرق ولا غرب وقد قيل في أقوال السلف الخالدة « ما حكّ جلدك مثل ظفرك فتولّ

أمرك بنفسك » .

وأريد أن أنهي مذكراتي هذه بهذه النصيحة التي من أجلها ومن أجلها فقط ــ سطرت وسردت هذه الحوادث « ودوّخت » رأسك يا أخ العربي بقرائتها وأتعبت نفسي بتسطيرها كما سلبت راحة الأستاذ السيد عبد الرزاق الحسني الذي جاء ليصطاف وليستجم في « ضهور الشوير » فأشغلته طوال شهرين ليلاً ونهاراً بانتخاب المطبعة وشراء الورق وتصحيح الملزمات تكراراً مما نغّصت عليه نعمة الاصطياف جزاه الله الف خير واليك تلك النصيحة :

النصيحة التي من أجلها دوّنت هذه المذكرات

أريدك أن تكون أيها العربي متفائلاً على الدوام،وأن لا تكن متشائماً، لأن الحكمة الخالدة تقول : « تفائلوا بالخير تجدوه » وأريدك أن تكون عضواً نافعاً ذو إرادة قوية تعشق الحياة،وتسعى لها،وتهيّء نفسك لتمحي عار النكبة الأليمة التي حلّت بالعرب في الخامس من حزيران غدراً وتعيد لامتك مجدها الزاهر بعد أن تطهر فلسطين الشهيدة من أرجاس إسرائيل. أجل أيها العربي ! تمثّل بالرعيل الأول من أخوانك أولوا العزم الذين ما استكانوا ولا وهنوا،بل وطّدوا العزم وهم فئة قليلة لها إيمان لا يفلّه الحديد فقامت بأعمال باهرة كانت باكورتها « الثورة العربية الكبرى » التي فجروها أثناء الحرب العاية الأولى وقامت على أثرها حكومتان : إحداهما في الحجاز ، والأخرى في دمشق. ومع أن حلفاءهم قلبوا لهم ظهر المجن،وأعلنوا حقدهم، وقضوا على الحكومة الفيصلية في « دمشق » بعد استشهاد البطل « يوسف العظمة » وزير الحربية السورية،وبأشروا بتنفيذ « وعد بلفور» المشؤوم،وعينوا السر هربرت صموئيل « اليهودي » كأول مندوبٍ سامٍ على فلسطين العربية ليمهد

الى تهويدها ولكن العرب على الرغم من ذلك كله، فإنهم لم ييأسوا ولم يقنطوا لأنهم يعلمون حق العلم أن « اليأس موت » وأنه « لا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون » وها هم ينهضون من جديد وهم أشدّ عزيمة وإيماناً بالله وبعدالة قضيتهم ونتيجة لهذا « البعث » من رقادهم ، قامت ثورات في البلاد العربية جميعها في مشارقها وفي مغاربها واليك الدليل :

١ - اندلعت لهب الثورة في « دير الزور »وكان يرأسها رئيس العكيدات « رمضان شلاش » وشد أزرها كل من مولود مخلص ، وعلي جودة ، وجميل المدفعي ، وتحسين علي وغيرهم من الصيد الاشاوس .

٢ - ثورة في « تلعفر » . قام بها جميل المدفعي وأيده فيها حميد الدبوني ، والنقيب جميل محمد آل خليل - وكان ضابطاً للدرك في تلعفر - وكذلك ساندها اغوات تلعفر وعلى رأسهم السيد عبد الله آغا .

٣ - ثورة العراق الكبرى في ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٠ وهي الثورة التي دوّخت الإنكليز ، وأرغمتهم على تبديل احتلالهم للعراق باستقلال مزيف أعقبه الدخول في عصبة الأمم سنة ١٩٣٢ ثم ثورته الثانية في ٢ مايس ١٩٤١ الجبارة ثم الثالثة في١٤ تموز سنة ١٩٤٨ وهي الثورة التي أطاحت بنظام الحكم الملكي في العراق ، وأقامت على أنقاضه « الحكم الجمهوري » الذي يتركز يوماً بعد يوم على الرغم مما اعترضت مسيرته من نكسات شيوعية وشعوبية وديكتاتورية فردية .

٤ - ثورة في سوريا عام ١٩٢٥ وقد شملت غوطتها الجميلة ، وجبل دروزها المنيع ،وجبل عاملها الأبي ،تحت زعامة سلطان الأطرش يؤيده كل من الدكتور عبد الرحمن الشهبندر ،والأمير عادل أرسلان، والرئيس ابراهيم هنانو ، والسياسي العربي المعروف نسيب البكري ، ومن الشباب : الدكتور أمين رويحة،ومنير الريّس وغيرهما من الصيد الأشاوش هذا وكان رويحة لم يكتف - وهو الجراح الذي يشار اليه بالبنان بمداواة الجرحى - بل كان يحمل بندقيته

على كتفه ويشارك أخوانه في المعارك حتى كان أخوانه الثوار يعترضوه ويقولوا له : يا أمين نحن إذا نجرح فأنت تداوينا ولكن إذا أنت جرحت أو استشهدت فمن الذي سيداوينا ؟ وعليه نرجوك أن لا تشترك معنا في المعارك بل ابقى في الخطوط الخلفية مع أدويتك ومضمديك . ولكن « رويحة » الذي ضحى بمنصبه في الجيش العراقي، والتحق بأخوانه الثوار أبى عليه حماسه إلا أن يشارك زملائه في المعـــارك وفي الوقت نفسه كان يداوي جرحاهم . بخ بخ يا أمين وجزاك الله الف خير لتضحياتك هذه .

٥ ــ ثورة فلسطين تحت زعامة الحاج محمد أمين محمد الحسيني، وفوزي القاووقجي ، وعبد القادر الحسيني ، وعطا حمد الزبد ، ومحمد خليـــل جمجوم ، وفؤاد حسن حجازي ، والأمير محمود الزناتي ، والأمير بشير العزاوي وغيرهم وهم كثر والحمد لله .

٦ ــ ثورة مصر الكنانة الكبرى تحت قيادة الرئيس جمال عبد الناصر وصحبه الأحرار أمثال : عبد الحكيم عامر، زكريا محي الدين، وأنور السادات ، وحسين الشافعي ، وعبد اللطيف البغدادي ، وصلاح سالم ، وكمـــال الدين حسين ، وغيرهم ــ وهم كثر والحمد لله ــ .

٧ ــ ثورة الجزائر ذات المليون شهيد تحت زعامة المجاهدين: أحمد بن بلّه ، هواري بومدين وبلقاسم وغيرهم ــ وهم كثر والحمد لله ــ وهي الثورة التي أدت في النهاية إلى استقلال الجزائر بعد احتلال افرنسي امتد مئة وثلاثون عاماً (١٨٣٠ ــ ١٩٦٣) .

والحق يقال أن جميع هذه الثورات كانت وليدة « الثورة العربية الكبرى » التي أعلنها الحسين بن علي ، وشد أزرها تلكم الفئة القليلة المؤمنة الصابرة ، وكان نتاجها ــ ولما يمض عليها غير ٥٣ سنة ــ أن ظهرت أربع عشرة دولة عربية ترفرف أعلامها فوق بناية « هيأة » الأمم المتحدة، وستتبعها رايات حكومة اليمن الشعبية الجنوبية بإذن الله ومن ثم إتحاد الإمارات

السبع للخليج العربي وعليك أيها الشاب العربي – وأقولها للمرة الأخير – أن لا تيأس وأطلب منك بإلحاح أن تتمثل بذلك الرعيل الأول من بني جلدتك وتقول :

أولئك أقوامي فجئني بمثلهـــم إذا جمعتنـــا يا جرير المجامع

خاتمة

إن جمال عبدالناصر، مع علمي اليقين بأنه غلط غلطة عظيمة بطلبه سحب المراقبين الدوليين، الأمر الذي اوجب ان تتذرع اسرائيل وتبدأ الحرب في ٥ حزيران سنة ١٩٦٧ تلك الحرب التي كانت تستعد لها منذ نهاية حربها عام ١٩٥٦ وكانت تريد حجة للانقضاض بحرب خاطفة وها ان ابا خالد أعطاها إياها وهنا اكرر ما قلته بحق الحسين بن علي « الذي ضحى بعرشه من أجل فلسطين » انه غلط — وغلطة العظيم عظيمة حينما :

١ — اظهر عدائه الصريح الى عبدالعزيز آل سعود من يوم مجيئه الى مكة سنة ١٩٠٨ حينما عينته الحكومة العثمانية بالامارة وصار يرسل الحملة تلو الحملة لمحاربته[1] .

٢ — حربه رحمه الله مع الادريسي في ابها[2] .

٣ — أغضا به الشريف خالد بن لؤي الذي هو قريبه بدون سبب مبرر الأمر الذي اوجب ان يلتحق بالمرحوم الامام (الملك) عبدالعزيز مما جعله ان يفتح جبهة ثانية في « الخرمة » و « تربه » ويرسل الحملة تلو الحملة بقيادة

---

(١) راجع مذكرات المرحوم الأمير (الملك عبدالله) .
(٢) نفس المصدر .

كل من الشريف حمود بن زيد ثم الشريف عبدالله بن محمد ثم الشريف حمود مرة اخرى ثم الشريف شاكر بن زيد كلها كانت فاشلة[1].

٤ ـ باختلافه مع عزيز علي المصري، خسر تلك الشخصية الفذّة، واستعاظ عنها بالصاغ محمود القيسوني كما خسر هتلر بتنحيته رئيس اركان حربه براوخشيش في معركة «ستالينغراد» وتوليه بنفسه القيادة وخسرانه المعركة بل الحرب.

٥ ـ إصدار أمره الى نجله عبدالله لمحاربة «ابن سعود» وعدم سماعه نصيحة نجله الثمينة اذ قال لجلالته: ليس من المصلحة مخاصمة ابن سعود ولاسيما وان جيشي غير راغب في الحرب لسببين: الاول امتلاء جيوب افرادهم بالمال ـ وثانياً وهو الأهم ـ ان قواد جيش النظامي ومعظمهم عراقيون قالوا انهم لا يرغبون محاربة اي امير عربي لأن الغاية التي من اجلها انضموا الى الثورة انما هي: محاربة الاتراك للحصول على الاستقلال وتهيئة جيش يكون نواة لجيش عربي اوسع يحقق في المستقبل وحدة عربية شاملة[2].

٦ ـ اغضب الانكليز عندما أتوه بمعاهدة فيها الترغيب والترهيب ولم يوقعها مع انه كان في اشد حاجة لتوقيعها حيث كانت قوات ابن سعود وخالد بن لؤي وسلطان ابن اجاد وفيصل الدويش اجتازت «الخرمة» «وتربه» و «الطائف» ولا توجد لا في الحاضر ولا في المستقبل اي قوة تردها عن احتلالها العاصمة «مكة» ابىٰ ان يوقعها لكونها:

أ ـ مخالفة لما عاهدوه من استقلال البلاد العربية.

ب ـ على الاخص توجب ضياع فلسطين بالوعد البلفوري المشؤوم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

ارجع الى جمال وأقول : انت عندما طلبت من يوثانت سحب المراقبين ألست تعلم ان هذا يغضب اسرائيل باحتلالك « شرم الشيخ » وتسلّطك على « قناة ايلات » ؟ واعتقد ان وزير خارجيتنا آنذاك عدنان الباجه جي قال لك : « ان عملك هذا يوجب الحرب فهل انت مستعد لها » ؟ وعلى كل فسواء قال لك ذلك او لم يقل فهلاّ لا تعرف ذلك وانت القائد والسياسي ؟ واستخباراتك المشهورة بكفائتها الم تنبئك بما عليه اسرائيل من استعداد هائل ؟ وباعتبارك ضابط ركن هلاّ « قدّرتِ الموقف » مما عندك من امكانيات — داخلية وخارجية — ومما لدى عدوك من امكانيات — داخلية وخارجية — ؟

لا شك انك حسبت كل ذلك ولكن كانت نتيجة « تقديرك الموقف » مغلوطة وياللاسف . وكما قلتُ عن الملك حسين « غلطات العظيم عظيمة » وان « لكل جواد كبوة » و « لكل سيف نبوة » اقولها لك واسأل الله ان تأخذ عبرة من هذه النكبة . وأنا اقول كما قال هواري بومدين « إننا خسرنا معركة ولم نخسر حرب » وكما قلت أنت « إن فرنسا وانكلترا وروسيا خسروا في الحرب العالمية الثانية معارك ولم يخسروا حرباً وبنتيجة صمودهم انتصروا » ونحن ايضاً بنتيجة صمودنا سنكسب الحرب انشاء الله وها ان تباشيرها لاحت :

١ — بهجوم طائراتك في النصف الثاني من تموز سنة ١٩٦٩ واخذها المبادئة لاول مرة داخل سينا بدون ان تجرأ الطائرات الاسرائيلية على الالتقاء بها .
٢ — ها ان العراق وسورية يوقعان معاهدة الدفاع المشترك في ٢٩ تموز سنة ١٩٦٩ في بغداد .
٣ — ها ان وزير الدفاع العراقي حردان التكريتي يذهب مع وفد عسكري الى القاهرة للاجتماع بوزير الدفاع العربي محمد فوزي في ٣٠ تموز سنة ١٩٦٩ لتنسيق الخطط العسكرية .
٤ — ها ان سوريا ولاول مرة تهجم بطائراتها على اسرائيل في ٣١ تموز ١٩٦٩ .

وختاماً اريدك ايها العربي ان تسألني لماذا لا نكون نحن النيف ومائة مليون على قلب واحد؟ ولماذا نرى الخلاف مستحكماً بين بعض الحكومات فتسب بعضهم البعض في صحفهم وفي إذاعاتهم ؟ اليس من الأفضل ان يتفق الجميع على هدفٍ واحد ومصير واحد ؟ إذ الالفة فيها الخير ، والفرقة فيها الشرّ ، ولا يستفيد من فرقتهم الا اسرائيل والمستعمرون واذنابهم ؟ نعم فطلبك هذا وجيه وكلنا نريده ونسعى اليه من صميم افئدتنا ان يتوحدوا او يتحدوا ويكونوا كالبنيان المرصوص ولكن :

ما كلما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وكذلك تذكر ايها العربي – على الأقل في هذه الأيام – ان جعل العرب كلهم يتوحدون او يتحدون تحت راية زعيم واحد من رابع المستحيلات واقول ذلك لا كشخص يائس او متشائم بالعكس انّي اكره اليأس والتشائم وأن من طبعي التفاؤل ولا ضرب لك مثلاً بصعوبة المطلب اليوم لا لاثبّط عزائمك بل لاريك ان الخلاف شيء طبيعي ومتأصل في نفسوس البشرية وهاك الأمثلة :

١ – قبل خلقة آدم كان الرب والملائكة لا همّ لهم ولا شغل سوى العبادة والتسبيح فخلق الله آدم وكرمه فدبت الغيرة والحسد فاختلف رئيس الملائكة مع مولاه وفضل ابليس ان يكون طريداً من الجنة وملعوناً الى يوم الدين .

٢ – ان الله بعدما خلق آدم وثنّى بالحبيبة حواء أمرهما ان يسكنا الجنة ويأكلا من جميع الثمار عدا شجرة واحدة فخالفا امر الرب وأكلا من تلكم الشجرة فطردهما من الجنة .

٣ – فبعد زواج آدم بحوّاء جاءت الذرية فقتل قابيل أخــاه هابيلاً وهكذا اختلف الأخوان .

٤ ــ اختلف ابراهيم الخليل مع زوجته سارا . وذهب بزوجته هاجر وابنها اسماعيل الى مكة .

٥ ــ اختلف اخوة يوسف مع أبيهم يعقوب فرموا أخاهم في غيابه الجب وباعوه بثمن بخس .

٦ ــ اختلف نوح وابنه، ولوط وزوجته، وابراهيم وابوه آزر، وفرعون وزوجه . هذه الأمثلة كلها مثبتة في القرآن الكريم أتريد أمثلة اكثر؟ لنأت الى صدر الاسلام :

١ ــ محمد الأمين المشهور بصدقه وحسن سيرته . خالفه قومه وأهل عشيرته الاقربون سنين طوال بل وحاربوه وجعلوه يهجر بلدته العزيزة عليه مسقط رأسه مكة المكرمة .

٢ ــ حارب الرسول اقرب المقربين اليه عمه ابو لهب الذي كان في الوقت نفسه صهره اذ ان ولداه كانا تزوجا ابنتي الرسول زينب وام كلثوم وكان ابولهب وزوجته اشد الناس عداوة له .

٣ ــ عمه أبو جهل كان زعيم المعارضين لدعوته، واشد الناس ايذاءً له .

٤ ــ حارب الرسول ابا سفيان وكان صهراً لمحمد فتزعم لواء المعارضة وحارب الرسول في أُحُدْ وفي الخندق والّب عليه معظم قبائل العرب وحالف اليهود لمخاصمته .

٥ ــ خالف الرسول اصحابه وفي طليعتهم ابوبكر وعمر وذلك في « الحديبية » بعد اتفاقه مع مشركي قريش على :

أ ــ ان يرجع محمد في هذه السنة ولا يدخل مكة المكرمة .

ب ــ اذا اتى احد من العرب يؤمن برسالة محمد فأنه يرجعه الى قومه بمكة .

ج ــ واذا ارتدّ احد من المسلمين ويأتي الى قريش فلا يرجعوه الى محمد . فكبر على المسلمين هذه الشروط لانهم اعتبروها مجحفة مع انها في

حقيقتها كانت في صالح المسلمين .

د ـ خالفه اصحابه في الحديبية حينما امرهم الرسول ان يحلقوا وينحروا ما استصحبوه من فداء وهم اعلم الناس بقول الله عز وجل : « ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » وانه « لا ينطق عن الهوى إن هو الا وحي يوحى » خالفوه وهو بين ظهرانيهم ولولا حكمة زوجته « ام سلمى » ورجاحة عقلها عندما قص عليها بل شكى اليها مخالفة اصحابه له اذ قالت له رضي الله عنها وارضاها : قم الآن واخرج الى اصحابك، واحلق شعرك، وانحر فديتك ولاشك اذا رآك صحبك سيعملون مثلما عملت انت . فقام عليه الصلاة والسلام في التو وخرج وحلق ونحر بيده الكريمة حينذاك قلم اصحابه الذين كانوا ندموا على مخالفته ونحروا .

٦ ـ في حادثة الحديبية هذه والتي تخاصم انصاره الاطهار الذين كانوا السبب المباشر لانتشار الاسلام بالمعمورة لانتصاره في وقعة بدر الكبرى حينما قالوا له: نحن معك ان خضت بنا البحر خضناه، ونقاتل دونك ولا نقول لك كما قالت اليهود الى موسى : « فاذهب انت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » . هؤلاء الانصار تخاصموا بتحريض يهودي قذر مع اخوانهم المهاجرين، الامر الذي جعل احد اصحابه من الانصار يقول : « ان عند رجوعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الا ذل » . وعند رجوعهم بعد خصومتهم من الحديبية الى مكة في مسيرة جبريه ليل نهار ،حسب امر الرسول ليتعبهم ويلهيهم عن الاشتغال الا بانفسهم ويصل بهم الى المدينة في اسرع وقت لينظر في امر هذا الخصام واذ في آخر مرحلة يدخلوا بها الى المدينة حدث امر جلل ،وهو الطعن في عصمة زوج الرسول الذي قال عليه السلام بحقها « خذوا ثلثي دينكم من هذه الحميرة » ولولا يبرأها الله من لدنه بثمان آيات بينات لحدثت حوادث ليست بالحسبان اذ مع برائتها خلفت هذه الحادثة نتائج وخيمة ووخيمة جداً على العرب في حادثة « وقعة الجمل » أذ حاربت عائشة امام التقى والورع امير المؤمنين علي كرم الله وجهه .

٧ ـ بعد فتح مكة واستتباب الأمر لمحمد وانتشار دعوته شرقاً وغرباً، ولا سيما في جزيرة العرب كلها، اختلفت أمهات المؤمنين مع محمد الأمين فأوجب الأمر أن يهجرهن شهراً واحداً .

٨ ـ تآمر عائشة بنت أبو بكر صاحبه في الغار مع حفصة بنت عمر بعد أن أمضى ليلة مع زوجته الجميلة زينب بنت جحش ومجيئه صباحاً إلى كل منهن وسؤالهن عما أكل عند زينب وجوابه بأنه صلعم أكل عسلاً وعند سؤاله عن سبب سؤال كل منهن قالتا ما معناه : أن يشتم من فيه مغافير اي ريحة كريهة الأمر الذي جعل الرسول أن يحرم أكل العسل على نفسه وفي هذا نزلت الآية الكريمة :

« يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة وأزواجك » ؟

٩ ـ بعد وفاة الرسول وما أعقبه من خلافات كاد الإسلام أن يقضى عليه لارتداد العرب في الجزيرة العربية حتى حدود المدينة المنورة ولولا صمود أبو بكر إذ قال : « والله لأحاربهم ولو منعوني زكاة عقال بعير كانوا يعطوه رسول الله » وخاطب عمر بن الخطاب بقولته المشهورة : « أجبّار في الشرك وخوّار في الإسلام » ؟ عندما نصحه عمر بن الخطاب أن لا يقاتل أهل الرده الآن .

١٠ ـ الخلاف الذي وقع في أواخر عهد عثمان وقتله وهو يقرأ بقرآنه الأمر الذي أوجب أن تكون فتنته وسببت :

أ ـ وقعة الجمل المشؤمة التي حارب فيها صحابة رسول الله بعضهم بعضاً وذهب ضحيتها أكرم فتية وأعز صحابه إذ حاربت عائشة ابن عم الرسول وزوج فاطمة الزهراء البتول الذي كانت كل حياته جهاد في سبيل الله خاصةً في وقعتي بدر الكبرى وخيبر ومن مع عائشة حارب علياً ؟ الزبير الذي هو ابن عمة رسول الله الذي نبهه الرسول من أنه سيحارب علياً وهو ظالم وكذلك طلحة ومنزلته في الإسلام معلومة . وعبد الله بن الزبير الذي كان المحرض الأكبر لمحاربة الإمام التقى الورع أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه وأن عائشة

لما وصلت إلى « بئر حوئب » سمعت عواء كلاب قالت أين نحن ؟ قالوا لها وصلنا « بئر حوئب » قالت ردوني إلى مكة قالوا لماذا ونحن قريبين من الوصول إلى البصرة ؟ قالت : سمعت رسول الله يقول : « ستَتَنْبَحُك كلاب الحوئب » وإذا بعبد الله بن الزبير يأتي لها بأربعين شاهداً شهدوا زوراً أنهم ليسوا في بئر حوئب عند ذاك اطمئنت وتابعت مسيرتها .

ب — إن الزبير بن العوام أراد العودة من البصرة إلى مكة لئلا يحارب علياً بعد أن تذكر أن محاربته لعلي ليست في صالح الإسلام وإذا بعبد الله بن الزبير يأتي والده ويحرّضه على هذه الحرب فيقول الزبير لابنه : إني حلفت أن لا أحارب علياً فقال له ولده : وما قيمة اليمين ؟ إنك تصوم ثلاثة أيام وتطعم مساكين كفارة ليمينك ولم يزل يحاججه حتى أقنعه وجعله يحارب علياً حتى استشهد هو وطلحة .

حـ — وقعة « صفّين » وما استشهد فيها من فطاحل العرب من آلاف العراقيين والشاميين واليمنيين والحجازيين وهذه الحرب بين من ؟ بين علي ومعاوية وأحدهما « علي » وما أدراك ما علي ؟ و «معاوية» الذي ارتضاه رسول الله كاتباً للوحي وارتضاه الشيخان أبو بكر وعمر أن يوليّاه إمرة الشام طيلة حياتهما وأن معاوية خال علي حسب الآية الكريمة « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم .

ء — بعد التحكيم ودهاء عمرو ابن العاص وبساطة موسى الأشعري وما حدث من خلاف وانشقاق في أعز أصحاب علي وأشجع الناس وأخلصهم إيماناً إلا وهم الخوارج بعدما كانوا مع أبا الحسن صاروا حرباً عليه عواناً الأمر الذي اضطره اضطراراً أن يحاربهم وكيف أنهم اتعبوا الدولتين الأموية والعباسية بعدما تجرأ أحدهم عبد الرحمن ابن ملجم وأقدم على عمل منكر اهتز له العرش والسماوات السبع لقتله علياً وهو قائم يصلي في المحراب. وهكذا توالت الفتن والاختلافات حتى أنهم سرقوا بساط الحسن عليه السلام سبط

الرسول عليه السلام من تحته . وهم شيعته كما قتلوا شقيق الحسين عليه السلام لا شك أنك أيها القارىء تعلم أن أحد الذين تصدوا لقتل الحسين عمر نجل سعد بن أبي وقاص وتعلم درجة قرابته من الرسول . هذه الخلافات كثيرة وكثيرة جداً ولو أني أردت سردها لاحتجت إلى مجلّدات وقد ذكرت قسماً من أشهر الحوادث التي وقعت من قبل بدأ الخليقة إلى حادثة سرقة بساط الحسن الذي رأى بصائب رأيه — وهذا حاله مع شيعته — أن يحقن دماء المسلمين ويسلم الخلافة إلى معاوية بشروط . وقد ذكرت هذه الوقائع الجسام التي وقعت بسبب الخلافات ذكرتها للذكرى إذ «الذكرى تنفع المؤمنين» لأثبت أن الخلافات ليس لها أول ولن يكون لها آخر . وأختم هذه الاستشهادات بسؤال واحد أود أن توجهه أنت لنفسك يا قارئي العزيز : هل أنا منسجم حق الانسجام مع بني قومي ؟ أو مع أهل ديني ؟ بل وأهل بلدتي ؟ أو مع ذوي القربى من أهل بيتي ؟ وأخيراً مع زوجتي وأولادي ؟ بعد إعطائك الجواب تعلم وتتأكد يقيناً بأن الخلاف أمر طبيعي وبعضاً يكون الاختلاف رحمة ومع كل هذا أقول لك أن العرب بخير وفي المستقبل القريب سيزداد الوعي العربي نمواً كما أن الحاجة ستلجئهم إلى أن يتوحدوا أو يتحدوا تحت راية زعيم واحد وها أني أضرب لك مثلاً بما جاء في ص ٤٤ من كتاب « من حصار الفالوجة حتى الاستقالة المستحيلة » للكاتبين الإفرنسيين الشهيرين : جاك دوما وماري لوردا وهو :

والحقيقة أن القومية العربية ، بالنسبة لمصر الديناميكية المعاصرة ، ما هي إلا عودة إلى المنابع ، ورجعة منعشة للاتّصال بالأصول الإسلامية الكلية والموفقة ، وهي بمثابة ضمان ضدّ خطر انحراف القوميات المتفاقمة على مختلف أشكاله وضدّ الكبرياء والعجب بالنفس التي تصيب الكثير من القوميات . وهذا التطلع إلى الوحدة العربية ، لم يكن من اختراع جمال عبد الناصر .. ولكنه كان منادياً به وشاهداً له أمام العالم أجمع . ولا شك في أن الوحدة العربية في سبيلها إلى التحقق ، وسوف تحقق حتماً في المستقبل القريب ، وربما في شكل مبتكر برغم كل ما يقوله البعض

من الذين تحجب حساسيتهم للمتناقضات الظاهرية للبلدان العربية ، كل الاعتبارات الواقعية التي تحتم تحقيق الوحدة العربية. فقبل تحقيق الوحدة الإيطالية ، أو الوحدة الألمانية، بعشر سنوات أو عشرين ، كان الناس يضحكون من تورينو إلى نابولي، ومن برلين إلى ميونيخ ، وهم يفكرون بالحالمين الذين كانوا يتنبأون بالذوبان في مملكة واحدة تضم البيمونت، وتوسكانيا، وصقلية، وبالذوبان في رايخ واحد، يضمّ مناطق هانوفر ، وبروسيا ، وبافاريا ... وكما يقول آرنولد توينبي « وهو بالتأكيد أحد ثلاثة أو أربعة من أكبر المؤرخين في القرن العشرين » ، فإن هناك ثلاث عوامل أساسية تيسر تحقيق الوحدة العربية ، وهي عوامل اللغة والثقافة والتاريخ ، من غير أن نضيف عامل البترول » انتهى المقصود.

وفي الصفحة ١٧٥ من كتاب « جاك دوما » و« ماري لوردا » عن الوحدة العربية نقول : وإن فكرة الوحدة العربية ، التي هي جزء لا يتجزأ من السعي وراء السلام ، وهو هدف مشترك لشعبي مصر وفرنسا ، كما سبق للأمين العام لوزارة الخارجية الإفرنسية أن أعلنه في القاهرة أثناء زيارته في شهر مايو الماضي ، وأمل من آمال شعب يتكون من حوالي خمس عشرة دولة من الدول المعنية مباشرة ، لهي أيضاً في الحقيقة أمل من آمال ٧٠٠ مليون مسلم وكثير من الزعماء السياسيين في مختلف الدول . ونحن نشارك رأي المؤرخ البريطاني آرنولد توينبي ، حينما قال : أن هذه الفكرة — فكرة الوحدة العربية — تمضي قدماً، بل هي في الواقع في سبيلها إلى التحقيق[1] لأن العمل الذي أنجزه عبد الناصر، سيظل من أكبر وأروع الأعمال في التاريخ ، إذا لم تقض عليه الحرب .. إن مصر ومعها بعض الدول الأخرى من الدول غير المنحازة ، تظل وفية ، بقيادة زعيمها لدعوة الإسلام ودعوة « القارة الوسيطة » التي تمتد من جبل

(١) بل وانها متشخصة، منذ سنوات، في الاغاني البديعة النقية التي تغنيها ام كلثوم والتي هي اقتباس لاروع ما يحويه الادب العربي العريق .

طارق حتى أندونيسيا ، وتشكل ، بين الكتلتين الكبيرتين حيث تسود « حضارة الجماهير » بكل ما تحمله من ظروف لا إنسانية ، وتصنيع متضخم وأسلحة شيطانية وتغذية تزداد تشوهاً على ممر الأيام ــ تشكل هذه الدول حزاماً واقياً عريضاً حول الكرة الأرضية ، تحقيقاً لما جاء في القرآن :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطاً »

أختم مذكراتي هذه بتقديم نصيحة واحدة لاخواني العرب كافة فاقول :

اذا رغب العرب ــ وهم بالطبع راغبون ــ القضاء على عدوتهم إسرائيل أن يجعلوا نصب أعينهم قبل الوحدة الاقتصادية أو الوحدة السياسية أن يوحدوا قيادتهم العسكرية ، وينيطوها برجل كفوء سواءً أكان مشرقياً أو مغربياً ، من دولة صغيرة أو كبيرة ، حتى ولو كان من « موريتانيا » أو من « الكويت » أو من « أبو ظبي » نعم أقول من « أبو ظبي » وأسميه وأقول لنولي قيادتنا إلى الشيخ زايد إذ اعتقدنا ــ حق الاعتقاد ــ أنه أهل لتلك القيادة ، ولنطرح الأنانية جانباً ، ولنخلص لوجه الله والوطن ، ولننظف قلوبنا من الغل والحقد والزهو والكبرياء ، ولنعمل بنية حسنه لا تشوبها أي شائبة ، ونتوكل على الله وهو حسبنا ونعم النصير . ونحن العرب لم نخسر حربين متتاليتين مع إسرائيل في سنتي ٩٤٨ و ٩٦٧ إلا لكوننا لم نوحد قيادتنا . وكما قال فيلسوف العرب ورائد قوميتهم المرحوم ساطع الحصري حينما أجاب السائل لماذا غلبنا أمام إسرائيل ونحن سبع دول عربية ؟ فكان جوابه : لأننا سبع دول عربية وأما دليلي القاطع لما أقول فهو : أن عمر بن الخطاب لما أرسل أربع جيوش لمحاربة الروم وعلى رأس كل جيش أمير ، لم يتجرأ على تسميته خالد بن الوليد ، الشاب الحديث العهد بالإسلام ، إلا لكون بين القادة كان مثل أبا عبيدة الجرّاح الذي كان يجلـه أعظم إجلال باعتباره قائداً محنكاً وباعتباره قال عنه الرسول الأعظم عليه صلوات الله : « أمين الأمة » حتى انه حين حضرته الوفاة قال لو كان أبا عبيدة حياً لوليته الخلافة من بعدي .

أرجع إلى الموضوع وأقول : عندما اجتمع القادة الأربعة المعلومة أسمائهم في « اليرموك » وكيف تولى قيادتهم خالد بن الوليد وهزم عدوهم الروم شذ مذر وهم أكثر عدداً وفي أحسن عدة أولاً وأنا شخصياً ذاكرها في فصل من هذه المذكرات . وكذلك كنت ذكرت في هذه المذكرات كيف اجتمع كل من تيودور ولسن ، ولويد جورج ، وكلمنصو بعد أن تلقوا الضربات العديدة والمميتة من هندنبورغ ورئيس ركنه لودندورف وعينوا « فوش » للقيادة العامة وكيف أنهم كسبوا الحرب ولأضرب لك يا قارئي العزيز أقرب مثل حي ،ولنبتعد عن الماضي البعيد قبل نيف وسنتين وعلى وجه التحديد في أول حزيران ١٩٦٧ أتت إسرائيل بموشى ديان وسلمته (أو على الأصح أتى أشكول بعدوه اللدود المتقاعد موشى ديان وسلمه القيادة) وانتصر على أربعة عشرة دولة بحربه الخاطفة . وأشكول هذا تمثل بقيصر ألمانيا« ولهم » إذ أنه في بدأ الحرب العالمية الأولى أتى بالمرشال المتقاعد هندنبورغ وسلمه القيادة العامة مع وجود العديد من العباقرة البروسيين في الجيش الألماني . ولنفتش نحن العرب هل لا يمكننا أن نجد قائد متقاعد كفوء لتوليته القيادة ؟ وأنا بصفتي جندي قديم،وعراقي أقول: نعم يوجد قائد عظيم هو عمر علي ورئيس ركن له محمود شيت خطاب وكذلك في الجيوش العربية يوجد أمثال لهؤلاء مثل الشهيد عبد المنعم رياض أو حابس المجالي أو حافظ أسد،أو هواري بومدين،أو أحد قواده أو سلطان بن عبد العزيز آل سعود أو حسن العمري أو حتى عبدالله السلال أو جعفر النميري أو حتى الرائد فاروق عثمان حمد الله أو أو .... الخ وربما القارىء يستغرب كيف اني رشحت أشخاص للقيادة من هم من غير خريجي كلية الأركان ، ومن ذوي الرتب كمشير وكفريق . إن القيادة موهبة يا صاحبي ولذا ذكرت في صدر كلمتي هذه وقلت لنريد قائداً وإن كان من من موريتانيا أو الكويت أو أبو ظبي إذ أن أسلاف هؤلاء أمثال خالد بن الوليد،وأبا عبيدة بن الجراح،وعمرو بن العاص،وعكرمة بن أبي جهل،وزيد بن أبي سفيان،وسعد بن أبي وقاص،

وجعفر بن أبي طالب ،وعبد الله بن رواحة ،وأسامة وأباه زيد وغيرهم الذين تخرجوا من مدرسة محمد وكذلك قادة العهد الأموي والعباسي أمثال : طارق بن زياد والمهلب ومحمد بن قاسم وطاهر بن الحسين ومزيد الشيباني وهؤلاء وغيرهم لم يتخرج احدهم من كليات وكما قلت لنتجرد من الأنانية ونولي قيادتنا إلى رجل تركماني وهو عمر علي البطل المعروف في « جنين» كما تولى قيادتنا من قبل صلاح الدين الأيوبي الكردي أو ظاهر بيبرس أو قطز المملوك الذين خلّصوا الكنانة من الغازي التتري الشره (هولاكو) في « عين جالوت » .

اجتمعوا يا ملوك ورؤسائه في أقرب ساعة ، ولبوا طلب البطل الضرغام الملك حسين بن طلال كما سبق ولبيتم طلب جمال عبد الناصر في أول مؤتمر قمة في الخرطوم ، وشخصوا الداء كما شخصتموه قبلاً ، ووحدتم القيادة وخلقتم منظمة التحرير الفلسطينية وعينتم علي علي عامر وأحمد الشقيري والآن عينوا « على علي عامر أو غـيره ولكن لا نريد الشقيري لأن الله يسر لنا أبا عمار « ياسر عرفات » .

تم الكتاب بحمد الله تعالى

مضامين الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
عـــبرة وتذكرة	٦١
رأيي في الثورة العربية	٦٩
التحاقي بالثورة	٧٠
وصولنا الى مهبط الثورة	٧٨
الوصول الى مكة	٨٣
الحالة في مكة المكرمة	٨٤
الشروع في الأعمال في مكة	٩٢
سقوط الطائف	٩٦
بعد سقوط الطائف	٩٧
عودة عزيز علي الى القاهرة	١٠٢
موقعة بئر درويش	١٠٣
تعيين القيسوني وزيراً للدفاع	١٠٥
ما هكذا يا سعد تورد الابل	١٠٧
المفاوضة مع الاتراك	١٠٩
مراوغة الانكليز	١٢٢
عندما كنت في الحجاز	١٢٣
وقعة تربه	١٣٤
فيصل في العراق	١٤٩
انقلاب بكر صدقي	١٥٠
كيفية وقوع الانقلاب ؟	١٧٠
في مديرية التجنيد العامـــة	١٩٠
لجوء الوصي إلى دار الراوي بالديوانية	١٩٦
عودة الوصي الى بغداد	٢١٣
هرب الوصي إلى الحبانية	٢٢٣
ذهابي الى البصرة	٢٢٧